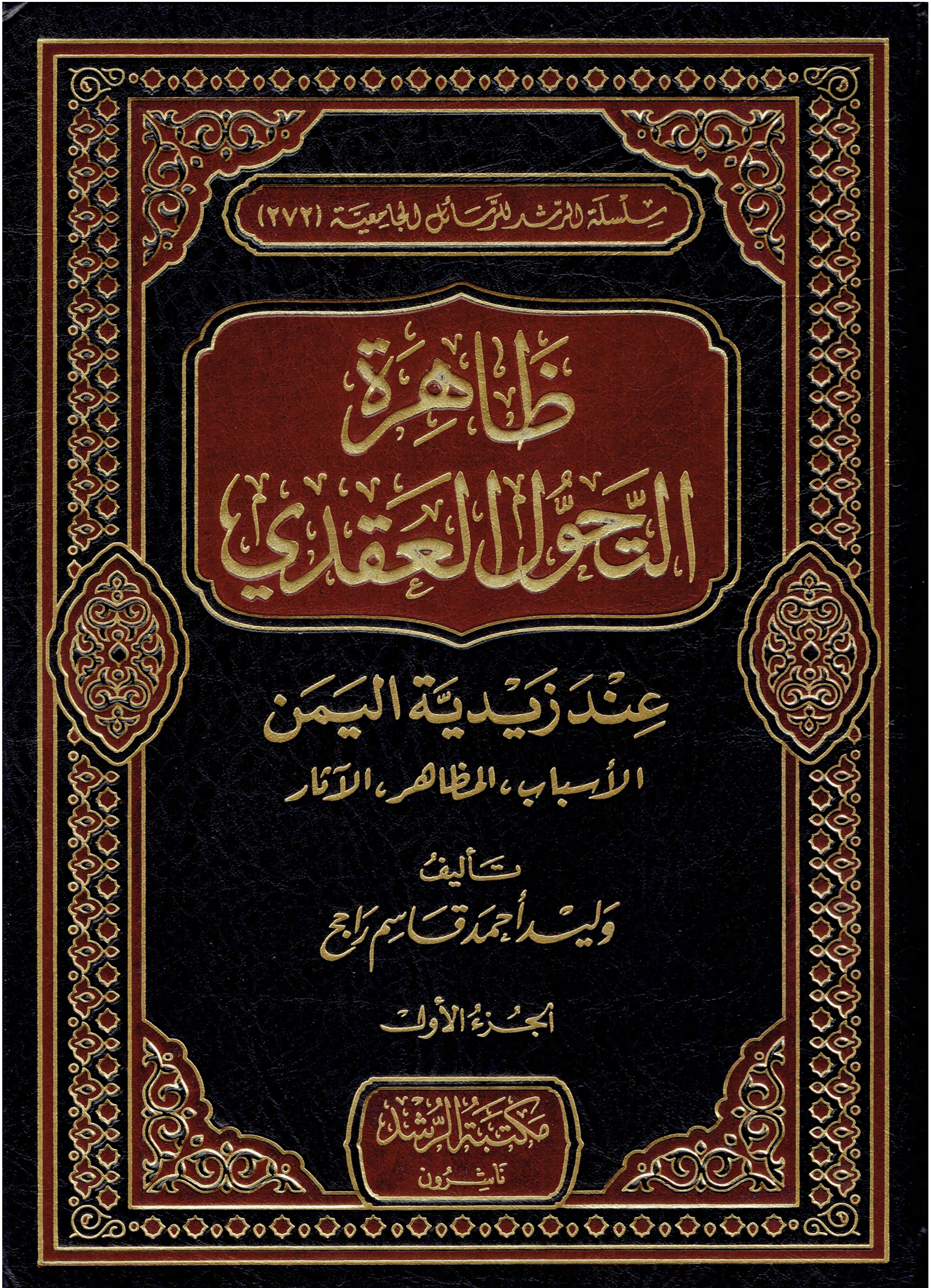
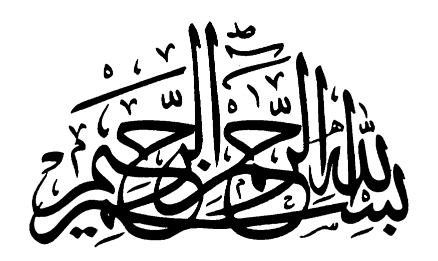

سلسلة الرشد للرسائل الجامعية (٢٧٢)
ظاهرة التحول العقدي
عند زيدية اليمن
الأسباب، المظاهر، الآثار
تأليف
وليد أحمد قاسم راجح
الجزء الأول
مكتبة الرشد
ناشرون

# ظاهرة التحول العقدي عند زيدية اليمن

## الأسباب، المظاهر، الآثار

---

الجزء الأول



# ظاهرة التحول العقدي

## عند زيدية اليمن

### الأسباب، المظاهر، الآثار

تأليف

وليد أحمد قاسم راجح

الجزء الأول

مكتبة الرشد

ناشرون

**فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر**

راجح، وليد أحمد

ظاهرة التحول العقدي عند زيدية اليمن (الأسباب، المظاهر، الآثار)/ وليد أحمد راجح، الرياض، ١٤٣٦هـ

ردمك ٧-٩٨-٨١٦٦-٦٠٣-٩٧٨

١- الزيدية. ٢- الزيدية - تاريخ. أ - العنوان

ديوي ٢٤٧،٧ ١٤٣٦/٣٧٦٠

ردمك ٧-٩٨-٨١٦٦-٦٠٣-٩٧٨ رقم الإيداع ١٤٣٦/٣٧٦٠





الطبعة الأولى تاريخ: ١٤٣٧هـ ٢٠١٦م

مكتبة الرشد - ناشرون

المملكة العربية السعودية - الرياض



الإدارة: العليا أڤنيو - طريق الملك فهد هاتف ٤٦٠٤٨١٨

ص . ب ١٧٥٢٢ الرياض ١١٤٩٤ فاكس ٤٦٠٢٤٩٧

Email: info@rushd.com.sa | Facebook.com/مكتبة الرشد ناشرون

Website: www.rushd.com.sa | twitter.com/ALRUSHDBOOKSTOR





أصل الكتاب رسالة ماجستير تقدم بها المؤلف إلى قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة القصيم وقد أجيزت الرسالة بتقدير ممتاز مع التوصية بطباعة الرسالة وتداولها بين الجامعات تكونت لجنة المناقشة من:

فضيلة الشيخ الدكتور: حمود بن غزاي الحربي / مشرفًا.

فضيلة الشيخ الدكتور: سليمان بن عبدالعزيز الربعي/ مناقشاً داخليًا.

فضيلة الأستاذ الدكتور: عبداللطيف بن عبدالقادر الحفظي / مناقشًا خارجيًا.

# الإهداء

❖ إِلى كُلِّ مُنصِفٍ...

❖ إِلى كُلِّ مُحِبٍّ للإِنصاف...

❖ إِلَيكُم أُهدي هذا الجُهدَ المُتَواضِع.

# المقدمة

الحمد لله، نحمده - تعالى - ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين؛ وبعد..

فإنَّ قضية التحوُّل من القضايا المثيرة لانتباه الباحث في المذاهب الإسلامية، وذلك لكثرة ما يلاحظه من تحوُّلات من وإلى المذاهب؛ إلَّا أنَّ التَّحَوُّل العقدي يبقى هو التحوُّل الأكثر إثارة للانتباه؛ ذلك أنَّ العقيدة تتميز بالثبوت والرسوخ، ولا مجال فيها للتساهل، أو التنقل إلَّا لأمر جَلَل!.

والمذهب الزيدي واحد من المذاهب الإسلامية التي يقف الباحث أمامها مُندهشاً لكثرة ما يلاحظه من تحوُّل عن المذهب؛ إما إلى السُّنَّة، أو إلى الرفض!.

وهذا بدوره يثير العديد من التساؤلات في ذهن الباحث؛

- ما الذي يجعل هؤلاء الزيدية ينتقلون عن مذهبهم؟. سيما إذا كانوا من العلماء!.
- وما الذي يمتاز به المذهب الزيدي ليدفع بهؤلاء للتحوُّل عنه؟.
- وما موقف الزيدية من هؤلاء الذين يتركون مذهبهم ويتحوَّلون عنه؟.
- وما مدى تأثير هذا التحول على مذهب الزيدية؟.

كل هذه التساؤلات وأسئلة أخرى يُثيرها هذا التَّحَوُّل الزيدي لدى

الناظر في تراث الزيدية في اليمن.

ومن هنا، فقد وقع الاختيار لأن يكون موضوع البحث لاستكمال الحصول على درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة مُتَخصِّصاً في موضوع التَّحَوُّل العقدي عند زيدية اليمن؛ من خلال البحث في الأسباب التي أدَّت إلى هذا التَّحَوُّل، والنَّظر في مظاهر هذا التَّحول العقدي بتَتَبُّع شواهده على الواقع، أو في الكتب، وكذا البحث في الآثار التي أحدثها هذا التَّحوُّل من خلال المتحوِّلين أنفسهم، أو من خلال المذهب وأتباعه.

وقد كان الاتفاق على أن يُوسَم البحث بالعنوان التالي: (ظاهرة التَّحَوُّل العقدي عند زيدية اليمن: الأسباب، المظاهر، الآثار).

ولما كان هذا التَّحَوُّل مُتَجَدِّداً ومُتَكرِّراً في تاريخ الزيدية، فقد كان الأَنْسَبُ في دراسة هذا التَّحَوُّل أن تكون الدِّراسة عامَّة نسبيّاً، وغيرَ مُحدَّدة بعصر مُعيَّن؛ إذ أنَّ الأسباب التي تُحدِث التَّحَوُّل لا تقتصر على زمن مُعيَّن غالباً، سيَّما إذا كانت أسباباً علميّة، فإِنَّها تتعلَّق بالمذهب الزيدي مباشرة، وليس بالعصر الذي توجد فيه.

وبالتالي فقد شَملت الدِّراسة فترة مُمتدَّة منذ القرن التاسع الهجري - كما في التَّحَوُّل السُّنِّي - إلى زماننا هذا، ومن القرن الحادي عشر إلى الآن في التَّحَوُّل إلى الرَّفض، وقد يتجاوز أحياناً لما قبل هذه الفترة لِغَرَض الاستشهاد، لكن ليس على سبيل الظاهرة.

والبحث بطبيعته - وكما هو ظاهر من العنوان - يهدف إلى الكشف عن الأسباب الداعية إلى تحول الزيدية عن مذهبهم في الاتجاهين -

التَّسَنُّن، والرَّفض - للاستفادة من التحول الإيجابي باتجاه السُّنَّة، والتعرف على إمكانية التقارب معهم، وكذا معرفة حقيقة علاقتهم بالرافضة للتوصية بعمل اللازم؛ كما يهدف إلى الكشف عن المظاهر والآثار الناتجة عن هذا التحول؛ الأمر الذي يجعل الباحث أكثر إحاطة بحال الزيدية لاتخاذ الطريقة الأنسب في الدعوة.

**الصعوبات:**

وقد رافق البحث العديد من الصُّعوبات كان من أبرزها :

١) شِحَّة المكتبات الزيديَّة من الكتب المطبوعة، وذلك أن دُور النَّشر الزيدية - نتيجة لشِحَّة الإمكانات - لا تطبع من الكتب إلَّا بكميات محدودة سرعان ما تَنفَد من السُّوق، ثم لا تَتِمُّ طباعتها مُجَدَّداً، فيصبح الحصول على الكتب من الأمور المتعَسِّرة .

٢) تَرَدِّي الأوضاع الأمنية في اليمن عموماً، وفي البلاد الزيدية خصوصاً أثناء فترة البحث صَعَّبَ على الباحث الحصول على مزيد من المراجع، أو القيام بالنُّزول الميداني إلى بعض مراكز الزيدية للاطلاع عن قرب على وجهات النَّظَر الزيدية نحو هذه الظاهرة ومدى تأثُّرِهم بها.

٣) اتساع الموضوع وتَشَعُّبه، وتَعَلُّقِه بعدد من فنون العلم.

٤) قُرب عهد الباحث بمؤلفات الزيدية، فلم يكن الباحث يوماً زيدياً، ولا سبق له أن أقام في بلاد الزيدية؛ ولهذا فقد كان الجهد مضاعفاً للتَّعرُّف على هذه الفرقة والإحاطة بها تاريخيّاً وعقديّاً بقدر الإمكان.

٥) صعوبة الوصول إلى مؤلفاتِ أكثرِ العلماء الذين تَحوَّلوا إلى السُّنَّة، إذ أنَّ الزيدية لا تَهتَمُّ بنشر كتبهم وتَعمد إلى إخفائها.

ولقد كانت المفاجأة عند المطالعة والبحث بما وجده الباحث لدى هذه الفرقة من تراث خَصب وحراك فكري جدير بالدِّراسة والبحث، والتَّنقيب عن ما فيه من مَحاسن، وكذا التَّعرُّف على الكثير من رجالات العلم، قلَّ أن يوجد لهم نَظير في التَّحَرُّر الفكري عن قيود المذهبيَّة والتَّمَسُّك بالدَّليل، والصَّلابة في الحقِّ والصَّدع به.

وهذا الأخير ما دفع الباحث لمواصلة البحث بحماس زائد خفَّف عنه ما لاقاه من الصعوبات المشار إليها آنفاً.

واللهُ المسؤول أن يكون البحث قد استوفى شيئاً مما يستحقه؛ وإلَّا فإنَّ الوفاء بموضوع كهذا مِمَّا يَصْعُبُ دَرْكُه، سيَّما على باحث مُبتدئ، وموضوع يفتقر إلى كتابات سابقة!.

**منهج البحث:**

ولما كان البحث يقوم على تتبُّع أسباب التَّحوُّل العقدي عند زيدية اليمن - إلى السُّنَّة وإلى الرَّفض - وكذا إبراز مظاهر التَّحوُّل وآثاره في الاتجاهين معاً، كان المنهج الـمُتَّبع في البحث استقرائياً تحليلياً نقدياً أحياناً - إذا احتيج لذلك - يقوم على الآتي:

١) قرآءة ما أمكن من كتب المتحوّلين عن المذهب الزيدي، والوقوف على أسباب تحوُّلهم من خلال ما يذكرونه في كتبهم صراحة، أو بما يدل على السَّببيَّة، كالنَّقد الدَّال على ذلك.

٢) تحليل ما أمكن من تراث الزيدية، ومعرفة إمكانية تَسبُّبِه في التحوُّل.

٣) رَصْد مخالفات المتحوّلين للمذهب الزيدي واعتبارها مظاهر للتحوُّل .

٤) رَصْد موافقات المتحوّلين لغير الزيدية واعتبارها - أيضاً - مظاهر للتحوُّل.

٥) تتبُّع النتائج التي خلَّفها التَّحوُّل على المذهب الزيدي، أو على الأشخاص، واعتبارها آثاراً للتحول.

**إجراءات البحث:**

١) عَزو الآيات القرآنية إلى مواضعها في المصحف الشريف بذكر السورة ورقم الآية في متن البحث.

٢) تخريج الأحاديث الواردة في البحث بعزوها إلى مصادرها من خلال الآتي:

- ما كان في الصحيحينِ أو في أحدهما، فإنَّه يكتفى بالعزو إليهما فقط، لتلقي الأمة لهما بالقبول.
- ما كان خارج الصحيحين فيُكتفى بعزوه إلى كتب السُّنَن إذا كان فيها، أو إلى غيرها إن لم يكن.
- ما كان في الصحيحين أو في أحدهما، فيكتفى بعزوه إلى الصحيحين للدلالة على صحته، وأما إذا لم يكن في الصحيحين، أو في أحدهما، فيُلحق العزو بذكر درجة الحديث عند أهله بحسب المتيسَّر، وغالباً يكتفى بحكم الألباني على الأحاديث لاشتهاره بهذا الفن، وحتى ينضبط التخريج.
- يكون التخريج من خلال: اسم الصحابي - إذا لم يكن ورد اسمه في المتن - وعنوان الكتاب، والباب، ورقم الجزء والصفحة، ورقم الحديث، وكذا درجة الحديث كما تقدم.
- ترتيب أصحاب الكتب السِّتَّة على النحو التالي: البخاري، ثم مسلم، ثم أبو داود، ثم الترمذي، ثم النسائي، ثم ابن ماجه.

٣) عزو الروايات المذكورة في البحث - مما ليس في كتب أهل السنة - إلى مصادرها .

٤) التعريف بالأعلام غير المشهورة، وإهمال التعريف بالمشهور منها، أو المعاصرين، إلَّا أن تكون هناك حاجة للتعريف بها، فتعرَّف لأجل ذلك .

٥) التعريف بالفِرَق، والأماكن، والمفردات الغريبة، ما أمكن.

٦) ذكر بيانات المصادر والمراجع كاملة عند ذكرها لأول مرَّة، على أنّي لا أذكر عدد الأجزاء إلَّا في قائمة المراجع آخرَ البحث.

٧) ترتيب المصادر بحسب الأقدم إلَّا أن يكون النَّص عن المتأخر، فيُقَدَّم.

٨) جعل رقم الجزء والصفحة، أو الصفحة فقط بين قوسين معكوفين، هكذا: [ ]، وجعل رقم الحديث بين قوسين دائريين، هكذا: ( )؛ لأجل التمييز بين الأرقام وعدم الخلط بينها .

٩) تشكيل الأبيات الشِّعرية وكذا الكلمات التي تحتاج للتَّشكيل، لِتَجنُّب الوقوع في اللَّبس، أو الخطأ في الجملة.

**خطَّة البحث:**

وقد كانت خطة البحث مُشتملة بعد المقدمة على توطئة، تليها ثلاثةُ أبواب، ثم الخاتمة، وذلك على النَّحو التالي:

**المقدمة**: وقد تضمنت ما تقدم من التعريف بموضوع البحث، ومشكلاته، وحدوده، وأبرز الصعوبات، وكذا المنهج المتَّبع وأهم إجراءاته.

التَّوطئة: مفهوم التَّحَوُّل العقدي عند زيدية اليمن (الظاهرة).

# الباب الأوّل

## التَّعريف بفرق: (الزيدية، وأهل السُّنَّة، والرَّافضة)

وفيه ثلاثة فصول :

❑ **الفصل الأوَّل: التَّعريف بفرقة الزيدية، ويشمل أربعة مباحث:**

◆ **المبحث الأول:** التَّسمية والنَّشأة .

◆ **المبحث الثاني:** فرق الزيديَّة.

◆ **المبحث الثالث:** التعريف ببعض أعلام الزيدية.

◆ **المبحث الرابع:** التَّعريف بعقائد الزيديَّة.

❑ **الفصل الثاني: التَّعريف بأهل السنة، وفيه مبحثان:**

**المبحث الأول:** التَّعريف بمسمَّى أهل السُّنَّة وضابطه.

**المبحث الثاني:** مُجمَل عقيدة أهل السُّنَّة.

❑ **الفصل الثالث: التَّعريف بالرَّافضة، وفيه ثلاثة مباحث:**

◆ **المبحث الأول:** التَّسمية والنَّشأة.

◆ **المبحث الثاني:** عقائد الرَّافضة الإماميَّة.

◆ **المبحث الثالث:** أماكن تواجد الرَّافضة.

# الباب الثاني

## أسباب التَّحَوُّل العقدي عند زيدية اليمن، وفيه فصلان:

❑ **الفصل الأوَّل: أسباب التَّحوُّل العقدي إلى السُّنَّة عند زيدية اليمن**

وفيه ستة مباحث:

◆ **المبحث الأول:** استمرار القول بجواز الاجتهاد وتحريم التقليد في العقائد.

◆ المبحث الخامس: نَقْد مذهب المتكلِّمين عموماً والزيديين خصوصاً.

❑ الفصل الثاني: مظاهر التَّحَوُّل العقدي إلى الرَّفض عند زيدية اليمن

وفيه أربعة مباحث:

◆ المبحث الأوَّل: نماذج من الذين تحوَّلوا إلى الرَّفض.

◆ المبحث الثاني: إحياء المناسبات الرَّافضية في بلاد الزيدية.

◆ المبحث الثالث: الطَّعن في صحابة النَّبي ﷺ والسُّنَّة.

◆ المبحث الرابع: تَوَلِّي الرَّافضة وتَمجيدهم، وظهور ملامح المذهب الجعفري.

❑ الفصل الثالث: آثار التَّحَوُّل العقدي عند زيدية اليمن

وفيه ثلاثة مباحث:

◆ المبحث الأول: آثار عامَّة للتَّحَوُّل العَقدي عند زيدية اليمن.

◆ المبحث الثاني: آثار التَّحَوُّل العقدي إلى السُّنَّة.

◆ المبحث الثالث: آثار التَّحَوُّل العقدي إلى الرَّفض.

◆ الخاتمة، وفيها:

- أبرز النتائج.
- التوصيات.

الفهارس:

❖ المصادر والمراجع.

❖ فهرس المحتويات.

القصيم - بريدة
wal2004eed@windowslive.com

# توطئة

## مفهول التَّحوَّل العقدي عند زيدية (الظاهرة)

إِنَّ المتتبِّع لأخبار الزيدية، المطَّلع على تاريخها وتراثها، يجد تحرُّكاً عقديًّا ملحوظاً لدى فئام من الزيدية في اتجاهات متناقضة، لعلَّ الأبرز منها اتجاها: التَّسنُّن، والرَّفض - بصورته العامة والخاصة[1] - وهذا التَّحرُّك العقدي بارز غيرُ خفي، يستطيع ملاحظته المطلع البسيط، والباحث المتعمِّق؛ لظهوره ووضوح مظاهره.. وهذا التحرُّك العقدي الملحوظ لدى الزيدية باتجاهاته المختلفة هو ما نريده من معنى: (التَّحَوُّل العقدي عند زيدية اليمن).

ولسائل أن يسأل: **هل يمثِّل هذا التحوُّل العقدي عند الزيدية ظاهرة على الحقيقة؟.**

لاشكَّ أنَّ هذا التحوُّل يمثل ظاهرة حقيقية لدى الزيدية، وهذا ما سيتضح من خلال هذا البحث، إن شاء الله تعالى، ولكن قبل ذلك تنبغي الإشارة إلى أنَّ الظاهرة المعنية بالدِّراسة، والتَّحَوُّل المقصود به كظاهرة، هو مجموع التَّحوُّل الزيدي في اتجاهي: التَّسنُّن والرَّفض ككل؛ فالظاهرة تشمل الجهتين معاً، وإن كان التحول في كل اتجاه يمثل ظاهرة مفردة!.

أضف إلى ذلك أنَّ التَّحَوُّل المقصود بالبحث لا يَنحصِر بالوقت

(١) الرفض بصورته العامة كمثل ما يحصل لدى الزيدية من غلو في بغض الصحابة وتكفيرهم والحط من قيمة السنة ورواتها، وأما الرفض بصورته الخاصة، أن يصير الزيدي إمامياً اثني عشري.

الحاضر فَحسب - وإن كان ذلك كافياً أيضاً في إثبات الظاهرة - ولكن البحث قراءة في الفكر الزيدي بشكل عام، لا سيَّما الفترة التي تَلَت القرن الثامن الهجري، فقد كانت الظاهرة أكثر وضوحاً، واستمرت في الازدياد والوضوح إلى زماننا هذا.

فالتَّسنُّن الزيدي - مثلاً - تشكَّلت بداياته الأولى على يد العلامة محمد ابن إبراهيم الوزير[(١)] (٧٧٥-٨٤٠هـ) في النِّصف الأول من القرن التاسع الهجري، الذي استطاع أن يكسر حاجز العزلة الذي صنعه أئمة المذهب على أتباعهم، كما استطاع أن يوجِّه إلى المذهب سيلاً من الانتقادات التي جعلت علماء الزيدية - فيما بعد - يراجعون حساباتهم بشأن المذهب، ويرفضون التسليم له في كل شيء، فكانت مؤلفات ابن الوزير تمثل لمن جاء بعده جواز الوُلوج إلى السُّنَّة، والمنظار الذي يعرفون به حقيقة المذهب الزيدي، فعَظُمَت السُّنَّة عندهم، واهتموا بعلوم الحديث، ورفعوا من قدر أئمته ومُريديه.

وخلال هذه الفترة الممتدة من زمن ابن الوزير - في القرن التاسع - وحتى عصرنا الحاضر برز الكثير من العلماء المنصفين[(٢)] - المتحولين إلى السُّنَّة - في بلاد الزيدية، الذين كان لهم كبير الأثر في انتشار السُّنَّة في كثير من الأوقات زيادة على المعتاد، وإلَّا فهي باقية لم تختفِ!.

ففي زمن الصَّنعاني - محمد بن إسماعيل الأمير[(٣)] (١٠٩٩-١١٨٢هـ)

---

(١) انظر ترجمته ص [٤٢٩-٤٣٦].

(٢) سيكثر استخدام هذا المصطلح أثناء البحث، والمقصود به غالباً العلماء الذين تحوَّلوا من المذهب الزيدي، وصاروا من أهل السنة.

(٣) انظر ترجمته ص [٤٤٠-٤٤٣].

- انتشرت السُّنَّة جداً في البلاد الزيدية، حتى خاف أتباع المذهب الزيدي من انصرام المذهب، لما رأوا من كثرة المتسنِّنَة في بلادهم، حتى وصل التَّسَنُّن إلى بيت الإمام ووزرائه، فهيّج مقلدةُ المتفقهة عوامَ الزيدية - مِمَّن تابعهم في ذلك - ضد الإمام، وخرجوا عليه في ثورة عارمة كادت أن تُدخِلَ صنعاء في أُتون حرب مدمِّرة.

وقد ذكر الصنعاني رحمه الله السَّبب الذي هاجت من أجله العامة، فقال: "وكان السَّبب الحقيقي للجماعة الذين تجمَّعوا وتحزَّبوا، اشتغال الخطيب [يعني نفسَه] بعلم السُّنَّة النبوية على صاحبها أفضل الصَّلاة والسَّلام، والتدريس فيها والتأليف والدُّعاء إليها، ونشرها فوق المنابر، وميل أكثر الناس إليها، حتى اتهموا الخليفة المهدي رحمه الله بأَنَّه من أهل السُّنَّة، وأَنَّه يميل إلى أهلها والتابعين لها، وأكثروا في هذا الشَّأن الأشعار والهذيان.

وفي أيام البقاء في السِّجن كتب الله أنَّ النقيب الماس وجماعة مِمَّن اتصل بنا مالوا إلى تعلُّم السُّنَّة، واشتغلوا بعد ذلك بها، ولما خرجنا وَصَلوا وقرأوا علينا مُؤلَّفَنا: (سُبُل السَّلام)، وصلحوا صلاحاً حسناً، وحافظوا على الجماعات في أوقاتها، وانتشرت السُّنَّة انتشاراً حسناً بحمد الله سبحانه"[(١)].

وبعد الصنعاني حمل تلامذته على كاهلهم مُهمَّة الدَّعوة إلى السُّنَّة ونشرها وتعليم الناس علومها، فبرز الكثير من العلماء في تلك الحِقبة[(٢)].

---

(١) ديوان ابن الأمير الصنعاني، تأليف: محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، طبع بعناية: محمد بن محمد زبارة، نشر: مطبعة المدني، ١٣٧٣هـ [٣٣٤].

(٢) أمثال: ابنيه إبراهيم، وعبد الله، وعبد القادر الكوكباني، وأحمد محمد قاطن، وغيرهم.

ولم يمر زمن طويل بعد الصَّنعاني حتى لمع نجم الإمام الشَّوكاني[(١)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فحمل على عاتقه ما بدأه الأوَّلون، فدَرَس ودرَّس، وألَّف وحقَّق، وكَثُرَ مريدوه من طلاب السُّنَّة، فانتشرت السُّنَّة وعلومها زيادة على زمن الإمام الصَّنعاني، وصار لها من أهل السُّلطان أعوان.

يقول الشوكاني في ترجمته للأمير (القاسم بن الإمام المتوكل على الله أحمد بن الإمام المنصور بالله علي بن الإمام المهدي): "وله بالسُّنَّة المطهرة شَغَف عظيم ومَحبَّة زائدة، ويعمل بكل ما صَحَّ منها، ولا يُبالي أطار لَومُ من يلومه أم وقع، ولا يلتفت إلى من يريد صدَّه عن ذلك، لأنَّه قد عرف أنَّ هذا هو الحق الذي بعث الله به رسوله وأنزل به كتابه.

ووالده مولانا الإمام - حفظه الله - يُرَغِّبُه في ذلك ويُقوِّي عزمه عليه، ويُعجِبه ما يرى منه، والحمد لله الذي أخرج من هذا البيت الشَّريف مِثلَ هذا الفاضل زاده الله علماً وكمالاً وعملاً بالحق وانقياداً له، وجعله من أنصار السُّنَّة المطهَّرة!"[(٢)].

ومع الشَّوكاني أصبح التَّسَنُّن واقعاً لا يمكن إنكاره، كما أصبح لسُنِّيَّة الزيدية المؤلفات الخاصة التي تُضاهي مؤلفات الزيدية في جميع أبواب الدين؛ في الأصول والفروع، فكان لذلك أثره في استقلال المتسنِّنين منهم، والتَّحَرُّر من كتب المذهب، سِيَّما مع التطابق الواضح في آراء المنصفين من الزيدية في مقابل رأي المذهب، مما زاد قولهم قوَّة وتأثيراً

---

(١) انظر ترجمته ص [٤٤٣-٤٤٨].

(٢) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، تأليف: محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: محمد حسن حلاق، نشر: دار ابن كثير - دمشق، ١٤٢٧هـ [٢/ ٥٩٤].

وقبولاً[(١)].

يقول الشَّوكاني: "وأمَّا قطرنا اليمن - بارك الله فيه - فغالب من توسَّع في العلوم، وأدرك من نفسه ملكة الاجتهاد الرجوع إلى الدليل، ويَرمي بالتقليد وراء الحائط، ويُلقي عن عنقه قلادَتَه. عرفنا هذا من شيوخنا، وعرفوه من شيوخهم، وعرفه الأوَّل عن الأوَّل، وعرفناه من أترابنا، والمرافقين لنا في الطلب، بل غالب الآخذين عنَّا وهم العدد الجمُّ، هم بهذه الصِّفة، وعلى هذه الخصلة المحمودة، بل غالب من كان له إنصاف من الذين لم يكثر اشتغالهم بالعلم في ديارنا هذه يصنع كما يصنع السَّلف الصَّالح من الصَّحابة وتابعيهم ومن بعدهم، من عدم التقيُّد بالتقليد، والتعويل على سؤال العلماء بالكتاب والسُّنَّة عن الدليل الراجح، فيعملون به ويقفون عنده، ولا يبالون بما يخالفه مما عليه المقلِّدة، وصاروا مُنتَسبين إلى السُّنَّة المطهَّرة غير مُنتمين إلى مذهب من المذاهب، فأصابوا أصاب الله بهم، وضاعف أجرهم، وصرف عنهم مَعَرَّة المقلِّدة، أتباعِ كلِّ ناعق"[(٢)].

وبعد الشَّوكاني حمل تلاميذه المهمَّة وقاموا بها أحسن قيام، وتَعاقَب على هذه المهمَّة كثير من العلماء البارزين الذين تأثَّروا بدعوة

---

(١) قارن - مثلاً - بين مؤلفات الشوكاني وابن الأمير تجد تطابقاً ملحوظاً، وهذا أمر بديهي، فإن مصدرهم واحد، وهو الكتاب وصحيح السنة، وما ورد عن السلف! وانظر كذلك إلى اهتمام بعضهم بشرح كتب بعض، كشرح ابن الأمير لبعض كتب ابن الوزير، أو تذييله لبعض كتب المقبلي، وكذا اقتباس بعضهم من بعض، وثناء بعضهم على بعض، وغير ذلك.

(٢) قطر الولي على حديث الولي، تأليف: محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: د. إبراهيم إبراهيم هلال [٣٥٦ - ٣٥٧].

الشَّوكاني رحمه الله(١)، حتى نُسِبوا إليه، فباتوا يُعرفون بالشَّوكانية(٢)، ولا تزال هذه المدرسة تؤتي أكلها كل حين بإذن ربِّها حتى اللَّحظة(٣).

وبالمقابل، فقد ترافق مع انتشار التسنُّن في بلاد الزيدية انتشار الرَّفض، فقد كان الرَّفض بمثابة ردَّة فعل ضد التَّسَنُّن، فكلما ازدادت السُّنَّة ظهوراً زاد الرَّفض ظهوراً أيضاً!.

والرَّفض في الزيدية قديم بِقِدَم المذهب، إلَّا أَنَّه لم يكن ظاهراً مُشتهراً منذ البداية، فإنَّ مفردات الرَّفض - غالباً - لا يحتاج إليها الزيدي إلَّا عند الشُّعور بالمنافسة، وأَمَّا إذا لم يوجد المنافس، فلا يهتمون بإظهارها غالباً، لا سِيَّما والحكام في بلاد الزيدية كانوا من أهل البيت، وعلى مذهب الزيدية، ولم يكن أهل السُّنَّة سوى رعايا في دولتهم، وليس من السِّياسة إثارة الرعيَّة!، بالإضافة إلى كون الشائع في مذهب زيد بن علي رحمه الله المفاصلة مع الرَّافضة ومنابذتهم!(٤).

---

(١) من تلاميذه العلماء: ابنه، علي بن محمد الشوكاني، والسيد عبد الله بن عيسى الكوكباني، ومحمد بن علي بن حسين العمراني، وغيرهم. انظر: منهج الإمام الشوكاني في العقيدة، تأليف: د. عبد الله نومسوك، (ط٢)، نشر: مكتبة دار القلم والكتاب - الرياض، ١٤١٤هـ [١/ ٩٥].

(٢) هناك كتاب صدر قبل سنوات قليلة بعنوان: الشَّوكانية الوهَّابية تيار مستجد في الفكر العربي الحديث، تأليف: مسعودي عبد العزيز قائد، نشر: مكتبة مدبولي - مصر، ٢٠٠٦م.

(٣) من أبرز الذين تأثروا بدعوة الإمام الشوكاني رحمه الله من الزيدية - في زماننا هذا، العلامة محمد بن إسماعيل العمراني، فقد صرّح بذلك بنفسه. انظر كتاب: القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني حياته العلمية والدعوية، إعداد: عبد الرحمن عبد الله سليمان الأغبري، نشر: مكتبة الإرشاد - صنعاء، ١٤٢٣هـ [١٩١].

(٤) سيتضح موقف الزيدية من الرافضة - لاحقاً - بشيء من التفصيل إن شاء الله.

وهكذا ترافق انتشار الرَّفض مع التَّسنُّن قوَّة وضعفاً، حتى إذا انتهت دولة الزيدية كَشَّر الرَّفض عن أنيابه، ولم يجد له في غير الإعلان عن نفسه سبيلاً، بل زاد الحال إلى أن صار كثير مِمَّن ينتسبون إلى الزيدية يعتنقون المذهب الإمامي الاثني عشري الذي طالما عاداه أسلافهم من قبل!.

ويؤرِّخ بعض الزيدية القرن الحادي عشر كبداية لفُشُوِّ الرَّفض وإعلانه على يد عدد مِمَّن ينتسبون إلى المذهب الزيدي، كابن المؤيد والهَبَل وغيرهم.

يقول العلامة يحيى بن الحسين بن القاسم(١): "والرَّافضة في هذا الزَّمان، الذين من الزيدية كثير، إلَّا أنَّ منهم مَن يَتَسَتَّر بمذهبه ولا يظهره عند سائر الزيدية غير الرَّافضة، ولم يُظهر الرَّفض إلَّا هذا حسن بن علي الرَّافضي، والسَّيد أحمد الآنسي، والسَّيد صلاح بن محمد العُبالي، والفقيه أحمد بن عبد الحق الحَيمي، ويحيى بن المؤيد(٢)، فهؤلاء الذين أظهروا الرَّفض والشتم للصحابة ﷺ، وباؤوا بآثامهم، وكبيرهم الذي أفظع حسن

---

(١) عماد الدين يحيى بن الحسين بن الإمام القاسم بن محمد، من أكابر علماء آل الإمام القاسم، مال إلى العمل بما في أمهات الحديث، وردَّ على من خالف النصوص الصحيحة. مولده سنة ١٠٣٥هـ، ووفاته حوالي سنة ١١٠٠هـ. من مؤلفاته: (الاقتباس في شرح الالتماس)، و(الإلمام بأصول الأنام)، و(إنباء الزمن في تاريخ اليمن). انظر: طبقات الزيدية الكبرى - القسم الثالث، تأليف: إبراهيم بن القاسم بن المؤيد، تحقيق: عبد السَّلام بن عباس الوجيه، نشر: مؤسسة الإمام زيد بن علي - عمَّان، ١٤٢١هـ [٣/ ١٢٢٠-١٢٢٢]، البدر الطالع - الشوكاني [٢/ ٨٨٢ - ٨٨٣]، أعلام المؤلفين الزيدية، تأليف: عبد السلام بن عباس الوجيه، نشر: مؤسسة الإمام زيد بن علي - عمَّان، ١٤٢٠هـ [١١١١-١١١٨].

(٢) ستأتي تراجمهم بشيء من التفصيل في الباب الثالث كنماذج للمتحولين إلى الرفض، فانظرها في مواضعها.

ابن علي بن جابر الهَبل لا رَحِمَهُ اللهُ!.

وعندما جرى هذا ترجَّح للفقيه صالح المقبلي(١) الثُّلائي اليمني أن باع أملاكه ورحل بأولاده إلى مكة، واستقر بها ودخل في مذهب الشافعي رَحِمَهُ اللهُ"(٢).

وقد كان لهؤلاء المذكورين - من الرَّافضة - أتباع، فانتشر في هذه الفترة الطعن في الصحابة وادعاء ظلمهم لأهل البيت، وادعاء غصبهم للخلافة وغير ذلك من أمور الرَّفض.

وفي أثناء مسيرة الزيدية في البلاد اليمنية تستجد بدع الرَّافضة باستمرار؛ ففي بداية القرن السابع ظهرت بدعة تشييد القبور(٣)، وفي الحادي عشر ظهرت بدعة الاحتفال بيوم الغَدير(٤)، وفي عصرنا الحاضر ظهرت العديد من البدع الرَّافضية؛ كالاحتفال بعاشوراء، وبمقتل أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وغيرها من بدع الرَّافضة(٥).

ولعلَّ من العوامل التي ساعدت على اشتداد موجة الرَّفض في تلك الفترة - القرن الحادي عشر - استيلاء العثمانيين (السُّنَّة) على كثير من

---

(١) انظر ترجمته ص [٤٣٦-٤٤٠].

(٢) بهجة الزمن، تأليف: يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد، تحقيق: د. أمة الغفور عبد الرحمن علي الأمير، نشر: مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية - صنعاء، ١٤٢٩هـ [٢/ ٧٠٠].

(٣) يعتبر الإمام عبد الله بن حمزة (ت: ٦١٤هـ) أول من سن لأئمة الزيدية البناء على المشاهد. انظر: القبورية - نشأتها، آثارها - موقف العلماء منها (اليمن أنموذجاً)، تأليف: أحمد بن حسن المعلم، نشر: دار ابن الجوزي، ١٤٢٦هـ [٢٦٤].

(٤) راجع: بهجة الزمن - يحيى بن الحسين [٢/ ٦٢٠].

(٥) سيأتي الكلام عن بدع الرافضة في بلاد الزيدية - تفصيلاً - في الباب الثالث (مظاهر التحول إلى الرفض).

مناطق الزيدية، وإخضاعها لحكمهم، فأدى ذلك إلى ردَّة فعل لدى الزيدية من جهة، ومن جهة أخرى أرادوا إثارة الأتباع ضد هذا الغازي ومذهبه للنهوض ضدَّهم!.

وقد ألمح إلى هذه الظاهرة - ظاهرة التحول - كثير من العلماء والباحثين قديماً وحديثاً، وهذه بعض من أقوالهم ليَجلوَ الأمر ويتضح الرأي وبالله المستعان.

**فمن أقوال العلماء والباحثين في إثبات ظاهرة التَّسنُّن في الزيدية:**

- ذكر الشَّوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه: (البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع) أنَّ عدد العلماء من أئمة الكتاب والسُّنَّة في بلاد الزيدية كبير يجاوز الوصف.

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: "ولا ريب أنَّ علماء الطوائف لا يكثرون العناية بأهل هذه الدِّيار لاعتقادهم في الزيدية ما لا مقتضى له إِلَّا مجرد التقليد لمن لم يطلع على الأحوال، فإنَّ في ديار الزيدية من أئمة الكتاب والسُّنَّة عدداً يجاوز الوصف، يتقيَّدون بالعمل بنصوص الأدلة، ويعتمدون على ما صَحَّ في الأمهات الحديثية وما يلحق بها من دواوين الإسلام المشتملة على سُنَّة سيِّد الأنام، ولا يرفعون إلى التقليد رأساً، لا يشوبون دينهم بشيء من البدع التي لا يخلو أهل مذهب من المذاهب من شيء منها، بل هم على نمط السَّلف الصالح في العمل بما يدل عليه كتاب الله، وما صَحَّ من سُنَّة رسول الله، مع كثرة اشتغالهم بالعلوم التي هي آلات علم الكتاب والسُّنَّة.."[1].

---

(١) البدر الطالع [٢/٦٣٨ - ٦٣٩].

وهذا الذي ذكره الشَّوكاني - بلا شك - يدل على ثبوت الظاهرة - ظاهرة التَّسَنُّن - في العلماء، فإذا جُمع إليهم أتباعهم من العامة كانت الظاهرة يقيناً!.

- ويقول الشَّيخ مقبل بن هادي الوادِعي(١) رحمه الله: "نُبَشِّر إخواننا في جميع الأقطار الإسلامية بأَنَّ المذهب الشِّيعي قد أوشك على الارتحال من اليمن .."(٢).

- ويقول الشيخ محمد بن عبد الله الإمام(٣): "وأمَّا رجوع العامة إلى السُّنَّة في عصرنا من اليمنيين ممن كانوا متأثرين بالرَّفض فحدِّث عنه ولا حرج، فقد قال أحد المسئولين الكبار: (أَمَّا الزيدية في اليمن فستون في المائة صاروا وهابية - يعنون بهم أهل السُّنَّة - والباقون مُخشخشون)، كلمة (مُخشخشون): يعني: مُتَشكِّكين في صحة مذهبهم"(٤).

---

(١) انظر ترجمته ص [٤٦٣-٤٦٧].

(٢) صعقة الزلزال لنسف أباطيل الرفض والاعتزال، تأليف: مقبل بن هادي الوادعي، (ط٢)، نشر: مكتبة صنعاء الأثرية - اليمن، ١٤٢٣هـ [٢/ ٤٥٤ - ٤٥٥].

(٣) أبو نصر محمد بن عبد الله الإمام، من كبار تلاميذ الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله، قائم بالدعوة إلى الله في بلاد اليمن، وله مركز علمي مشهور في منطقة معبر بمحافظة ذمار، وله العديد من المؤلفات في الرد على الرافضة في اليمن، منها: (رافضة اليمن على مر الزمن)، و(طعون رافضة اليمن في صحابة الرسول المؤتمن)، و(النصرة اليمانية)، وغيرها. مولده سنة ١٣٨٠هـ بمحافظة ريمة. انظر ترجمته على موقعه، متاح على الرابط: http://www.sh-emam.com

تاريخ الدخول: ٢٥/ ١١/ ٢٠١٣م.

(٤) طعون رافضة اليمن في صحابة الرسول المؤتمن ﷺ، تأليف: محمد بن عبد الله الإمام، نشر: مركز دار الحديث - معبر/ اليمن، ١٤٢٦هـ [١٨١].

- ويقول الباحث الزيدي محمد يحيى سالم عزّان[١]: "إنَّ محافظة صَعدة هي المعقل الأول للمذهب الزيدي (الشيعة)، وليست له مرجعية خارج اليمن، وأَنَّ صعدة ظلَّت مغلقة على المذهب إلى أن دخل إليها التيار السَّلفي مطلع ثمانينات القرن الماضي على يد الشيخ مقبل بن هادي الوادعي.."[٢].
- ويقول العلامة الزيدي أحمد بن لُطف الدَّيلمي[٣]: "ولا تجد الآن أكثرَ المحاضرين في المساجد إلَّا خارجين عن الزيدية، أو خارجين عليها، لا يعترفون للزيدية بإمام، ولا لإمام لهم بمقام، ولا يَحتَجُّون بقول أحد إلَّا في مقام يفرضه الجوُّ السِّياسي"[٤].

---

(١) من الباحثين الزيديين المشهورين، ومن مؤسسي منتدى الشباب المؤمن مطلع التسعينات من القرن العشرين الميلادي، وانتخب أميناً عاماً للمنتدى منذ تأسيسه وحتى عام ٢٠٠٣م، مولده بمحافظة صعدة سنة ١٣٨٧هـ. حقق عدداً من كتب الزيدية، منها: (حوار في الإمامة، لعز الدين بن الحسن وآخرين)، و(الفلك لدوار، لصارم الدين بن الوزير)، و(مجموع كتب ورسائل الإمام زيد بن علي). راجع ترجمته على موقع مركز التراث والبحوث اليمني، متاح على الرابط: http://yemenhrc.info تاريخ الدخول: ٢٥/ ١١/ ٢٠١٣م.

(٢) الحوثيون في اليمن بين السياسة والواقع، تأليف: عايدة العلي سري الدين، نشر: دار بيسان للنشر - بيروت، ٢٠١٠م [٧٧ - ٧٨].

(٣) أحمد بن لُطف بن زيد الديلمي، الحسني. من علماء الزيدية المعاصرين. ولد بمدينة ذمار سنة ١٣٥٤هـ، كان عضواً بدار الإفتاء، ثم رئيساً لمحكمة غرب صنعاء، وله عدد من المؤلفات، منها: (الجَني الدَّاني في مناقشة الشَّوكاني)، و(كشف النِّقاب عن مذهب قرناء الكتاب)، و(تحفة الأبرار في تحرير لا تدركه الأبصار). انظر ترجمته في مقدمة كتابه: الزيدية بين مُحب غالٍ ومُبغضٍ قالٍ [٥-١٦].

(٤) الزيدية بين محب غال ومبغض قال، تأليف: أحمد بن لطف بن زيد الديلمي، (ط٣)، نشر: دار الإمام زيد بن علي للطباعة والنشر - صنعاء، ١٤٣١هـ [٢٢].

- ومما يُدلِّل على ظهور التحول عند الزيدية - أيضاً - رسالة من علماء الزيدية إلى رئيس الجمهورية حينها - علي عبد الله صالح - تُبيِّن الخوفَ الذي لحق بهم من جرّاء المد السُّنِّي والتَّحَوُّل الذي أصاب كثيراً من أتباع المذهب، وهذا نَصُّها:

"**الأخ الرئيس:**

مع الأسف تطوَّرت الدِّعاية للمذهب الوهَّابي في بلد الزيدية وسَبُّ علمائها، ونسبتها إلى الشِّرك والغلو والابتداع، لذلك كان اجتماع عدد وافر من العلماء والطلبة وغيرهم في لواء صَعدة لتقرير التعاون على ما يلزم من الذَّب عن الأعراض، والمحافظة على الدِّين بالمطالبة للحكومة بمنع التَّعدِّي، وبتحرير الرسائل المبينة للحق بالحُجَّة الواضحة، ولدفع شُبَه المخالفين وما أشبه ذلك، كما أنَّ في اتحاد الكلمة ما يمنع التَّعَدِّي، وكما أَنَّ التقاعد عن الدفاع يُجرِّيه على عدوانه، فكان الاجتماع لتوحيد الكلمة، فنأمل من الأخ الرئيس الإعانة على دفع العدوان من المتدخِّلين بنشر المذهب الوهَّابي، وهتك الأعراض والاستفزاز للصراع الطائفي والتَّعَصُّبات القبلية، والفوضى الهمجيَّة، ولا يمكن السُّكوت، ونرجو أن تقوموا بما يحسم الفساد ونشر الفوضى والسَّلام.

**التوقيع:**
**هيئة علماء المذهب الزيدي**"[(١)].

---

(١) عن كتاب: التشيع في صعدة - الجزء الثاني - أفكار الشباب المؤمن في الميزان، تأليف: عبد الرحمن المجاهد، ط٢ - ١٤٣٣هـ [٨٨ - ٨٩].

**من أقوال العلماء والباحثين في إثبات ظاهرة الرفض في الزيدية:**

وأمَّا عن الرَّفض، فكذلك قد دلَّت عليه كثير من أقوال العلماء والباحثين قديماً وحديثاً؛ وإليك طائفة منها:

- ففي القرن الثاني عشر الهجري انتشر الرَّفض في صنعاء انتشاراً كبيراً حتى تظهَّر الناس بعقائد الرَّافضة الإمامية سواء بسواء، وفُتِنَ الناس بذلك، حتى كَرِهَ بعض الأفاضل المقام في صنعاء.. وفي رسالة الإمام الصنعاني - الآتية - إلى بعض أقرانه يتضح ذلك جلياً، فإليك نَصَّ الرسالة:

"بسم الله الرحمن الرحيم

وبعد إهداء شريف التَّحيَّات، واستهداء صالح الدَّعوات، فإنِّي أحمد الله الذي لا إله إلَّا هو على جزيل نعماه، وأُصلِّي وأُسلِّم على رسوله سيِّدنا محمد وآله، وأُنهي إلى المقام السَّاطِعَةِ أنوارُهُ، الطالِعَةِ شُمُوسُ سَعدِهِ وأَقمارُه، أَنَّ البَلدَة الَّتي قَوَّضَ عنها رَحلَهُ، ورَفَعَ عَن سُكناها وابِلَهُ وطَلَّهُ، صارَ لها بَعْدَ بُعْدِهِ شأْن، وعادَتْ كأَنَّها حانَةٌ من حانات أَصبَهان، أَو كَوْرَةٌ مِن كُوَرِ خُرَاسَانَ، لَا تَسْمَعُ فِيها إِلَّا مادِحاً عَليّاً، وذَامّاً صَحابيّاً بَدريّاً، أو ذاكِراً أَخبارَ السَّقيفَةِ، أَو مُنْشِداً:

لَهفِي لِبِنْتِ مُحَمَّدٍ ماتَتْ بِغُصَّتِها لَهيفَة

أو مُتَوجِّعاً من غَمْطِ الوَصِيِّ، ودَقِّ عَضُدِ البَتُولِ، وتَمزيقِ الصَّحيفَةِ، أَو مُتَعَجِّباً مِن جَمعِ الحَطَب حَول بَيتِها لِتَحريقِه.. أَو قاصًّا لِمَثالِبِ عُثمانَ وما حَرَّفَ مِن كلامِ الرَّحمنِ في القُرآن، وأَنَّ الوَحيَ (إِنَّما أَنتَ مُنذِرٌ وعَلِيٌّ هادٍ)، فَحُرِّفَت الآيةُ في مَصاحِفِ أَهلِ الأَغوارِ والأَنجادِ، وأَنَّهُ حَرَّفَ خَمسَ عَشرَةَ آيةً نَزلَت في مَدحِ الوَصِيِّ وحُفِظَتْ قَبلَ إِحراقِهِ لها وتُلِيَت، أَو

راوياً لَهُ أَنَّهُ لَمَّا أُسريَ بالْمُصطفى وَجَدَ عَليّاً قد سَبَقَهُ إِلى سِدرَةِ الْمُنتَهى، وأَنَّ الرَّبَّ العَلِيَّ خاطَبَ مُحمَّداً رسولَهُ بِلِسَانِ عَلِيٍّ، فقالَ: أَعَلِيٌّ يُخَاطِبُنِي؟. فقالَ الرَّبُّ سُبحانَه: بَلْ خاطَبناك بِلِسَانِ أَحَبِّ الخَلقِ إِلَيكَ. وكَمْ وكَمْ - يا ابنَ وُدِّي - أَتلُو مِنْ هَذِهِ الأَقاصِيصِ عَليكَ، هِيَ نُوْقٌ لا خِطامَ لها ولا زِمامَ، ولَو يُقالُ: مَنْ أَخرَجَها؟، أَو فَاهَ أَحَدٌ بِذَلِكَ رَمَاهُ بالنَّصْبِ الأَنامُ.. ولَو سَمِعَتْ أُذُناكَ أَحاديثَ يَوم الجَمَلِ وسَردَ وقائِعِهِ عَلَى التَّفصيل والجُمَل، وأَخبارَ أَيام صِفِّينَ والرِّماحُ تُغرَزُ في الكُلَى، والسُّيوفُ تُغمَدُ في الطُّلا[1]، لَسَمِعتَ لَعْنَ اللاَّعِنينَ لِأَهلِ الشَّامِ مِن كُلِّ لِسَانِ حاضرِ ذلك المقام، حَتَّى يَرتَجَّ الجامِعُ الكبيرُ بِلَعنِ كُلِّ صَغيرٍ مِن أُولئكَ وكَبيرٍ، دَعْ عَنكَ أَهلَ الشَّام، لَو طَرَقَ سَمعَكَ لَعْنُ الشَّيخَينِ وسَعْدِ بنِ أَبي وَقَّاص الذي فَدَاهُ الرَّسولُ بأَبَوَيهِ يَومَ حُنَينٍ، وغَيرِهِمْ مِن العَشَرَةِ الذينَ أُودِعَتْ مَنَاقِبُهُم (الرِّياضُ النَّضِرَة)[2]، لَقُلْتَ:

رَأَيْتُ الَّذِي لَا كُلَّهُ أَنْتَ قادِرٌ عَلَيهِ ولا عَنْ بَعضِهِ أَنْتَ صابِرُ

خَلِّ عَنكَ أَقواماً أَقسمَ القَلمُ على نَفسِهِ أَلَّا يَجري بذكرها، واستحيا من الله تعالى أَن لَاقاهُ بِرَقْم سَطرِها؛ مِنْ أَدْناها ما جَرَى بِهِ وهوَ يَعرَقُ جَبينُهُ حَياءً مِنَ اللهِ تَعالى جلَّ جَلالُهُ، وهوَ أَنَّهُ غَلِطَ جبريلُ - عليه السَّلامُ - بالرِّسالةِ؛ وحاصِلُهُ أَنَّهُ التَّعطيلُ فلا إِطالَةَ.."[3].

---

(١) الطُّلَا: الأَعناق؛ جمع عُنُق. انظر: لسان العرب؛ تأليف: جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرَّم بن منظور، تحقيق: عبد الله علي الكبير، وَ محمد أحمد حَسَب الله، وَ هاشم محمد الشاذلي، نشر: دار المعارف - القاهرة [٤/ ٢٧٠٠].

(٢) كتاب يتحدث عن مناقب العشرة المبشرين بالجنة، اسمه: الرياض النضرة في مناقب العشرة، للإمام: محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري.

(٣) ديوان ابن الأمير الصنعاني [٤٥٤-٤٥٥].

- وبعد زمن الصَّنعاني لم يَنتَهِ الرَّفض من بلاد الزيدية، ولكنَّه ظلَّ مستمراً فيها، يَظهر أحياناً، ويختفي أحياناً أخرى، وكانوا لا يتأخرون عن إيقاع الأذى بمخالفيهم، ونَشر الفساد وإثارة العامة بين حين وآخر، مُتذرِّعين بدعوى الحفاظ على مذهب أهل البيت!.

وقد ذكر الشَّوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ طرفاً من ذلك في بعض كتبه، كالبدر الطالع[١]، وأَدَب الطلب[٢].

- وفي زماننا الحاضر كَثُرَ الرَّفض في بلاد الزيدية حتَّى تظهَّر كثير منهم بمذهب الرَّافضة الإمامية الاثني عشرية. يقول القاضي إسماعيل بن علي الأكوع[٣] رَحِمَهُ اللَّهُ: «أمَّا اليوم فإنَّ أكثر العَلَويِّين المنتسبين مذهباً إلى زيد بن علي ونسباً إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ومَن اعتزى إليهم من أهل اليمن - وما أكثرهم! - قد تحوَّل بعد قيام الثورة الإيرانية سنة ١٩٧٩م إلى شيعة اثني عشرية تحت غطاء مذهب

---

(١) انظر: البدر الطالع [٢/ ٨٩٧-٨٩٩].

(٢) انظر: أدب الطلب، تأليف: محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: عبد الله يحيى السريحي، (ط٢)، نشر: مكتبة الإرشاد - صنعاء، ١٤٣١هـ [١٥٢-١٥٦].

(٣) أبو محمد إسماعيل بن علي بن حسين الأكوع، الحوالي. مؤرخ ومحقق يمني شهير؛ كان أجداده آل الأكوع جميعاً على مذهب الزيدية ثم ظهر فيهم التحوّل إلى السنة منذ منتصف القرن الثالث عشر الهجري، واستمر بعد ذلك. ولد القاضي إسماعيل بمدينة ذمار سنة ١٣٣٨هـ، وتوفي رَحِمَهُ اللَّهُ في شوال من سنة ١٤٢٩هـ. من مؤلفاته: (هجر العلم ومعاقله في اليمن)، و(المدارس الإسلامية في اليمن)، و(الدولة الرسولية في اليمن). انظر: هجر العلم ومعاقله في اليمن، تأليف: القاضي إسماعيل بن علي الأكوع، نشر: دار الفكر المعاصر - بيروت، ١٤١٦هـ [٤/ ٢٣٨٧-٢٣٩٦]، إسماعيل بن علي الأكوع علامة اليمن ومؤرخها، تأليف: إبراهيم باجس عبد المجيد المقدسي، نشر: دار القلم - دمشق، ط١ - ١٤٢٦هـ [١٥-١٦]، صحيفة الجمهورية/ اليمن، العدد: ١٤٢٣٢، الصادرة بتاريخ: ٢٢/ ١٠/ ٢٠٠٨م.

الإمام زيد بن علي، ولو كان الأمر يتعلَّق بهؤلاء شخصياً لهان الخطب، ولكنَّهم يسعون بنشاط دائم إلى التبشير بهذا المذهب بالدِّعاية له وتوزيع كتبه مجاناً، غير ما يباع منها في مكتبات خاصَّة بأثمان زهيدة.. "[١].

وهذا الكلام الذي قاله الأكوع ﷺ وإن كان يدل على الواقع، إلَّا أنَّه قديم نسبياً، فقد قاله في تسعينيات القرن العشرين الميلادي، ولم يَمضِ حينها على تأثر الزيدية بالجعفرية سوى بضع سنوات؛ فكيف بهذا التأثر بعد هذا الزمن الطويل، وبعد إنشاء الكثير من الحسينيات، وتخريج العديد من البعثات الطلابية من مدارس وجامعات الجعفرية في قُمّ والنَّجَف وغيرها؟!.

- يقول الباحث الزيدي علي بن أحمد بن ناصر مُجمَّل: "**نداء لِمَن كان له قلبٌ أو ألقى السَّمعَ وهو شَهيد**؛ إنَّه نداء أوجِّهه إلى كل مُحِبٍّ لأهل البيت، ومُحِبٍّ لمذهب الإمام زيد بن علي: أن احذروا الطُّوفان؛ ذلكم الخطر الذي يَحدق بالزيدية في هذه الأيام، إنَّه خطر الرَّافضة الذين يَدَّعون محبَّة أهل البيت وهم كاذبون، فلا يغرنَّكم ادعاؤهم محبَّةَ أهل البيت، فإنَّهم والله أَعدى أَعدائهم.. "[٢].
- ويقول القاضي محمد بن إسماعيل العَمراني[٣] في تقديمه لبعض الكتب: "ولَعَمري إنَّه لمن أَحسن ما أُخرجَ للناس في هذه الأيام،

---

(١) الزيدية نشأتها ومعتقداتها، تأليف: القاضي إسماعيل بن علي الأكوع، (ط٣)، نشر: دار الفكر - دمشق، ١٤١٨هـ (حاشية) [٨٢].

(٢) القول الجلي في الذب عن مذهب الإمام زيد بن علي، تأليف: علي بن أحمد بن ناصر مُجمَّل، (ط٣)، نشر: دار النشر للجامعات - صنعاء، ١٤٢٩ه [١٦٢].

(٣) انظر ترجمته ص [٤٦٧-٤٦٨].

ولا سيَّما (الرَّفض) كاد ينتشر في بلاد اليمن بصفة لا عَهدَ لليمن.. "[١].

- ويقول الدكتور عبد الوهَّاب الدَّيلمي[٢]: "ويُؤسِفُني أن يَتَعامى صاحب كتاب (الزيدية بين مُحِبٍّ غالٍ ومُبغِضٍ قالٍ)[٣] عمَّا هو الجار اليوم في بلدنا من غزو الفكر الرَّافضي في أوساط أبناء المذهب الزيدي"[٤].

- ويقول الشَّيخ محمد علي عَجلان في تقديمه لبعض الكتب: "وبعد؛ فلقد أَصبحَ المدُّ الرَّافضي والدَّعوة إلى التَّشيُّع في يَمَنِ الإيمان والحكمة - اليوم - حديثَ السَّاعة، فإنَّنا نَلمَسُ نشاطاً محموماً يَندَسُّ وراءَ الجهالة المنتشرة والفتن المستشرية، ويَستَهدف البُسَطاء والمغفلين، ناصباً لهم شِرَكَ خُدَعِهِ، تارةً بادِّعاءِ مَحَبَّةِ أَهلِ البيت - رضوان الله عليهم - وأخرى بِشَنِّ الحرب على اليهود والنَّصارى.. "[٥].

---

(١) حوار هادئ مع المتعاطفين مع الشيعة الرافضة، تأليف: عبد العزيز بن محمد الزبيري، ١٤٣٣هـ [٧].

(٢) عبد الوهاب بن لطف بن زيد.. الديلمي، الحسني. مولده بمدينة ذمار - اليمن - سنة ١٣٥٨هـ، ينتمي إلى أسرة علوية زيدية. نشأ نشأة زيدية، ثم تحرَّر من قيود المذهب والتزم بالسنة. من مؤلفاته: (منهج العقيدة في الكتاب والسنة)، و(ضوابط الفتوى في ضوء الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح)، و(جناية أدعياء الزيدية على الزيدية). انظر ترجمته على موقع: (منبر علماء اليمن) على الرابط التالي: http://olamaa-yemen.net تاريخ الدخول: ٢٢/ ١٢/ ٢٠١٣م.

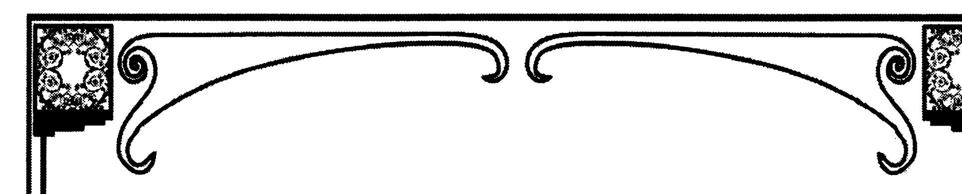
(٣) صاحب الكتاب هو: أحمد بن لطف الديلمي، أخو الدكتور عبد الوهاب.

(٤) جناية أدعياء الزيدية على الزيدية، تأليف: د. عبد الوهاب بن لطف الديلمي، نشر: دار النشر للجامعات - صنعاء، ١٤٣٣هـ [١٨٩].

(٥) حوار هادئ مع المتعاطفين مع الشيعة الرافضة [١٥].

ومما تقدم، فلا أَقَلَّ من أَن نَصِفَ هذا التَّحَوُّلَ الذي أَصابَ الزَّيديَّة بـ (الظَّاهِرَة)، فقد ظَهَرَ جليّاً أَثَرُهُ في مُحيطه اليَمني قديماً وحديثاً، وتَمَّ رَصدُهُ مِن قِبَلِ العُلماءِ والباحِثين في اتجاهيه الْمُشارِ إليهما سلفاً: (السُّنِّي، والرَّافِضي)، وعليه، فإِنَّ وَصفَ التَّحَوُّلِ عند زيدية اليَمن بالظاهرة يُعَدُّ وصفاً مُطابقاً للواقع بلا مُبالَغَة، والله تعالى أعلم.





# الباب الأوّل

## التعريف بفرق: الزيدية، وأهل السنة، والرافضة

وفيه ثلاثة فصول:

- ❑ **الفصل الأول:** التعريف بفرقة الزيدية.
- ❑ **الفصل الثاني:** التعريف بأهل السنة.
- ❑ **الفصل الثالث:** التعريف بفرقة الرافضة الإمامية.

# الفصل الأوّل

## التعريف بفرقة الزيدية

وفيه أربعة مباحث:

- ❖ المبحث الأول: التسمية والنشأة.
- ❖ المبحث الثاني: فرق الزيدية.
- ❖ المبحث الثالث: التعريف ببعض أعلام الزيدية.
- ❖ المبحث الرابع: التعريف بعقائد الزيدية.

## المبحث الأول
## التسمية والنشأة

**التسمية:**

الزيدية: هم أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ؛ فضَّلوا علياً ﷺ على جميع الصحابة ﷺ بما فيهم الشيخين - أبا بكر وعمر ﷺ - مع توليهم لهما، وساقوا الإمامة في أولاد فاطمة ﷺ، ولم يجوزوا ثبوت الإمامة في غيرهم، ويرون الخروج على أئمة الجور[١].

ويرى بعض متأخري الزيدية أن نسبة المذهب إلى الإمام زيد إنَّما مرادهم في ذلك مذهبَه في الخروج على أئمة الجور، وأما الاعتقاد فليس سبباً في النسبة؛ لاعتقادهم أن رأي أهل البيت في أصول الدين واحد لا يختلفون فيه[٢].

والواقع أن نسبة الزيدية - في اليمن - إلى زيد بن علي ﷺ قد

(١) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تأليف: أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، نشر: المكتبة العصرية - بيروت، ١٤١١هـ [١/١٣٦-١٣٧]، الملل والنحل، تأليف: أبي الفتح محمد بن عبدالكريم الشِّهرستاني، دار ابن حزم - بيروت، ١٤٢٦هـ [١٠١].

(٢) انظر: الإمام الأعظم أبو الحسين زيد بن علي..، لأبي جعفر محمد بن عبد العظيم الحوثي، تحقيق: علي بن محمد بن عبد العظيم الحوثي - ١٤٣٢هـ [٤٢٦].
الحقيقة أن قولهم بأن أهل البيت في أصول الدين على رأي واحد غير صحيح؛ فإن قدماء أهل البيت كانوا من أهل السنة، ومنهم زيد بن علي ﷺ، ومتأخروهم لم يكونوا على مذهب عقدي واحد، ولكن كانوا على مذاهب شتى، فكيف يقال إنهم على رأي واحد، وسيأتي بيانه في موضعه.

أضحت نسبة مفرغة من محتواها؛ إذ أنَّ زيدية اليمن لا يتبعون زيدَ بنَ علي، لا في عقيدته ولا في فقهه؛ فهم في الحقيقة معتزلة في الأصول هادوية في الفروع[١]، ويتقاربون مع الحنفية في الفروع بشكل كبير.

يقول الشيخ مقبل الوادعي[٢] رَحِمَهُ اللَّهُ في تعليقه على الرسالة الوازعة[٣]، وهو يتحدث عن زيد بن علي: "اتبعوه في الخروج على هشام بن عبد الملك، وأما في العبادة والاعتقاد والمعاملة، فلم ينقل أنهم قلَّدوه، ولم تكن بدعةُ التَّقليد معروفةً في ذلك الزَّمن.. والزيدية ليسوا متبعين في الحقيقة زيد بن علي رَحِمَهُ اللَّهُ حتى قال والد محمد بن إسماعيل الأمير:

يَدْعونَ أنَّهُمُ زَيْديَّةٌ وهُمُوا عَنْ نَهْجِهِ بِمَعْزِلِ

فهم في الواقع في الاعتقاد معتزلة، وفي العبادات حنفية، وفي حُبِّ آل البيت رافضة"[٤].

**نشأة الزيدية:**

يعود تاريخ ظهور فرقة الزيدية إلى بدايات القرن الثاني الهجري، على يد إمامها الأول: زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعاً، الذي خرج بالكوفة على دولة بني أُمية في خلافة هشام بن

---

(١) انظر: الزيدية نشأتها ومعتقداتها، للأكوع [٢٩].

(٢) انظر ترجمته ص [٤٦٣-٤٦٧].

(٣) الرسالة الوازعة للمعتدين عن سبِّ صحابة سيد المرسلين، للإمام يحيى بن حمزة، دافع فيها عن صحابة النبي ﷺ، كما ذكر فيها مذاهب أئمة الزيدية في الصحابة، وأنَّهم مجمعون على تحريم سبِّهم، لأنهم بين مترضٍ عنهم ومتوقف.

(٤) نقلاً عن رافضة اليمن على مرِّ الزمن، تأليف: محمد بن عبد الله الإمام، دار الحديث - معبر/ اليمن، ١٤٢٧هـ [١٥٣].

عبد الملك[١]، وتحديداً في العام ١٢٢هـ، ثم استمرت من بعده وانتشرت في كثير من البلاد الإسلامية، ولا تزال بقايا هذه الفرقة إلى زماننا هذا.

**خروج زيد بن علي على بني أمية:**

لم يسجل التاريخ أي خروج من آل البيت على خلفاء بني أمية، منذ مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، حتى جاء حفيده زيد بن علي بن الحسين، ودعا لنفسه بالإمامة شاهراً سيفَه في وجه والي العراق يوسف بن عمر[٢]، فكان هذا الخروج هو الشرارة التي أشعلت فتيل الحرب بين بني أمية وآل البيت ممن تابع زيداً رحمه الله.

ويرى الباحثون أن الإمام زيداً رحمه الله لم يكن لِيَخْرُجَ على بني أُميَّة لولا الإحراج والإهانة التي لقيَها منهم ومن عُمالهم، فكان لذلك الدَّور الأكبر في تحفُّزِه للخروج عليهم، والاستجابة لنداءات الشيعة بقبول البيعة والعمل

---

(١) هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، من ملوك الدولة الأموية في الشام. ولد في دمشق سنة ٧١هـ، وبويع بالخلافة بعد وفاة أخيه يزيد سنة ١٠٥هـ، وكان حسن السياسة، يقظاً في أمره، يباشر الأعمال بنفسه، اجتمع في خزائنه ما لم يجتمع في خزانة أحد من ملوك بني أمية في الشام، وبنى الرصافة وبها وفاته سنة ١٢٥هـ. انظر: وفيات الأعيان، تأليف: أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: د. إحسان عباس، نشر: دار صادر - بيروت [٧/ ١٠٩]، سير أعلام النبلاء، تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، نشر: مؤسسة الرسالة - بيروت [٥/ ٣٥١-٣٥٣]، الأعلام، تأليف: خير الدين الزركلي، (ط١٥)، نشر: دار العلم للملايين - بيروت، ٢٠٠٢م [٨/ ٨٦].

(٢) أبو عبد الله يوسف بن عمر بن محمد الثقفي. كان والياً لهشام بن عبد الملك على اليمن، ثم ولّاه العراق سنة ١٢١هـ، ومات مقتولاً في حبسه سنة ١٢٧هـ في خلافة مروان بن محمد لقتله خالد بن عبد الله القسري. انظر: وفيات الأعيان [٧/ ١٠١-١١١]، سير أعلام النبلاء [٥/ ٤٤٢ - ٤٤٤]، الأعلام، للزركلي [٨/ ٢٤٣].

على إنهاء حكم بني أمية[١]؛ ومن تلك الإحراجات التي تعرَّض لها الإمام زيد رَحِمَهُ اللَّهُ:

١- إحراج والي المدينة خالد بن عبد الملك[٢]، وذلك أنه قد كان بين الإمام زيد وعبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب[٣] نزاع فيمن يَلي أوقافَ علي بن أبي طالب، فاستدعاهم الوالي ليحكم بينهم في ذلك، وبدلاً من أنْ يُصلح بينهم عمل على تأجيج الخلاف

---

(١) انظر: الشيعة العربية والزيدية، تأليف: محمد إبراهيم الفيومي، دار الفكر العربي - القاهرة، ١٤٢٣هـ [٢٩٠].

(٢) خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص. تولى إمرة المدينة لهشام ابن عبد الملك ما بين عامي ١١٤هـ، و١١٨هـ، وكان يؤذي علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من على منبر رسول الله ﷺ. انظر: تاريخ خليفة بن خياط، تأليف: خليفة بن خيَّاط اللَّيثي العَصْفُري، تحقيق: د. أكرم ضياء العمري، (ط٢)، نشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٣٩٧هـ [٩٩]، تاريخ الطبري، تأليف: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط٢)، نشر: دار المعارف - مصر [٧/ ٩٠]، تاريخ مدينة دمشق، تأليف: ابن عساكر؛ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، دراسة وتحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، نشر: دار الفكر - بيروت، ١٤٢١هـ [١٦/ ١٧٠-١٧٢].

(٣) تابعي من أهل المدينة، كان ذا عارضة وهيبة ولسان وشرف. مولده بالمدينة سنة ٧٠هـ، قدم مع جماعة من الطالبيين على السفاح وهو بالأنبار فأعطاهم، ثم رجعوا إلى المدينة، فلما ولي المنصور حبس عبد الله بالمدينة عدة سنوات لأجل ابنيه محمد وإبراهيم، ثم نقله إلى الكوفة، فسجنه بها إلى أن مات سنة ١٤٥هـ. انظر: مشاهير علماء الأمصار، تأليف: أبي حاتم محمد بن أحمد بن حبان البستي، تحقيق: مجدي ابن منصور بن سيد الشورى، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٦هـ [١٥٥]، تاريخ بغداد، تأليف: أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: د. بشَّار عوَّاد معروف، نشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٤٢٢هـ [١١/ ٩٠]، الأعلام [٤/ ٧٨].

وإثارة الناس عليهم والشَّماتة بهم(١).

٢- ولما اشتد أذى خالد بن عبد الملك والي المدينة، ذهب زيد بن علي إلى هشام بن عبد الملك بدمشق يشكو إليه خالداً، فلم يأذن له هشام، وكُلَّما أرسل إليه ليأذن له أمره بالرجوع إلى منزله، وتكرَّر ذلك وزيد يقول: والله لا أرجع إلى خالد أبداً.

ولما أُذن له ودخل على هشام، لم يجد مجلساً فجلس حيث انتهى به المجلس، فتكلم زيد فقال له هشام: اسكت لا أم لك، أنت الذي تنازعك نفسك في الخلافة، وأنت ابن أَمَة!. فقال زيد: إن لك جواباً إن أحببت أجبتك به وإن أحببت أمسكت عنه، فقال: بل أجب. قال: إن الأمهات لا يقعدن بالرجال عن الغايات، وقد كانت أم إسماعيل أمة لأم إسحاق، فلم يمنعه ذلك أن بعثه الله نبياً، وجعله للعرب أباً، فأخرج من صلبه خير البشر محمداً ﷺ، فتقول لي هذا وأنا ابن فاطمة وابن علي، فقال له هشام: اخرج، فقال: أَخْرُج، ثم لا أكونُ إلَّا بِحيَثُ تكره(٢).

ولما خرج زيد من عند هشام لم يرجع إلى المدينة، وإنَّما توجَّه إلى الكوفة، فجعلت الشيعة تختلف إليه، وتحثُّه على الخروج، ويَعِدونَه بالتأييد والنَّصر، فاستجاب لهم، وأقام في الكوفة بضعةَ عَشر شهراً يُبايع الناس

(١) انظر - مختصراً: الكامل في التاريخ، تأليف: ابن الأثير؛ علي بن أبي الكرَم الشيباني، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، وَ د. محمد يوسف الدقَّاق، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٧هـ [٤/ ٤٤٤ - ٤٤٥]، الإمام زيد: حياته وعصره - آرآؤه وفقهه، تأليف: محمد أبو زهرة، نشر: دار الفكر العربي - القاهرة [٤٥-٤٧].

(٢) انظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تأليف: أبي الحسن بن علي المسعودي، اعتنى به وراجعه: كمال حسن مرعي، نشر: المكتبة العصرية - بيروت، ١٤٢٥هـ [٣/ ١٧٠ - ١٧١]، الكامل في التاريخ [٤/ ٤٤٥]، الإمام زيد [٤٨].

سِرّاً؛ يُبايعهم على كتاب الله، وعلى سنة رسول الله ﷺ، وعلى جهاد الظالمين، والدَّفع عن المستضعفين، وإعطاء المحرومين، وقَسْم الفَيء بين أهله بالسوية، ونُصْرَة أهل البيت على من نصب لهم العداء وجَهَلَ حقَّهم(١).

وفي أول سنة اثنتين وعشرين ومائة أمر زيد أتباعه من أهل الكوفة الذين بايعوه أن يتأهَّبوا للخروج، فشرعوا في ذلك، فبَلَغَ الخبر يوسف بن عمر، فبعث إلى زيد بن علي يطلبُه ويُلِحُّ في طلبه، فلمَّا عَلِمَت الشيعة ذلك اجتمعوا عند زيد بن علي، فقالوا له: ما قولُك في أبي بكر وعمر؟، فقال: غفر الله لهما، ما سمعت أحداً من أهل بيتي يتبرّأ منهما، وأنا لا أقول فيهما إلا خيراً، فرفضوه وانصرفوا عنه، ونقضوا بيعتَه وتركوه، فلهذا سُمُّوا الرافضة من يومئذ، ومن تابعه من الناس سُمُّوا الزيدية(٢).

ثم إنَّ زيداً عزم على الخروج بمن بقي معه من أصحابه، فواعدهم ليلة الأربعاء من مُستَهل صفر من سنة اثنتين وعشرين ومائة، فبلغ ذلك يوسف ابن عمر، فكتب إلى نائبه على الكوفة، وهو الحكم بن الصَّلت يأمره بجمع الناس كلهم في المسجد الجامع، فجمع الناس لذلك في يوم الثلاثاء سلخ المحرم، قبل خروج زيد بيوم، وخرج زيد ليلة الأربعاء في برد شديد، ورفع أصحابه النيران، وجعلوا ينادون: يا منصور، يا منصور، فلمَّا طلع الفجر إذا قد اجتمع معه مائتان وثمانية عشر رجلاً، فجعل زيد يقول: سبحان الله! أين الناس؟. فقيل: هم في المسجد محصورون.

---

(١) انظر: تاريخ الطبري [٧/ ١٦٦].

(٢) انظر: البداية والنهاية، تأليف: عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر: دار هجر للطباعة والنشر - مصر، ١٤١٨هـ [١٣/ ١٠٦-١٠٧].

وبدأت المعركة، وجعل أصحاب زيد ينادون: يا أهل الكوفة اخرجوا إلى الدِّين والعِزِّ والدنيا، فإنكم لستم في دين ولا عز ولا دنيا، فما زاد معهم إلا قليل!(١).

استطاع زيد بن علي مقاومة جند الشام رغم قلَّة عدد جُنْدِه، حتى جاءت نجدَة من الشام، فأوقعت بجنده خسائر فادحة، فلما كان الليل انسحب أهل الكوفة وتفرقوا، وثبت زيد ومن معه، فرُمي بسهم أصاب جانب جبهته اليسرى، فرجع ومعه أصحابه، فدخلوا به الكوفة، ثم نزعوا منه السَّهم ففارق الحياة(٢)، وذلك في الثاني من شهر صفر سنة اثنتين وعشرين ومائة(٣).

ثم اختلف أصحابه أين يدفنونه، فكان الرأي أن يدفنوه في الحفرة التي يؤخذ منها الطين، ففعلوا ذلك وأجروا على قبره الماء لئلا يُعرف، وانفتل أصحابه ولم يَبْقَ لهم رأس يقاتلون به، فما أصبح الفجر ولهم قائمة ينهضون بها، ثم جاء مولى لزيد سِنْدِيّ، قد شهد دفنَه، فدل على قبره فأُخذ منه، فأمر يوسف بن عمر بصلبه على خشبة بالكناسة، فبقي مصلوباً أربع سنين، ثم أنزل بعد ذلك وأحرق(٤).

وبعد مقتل زيد رحمه الله دعا بالإمامة بعده ابنه يحيى بن زيد، ومضى إلى

(١) انظر - مختصراً-: البداية والنهاية [١٣/ ١٠٧-١٠٨].

(٢) لتفاصيل أكثر، انظر: تاريخ الطبري [٧/ ١٨٥ - ١٨٦]، مروج الذهب للمسعودي [٣/ ١٧١]، الكامل في التاريخ [٤/ ٤٥٢ - ٤٥٤].

(٣) انظر: التاريخ الكبير، تأليف: محمد بن إسماعيل البخاري، طبع تحت مراقبة: د. محمد عبد المعيد خان، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت [٢/ ٤٠٣]، سير أعلام النبلاء [٥/ ٣٩٠].

(٤) انظر - مختصراً-: البداية والنهاية [١٣/ ١٠٩]، سير أعلام النبلاء [٥/ ٣٨٩].

خراسان، واجتمعت عليه جماعة كثيرة، فبعث نصرُ بن سيَّار[١] سَلْمَ بن أَحْوَز إلى يحيى بن زيد فظفر به فقتله واحتز رأسه، فبعث به إلى هشام بن عبد الملك في الشام، وصُلِبَت جثَّتُه بجوزجان إلى أن أنزلها أبو مسلم الخراساني[٢].

ثم انتقلت الإمامة بعد يحيى إلى محمد بن عبد الله النفس الزكية[٣] بوصية من يحيى، ثم إلى أخيه إبراهيم[٤]، فقام بالبصرة ومعه عيسى بن زيد

---

(١) أبو الليث، نصر بن سيار بن رافع بن حرب بن ربيعة الكناني، كان نائباً لمروان بن محمد على خراسان لمدة عشر سنين، وفي أثنائها غزا بلاد ما وراء النهر ففتح حصوناً وغنم مغانم كثيرة، وأقام بمرو. خرج عليه أبو مسلم الخراساني فلم يقوَ على قتاله، واستنجد بالخليفة فلم ينجده، ثم مرض فمات بساوة مختفياً سنة ١٣١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء [٥/ ٤٦٣-٤٦٤]، الأعلام للزركلي [٨/ ٢٣].

(٢) انظر: الملل والنحل [١٠٢]، سير أعلام النبلاء [٥/ ٣٩١].
وأبو مسلم الخراساني: هو عبد الرحمن بن مسلم مؤسس الدولة العباسية وأحد كبار القادة، ولد سنة ١٠٠هـ، عاش أبو مسلم سبعاً وثلاثين سنة بلغ بها منزلة عظماء العالم.. قتله المنصور برومة المدائن سنة ١٣٧هـ. انظر: وفيات الأعيان [٣/ ١٤٥-١٥٥]، سير أعلام النبلاء [٦/ ٤٨، وما بعدها]، الأعلام [٣/ ٣٣٦ - ٣٣٧].

(٣) أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، الملقب بالمهدي. مولده سنة ٩٣هـ. ثار بالمدينة على بني العباس، وبويع له فيها بالخلافة سنة ١٤٤هـ، وتغلَّب على بعض البلاد من بني العباس حتى قتله عيسى بن موسى العباسي في المدينة في نفس العام، وقيل: سنة ١٤٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء [٦/ ٢١٠، وما بعدها]، شذرات الذهب، تأليف: عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الشهير بابن العماد، تحقيق: محمود الأرناؤوط، نشر: دار ابن كثير - دمشق، ١٤٠٦هـ [٢/ ٢٠١-٢٠٥]، الأعلام [٦/ ٢٢٠ - ٢٢١].

(٤) إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، مولده بالمدينة سنة ٩٧هـ، خرج على المنصور العباسي بالبصرة فانتقل المنصور إلى الكوفة، ثم استولى إبراهيم على كثير من البلاد وأنفذ إليها عماله، ثم ما لبث أن قويت شوكة =

ابن علي، فوجَّه إليهم المنصور(١) عساكره فهزما وقتلا(٢).

وذهب آخرون من الزيدية إلى أن الإمام - بعد محمد بن عبد الله النفس الزكية - هو محمد بن القاسم بن علي بن عمر(٣)، وقد خرج بالطالقان على دولة بني العباس فقُبِضَ عليه، وسِيقَ إلى المعتصم(٤) فحبسه، ومات في حبسه. وقال آخرون منهم: إن الإمام بعد يحيى بن زيد هو أخوه عيسى؛

---

= المنصور فقُتِل عبد الله بالمدينة، ثم قتل إبراهيم قتله حميد بن قحطبة بباخمري، سنة ١٤٥هـ. انظر: وفيات الأعيان [٧/ ٢٠]، سير أعلام النبلاء [٦/ ٢١٨-٢٢٤]، الأعلام [١/ ٤٨].

(١) أبو جعفر، عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، الهاشمي، القرشي، ثاني خلفاء بني العباس. كان شجاعاً حازماً؛ ولي الخلافة بعد وفاة أخيه السفَّاح سنة ١٣٦هـ، وكان جماعاً للمال حريصاً، وكان يلقب أبا الدوانيق، لتدنيقه ومحاسبته الصنَّاع، وكانت وفاته قرب مكة - وهو محرم بالحج - سنة ١٥٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء [٧/ ٨٣-٨٩]، شذرات الذهب [٢/ ٢٦١]، الأعلام [٤/ ١١٧].

(٢) انظر: تاريخ ابن خلدون، تأليف: عبد الرحمن بن خلدون، تحقيق: خليل شحادة وسهيل زكّار، نشر: دار الفكر - بيروت، ١٤٢١هـ [١/ ٢٥٠].

(٣) ابن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. كان فقيهاً، عالماً، عاملاً، عابداً، معظماً عند الزيدية، ويلقَّب بالصوفي؛ ظهر بالطالقان، ودعا إلى الرِّضى من آل محمد، فاجتمع له جيش كبير، وحارب عسكر خراسان في دولة المأمون، وقوي سلطانه، ثم انفلَّ جمعُه، وقُبِضَ عليه، فأتي به إلى المعتصم، في ربيع الآخر، سنة ٢١٩هـ، فحبسه بسامراء، ثم هرب من السجن يوم عيد، واستتر، وأضمرته البلاد. انظر: سير أعلام النبلاء [١٠/ ١٩١]، الأعلام [٦/ ٣٣٤].

(٤) المعتصم: محمد بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور، العباسي، الهاشمي، القرشي. من أعاظم خلفاء بني العباس، صاحب فتوحات، إلا أنه كان قليل العلم. مولده سنة ١٨٠هـ، وبويع بالخلافة بعد أخيه المأمون سنة ٢١٨هـ، ووفاته سنة ٢٢٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء [١٠/ ٢٩٠، وما بعدها]، شذرات الذهب [٣/ ١٢٧-١٢٩]، الأعلام [٧/ ١٢٧-١٢٨].

الذي حضر مع إبراهيم بن عبد الله في قتاله مع جيش الخليفة المنصور، ونقلوا الإمامة في عَقِبِه(١).

ولم ينتظم أمر الزيدية بعد ذلك حتى ظهر بخراسان صاحبهم ناصر الأطروش(٢)، فطُلِب مكانه ليُقْتَلَ، فاختفى واعتزل الأمر، وصار إلى بلاد الديلم والجيل - ولم يتحلَّوا بدين الإسلام - فدعا الناس دعوة إلى الإسلام على مذهب زيد بن علي، فدانوا بذلك، ونشأوا عليه، وبقيت الزيدية في تلك البلاد ظاهرين(٣).

وفي الوقت الذي استطاع فيه الأطروش أن يقيم دولته في بلاد الديلم استطاع الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم الرَّسِّي أن يؤسس دولة أخرى للزيديين في اليمن؛ حيث خرج الإمام الهادي إلى اليمن سنة ثمانين ومائتين (٢٨٠هـ)، فوَصَلَ إلى الشُّرْفَة من بلاد نَهْم بالقرب من صنعاء، وأذعن له الناس هناك بالطاعة، ثم ما لبث أن عاد إلى الحجاز وترك اليمن(٤).

وبعد أن غادر الإمام الهادي اليمن كَثُرَت الفتن والاختلافات بين شيعته، وعَمَّ البلاء، وكَثُرَت الحروب والاقتتالات، فأرسل إليه أهل صَعْدَة(٥) وفداً يسألونه القدوم إليهم، ووعدوه بالسَّمع والطاعة، فعاد معهم

---

(١) انظر: تاريخ ابن خلدون [١/ ٢٥٠ - ٢٥١].

(٢) انظر ترجمته ص [٦٥].

(٣) الملل والنحل [١٠٣].

(٤) انظر: قيام الدولة الزيدية في اليمن، تأليف: خضيري أحمد، نشر: مكتبة مدبولي - القاهرة، ١٩٩٦م [٥٦-٥٧].

(٥) صعدة: مخلاف باليمن بينه وبين صنعاء ستون فرسخاً، وفيه مدينة صعدة وتقع شمال صنعاء بمسافة ٢٤٣كيلو متر تقريباً. انظر: معجم المدن والقبائل اليمنية، تأليف: =

إلى صعدة، فوصل إليها في صفر من عام أربع وثمانين ومائتين (٢٨٤هـ)، وفيها قامت دولة الأئمة الزيديين في اليمن(١).

ثم استمرت الدولة الزيدية بعد الإمام الهادي يتعاقب عليها أئمة من آل البيت على وفق شروط الزيدية في كثير من الأحيان، ولا تخرج الإمامة عن آل البيت من البطنين - أبناء الحسن، وأبناء الحسين - إلى أن قامت الثورة اليمنية في ٢٦سبتمبر ١٩٦٢م/ ١٣٨٢هـ، مُنْهِيَةً بذلك عهد الإمامة، بعد حكم دام ما يقرب من أحد عشر قرناً من الزَّمان(٢).



= إبراهيم بن أحمد المقحفي، نشر: دار الكلمة - صنعاء، ١٩٨٥م [٢٤٨]، البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي، جمع وتحقيق: القاضي إسماعيل بن علي الأكوع، (ط٣)، نشر: دار الجيل الجديد ناشرون - صنعاء، ١٤٣٠هـ [١٦٢-١٦٣].

(١) انظر: قيام الدولة الزيدية في اليمن [٦٠-٦١].

(٢) انظر: الحوثية في اليمن الأطماع المذهبية في ظل التحولات الدولية، تأليف: مجموعة باحثين - نشر: مركز الجزيرة العربية للدراسات والبحوث - صنعاء، ٢٠٠٨م [٢٤].

## المبحث الثاني

## فرق الزيدية

افترقت الزيدية بعد الإمام زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى فرق عِدَّة، فقال بعضهم: إنَّها ثلاث فرق[(١)]، وقال البعض: إنَّها ست[(٢)] فرق، وقيل غير ذلك[(٣)]، وإليك ذكر هذه الفرق:

**أولاً: فرقة الجارودية:**

وهم: أصحاب أبي الجارود زياد بن المنذر[(٤)]. زعموا أن النبي ﷺ نصَّ على علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بالوصف دون التسمية، وهو الإمام بعدَه، والناس قصَّروا حيث لم يتعرَّفوا الوصف، ولم يطلبوا الموصوف، وإنما نصبوا أبا بكر باختيارهم، فكَفَروا بذلك[(٥)].

وافترقت الجارودية في النص على من بعد علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلى فرقتين:

الأولى: زعمت أن علياً نصَّ على إمامة الحسن، وأن الحسن نصَّ

---

(١) انظر: الفرق بين الفرق، تأليف: عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٥هـ [١٦، ٢٢]، الملل والنحل [١٠٣].

(٢) ذكره الأشعري في مقالات الإسلاميين [١/ ١٤٠].

(٣) ذكر ابن حزم - رَحِمَهُ ٱللَّهُ فرقتين من الزيدية، مع قوله إن الزيدية قد اختلفت فرقاً. انظر: الفِصَل في الملل والأهواء والنحل، تأليف: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، نشر: مكتبة الخانجي - القاهرة [٤/ ٧٦-٧٧].

(٤) أبو الجارود زياد بن المنذر الهمذاني، الخراساني، من أهل الكوفة. كان من غلاة الشيعة، ووفاته بعد سنة خمسين ومائة للهجرة (١٥٠هـ)، له مؤلف في التفسير. انظر: الأعلام [٣/ ٥٥]، معجم المؤلفين [١/ ٧٣٨].

(٥) الملل والنحل [١٠٣].

على إمامة الحسين، ثم هي شورى في ولد الحسن وولد الحسين، فمَن خرج منهم يدعو إلى سبيل ربِّه وكان عالماً فاضلاً فهو الإمام.

الثانية: زعمت أن النبي ﷺ نَصَّ على الحسن بعد علي، وعلى الحسين بعد الحسن؛ ليقوم واحد بعد واحد(١)

ثم اختلفت الجارودية في الإمام المنتظر إلى أربع فرق:

الأولى: لم تُعَيِّن واحداً بالانتظار، بل كل من شهر سَيفَه ودعا إلى دينه من ولد الحسن والحسين، فهو الإمام.

الثانية: تنتظر محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ولا تُصَدِّق بقتله، ولا بموته، وتزعم أنه هو المهدي المنتظر الذي يخرج فيملك الأرض.

الثالثة: تنتظر محمد بن القاسم صاحب الطالقان، ولا تُصَدِّق بموته.

الرابعة: تنتظر يحيى بن عمر(٢) الذي خرج بالكوفة، ولا تُصَدِّقُ بقتله ولا بموته(٣).

**ثانيا: فرقة السليمانية:**

وهم أتباع سليمان بن جرير الزيدي(٤)، الذي قال: إنَّ الإمامة شورى،

---

(١) مقالات الأسلاميين [١/ ١٤١].

(٢) يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين. . . ، خرج بالكوفة على بني العباس - لظلم أصابه منهم - ودعا إلى الرضا من آل محمد، فقتل في العام الذي خرج فيه، وحمل رأسه إلى بغداد وصلب؛ وكان خروجه سنة ٢٤٨هـ، وقيل: ٢٥٠هـ. انظر: مروج الذهب [٤/ ١٢٠، وما بعدها]، الكامل في التاريخ [٦/ ١٥٦-١٥٧].

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين [١/ ١٤١-١٤٢]، الفرق بين الفرق [٢٢-٢٣].

(٤) لم تذكر المصادر - بحسب ما توفر لدي - تفصيلات عن سليمان بن جرير، =

وإنَّها تنعقد بعقد رجلين من خيار الأمة، وأجاز إمامة المفضول، وأثبت إمامة أبي بكر وعمر، وزعم أن الأمة تركت الأصلح في البيعة لهما؛ لأن علياً أولى بالإمامة منهما، إلَّا أنَّ الخطأ في بيعتهما لم يوجب كفراً ولا فسقاً، كما كفَّر سليمان بن جرير عثمان بالأحداث التي نقمها الناقمون منه(١).

كما أن سليمان بن جرير قد أَكْفَرَ عائشة والزُّبير وطلحة ﭫ، بإقدامهم على قتال علي ﭬ (٢).

**ثالثًا: فرقة البُتْريَّة:**

وهم أصحاب الحسن بن صالح بن حي(٣)، وأصحاب كثير النوَّاء(٤)،

---

= عن تاريخ ولادته، أو وفاته، ويكتفون بذكر معتقده. انظر - مثلاً -: الوافي بالوفيات، تأليف: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وَ تركي مصطفى، نشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٤٢٠هـ [١٥/ ٢٢٢]، لسان الميزان، تأليف: أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، اعتنى به: عبد الفتاح أبو غُدَّة، نشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت، ١٤٢٣هـ [٤/ ١٣٥].

(١) انظر: الفرق بين الفرق [٢٣]، الملل والنحل [١٠٤].

(٢) انظر: الملل والنحل [١٠٤].

(٣) الحسن بن صالح بن حي الهمداني، الثوري، الكوفي. كان فقيهاً مجتهداً متكلماً، ولد سنة ١٠٠هـ، وتوفي سنة ١٦٧هـ. من مؤلفاته: (التوحيد)، و(إمامة ولد علي من فاطمة)، و(الجامع) في الفقه. انظر: التاريخ الكبير للبخاري [٢/ ٢٩٥]، تذكرة الحفاظ، تأليف: محمد بن أحمد الذهبي، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٩هـ [١/ ١٥٩]، معجم المؤلفين، تأليف: عمر رضا كحَّالة، نشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤١٤هـ [١/ ٥٥٤].

(٤) يذكرون في اسمه أنه: كثير النَّواء، أبو إسماعيل الكوفي. ولا مزيد!، وقد ضعَّفَه أهل الحديث لغلوِّه في التشيع. انظر: الضعفاء والمتروكين، تأليف: أبي الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، نشر: دار الكتب العلمية =

وإنما سمو بترية؛ لأن كثير النَّوَّاء كان يلقب بالأبتر(١).

وهم يزعمون أنَّ علياً أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ، وأولاهم بالإمامة، وأن بيعة أبي بكر وعمر ليست بخطأ؛ لأنَّ علياً ترك ذلك لهما، ويقفون في عثمان وفي قتلته، ولا يقدمون عليه بإكفار، وينكرون رجعة الأموات إلى الدنيا، ولا يرون لعلي رضي الله عنه إمامة إلَّا حين بُويع(٢).

**رابعًا: فرقة النُّعَيْميَّة:**

وهم أصحاب نُعَيم بن اليَمَان(٣)؛ يزعمون أَنَّ علياً كان مستحقاً للإمامة، وأَنَّه أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ، وأنَّ الأُمَّة ليست بمخطئة خطأ إثم في أنْ ولَّتْ أبا بكر وعمر - رضوان الله عليهما - ولكنَّها مخطئة خطأ بيِّناً في ترك الأفضل، وتبرَّأوا من عثمان ومن محارب علي، وشهدوا عليه بالكفر(٤).

**خامسًا:**

ذكرها الإمام الأشعري(٥) رحمه الله ولم يُسمِّها، واكتفى بوصفها بقوله:

---

= - بيروت، ١٤٠٦هـ [٣/ ٢٢]، مختصر الكامل في الضعفاء، اختصره: أحمد بن علي المقريزي، تحقيق: أيمن بن عارف الدمشقي، نشر: مكتبة السنة - القاهرة، ١٤١٥هـ [١/ ٦٣٨].

(١) انظر: مقالات الإسلاميين، للأشعري [١/ ١٤٤]، الفرق بين الفرق، للبغدادي [٢٣].

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين [١/ ١٤٤].

(٣) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(٤) مقالات الإسلاميين [١/ ١٤٥].

(٥) الأشعري: علي بن إسماعيل بن أبي بشر؛ من ولد أبي بُردة عامر بن أبي موسى الأشعري صاحب رسول الله ﷺ. كان على مذهب المعتزلة، ثم أعلن توبته من ذلك على الملأ في المسجد الجامع بالبصرة يوم الجمعة؛ توفي ببغداد سنة ٣٢٤هـ. =

"والفرقة الخامسة من الزيدية: يتبرؤون من أبي بكر وعمر، ولا ينكرون رجعة الأموات قبل يوم القيامة"[(١)].

**سادسًا: فرقة اليعقوبيَّة:**

وهم أصحاب رجل يدعى يعقوب[(٢)]؛ يتولَّون أبا بكر وعمر، ولا يتبرؤون مِمَّن برئ منهما، وينكرون رجعة الأموات ويتبرؤون مِمَّن دان بها[(٣)].

كما افترقت زيدية اليمن إلى عدة فرق؛ فقد ذكر الإمام محمد بن إبراهيم الوزير (ت: ٨٤٠هـ)[(٤)] في كتابه العواصم والقواصم أنَّ الزيدية قد افترقت في الأصول إلى مُخترعة، ومُطرِّفية، وجارودية، وصالحية، وحسينية[(٥)]، وهذه خمس فرق انفردت اليمن بثلاث منها، وإليك خبرها:

**١- فرقة المخترعة:**

وهي فرقة من الزيدية قالوا باختراع الله الأعراضَ في الأجسام، وأنَّ

---

= من مؤلفاته: (مقالات الإسلاميين)، و(الإبانة)، و(رسالة إلى أهل الثغر). انظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان [٣/ ٢٨٤-٢٨٥]، سير أعلام النبلاء [١٥/ ٨٥-٩٠]، الأعلام، للزركلي [٤/ ٢٦٣].

(١) مقالات الإسلاميين [١/ ١٤٥].

(٢) غير معروف!.

(٣) انظر - بتصرف -: مقالات الإسلاميين [١/ ١٤٥].

(٤) انظر ترجمته ص [٤٢٩-٤٣٦].

(٥) انظر: العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، تأليف: محمد بن إبراهيم الوزير اليماني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (ط٣)، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤١٥هـ [٣/ ٤٥٧].

وأما في الفروع فزيدية اليمن: مؤيدية، وهادوية، وناصرية، وقاسمية. انظر المصدر السابق [٣/ ٤٥٧-٤٥٨].

خلقَ اللهِ النَّامِيات والأمطارَ والآلامَ من غير إحالة واستحالة[١]، وهم يقولون بإمامة علي بالنص، وخطأ المشايخ بالتقدُّم عليه ومخالفة ذلك النَّص، مع التوقف في تفسيقهم، وكان رئيس هذه الفرقة رجل يدعى علي ابن شهر[٢]، تابعَ أبا هاشم[٣]، وهذا هو الذي صارت إليه هادوية اليمن حتى اليوم[٤].

**٢- فرقة المُطَرِّفية:**

المطَرِّفية: نسبة إلى مُطَرِّف بن شهاب[٥]، وهي فرقة ظهرت في المائة الخامسة، وانتسبت إلى الهادي يحيى بن الحسين الرَّسِّي، واستمرت حتى المائة الثامنة من الهجرة ثمَّ انقرضت[٦].

وكان المطرِّفية يعتقدون بأنَّ الأمراضَ والآلام والنَّوازل، والنباتات، ونموَّ الأشجار وحركات الرِّياح والأمطار، ونُشُوء السَّحاب والرُّعود

---

(١) انظر: المسالك في ذكر الناجي من الفرق والهالك، تأليف: يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد، دراسة وتحقيق: د. إبراهيم يحيى محمد قيس، نشر: مؤسسة الرسالة ناشرون - دمشق، ١٤٣٣هـ [٣٥٥].

(٢) لم أجد له ترجمة!.

(٣) أبو هاشم، عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي، من كبار علماء المعتزلة، انفرد بآراء فتبعته فرقة سميت البهشمية نسبة إلى كنيته، والجبائي: نسبة إلى قرية من قرى البصرة. مولده سنة ٢٤٧هـ، ووفاته سنة ٣٢١هـ. من مؤلفاته: (الشامل) في الفقه، و(تذكرة العالم)، و(العدَّة) في أصول الفقه. انظر: سير أعلام النبلاء [١٥/ ٦٣-٦٤]، الوافي بالوفيات [١٨/ ٢٦٤]، الأعلام [٤/ ٧].

(٤) انظر: الزيدية نشأتها ومعتقداتها [٧٨-٧٩].

(٥) مُطرِّف بن شهاب بن عمرو بن عباد الشهابي. من حفاظ مذهب العدلية من الزيدية في القرن الخامس الهجري. انظر: طبقات الزيدية الكبرى - القسم الثالث [٢/ ١١٢٥].

(٦) انظر: المسالك في ذكر الناجي من الفرق والهالك [٣٥٣].

والبروق، وجميعَ الكائنات إنَّما هي بالتركيبات والإحالات والاستحالات، وأنكروا أَنْ يَقصِد الله سبحانه بالبَرد والصَّواعق المسلمين، فالتأثير إذاً كان بالطبائع بما جبرها الله تعالى على الإحالة والاستحالة رجوعاً إلى الأصول المخلوقة لله تعالى، وهي الأربعة العناصر: الهواء، والنار، والتراب، والماء، ثم تفرَّعتْ عنها جميع المخلوقات بالإحالة والاستحالة(١).

وقد كان المطرِّفية يستجيزون الكذب في الحديث في نُصْرَة ما اعتقدوه حقّاً(٢)، كما أنَّهم قد خالفوا الزيدية في أهم أصولها وهي الإمامة، فكانوا لا يشترطون النَّسبَ فيمن يتولَّاها كما فعلت باقي فرق الزيدية، فقاتلهم الإمام المنصور عبد الله بن حمزة وكفَّرهم، وجعل حكمهم حكم الحربيين(٣).

### ٣- فرقة الحُسَينيَّة:

تُنسَب هذه الفرقة إلى الإمام الزيدي الحسين بن القاسم بن علي العِيَاني (٣٥٦-٤٠٤هـ)، الذي دعا لنفسه بالإمامة سنة (٣٩٣هـ)، وتلقب بالمهدي، وزعم أنه المهدي المنتظر، وبالغ في الإطراء بنفسه حتى زعم أنه أفضل من النبي ﷺ وأن كلامه ومصنفاته أفضلُ من القرآن، وأَبْهَرُ في ظهور المعنى، وقطع كلام الخصم(٤).

وذكر ابن الوزير أنه قد صحَّ تواتر تفضيل الحسينية للحسين بن القاسم

---

(١) انظر: الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم، تأليف: محمد بن إبراهيم الوزير، تحقيق: محمد علاء الدين المصري، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٩هـ [٢/ ٢٤٤]، المسالك في ذكر الناجي من الفرق والهالك [٣٥٢].

(٢) انظر: الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم [١/ ١٨٤].

(٣) انظر: الزيدية نشأتها ومعتقداتها [٧٧-٧٨].

(٤) انظر: الزيدية نشأتها ومعتقداتها [٧٥-٧٦].

على رسول الله ﷺ، وأن الزيدية يكفِّرون هذه الطائفة(١).

وقد انتهى أَمرُ العِيَاني بأنْ قتلته قبيلة هَمْدَان(٢) في ذي عَرار من حَقل البُون شمال صنعاء في صفر سنة (٤٠٤هـ)، وقد أقام شيعته في موضع مصرعه قبراً يزعمون أنه مدفون فيه، ويجتمع عنده شيعته في كل سنة(٣).

**أماكن تواجد الزيدية:**

انتشر المذهب الزيديُّ - قديماً - في أماكن عديدة من العالم الإسلامي، على يد عدد من الأئمة المنتسبين إلى آل البيت، فانتشر المذهب في المشرق (جَيلان ودَيلمان) على يد الإمام الزيدي الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن (ت: ٢٧٠هـ) وأخيه محمد بن زيد (ت: ٢٨٧هـ)، ثم من بعدهم الحسن بن علي بن الحسن بن عمر الأطروش (ت: ٣٠٤هـ)، كما انتشر في اليمن على يد الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم الرسّي (ت: ٢٩٨هـ)(٤).

وانتشر المذهب الزيدي قبل ذلك في المغرب على يد إدريس بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ت: ١٧٧هـ)(٥).

وقد قامت للزيدية عدد من الدول في أماكن عدة، فقامت لهم دولة في

---

(١) انظر: الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم [١/ ١٨٤].

(٢) هَمْدَان: أشهر قبائل اليمن، وهم من ولد أَوْسَلَة بن مالك بن زيد بن أَوْسَلَة بن ربيعة ابن الخيار بن مالك بن زيد بن كَهلان، وهي من أكثر القبائل الكهلانية عدداً وأوسعها رقعة، حيث تمتد من شمالي صنعاء إلى صعدة شمالاً، ومن مأرب شرقاً إلى البحر الأحمر غرباً. انظر: معجم المدن والقبائل اليمنية، للمقحفي [٤٥٠].

(٣) الزيدية نشأتها ومعتقداتها [٧٦].

(٤) تقدم الكلام عن هذا قريباً.

(٥) انظر: تاريخ الطبري [٨/ ١٩٨].

بلاد الجيل والديلم، وأخرى في اليمن، وثالثة في بلاد المغرب، واستمرت هذه الدول لقرون عديدة، كان أطولها بقاء التي في اليمن.

قال الدَّامِغاني[(١)] في مقدمة (الروض النضير): "وبلدانهم اللَّاتي يظهرون فيها، ويكون لهم الشوكة على أهلها بالعجم جيلان وديلمان، وبعض جرجان وأصفهان (أصبهان)، والرَّي، والعراق الأعلى: الكوفة والأنبار، وبالحجاز: مكة، وجميع بلدان الحجاز، إلا المدينة، فإن الشوكة فيها للاثني عشرية، وهم في نجد اليمن ظاهرون على مُدُنِه؛ كصنعاء وصعدة، وذمار، ونحوها، ولهم في سهولها بلدان أيضاً، كمدينة حَلْي[(٢)] وما بينها وبين اليمن من بلد المخلاف[(٣)].

ومنهم بالمغرب جماعة كثيرة في جبال يقال لها: أوراس، ولهم أخلاط في أمصار السُّنيَّة يتسترون بمذهب أبي حنيفة؛ لأن أبا حنيفة كان من رجال زيد بن علي، ومن أتباعه"[(٤)].

هذه هي أبرز الأماكن التي انتشر فيها المذهب الزيدي قديماً، وأما

---

(١) الدَّامِغاني: شمس الدين عبد الصمد بن عبد الله العلوي، من علماء الكلام، والدامغاني: نسبة إلى دامِغان، وهو بلد كبير بين الرَّي ونيسابور. توفي الدامغاني بعد سنة ٩٦٧هـ. من مؤلفاته: (الجوهرة الخالصة عن الشوائب في العقائد المتقدمة على جميع المذاهب). انظر: الأعلام [٤/ ١٠]، معجم المؤلفين [٢/ ١٥٣]. وانظر موضع دامغان من معجم البلدان [٢/ ٤٣٣].

(٢) حَلْي: مدينة في جنوب المملكة العربية السعودية، على ساحل البحر، تبعد عن مدينة القنفذة بحوالي ٦٠كم جنوباً.

(٣) مخاليف اليمن هي قبائله، واليمن عدة مخاليف، منها: مخلاف أبين، ومخلاف لحج، ومخلاف بيحان، وغيرها. انظر: معجم البلدان، تأليف: ياقوت بن عبد الله الحموي، نشر: دار صادر - بيروت، ١٣٩٧هـ [٥/ ٦٧].

(٤) نقلاً عن: الزيدية نشأتها ومعتقداتها [٨٢]، الإمام زيد، لأبي زهرة [٤٩٠-٤٩١].

الآن فقد تحوّل أكثر أهل تلك الأماكن إلى مذاهب أخرى؛ فزيدية الكوفة والأنبار تحوَّلوا - أو معظمهم - إلى مذهب الاثني عشرية الإمامية، وأهل الحجاز تحوَّلوا إلى السنة، وأما في اليمن، فلا يزال للمذهب الزيدي كثير من الأتباع، إلَّا أنَّ تحوُّلاً كبيراً قد أصاب أتباع المذهب، فمنهم من صار سنياً، ومنهم من تحوَّل - بعد قيام الثورة الإيرانية سنة (١٩٧٩م) - إلى شيعة اثني عشرية تحت غطاء مذهب الإمام زيد بن علي ﵀[١].

وينتشر المذهب الزيدي في عدد من المحافظات اليمنية، أبرزها: صعدة، وعَمران، وذَمار، والجوف، وحَجَّة، وصنعاء، وأمانة العاصمة. ويمثل الزيود في اليمن نسبة أقل بكثير من نسبة السنة بعد أن كان الزيود يمثلون حوالي ثلث سكان الجمهورية اليمنية[٢]، وهذا التدني في النسبة يمثل نتيجة منطقية لتحول كثير من أتباع الزيدية إلى مذاهب أخرى كان الأبرز منها التحول إلى المذهب السُّنِّي[٣].



---

(١) انظر: الزيدية نشأتها ومعتقداتها، (حاشية) [٨٢].

(٢) بلغ تعداد سكان الجمهورية اليمني بحسب تعداد عام ٢٠٠٤م حوالي: ١٩٦٨٥١٦١نسمة. انظر تعداد السكان على موقع الجهاز المركزي للإحصاء، متاح على الرابط: تاريخ الدخول: ٧/ ١/ ٢٠١٤م

(٣) راجع نسبة الزيدية بتفصيل: الحوثية في اليمن في ظل التحولات الدولية [٢٨ - ٣١].

## المبحث الثالث

## التعريف ببعض أعلام الزيدية

**١) الإمام زيد بن علي (٨٠-١٢٢)هـ:**

وهو زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم إمام المذهب الزيدي ورئيسه الأول، وإليه تنسب فرقة الزيدية[(١)].

مولده بالمدينة حوالي سنة ثمانين للهجرة، وبها نشأ، وعلى علمائها طلب العلم، ثم تنقل في البلاد يطلب العلم، ثم كان بينه وبين ولاة بني أمية شيء، فراسله أهل الكوفة ووعدوه بالنُّصرَة فاستجاب لهم، فدعا لنفسه بالإمامة وبويع في الكوفة، فخرج على الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك سنة اثنتين وعشرين ومائة (١٢٢هـ)، فقُتِل وصُلِب ثم أُحرق وذُرَّ في الفرات[(٢)].

**ثناء العلماء على زيد بن علي:**

وقد أثنى علماء السُّنَّة على هذا الإمام ثناء حسناً، مما يدل على أنه كان على مذهب أهل السنة، خلافاً لمن جاء بعده من أئمة الزيدية الذين غلب عليهم مذهب المعتزلة، فمِمّا قيل فيه:

- قال ابن حبان البُستي[(٣)]: " كان من أفاضل أهل البيت

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء [٥/ ٣٨٩].

(٢) تقدم ذكره بالتفصيل، وانظر - مختصراً: تاريخ الطبري [٧/ ١٨٠-١٨٩]، وفيات الأعيان [٥/ ١٢٢-١٢٣]، سير أعلام النبلاء [٥/ ٣٨٩-٣٩١]، البداية والنهاية [١٣/ ٩٨-٩٩]، وَ [١٣/ ١٠٦-١٠٩]، أعلام المؤلفين الزيدية [٤٣٩-٤٤٠].

(٣) ابن حبان: أبو حاتم، محمد بن حبان التميمي، البستي؛ محدث، ومؤرخ، وعلامة، =

وعُبَّادِهم"[١].

- وقال الذَّهبي[٢]: "كان ذا علم وجلالة وصلاح، هَفَا وخرج فاستشهد"[٣].
- وقال عنه ابن حجر[٤]: " ثقة من الرابعة"[٥]. أي: من الطبقة

---

= وجغرافي. مولده بمدينة (بُسْت) من بلاد سجستان سنة بضع وسبعين ومائتين، وتنقل في الأقطار لطلب العلم، فكتب عن أكثر من ألفي شيخ، وكانت وفاته في بست سنة ٣٥٤هـ. من مؤلفاته: (المسند الصحيح)، و(كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين)، و(الثقات). انظر: سير أعلام النبلاء [١٦/ ٩٢-١٠٤]، طبقات الشافعية الكبرى، تأليف: تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: محمود محمد الطناحي، وَ عبد الفتاح محمد الحلو، نشر: دار إحياء الكتب العربية - القاهرة [٣/ ١٣١-١٣٢].

(١) مشاهير علماء الأمصار، لابن حبان [٨١].

(٢) الذهبي: أبو عبد الله، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني، الفارقي، الدمشقي، الحافظ والمؤرخ المشهور. مولده بدمشق سنة ٦٧٣هـ، ووفاته بها سنة ٧٤٨هـ. من مؤلفاته: (ميزان الاعتدال في نقد الرجال) في الضعفاء، و(تاريخ الإسلام)، و(سير أعلام النبلاء). انظر: طبقات الشافعية الكبرى [٩/ ١٠٠-١٠٦]، الدُّرَر الكامنة، تأليف: أحمد بن علي بن محمد الشهير بابن حجر العسقلاني، نشر: دار الجيل - بيروت، ١٤١٤هـ [٣/ ٣٣٦-٣٣٨].

(٣) سير أعلام النبلاء [٥/ ٣٨٩].

(٤) ابن حجر: أبو الفضل، شهاب الدين، أحمد بن علي بن محمد بن محمد، الكناني، العَسقلاني، الإمام، الحافظ، شيخ الإسلام. أصله من عسقلان (بفلسطين)، ومولده بالقاهرة سنة ٧٧٣هـ، ووفاته بها سنة ٨٥٢هـ. وليَ القضاء مرات ثم تركه نهائياً وزهد فيه. من مؤلفاته: (فتح الباري شرح صحيح البخاري)، و(الدُّرَر الكامنة في أعيان المئة الثامنة)، و(لسان الميزان). انظر: الضوء اللَّامع لأهل القرن التاسع، تأليف: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، نشر: دار مكتبة الحياة - بيروت [٢/ ٣٦-٤٠]، البدر الطالع، للشوكاني [١/ ١١٨ - ١٢٢]، الأعلام، للزركلي [١/ ١٧٨].

(٥) تقريب التهذيب، تأليف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: أبي الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني، دار العاصمة - الرياض [٣٥٥].

الرابعة.

- وعلماء أهل السنة يعدون زيد بن علي واحداً من أئمة السلف، فيذكرون قوله مع أقوالهم ويستشهدون به على مذهبهم[(١)].

**مؤلفاته:**

يُنْسَبُ إلى زيد بن علي عدد من المؤلفات، منها: (مُسند الإمام زيد)، ويشمل المجموع الفقهي والمجموع الحديثي، و(كتاب تفسير غريب القرآن)، و(تثبيت الإمامة)، و(مجموع كتب ورسائل الإمام زيد)[(٢)].

وقد شَكَّك علماء أهل السنة في صِحَّة نِسبَة هذه الكتب إلى زيد بن علي رحمه الله، وذلك أنَّ مدار هذه الكتب على رجل من أتباعه مُتَكلَّم فيه؛ يُدعى: عَمرو بن خالد الواسِطي[(٣)]، وقد اتفقت كلمة أهل الحديث على تضعيفه وترك حديثه[(٤)].

---

(١) انظر مثلاً: الإبانة، تأليف: أبي الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري، تحقيق: د. فوقية حسين محمود، نشر: دار الأنصار - القاهرة، ١٣٩٧هـ [٨٧]، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تأليف: أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي، تحقيق: د: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، (ط٤)، نشر: دار طيبة - الرياض، ١٤١٦هـ [٢/ ٧٥٩].

(٢) للمزيد، انظر: أعلام المؤلفين الزيدية [٤٤٠-٤٤٢]، الأعلام [٣/ ٥٩].

(٣) عمرو بن خالد الواسِطي: أبو خالد القُرَشي مولى بني هاشم، أصله من الكوفة انتقل إلى واسِط. انظر: تهذيب التهذيب، تأليف: أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، نشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤١٦هـ [٣/ ٢٦٧].

(٤) ذكر ابن حجر أقوال أئمة الجرح والتعديل في أبي خالد:

- فعن أحمد بن حنبل: قال: كذاب، يروي عن زيد بن علي عن آبائه أحاديث موضوعة.
- وعن ابن معين: كذاب ليس بشيء. =

وعليه فإنَّ كلَّ ما يُنْسَبُ إلى زيد بن علي ﷺ من طريق أبي خالد الواسطي - هذا - غير صحيح بحسب ما تقدم؛ وبالجملة، فقد صرَّح الشيخ مقبل الوادعي ﷺ أنه لم تَثْبُتْ نِسْبَةُ أيِّ كتابٍ إلى زيد بن علي ﷺ[١].

**٢) الإمام القاسم الرّسّي (١٦٩-٢٤٦)هـ:**

هو أبو محمد القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، الرَّسِّي[٢].

مولده بالمدينة سنة تسع وستين ومائة من الهجرة، وبها نشأ وطلب العلم[٣].

وكان من الدُّعاة إلى بيعة أخيه محمد، فلمَّا توفي أخوه في سنة ثماني

---

= - وقال إسحاق بن راهويه، وأبو زرعة: كان يضع الحديث.
- وقال أبو حاتم: متروك الحديث، ذاهب الحديث، لا يشتغل به.
- وعن وكيع: كان في جوارنا يضع الحديث، فلما فطن له تحول إلى واسط.
- وقال النسائي ليس بثقة ولا يكتب حديثه.
- وقال الجوزجاني: غير ثقة.
- وقال الدار قطني: متروك.
- وقال الحاكم: يروي عن زيد بن علي الموضوعات.
- وقال أبو نعيم الأصبهاني: لا شيء.

انظر: تهذيب التهذيب [٣/ ٢٦٧].

(١) انظر: صعقة الزلزال لنسف أباطيل الرفض والاعتزال، للوادعي [٢/ ٤٥٢].

(٢) الشافي، تأليف: الإمام المنصور عبد الله بن حمزة بن سليمان، تحقيق: مجد الدين المؤيدي، نشر: مكتبة أهل البيت - صعدة/ اليمن، ١٤٢٩هـ [١/ ٧٦٧]، أعلام المؤلفين الزيدية [٧٥٩].

(٣) انظر: معجم المؤلفين [٢/ ٦٣٦]، أعلام المؤلفين الزيدية [٧٥٩].

عشرة ومائتين اجتمع الناس إليه، فبايعه من أهل مصر عشرةُ آلاف، فأقام عندهم عَشرَ سنين مختفياً، ثم أرسل دعاته في البلاد سرّاً، فلمَّا كُشِفَ أمرُه وطُلِبَ مكانُه اختفى عن الأنظار وسَكن الرَّسَّ(١)، وإليه نسبته(٢).

وفي الرَّس كانت وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ست وأربعين ومائتين من الهجرة النبوية(٣).

**مؤلفاته:**

للرَّسِّي عدد من المؤلفات، منها: (العدل والتوحيد)، و(الرَّد على ابن المقفَّع)، و(مناظرة لملحد بأرض مصر)، و(الرَّد على المجبِّرة)، و(تأويل العرش والكرسي)، و(الناسخ والمنسوخ)، و(رسالة في الإمامة)، و(الرَّد على النَّصارى)، و(سياسَة النَّفس)(٤).

**٣) الإمام الهادي يحيى بن الحسين (٢٤٥-٢٩٨هـ):**

أبو الحسين يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، الملقب بالهادي(٥).

مولِده بالرَّس سنة خمس وأربعين ومائتين للهجرة، ووفاته بصعدة من بلاد اليمن سنة ثمان وتسعين ومائتين للهجرة بعد أن وطّد أركان دعوته في

---

(١) الرَّسّ: جبل أسود بالقرب من ذي الحُلَيفة على ستة أميال من المدينة. الأعلام [٥/ ١٧١].

(٢) انظر: الشافي، لعبد الله بن حمزة [١/ ٧٦٩ - ٧٧٠]، الأعلام [٥/ ١٧١]، أعلام المؤلفين الزيدية [٧٦٠].

(٣) انظر: الشافي [١/ ٧٧٢]، أعلام المؤلفين الزيدية [٧٦٠].

(٤) للمزيد، انظر: الشافي، لابن حمزة [١/ ٧٦٨]، معجم المؤلفين [٢/ ٦٣٦]، أعلام المؤلفين الزيدية [٧٦٠-٧٦٤].

(٥) انظر: الشافي [١/ ٨٤٧]، أعلام المؤلفين الزيدية [١١٠٣].

بلاد اليمن، وأقام دولته هناك[١].

خرج الهادي إلى اليمن سنة ثمانين ومائتين فبايعته بعض قبائل اليمن، ثم لم يَلْبَث أن تركهم وعاد إلى الرَّس، فلم يلبثوا أن لحقوا به وطلبوا منه العودة إلى اليمن وعاهدوه على ألَّا يخالفوا أمره، فعاد معهم واستقر لديهم إلى أن مات[٢].

**مؤلفاته:**

وللإمام الهادي العديد من المؤلفات، منها: (جامع الأحكام في الحلال والحرام)، و(المنزلة بين المنزلتين)، و(البالغ المدرك)، و(كتاب تفسير القرآن)، و(الرَّد على المجبرة)، و(معاني القرآن)، و(كتاب الفوائد)، و(الآداب الهادوية)، و(إثبات النُّبوَّة)، وغيرها[٣].

**٤) الناصر الأطروش[٤] (٢٣٠-٣٠٤هـ):**

الإمام الناصر لدين الله، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسن بن علي ابن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الأطروش[٥].

مولده بالمدينة سنة ثلاثين ومائتين للهجرة، وبها نشأ، ثم ورد طبرستان أيام الدَّاعي: الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن

---

(١) انظر: الشافي [١/ ٨٥٦]، أعلام المؤلفين الزيدية [١١٠٣].

(٢) انظر - ملخصاً-: قيام الدولة الزيدية في اليمن [٥٦-٦١].

(٣) لمعرفة المزيد من مؤلفاته، انظر: الشافي [١/ ٨٤٨ - ٨٤٩]، أعلام المؤلفين الزيدية [١١٠٣-١١١٠].

(٤) كان يدعى (الأطروش) لصَمَم أصابه من ضربة سيف في معركة. انظر: الأعلام، للزركلي [٢/ ٢٠٠].

(٥) انظر: الشافي، لعبد الله بن حمزة [١/ ٨٦٢]، أعلام المؤلفين الزيدية [٣٣١-٣٣٢].

الحسن بن علي بن أبي طالب، وبقي عنده إلى أن توفي ووليَ أخوه محمد ابن زيد، فأقام معه، وكانا معظِّمَين له عارفَين بفضله وعلمه، إلا أنه كان يرى أنه أولى بالإمامة من محمد بن زيد، ويتحدَّث بذلك مع خواصِّه، حتى وصل خبره إلى محمد ففزع منه وخاف أن يدعو إلى نفسه(١).

فارق الأطروش محمد بن زيد، وخرج إلى بلاد الجيل والديلم - ولـمَّا يُسلموا - فأسلموا كلُّهم على يديه، وحَسُنَتْ سيرتُه لديهم، وحكم بالعدل، فسيَّر منهم الجيوش، وفتح بهم طبرستان سنة إحدى وثلاثمائة، ثم دخل آمل(٢) سنة اثنتين وثلاثمائة(٣).

توفي الأطروش بآمل طبرستان في الخامس والعشرين من شعبان سنة أربع وثلاثمائة للهجرة(٤).

**مؤلفاته:**

وللأطروش عدد من المؤلفات، والتي تُعَدُّ من الكتب المعتمدة عند زيدية اليمن، منها: (البساط)، و(كتاب في التفسير)، و(الأمالي في

---

(١) انظر: البساط، تأليف: الناصر للحق الحسن بن علي الأطروش، تحقيق: عبد الكريم أحمد جدبان، نشر: مكتبة التراث الإسلامي - صعدة/ اليمن، ١٤١٨هـ [٨].

(٢) آمُل: اسم مدينة بطبرستان في السهل؛ لأن طبرستان سهل وجبل. انظر: معجم البلدان، للحموي [١/ ٥٧].

(٣) انظر: تاريخ الطبري [١٠/ ١٤٩]، الشافي [١/ ٨٦٢، وما بعدها]، أعلام المؤلفين الزيدية [٣٣٢].

(٤) انظر: الشافي، لابن حمزة [٨٧٢]، تاريخ الخلفاء، تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، نشر: مطبعة السعادة - مصر، ١٣٧١هـ [٤٥١]، الجامع الوجيز في وفيات العلماء أولي التبريز (مخطوط)، تأليف: العلامة أحمد بن عبد الله الجنداري، نسخة مصورة عن مكتبة دار المخطوطات - صنعاء، رقم المخطوط: ٦٥ (قديم)، و٢٥٢٤ (حديث) [٦٨].

الحديث)، و(كتاب في أصول الدين)، و(الحُجَج الواضحة بالدلائل الراجحة في الإمامة)، و(كتاب الطلاق)، وغيرها(١).

**٥) عبد الله بن حمزة (٥٦١-٦١٤)هـ:**

عبد الله بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن علي بن حمزة بن أبي هاشم الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، الملقب بالإمام المنصور بالله(٢).

مولده بقرية عَيْشان من ظاهر بلاد همدان، في ربيع الآخر سنة إحدى وستين وخمسمائة للهجرة(٣).

نشأ في بلده وطلب العلم صغيراً، فبرَّز في العلوم حتى دعا لنفسه بالإمامة سنة ٥٩٣هـ، واستولى على كثير من مناطق اليمن، ثم سعى في نشر دعوته - بالمراسلة - خارج اليمن، فبلغت بلاد طبرستان والديلم، حتى خُطب له في بعض تلك البلاد. وقد كان شديداً مع مخالفيه، فلا يخفى ما صنعه بالمطرِّفية من الزيدية فقد أبادهم عن آخرهم، وسبى ذراريهم، ومحا آثارهم لما لم يرجعوا عن مذهبهم(٤).

توفي المنصور في كوكبان(٥) يوم الخميس لاثني عشر يوماً من المحرم

---

(١) انظر: الشافي [١/ ٨٦٢]، البساط [١٤]، معجم المؤلفين [١/ ٥٦٧]، أعلام المؤلفين الزيدية [٣٣٢-٣٣٣].

(٢) طبقات الزيدية الكبرى، لإبراهيم بن القاسم [١/ ٥٩٦].

(٣) انظر: طبقات الزيدية الكبرى [١/ ٥٩٧].

(٤) انظر: الوافي بالوفيات، للصفدي [١٧/ ٨٠]، طبقات الزيدية الكبرى [١/ ٦٠٨-٦٠٩]، معجم المؤلفين [٢/ ٢٣٩].

(٥) كَوكَبان: حصن من حصون اليمن المنيعة الشهيرة، يقع في الغرب الشمالي من صنعاء =

سنة أربع عشرة وستمائة من الهجرة، ومدة عمره اثنتان وخمسون سنة وأشهر[(١)].

**مؤلفاته:**

للمنصور بالله عدد كبير من المؤلفات في العلوم المختلفة، منها: (الجوهرة الشفَّافة إلى العلماء كافَّة)، و(الرسالة الناصحة وشرحها)، و(كتاب صفوة الاختيار)، و(كتاب تحفة الإخوان)، و(كتاب حدائق الحكمة)، و(مصباح المشكاة)، و(الأجوبة الكافية والرافعة للإشكال)، و(الناصحة المشيرة)، و(الرسالة الكافية)، و(كتاب المهذب)، و(كتاب الشافي)، و(الاختيارات المنصورية)، وغيرها من الرسائل والكتب والأشعار[(٢)].

**٦) يحيى بن حمزة (٦٦٩-٧٤٩)هـ:**

يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم بن يوسف[(٣)] بن علي بن إبراهيم بن

---

= على مسافة ٤٠ كيلومتراً تقريباً، فيه كثير من خزانات المياه تكفي سكان هذا الحصن لسنوات، بعضها من بناء الملك المعز إسماعيل بن طغتكين بن أيوب. وقد تحصَّن فيه كثير من الملوك والأئمة والأمراء، كما كان مركزاً من مراكز العلم المقصودة منذ المائة الهجرية العاشرة وحتى عهد قريب. انظر: هجر العلم ومعاقله [٤/ ١٨٧٠]، البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي [٢٢٤].

(١) انظر: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تأليف: علي بن الحسن الخزرجي، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، (ط٢)، نشر: مركز الدراسات والبحوث اليمني - صنعاء، ١٤٠٣هـ [١/ ٣٣]، طبقات الزيدية الكبرى [١/ ٦١٠]، الجامع الوجيز [١٥٠].

(٢) للمزيد، راجع: طبقات الزيدية الكبرى [١/ ٦٠٦-٦٠٧]، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، تأليف: إسماعيل باشا البغدادي، نشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٩٥١م [١/ ٤٥٨]، أعلام المؤلفين الزيدية [٥٧٩-٥٨٥].

(٣) ذكر الشوكاني أنه: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم بن محمد بن إدريس =

محمد بن إدريس بن علي بن محمد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب، الإمام المؤيد بالله[(١)].

مولده بمدينة صنعاء سابع وعشرين من صفر سنة تسع وستين وست مائة للهجرة[(٢)].

اشتغل بالعلم منذ الصغر حتى فاق أقرانه، فدعا لنفسه بالإمامة بعد وفاة الإمام المهدي محمد بن المطهر[(٣)] سنة تسع وعشرين وسبع مائة، وكانت له مع القرامطة وقائع انتهت بالصلح، ثم اشتغل بالتأليف، فكثرت مؤلفاته حتى قيل إن كراريس تصانيفه زادت على عدد أيام عمره![(٤)].

وكان رحمه الله يميل للإنصاف مع المخالف مع سلامة صدر وطهارة لسان، فلم يكن يَقْدُم على التكفير، أو التفسيق بالتأويل[(٥)]، وكان كثير الذَّبِّ عن

---

= ابن علي بن جعفر بن علي بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب. انظر: البدر الطالع [٢/ ٨٨٥].

(١) طبقات الزيدية الكبرى [٣/ ١٢٢٤].

(٢) انظر: طبقات الزيدية الكبرى [٣/ ١٢٢٤]، البدر الطالع [٢/ ٨٨٥]، أعلام المؤلفين الزيدية [١١٢٤].

(٣) الإمام المهدي، محمد بن الإمام المطهر بن يحيى، من أئمة الزيدية المجتهدين. بويع بالإمامة بعد وفاة والده سنة ٦٩٠هـ مولده سنة ٦٦٠هـ، ووفاته سنة ٧٢٨هـ بحصن (ذَمَرْمَر). من مؤلفاته: (منظومة عقود العقيان في الناسخ والمنسوخ من القرآن)، و(المنهاج الجلي في فقه الإمام زيد بن علي)، و(البغية في الفرائض). انظر: الأعلام [٧/ ١٠٣-١٠٤]، أعلام المؤلفين الزيدية [٩٩٧-٩٩٨].

(٤) انظر: طبقات الزيدية الكبرى [٣/ ١٢٢٤-١٢٣١]، البدر الطالع [٢/ ٨٨٥-٨٨٦]، الأعلام [٨/ ١٤٣].

(٥) كافر التأويل: من أتى من أهل القبلة بما يوجب الكفر غير متعمد كالمشبِّه، وفاسق التأويل: من أتى من أهل القبلة بما يوجب الفسق غير متعمد كالبغاة. انظر: =

أعراض الصحابة رضي الله عنهم وأكابر علماء الإسلام[١].

توفي رحمه الله سنة تسع وأربعين وسبعمائة، وقيل سبع وأربعين، في ذمار[٢] وقبره فيها مشهور مزور[٣].

**مؤلفاته:**

تقدم الكلام على كثرة مؤلفاته، وسنذكر بعضاً منها: ففي أصول الدين: (المعالم الدينية)، و(التمهيد)، و(النهاية)، و(الشامل)، و(الإفحام للباطنية الطغام)، و(التحقيق في التكفير والتفسيق)، وفي الفقه: (المعيار)، و(الحاوي)، و(الانتصار على فقهاء الأمصار)، و(العُمدة)، وفي النحو: (الاقتصار)، و(الحاصر)، و(المنهاج)، و(الأزهار)، و(المحصّل)، وفي المعاني والبيان: (الطراز)، و(الأنوار المضيئة شرح السِّيلقية)، و(الديباج الوضيء شرح نهج البلاغة)، وله في الفرائض: (الإيضاح في علم الفرائض)، وله في التصفية والزهد، وغير ذلك[٤].

---

= إقامة الدليل على ضعف أدلة تكفير التأويل، تأليف: محمد بن إسماعيل الصنعاني، تحقيق: أبي نوح عبد الله بن محمد الفقيه، نشر: دار ابن حزم - بيروت، ١٤٣٠هـ [١٧٦-١٧٧].

(١) انظر: البدر الطالع [٢/ ٨٨٥]، أعلام المؤلفين الزيدية [١١٢٤].

(٢) ذَمار: مدينة مشهورة في اليمن تقع جنوب صنعاء، وتبعد عنها بمسافة ١٠٠ كيلو متر تقريباً. انظر: البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي [١١٥].

(٣) انظر: البدر الطالع [٢/ ٨٨٦]، الجامع الوجيز، للجنداري [١٨٨]، أعلام المؤلفين الزيدية [١١٢٤].

(٤) للمزيد، انظر: طبقات الزيدية الكبرى [٣/ ١٢٢٨-١٢٣١]، البدر الطالع [٢/ ٨٨٥-٨٨٦]، أعلام المؤلفين الزيدية [١١٢٤-١١٣١].

**٧) القاسم بن محمد بن علي (٩٦٧-١٠٢٩هـ):**

الإمام المنصور بالله، القاسم بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن الرشيد بن أحمد بن الأمير الحسين بن علي بن يحيى بن محمد بن يوسف الأصغر - الملقَّب بالأشل - ابن القاسم بن الإمام الدَّاعي يوسف الأكبر ابن الإمام المنصور يحيى بن الإمام الناصر أحمد بن الإمام الهادي يحيى ابن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب(١).

ولد الإمام القاسم بقرية الشَّاهل من بلاد الشَّرف(٢)، في ثاني عشر من شهر صفر سنة سبع وستين وتسعمائة للهجرة(٣).

اشتغل بطلب العلم على علماء مذهبه، فبرز في علومه، وفاق أقرانه، فدعا لنفسه بالإمامة في سنة ست وألف للهجرة (١٠٠٦هـ)، ثم خاض حروباً كثيرة ضد الدولة العثمانية في اليمن، فانتزع كثيراً من المناطق من سلطة الدولة وأرسى قواعد دولته (القاسمية) التي حكمت اليمن لعدة قرون(٤).

توفي الإمام القاسم في شُهَارة(٥)، ليلة الثلاثاء، ثاني عشر من ربيع

---

(١) انظر: طبقات الزيدية الكبرى [٢/ ٨٦٠]، البدر الطالع [٢/ ٦٠٢]، [١/ ٢٤١].

(٢) الشَرَف: جبل واسع في الشمال الغربي من حجَّة. انظر: البلدان اليمنية عند ياقوت الحموي [١٥٤-١٥٥]، معجم المدن والقبائل اليمنية [٢٣٠].

(٣) انظر: البدر الطالع [٢/ ٦٠٢]، أعلام المؤلفين الزيدية [٧٧٧].

(٤) انظر: البدر الطالع [٢/ ٦٠٣]، أعلام المؤلفين الزيدية [٧٧٧]، الأعلام [٥/ ١٨٢-١٨٣].

(٥) شُهَارة: بلدة في رأس جبل في بلاد الأهنوم شمالي حجة (تتبع محافظة عمران حالياً)، وقد اتخذها المنصور القاسم بن محمد قاعدة ملكة وعاصمة بلاده إلى =

الأول سنة تسع وعشرين وألف للهجرة، عن اثنتين وستين سنة(١).

**مؤلفاته:**

من مؤلفاته: (الأساس لعقائد الأكياس)، و(المنقذ من الضلال في عقيدة الآل)، في أصول الدين، و(الإرشاد إلى سبيل الرشاد)، و(الاعتصام) في الحديث، و(مرقاة الوصول إلى علم الأصول)، و(زلفة الطلاب إلى علم الإعراب)، وغيرها(٢).

**٨) صلاح الأَخْفَش (...- ١١٤٢هـ):**

صلاح بن الحسين بن علي بن محمد - الملقَّب بالأخفش - ابن الحسن بن محمد بن صلاح بن الحسن بن جبريل بن يحيى بن محمد بن سليمان بن أحمد بن الإمام الداعي إلى الله يحيى بن المحسن. . ، اليحيوي، الحسني، الهاشمي، الصنعاني(٣).

لا يعلم تاريخ مولده على وجه التحديد، إلا أنه قد حُفِظَ تاريخ وفاته، فقد بلغ من الشهرة ما ضُرِبَ به المثل؛ في الزُّهد والصَّلابة والعِفَّة. قال الشوكاني رحمه الله: "وكان لا يخاف في الله لومة لائم، ولا يبالي بأحد إذا

---

= أن مات، وتبعد شهارة عن صنعاء بمسافة ١٦٠ كم تقريباً شمال غرب. انظر: معجم المدن والقبائل اليمنية [٢٣٩ - ٢٤٠]، البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي [١٥٩].

(١) انظر: طبقات الزيدية الكبرى [٢/ ٨٦٩]، الجامع الوجيز [٣٧١]، البدر الطالع [٢/ ٦٠٥].

(٢) للمزيد، انظر: البدر الطالع [٢/ ٦٠٢]، هدية العارفين [١/ ٨٣٣]، أعلام المؤلفين الزيدية [٧٧٨-٧٨١].

(٣) انظر تتمَّة نسبه في كتاب: تقاريظ نَشْر العَرْف لنبلاء اليمن بعد الألف، من مجاميع محمد بن محمد بن يحيى زبارة الحسني، إعداد: مركز الدراسات والبحوث اليمني - صنعاء [١/ ٧٨٩].

كان مخالفاً للحق، وله شهرة عظيمة في الديار اليمنية، ولا سيَّما صنعاء وما يتصل بها، فإنه يضرب به المثل في الزُّهد.." [(١)].

وقد طلب العلم على علماء بلده من أتباع المذهب الزيدي، فبرز في جميع الفنون لا سيما علوم العربية وأصول الفقه، وعكف على الوعظ والإرشاد والتدريس والتأليف وخدمة الناس مع جرأة في الحق أمام الحكام، وقد كان إماماً بالجامع الكبير بصنعاء، ولا يقبل من أحد عطاء، ولا يأكل إلا من عمل يده[(٢)].

توفي الأخفش بصنعاء يوم الأربعاء، السابع والعشرين من شهر رجب سنة اثنتين وأربعين ومائة وألف للهجرة، وازدحم الناس على جنازته، وغلقت الأسواق في صنعاء، فكان يوماً مشهوداً[(٣)].

**مؤلفاته:**

من مؤلفاته: (رسالة في مسألة الإمامة)، و(رسالة في مسألة تنزيه الصحابة)، و(هداية المسترشد إلى علوم المجتهدين)، و(الرسالة النافعة)، و(السيوف المضيئة في الرد على المسائل المرضية)، و(نزهة الطرف في الجار والمجرور والظرف)، و(العقد الوسيم في أحكام الجار والمجرور والظرف وما لكل منها من التقسيم)[(٤)].

---

(١) البدر الطالع [١/ ٣٣٦-٣٣٧].

(٢) انظر: البدر الطالع [١/ ٣٣٦]، نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف [١/ ٧٨٩]، أعلام المؤلفين الزيدية [٥٠٠].

(٣) انظر: طبقات الزيدية الكبرى [١/ ٥٢١]، البدر الطالع [١/ ٣٣٧]، أعلام المؤلفين الزيدية [٥٠٠].

(٤) انظر: الأعلام [٣/ ٢٠٧]، معجم المؤلفين [١/ ٨٤١]، أعلام المؤلفين الزيدية [٥٠٠-٥٠١].

## المبحث الرابع

### عقائد الزيدية

الزيدية فرقة جمعت بين التشيع والاعتزال؛ فقالت بحصر الإمامة في آل النبي ﷺ من أولاد فاطمة ﵂، معتبرين الإمامة أصلاً من أصول الدين التي لا يسع المؤمن جهلُها، وأخذوا بعقيدة المعتزلة متخيرين بين أقوالهم، فقالوا بالأصول الخمسة - مع شيء من الزيادة أو النقص للملائمة مع أصل تشيعهم - كما التزموا بطريقتهم في التعامل مع الأدلة، فردوا أخبار الآحاد في العقائد، وجعلوا العقل مصدراً من مصادر العقيدة، وغير ذلك!.

ومهما تنوعت طريقة الزيدية في عرض أصولهم، فإنها لا تخلو من هذه الأصول الخمسة: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإمامة، وأما المنزلة بين المنزلتين؛ فهو داخل في (الوعد والوعيد).

**الأصل الأول: التوحيد:**

ويعني هذا الأصل عند الزيدية أنه تعالى واحد في ذاته، وواحد في صفاته، وأنه المستحق وحده للعبادة لا يشاركه فيها غيره، وأنه واحد لا قديم معه سواه[١].

**أول الواجبات على المكلَّف:**

ولما كانت معرفة التوحيد أصل يتوقف على النظر وكان النظر سابقاً

(١) انظر: كتاب التمهيد في شرح معالم العدل والتوحيد، تأليف: المؤيد بالله يحيى بن حمزة العلوي، تحقيق: هشام حنفي سيد، نشر: مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، ١٤٢٩هـ [١/ ٣٥٠].

على المعرفة، فقد أوجب الزيدية النظر، وجعلوه أول الواجبات على المكلَّف. يقول الإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني[(١)]: "اعلم أن أول ما يلزم المكلَّف هو النظر المفضي به إلى معرفة الله تبارك وتعالى، والذي يدل على ذلك: أنه قد ثبت وجوب معرفة الله تعالى على جميع المكلفين، وثبت أن معرفة الله لا تحصل مع التكليف إلا بالنظر"[(٢)].

ومحل النظر إنما هو أفعال الله تعالى، حيث لا سبيل إلى معرفته تعالى إلا بفعله، ومن عَدَل عن الاستدلال عليه بفعله وترك النظر كان ظانّاً مُقلِّداً في رأي الزيدية[(٣)].

ولما كان النظر واجباً في معرفة الله، كان التقليد غير جائز فيها[(٤)]، بل

---

(١) المؤيد بالله أبو الحسين أحمد بن الحسين الهاروني الحسني. إمام زيدي متكلم. مولده ونشأته بآمل طبرستان. دعا لنفسه سنة ٣٨٠هـ ففشلت حركته، فخلصه الصاحب ابن عباد من انتقام بني بويه، ثم دعا بالإمامة مرة أخرى فبايعه أهل الجيل والديلم، واستتب له الأمر فترات وخرج من يده فترات وخاض حروباً عديدة حتى توفي سنة ٤٢١هـ. من مؤلفاته: (الأمالي)، و(التجريد). انظر: الأعلام [١/١١٦]، أعلام المؤلفين الزيدية [١٠٠ - ١٠١].

(٢) التبصرة في العدل والتوحيد، تأليف: المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني، تحقيق: عبد الله إسماعيل هاشم الشريف، نشر: مكتبة مركز بدر العلمي والثقافي - صنعاء، ١٤٢٣هـ [٨]، وانظر: التمهيد في شرح معالم العدل والتوحيد [١/٤٨].

(٣) انظر: مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم الرسي، تأليف: محمد بن القاسم بن إبراهيم الرسي، تحقيق: عبد الكريم أحمد جدبان، مكتبة التراث الإسلامي - صعدة/ اليمن، ١٤٢٣هـ [٨٦]، مجموع كتب ورسائل الإمام المهدي لدين الله الحسين بن القاسم العياني، تأليف: الحسين العياني، تحقيق: إبراهيم يحيى الدرسي الحمزي، نشر: مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية - صعدة/ اليمن، ١٤٢٥هـ [٥٦].

(٤) انظر: مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن محمد بن علي، تأليف: المنصور =

غير جائز في أصول الدين ككل، يقول الرصّاص(١) - وقد ذكر جملة من أصول الدين-: " .. وبعد؛ فهذه جملة مختصرة يلزم كل مكلف معرفتها وتدبُّر أدلتها، ولا يجوز أن يقلِّد فيها؛ لأن التقليد في أصول الدين قبيح عند كل عاقل"(٢).

ومن المسائل المهمة في هذا الأصل:

**المسألة الأولى: العلم بأن لهذا العالم صانعاً:**

وحاصل هذه المسألة: أن النظر في هذا العالم الذي نعيش فيه ونراه ماثلاً أمامنا بما فيه من تعدُّد للمخلوقات (أجسام)، وما فيها من أحوال مختلفة (أعراض)؛ كل هذه أمور تشهد على أمرين اثنين؛ أولهما: وجوب أن يكون هذا العالم مخلوقاً، لاتصافه بالتغيُّر المستمر؛ من حياة وفناء، وصيف وشتاء، وحركة وسكون. . . ،إلخ.

وثانيهما: وجوب أن يكون لهذا العالم صانع صَنَعَهُ من العدم؛ لأن التغيُّر الحادث في هذا العالم ينافي قِدَمه، فإنَّ القديم لا يتغيَّر، كما أنَّ المخلوق لا يخلق نفسَه، فوجب أَنْ يكون لهذا العالم صانع قديم مُتَّصِفٌ

---

= بالله القاسم بن محمد بن علي، تحقيق: محمد قاسم محمد المتوكل، نشر: مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية - صنعاء، ١٤٢٤هـ [٢٧٥-٢٧٦].

(١) أحمد بن الحسن بن محمد بن أبي بكر الرصَّاص، فقيه وأصولي زيدي. توفي سنة ٦٢١هـ. من مؤلفاته: (مصباح العلوم)، و(الجوهرة في أصول الفقه)، و(الشهاب الثاقب في مناقب علي بن أبي طالب). انظر طبقات الزيدية الكبرى [١/ ١٠٩]، الأعلام [١/ ٢١٩]، معجم المؤلفين [١/ ١٢٠].

(٢) انظر: مصباح العلوم، تأليف: أحمد بن الحسن الرصاص، تحقيق: د.المرتضى بن زيد المحطوري، (ط٥)، نشر: مكتبة مركز بدر للطباعة والنشر - صنعاء، ١٤٢٤هـ [٩٣-٩٤].

بصفاتٍ قديمة لا يشاركه فيها أحد من المخلوقين[١].

وهذه الصِّفات تُعرَفُ من خلال النظر في هذا العالم؛ فعظمة هذا العالم تدل على أن الذي صنعه قادر، لأنَّ العاجز لا يخلق!.

ولما كان هذا العالم مليئاً بالتنوُّع والإحكام، دلَّ على أنَّ الخالق لابد أن يكون عالماً، ولا يمكن أن يكون عالماً قادراً إلا أن يكون حيّاً، لأنَّ الميت لا يصنع شيئاً؛ وهذه هي صفاته تعالى[٢].

**المسألة الثانية: العلم بصفات الصانع:**

إن هذه المسألة - كما ترى - متركبة على المسألة التي قبلها، فإن الصفات المقصودة هي صفات الصانع - سبحانه وتعالى - والتي تُثبت من خلال النظر في مخلوقات الله، وبها يعرف توحيده تعالى بحسب طريقة الزيدية في ذلك، وتنقسم صفات الله تبارك وتعالى - عند الزيدية - باعتبارات، فهي:

**أولاً**: تنقسم إلى صفات ذات[٣]، وإلى صفات فعل[٤]، أو صفات قديمة وصفات مُحدَثة[٥].

---

(١) انظر: الإرشاد إلى نجاة العباد، تأليف: عبد الله بن زيد العنسي، تحقيق: عبد السلام الوجيه، ومحمد قاسم الهاشمي، (ط٣)، مكتبة التراث الإسلامي - صعدة/ اليمن، ١٤٣١هـ [١٨٧-١٨٨].

(٢) انظر - مختصراً-: كتاب التبصرة في العدل والتوحيد، للمؤيد بالله الهاروني [١٤-١٨].

(٣) انظر: التمهيد في شرح معالم العدل والتوحيد، ليحيى بن حمزة [١/ ١٦٤].

(٤) انظر: المصدر السابق [١/ ٢٢٣].

(٥) انظر: مجموع كتب ورسائل الإمام المهدي لدين الله الحسين بن القاسم العياني [٢٠٠].

**ثانياً**: تنقسم إلى صفات سلبية، وإلى صفات إضافية[١]، وإليك التفصيل:

**أولاً: صفات الذات (القديمة)، وصفات الفعل(المحدثة):**

فصفات الذات: هي الصفات القديمة التي اتصف بها - سبحانه - أزلاً وأبداً، وهي ذات الله تعالى وليست شيئاً آخر، ومن هذه الصفات: اتصافه تعالى بكونه عالماً، قادراً، حياً، حكيماً، سميعاً، بصيراً، وهذه الصفات قديمة لاتصاف الذات بالقِدَم، وهي هو، أي: هي الله، وليست شيئاً زائداً على الذات[٢].

وأما **صفات الفعل**: فهي آثار صُنْعِه تعالى، يقول محمد بن القاسم الرَّسِّي[٣]: "فصفته لفعله - كما قدمناه - من أثر صنعه، وهو جميع ما أظهر من خلقه، وصفته لنفسه وذاته حقيقة وجوده، ولا مِثل له ولا نظير"[٤].

ومن الصفات الفعلية التي تثبتها الزيدية: الإرادة؛ والإرادة والمشيئة

---

(١) انظر: كتاب التمهيد في شرح معالم العدل والتوحيد [١/٢١٨].

(٢) التبصرة في العدل والتوحيد [١٤]، و[١٨]، البدر المنير في معرفة الله العلي الكبير وما لا يستغنى عنه مما يلحق حكمه بأصول الدين، تأليف: محمد بن علي بن أحمد اليماني، تحقيق: د. عبد الله عبد الله الحسيني، نشر: مؤسسة التاريخ العربي - بيروت، ١٤٢٩هـ [١/٣٤٧]، مجموع الحسين العياني [١٢٩].

(٣) محمد بن القاسم بن إبراهيم الرسّي، عم الإمام الهادي. كان يختار البادية على الأمصار، وطاف كثيراً من البلدان وأقام ببغداد والبصرة، وسكن آخر مدته الحجاز، وخرج مع الهادي مشيعاً ومتابعاً. توفي سنة ٢٨٤هـ. من مؤلفاته: (الأصول الثمانية)، و(تفسير القرآن الكريم)، (الشرح والتبيين). انظر: أعلام المؤلفين الزيدية [٩٧٨].

(٤) مجموع محمد بن القاسم الرسي [٨٥].

بمعنى واحد، وهما صفتان محدثتان؛ لأنَّ الإرادة - عندهم - هي المراد، وهو الفعل لا غير[١].

ومن صفات الفعل: كونُه تعالى مُتَكلِّماً، و"المعنى بكونه تعالى مُتَكلِّماً: أنه خلق هذه الحروف والأصوات في جسم"[٢].

وكذلك كونه يَسْخَطُ، ويُبْغِضُ، ويُحِبُّ، ويَرْضَى، وكل هذه الصفات ثابتة على معنى إرادة العقاب، أو إرادة الثواب، إذ هي مخلوقة فيما يعتقدون؛ لأنها من فعله سبحانه[٣].

وأما إرادته - سبحانه - لطاعة عباده: فهي أمره لهم فقط، وأما سخطه لمعصيتهم، فهو نهيُه لهم[٤].

وضابط التفريق بين صفات الفعل وصفات الذات عند الزيدية: أن صفات الفعل يجوز فيها الضد وكذا التغيير والنقصان[٥]؛ كقول: خالق وغير خالق، ورازق وغير رازق، بينما صفات الذات لا يجوز فيها شيء من ذلك، فلا يقال: حي وغير حي، ولا قادر وغير قادر، وهكذا[٦].

**ثانياً: الصِّفات السَّلبيَّة والصفات الإضافية:**

ويقصدون بالصفات السلبية: الصفات المنفية عن الله تعالى، بمعنى

---

(١) انظر: مجموع الحسين بن القاسم العياني [٢٠٠].

(٢) التمهيد، ليحيى بن حمزة [١/ ٢٤٣].

(٣) انظر: مجموع الحسين العياني [١٤٢].

(٤) المصدر السابق والصفحة.

(٥) إطلاق مثل هذه العبارات في حق الله تعالى لا يدل على تنزيه الله كما تدَّعي العدلية والزيدية، بل هذا من إلحاق النقص بالله، تعالى الله عن ذلك!.

(٦) انظر: مجموع محمد بن القاسم الرسي [٨٥-٨٦].

التي ينزَّه الله تعالى عن الاتصاف بها؛ كالتحيز والجهة والألم واللَّذة، وغيرها.. وأما الصفات الإضافية: فيقصدون بها الصفات التي تُثبَت لله تعالى إما ذاتاً وإما فعلاً؛ كالقدرة، والعلم، والخلق، وغيرها(١).

ومن أبرز الصفات السلبية التي تنفيها الزيدية عن الله تعالى صفة الجسمية(٢)، والتي رتبوا عليها عدداً من الصفات السلبية الأخرى، منها:

١- نَفْي صفة العلو لله تعالى حقيقة بذاته، وكذا استوائه - سبحانه - على العرش(٣).
٢- نفي رؤية المؤمنين ربَّهم في الآخرة(٤).
٣- كما تأوَّلوا كل صفة يظهر منها - بحسب رأيهم - إثبات الجسمية، وإن كان ثبوتها بنص من الكتاب، أو بسنة متواترة؛ فتأوَّلوا صفة اليدين في القرآن، وصفة العين والساق والوجه، وغيرها(٥)، لاعتقادهم أن إثبات هذه الصفات يعد تجسيماً لله وتشبيهاً له بخلقه(٦).

---

(١) انظر: كتاب التمهيد في شرح معالم العدل والتوحيد [١/ ٢١٨].
(٢) انظر: المصدر السابق [١/ ٢٦٤].
(٣) انظر: كتاب التمهيد، ليحيى بن حمزة [١/ ٢٧٢]، كتاب التبصرة في العدل والتوحيد [٢١-٢٢].
(٤) انظر: كتاب الأساس لعقائد الأكياس، تأليف: الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد ابن علي، تحقيق وتعليق: محمد قاسم عبد الله الهاشمي، (ط٢)، نشر: مكتبة التراث الإسلامي - صعدة، ١٤١٥هـ [٤٩]، وانظر: مصباح العلوم، للرصَّاص [٣٠]، وكذا: مجموع الإمام محمد بن القاسم الرسي [٥].
(٥) من ذلك: تأويل اليدين بملك الله وقدرته، والوجه والنفس بذات الله لا غيره.. انظر: مجموع محمد بن القاسم الرسي [٢٥-٢٦].
(٦) انظر: كتاب النجاة، تأليف: أحمد الناصر لدين الله بن يحيى بن الحسين، (ط٢)، نشر: دار المنهل للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ١٤١١هـ [٣٢٢].

**الأصل الثاني: العدل:**

ويقصدون بالعدل نفي التُّهمة عن الله تعالى، قال الإمام القاسم بن محمد في تعريف العدل: أَلَّا تتَّهمَه[(١)]؛ يعني: أَلَّا تتَّهِمَ اللهَ تعالى بالظلم.

ويتضمن هذا الأصل ثلاثة أمور:

**الأول**: أنَّه تعالى لا يفعل القبيح، ولا يُخِلُّ بما يَجِبُ في الحكمة، وأفعاله كُلُّها حَسَنَة[(٢)].

**الثاني**: أنَّ أفعال العباد جميعها؛ من خيرٍ أو شرٍ، إيمانٍ أو كُفر، منهم لا من الله تعالى، وأن الله لم يخلقها ولم يَقْضِها عليهم ولا قدَّرَها، وإنَّما هم الذين يُحْدِثون أفعالَهم باختيارهم كما يشاءون[(٣)].

**الثالث**: أنَّ الأمراض والآلام وسائر البلايا - نحو: الفقر، والقَحط، والغلاء، والموت - من الله تعالى، وهي حسنة لا قبح فيها ولا ظلم لما فيها من مصالح للعباد يعلمها الله[(٤)].

والإيمان بالأمور المتقدمة من الله هو من معنى الإيمان بالقدر خيره وشره من الله تعالى، فما ذكر هو شره، وأما خيره فهو الإحسان الصادر من الله تعالى إلى عبيده في الدنيا والآخرة[(٥)].

---

(١) انظر: الأساس لعقائد الأكياس [٧٧].

(٢) انظر: كتاب التمهيد في شرح معالم العدل والتوحيد [٢/ ٣٨٥].

(٣) انظر: مصباح العلوم في معرفة الحي القيوم [٤٣]، البدر المنير، لليماني [١/ ٣٢٢].

(٤) انظر: سبيل الرشاد إلى معرفة رب العباد، تأليف: محمد بن الحسن بن الإمام القاسم بن محمد، تحقيق: إسماعيل بن مجد الدين بن محمد المؤيدي، (ط٢)، نشر: مكتبة أهل البيت - صعدة/ اليمن، ١٤٣٠هـ [٤٨].

(٥) انظر: البدر المنير، لليماني [١/ ٢٤٥].

وبناءً على هذا الأصل فرعت الزيدية ما يلي:

١- أنَّ الله لا يُعذِبُ أطفالَ المشركين بذنوب آبائهم، كما لا يُجازي أولادَ الأنبياء بشيء من ثواب آبائهم، وأن العدل في حقِّ الأطفال جميعاً، ومن لم يرتكب معصية لله تعالى أنْ يُدخلهم الله الجنة رحمة منه وتفضُّلاً عليهم؛ إذ لا جُرم لهم، ولا ذنب عليهم، ولا حُجَّةَ لَزِمَتْهم[١]، والله تعالى يقول: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسرَاء: ١٥]، والأطفال والمجانين لم يأتهم رسول، فأخبر أنه لا يعذبهم إلَّا برسول[٢].

٢- أنَّ قدرة العبد لا تُوجِبُ فعلَه، وإنَّما هو باختياره؛ وذلك أن الله لم يجعل المكلف مضطراً لفعله لمجرد أنَّه يقدر على الفعل؛ فالمؤمن يقدر على الكفر، والكافر يقدر على الإيمان، ولكنَّ المؤمنَ لم يكن كافراً إيجاباً بالقدرة، ولا الكافرُ مؤمناً بالقدرة، إذن لكان الشيطان مؤمناً، والملائكة كافرة - حاشاها - لقدرتها، ولكن الاختيار وراء ذلك، وبه يكون الإيمان والكفر[٣].

٣- أنه تعالى لا يُكلِّفُ عبادَه ما لا يطيقون، لأنَّ تكليف ما لا يطاق قبيح عند كل عاقل، والله تعالى مُنزَّه عن فعل القبيح[٤].

٤- أنَّ الله تعالى لا يريد شيئاً من معاصي العباد، ولا يحبها ولا

---

(١) انظر: كتاب النجاة، للإمام الناصر أحمد بن يحيى [٢٤٠].

(٢) انظر: كتاب المنزلة بين المنزلتين، تأليف: الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم، نشر: مؤسسة الإمام زيد ابن علي الثقافية - صنعاء، ١٤٢٤هـ [٣٧].

(٣) انظر - بمعناه-: الإرشاد إلى نجاة العباد، لعبد الله بن زيد العنسي [١٩٧-١٩٨].

(٤) انظر: مصباح العلوم في معرفة الحي القيوم، للرصّاص [٤٤].

يرضاها[(١)].

٥- أنَّ الله تعالى يَلْطُفُ لمن له لُطْف[(٢)]، ويُوَفِّقُ المؤمنين، ويُمكِّن جميعَ المكلفين[(٣)].

٦- أنَّ من ابتلاه الله من المكلفين، فإنَّه لابد له من مصلحة وعِوَض عند رب العالمين؛ وذلك أن الابتلاءات من الله تعالى - كما ذكر فيما سبق - وما تقرَّر في معنى الحكمة من أنَّ الحكيم لا يفعل شيئاً عبثاً لغير مصلحة، أو من غير أن يكون هناك عِوَض، أو منفعة أكثر من مضرَّة الابتلاء، لأن ذلك ظلم تنزه عنه الحكيم[(٤)].

ومن المسائل المتعلقة بأصل (العدل)؛ ما يلي:

**المسألة الأولى: إثبات النبوة:**

والمعتمد في تقرير النبوة عند الزيدية أصلان[(٥)]:

أحدهما: أنَّه عليه الصَّلاة والسَّلام ادَّعى النُّبوَّة، وظهر عليه المعجز.

ثانيهما: أنَّ كلَّ مَنْ كان على هذه الصِّفة فهو نَبيٌّ، فيلزم أنْ يكون محمد عليه الصلاة والسلام نبيّاً.

يقول الإمام محمد بن القاسم الرَّسِّي: "اعلم أنَّه لا سبيل إلى معرفة

---

(١) انظر: المصدر السابق [٤٧].

(٢) اللُّطف: "تذكيرٌ بقول أو غيره، حاملٌ على فعل الطاعة، أو ترك المعصية، والالتطاف: العمل بمقتضاه". الأساس لعقائد الأكياس [١١٦].

(٣) انظر: الإرشاد إلى نجاة العباد، للعنسي [١٩٩].

(٤) يعرف يحيى بن حمزة الظلم بأنه: "ضررٌ عارٍ عن جلب منفعة أكثر منه، أو دفعِ مضرَّة أعظم منه، مظنونين، أو معلومين، أو استحقاق، من غير أن يكون في الحكم كأنه من جهة فاعل الضرر". التمهيد [٢/ ٣٦٣].

(٥) انظر: التمهيد، ليحيى بن حمزة [٢/ ٤٢٥].

الأنبياء إلا بمعرفة الدلالة التي تدل عليهم، والدلالة هو ما يحدثه الله عز وجل على أيديهم من المعجزات التي تخرج عن العادة، ويتحدَّى بها أهلَ الصِّناعة، فيعجز عنهم كل من تحدَّوه من أهل الرياسة؛ فإذا أحدث الله ذلك على عبد من عبيده وظهر، كان دلالة على صدقه، وعلى أنَّه رسول صادق، وكان كل من ظهر على يده مُعجِزَةٌ يجب أن يكون نبيّاً؛ لأنَّ الله سبحانه لا يُظهِر مُعجِزاتِه وعلامتَه على أيدي الكذابين، إذاً لبَطُلَت الحقائق، ولم يُفَرَّق بين العاقل والجاهل، ولا بين الصادق والكاذب.."[1].

وتعتقد الزيدية أنَّ الملائكة هم أفضل المخلوقات[2]، ثمّ الأنبياءَ أفضلُ من سائر الناس[3]، ونبينا محمد ﷺ أفضل الأنبياء عليهم السلام، لأنَّ الله أخذ الميثاق على الأنبياء لَيُؤْمِنُنَّ به ولَيَنْصُرُنَّه[4].

**حكم النبوّة عند الزيدية:**

اختلفت الزيدية في حكم النبوَّة، فقال بعضهم: النبوة واجبة عقلاً، لأنَّ تفصيل الشكر الذي قضى بوجوبه العقل لا يُعلَم إلا على ألسنة الرُّسُل، وما لا يتم الواجب إلا به عقلاً وجب عقلاً[5]، وقال بعضهم: إنَّ البعثة

---

(١) مجموع محمد بن القاسم الرسي [٩٨].

(٢) سبيل الرشاد إلى معرفة رب العباد، لمحمد بن الحسن [٧٦].

(٣) انظر: مجموع محمد بن القاسم الرسي [٩٦].

(٤) انظر: سبيل الرشاد، لمحمد بن الحسن [٧٤]. المقصود قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عِمرَان: ٨١].

(٥) انظر: البدر المنير، لليماني [١/١٣٦].

حسنة، وليست واجبة، ولكنَّها فضل من الله تعالى كما في أصل التكليف[١].

## قولهم في العصمة[٢]:

تؤمن الزيدية بعصمة الأنبياء عليهم السلام عن فعل الكبائر، وتُجيز وقوع الصغائر منهم على جهة الخطأ والتأويل، ولا تجيز عليهم كلَّ أمر يقتضي التقصير في أداء ما حُمِّلوه، والإخلالَ به من كذب وسهو وغلط[٣].

**المسألة الثانية: إثبات كلامه تعالى، وهو القرآن:**

اعلم أنَّ عقيدة الزيدية في القرآن قائمة على أمرين[٤]؛ هما:

**الأول**: إثبات أنَّ القرآن كلام الله.

**والثاني**: إثبات أنَّ القرآن مخلوق غير قديم ولا مكذوب.

فالأصل الأول يتحقَّق من خلال إعجاز القرآن؛ فهو معجزة الرسول الكبرى الخالدة، وإعجاز القرآن يتمثل في عجز الجن والإنس عن الإتيان بمثله، أو بسورة منه[٥].

---

(١) انظر: التمهيد، ليحيى بن حمزة [٢/ ٤١٢].

(٢) العصمة عند الزيدية: "ردُّ النفس عن تعمُّد فعل المعصية، أو ترك الطاعة مستمراً، لحصول اللُّطف والتَّنوير عند عروضهما". الأساس لعقائد الأكياس، للإمام القاسم ابن محمد [١١٧].

(٣) انظر: التمهيد، ليحيى بن حمزة [٢/ ٤١٨-٤٢٠].

(٤) انظر: كتاب التبصرة للهاروني [٢٨]، مصباح العلوم للرصَّاص [٤٩ - ٥٠]، الإرشاد إلى نجاة العباد، للعنسي [٢٠٤].

(٥) مختصر في العقيدة، تأليف: د. المرتضى بن زيد المحطوري، (ط٣)، نشر: مكتبة مركز بدر العلمي والثقافي - صنعاء ١٤٢٤هـ [١٨].

ولا يتمُّ الأصل الأول إلا بالأصل الثاني، وهو اعتقاد أنَّ القرآن مخلوق. وهذه هي طريقة الإيمان بكتب الله جميعها عند الزيدية، إذ لا يتم الاعتقاد بها إلا باعتقاد كونها مخلوقة، يقول الإمام محمد بن القاسم الرسي: "ثم لابد من الإيمان بكتب الله عز وجل، ولا سبيل إلى الإيمان بها إلا بعد معرفتها، ومعرفتُها: أنْ تعلمَ أنَّها مُحدَثةٌ كائنةٌ بعد أن لم تكن، وقولنا: كلام الله، كقولنا: سماء الله، وأرض الله، وعبيد الله، إذ لا فاعل لذلك كلِّه غيرُ الله عز وجل"(١).

**الأصل الثالث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:**

وحكمه عند الزيدية فرض أو واجب(٢) إجمالاً يتحتم القيام بهما على كل مُكلَّف(٣).

وهناك خمس مراتب يذكرها الزيدية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي(٤):

١- النُّصح باللِّين، والوعظ والتذكير، والتحذير من غضب الله.

---

(١) مجموع محمد بن القاسم الرسي [١٠٤].

(٢) جمهور الزيدية لا يفرقون بين الفرض والواجب ويرون بأنهما بمعنى واحد خلافاً للناصر الأطروش والإمام الداعي؛ فإنهما يفرقون بينهما، فما كان دليله قطعياً فهو الفرض، وما كان دليله ظنياً فهو الواجب. انظر: الكاشف لذوي العقول عن وجوه معاني الكافل بنيل السؤول، تأليف: أحمد بن محمد لقمان، تحقيق: د. المرتضى المحطوري، (ط٢)، نشر: مكتبة مركز بدر - صنعاء، ١٤٢٥هـ [٣٢-٣٣].

(٣) انظر: المنزلة بين المنزلتين، للإمام الهادي [٦٣]، كتاب الأساس لعقائد الأكياس [١٧١]، سبيل الرشاد [٩٩].

(٤) انظر: الإرشاد إلى نجاة العباد [١٧٢]، سبيل الرشاد إلى معرفة رب العباد، لمحمد ابن الحسن [١٠٠-١٠١].

٢- الخشونة بالقول، والتهديد والوعيد على جهة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٣- التأديب والتعزير بالعصى ونحوها.

٤- المبارزة بالسيف والسِّنان، واللِّسان والجِنان.

٥- المباينة بالأجسام والقلوب والكلام.

كما أن لهم شروطاً ينبغي توفرها في الآمر بالمعروف، الناهي عن المنكر، وهي(١):

**الأول**: التكليف؛ بمعنى أن يكون الآمر والناهي مُكَلَّفاً، لرفع القلم عن غيره.

**الثاني**: القدرة عليهما.

**الثالث**: العلم بكون ما أمر به معروفاً، وما نهى عنه منكراً.

**الرابع**: أن يظن التأثير في وقوع المعروف وإزالة المنكر.

**الأصل الرابع: الإمامة:**

تُعَرِّف الزيدية الإمامة بأنها: " رئاسة عامة باستحقاق شرعي لرجل، فلا يكون فوق يده يد مخلوق "(٢).

ومعنى الاستحقاق الشرعي: أنَّ الإمامة تكون حقاً شرعياً (إلهياً) لطائفة من الناس دون غيرهم، وهم أهل بيت النبي ﷺ من ذرية فاطمة رضي الله عنها، وهذا واضح من خلال الشروط التي يشترطونها في الإمام كما سيأتي.

والإمامة واجبة عند الزيدية، عقلاً وسمعاً عند بعضهم، وسمعاً فقط

(١) كتاب الأساس لعقائد الأكياس [١٧١]، سبيل الرشاد إلى معرفة رب العباد [١٠٠].

(٢) كتاب الأساس لعقائد الأكياس [١٥٠].

عند بعضهم[١]؛ فمن دلالة العقل: أنَّ التظالم واقع، ولا يتم دفعه إلا برئيس، ودفع التظالم واجب عقلاً، فوجب إقامة رئيس لذلك؛ ومن أدلة الشرع، قوله تعالى لخليله إبراهيم: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البَقَرَة: ١٢٤][٢].

وتعتقد الزيدية أنَّ الإمام الحقَّ بعد رسول الله ﷺ هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه نصّاً[٣] من رسول الله ﷺ، ثم من بعده ابناه: الحسن والحسين رضي الله عنهما بالنص أيضاً؛ لحديث: (الحَسَنُ والحُسَين إمامانِ؛ قامَا، أو قَعَدَا)[٤]، ثم تستمر في ذريتهما من بعدهما[٥].

وأما طريق الإمامة بعد الحسنين - عند الزيدية - فهي الخروج والدعوة، يقول محمد بن الحسن: "والإمامة بعدهما - عليهما السلام - لمن قام ودعا من أولادهما دون سائر الناس، وكان جامعاً لشروط الإمامة

(١) انظر: المصدر السابق والصفحة.

(٢) انظر: المصدر السابق [١٥٠-١٥١].

(٣) غالب الزيدية على أنَّ النص غيرُ جلي، قال يحيى بن حمزة: "فأما النص الجلي، وهو الذي يعلم المراد منه بالضرورة، فلم يثبته أحد من الزيدية إلا شواذ منهم، وأثبته الإمامية بأجمعهم". كتاب التمهيد [٢/٥٨٦]، وممن ذكر النص الجلي من الزيدية: محمد بن علي اليماني، في: البدر المنير [١/٢٩].

(٤) الثابت عند أهل السنة: (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة)، كما في سنن الترمذي؛ كتاب: المناقب - باب: مناقب الحسن والحسين [٥/ ٦٦٠-٦٦١]، برقم (٣٧٨١)، وكذا سنن ابن ماجه؛ المقدمة - باب: في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ [٣٧]، برقم (١١٨)، وزاد ابن ماجه وغيره: (وأبوهما خير منهما)، وأما لفظ: (الحسن والحسين إمامان)، فليس في كتب السنن، بل حتى في الموضوعات، وهذا - كما يظهر - من تأليف متأخري الشيعة، والله أعلم!.

(٥) انظر: التبصرة في العدل والتوحيد، للهاروني [٥٦، ٦٦]، التمهيد، ليحيى بن حمزة [٢/٦٠٨].

غيرَ مَسْبوق بِدَاعٍ مُجَاب.."[1].

**شروط الإمامة[2]:**

وتشترط الزيدية فيمن يدعو لنفسه بالإمامة أن تتوفر فيه جملة من الشروط؛ فلابد: أنْ يكون من البطنين، أي: من أولاد الحسن والحسين، وأن يكون ذكراً، حُرّاً، بالغاً، عاقلاً، عالماً مجتهداً في أصول الدين وقواعد الشريعة وفروعها، مُدبِّراً، بمعنى: أن يكون ذا رأي ومتانة، فيُدَبِّر الحرب والسِّلم، ويشتد في موضع الشِّدَّة، ويَلِينُ في موضع اللِّين. وأنْ يكون شجاعاً، عدلاً في الظاهر، سالمَ البَدَن والحواس، ورعاً عمَّا حرم الله، سَخِيّاً، وأن يكون ذا فَضل في الدِّين؛ بحيث يكونُ أفضلَ أهلِ زمانِه، أو من جملة أفاضِلِهم؛ فمن توفرت فيه هذه الشروط ولم يُسبق بداع مُجاب فهو الإمام، وتجب طاعته وتحرم معصيته.

**إمامة المفضول:**

وتجوز إمامة المفضول مع وجود الأفضل عند الزيدية، ويُستَدل على ذلك بتصحيح الإمام زيد بن علي لإمامة أبي بكر وعمر، مع اعتقاده بأفضلية علي بن أبي طالب على سائر الصحابة[3].

والذي يتماشى مع أصولهم أنَّهم لا يشترطون الأفضلية المطلقة، ويكتفون بأَنْ يكون من الفُضلاء - تقدمت الإشارة إليه في الشروط - وأما تصحيح الإمام زيد لإمامة الشيخين فما أظنُّه من هذا الباب، لأنَّ المفضول

---

(١) سبيل الرشاد إلى معرفة رب العباد، لمحمد بن الحسن [٨٦-٨٧].

(٢) انظر: مصباح العلوم في معرفة الحي القيوم، للرصّاص [٨٥-٨٧]، التمهيد، ليحيى بن حمزة [٢/ ٥٥١-٥٥٤].

(٣) انظر: الملل والنِّحل، للشهرستاني [١٠٢].

والفاضل - عند الزيدية - لا بد أن يكونا قد توفرت فيهما الشروط كاملة، لكن تفاوتت بينهما[(١)]، ولم تكتمل شروط الزيدية في أبي بكر ولا عمر لعدم انتسابهما إلى البطنين، والله أعلم!.

**وجود إمامين في زمان واحد:**

ويجوز عند الزيدية أنْ يكون أكثر من إمام في زمان واحد في مكانين مختلفين، ومن الأمثلة على هذا، اعترافهم بإمامة الناصر الأطروش - الحسن بن علي - بخراسان وقد كان معاصراً للإمام الهادي يحيى بن الحسين صاحب اليمن، فقد دعا الأطروش لنفسه بالإمامة سنة **٢٨٤هـ**، وقيل سنة **٢٨٧هـ**، وهي نفس الفترة التي خرج فيها الهادي داعياً بالإمامة[(٢)]؛ بل إنَّ من الزيدية من تجاوز إلى القول بجواز أكثر من إمامين في بلد واحد، وعصر واحد. يقول اليماني[(٣)] - عند قوله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [يس: ١٣-١٤]-: "فنَصَّ الله تعالى على جواز رسولين وثلاثة إلى قرية واحدة، فبالقياس الأولى الذي هو نَصٌّ وزيادة أَنْ يَصِحَّ إماما‌ن وثلاثة في مصر واحد؛ لأنَّ النبوَّة أعظم شأناً من الإمامة، والقول بذلك إجماع، إذا لم يُخْشَ التَّشاجُر، والله أعلم"[(٤)].

---

(١) انظر: التمهيد، ليحيى بن حمزة [٢/ ٥٦٦-٥٦٧].

(٢) انظر: الزيدية نشأتها ومعتقداتها، للأكوع [٢٨-٢٩].

(٣) محمد بن علي بن أحمد بن محمد بن عز الدين بن علي الهادوي، الملقب بالفوطي، فقيه وأصولي زيدي. كان يسكن فوط من بلاد خولان بن عامر بصعدة، وكان يرى جواز تعدد الأئمة في الزمان والمكان الواحد، فدعا لنفسه بها فلم ينل منها إلا اسمها. توفي في صعدة سنة ١٠٦٩هـ. من مؤلفاته: (البدر المنير في معرفة الله العلي الكبير). انظر ترجمته: مقدمة البدر المنير، لليماني [١٣-١٦].

(٤) البدر المنير، لليماني [١-٨١].

**الأصل الخامس: الوعد والوعيد:**

وخلاصتة: وجوبُ اعتقادِ صِدقِ وَعْدِ اللهِ للمؤمنين بالجنة، وخلودِهم فيها، ووجوبُ اعتقادِ صِدقِ وَعِيدِه - سبحانه - للكفار والفُسَّاق بالخلودِ في نار جَهَنَّم(١).

والمعنى: أنْ نَقطَعَ بأَنَّ جميع ما أخبر به الرسول ﷺ من الوعد والوعيد حق، وإذا ثبت ذلك ثبت أنَّ ما أخبر الله تعالى به أنَّه ثابت - يثيب غداً، ويعاقب غداً - فإنه كائن لا محالة، ولا يجوز أن يقع في شيء من خبر الله تعالى، ولا خبر رسوله ﷺ خُلْفٌ ولا تبديل، قال الله تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٢٩﴾ [ق: ٢٩](٢).

ومن المسائل المتعلقة بهذا الأصل:

**الأولى: حقيقة الإيمان عند الزيدية:**

ترى الزيدية أن الإيمان: قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان(٣).

والأعمال الصالحة من الإيمان، من تركها زال عنه اسم الإيمان والدين(٤)، لأن الإيمان - الذي هو الإقرار والتصديق بالقلب واللسان - إنما ينفع إذا أتى العبد بجميع ما فرض الله عليه معه، وازدجر عن جميع ما زجره الله عنه، فإذا فعل كان مستوجباً أن يقال: إنه مؤمن حقاً(٥).

---

(١) انظر: سبيل الرشاد إلى معرفة رب العباد، لمحمد بن الحسن [٥٢].

(٢) انظر: التبصرة في العدل والتوحيد، للهاروني [٤٨-٤٩].

(٣) انظر: سبيل الرشاد إلى معرفة رب العباد [٥٥].

(٤) انظر: المنزلة بين المنزلتين، للإمام الهادي [٤٥].

(٥) انظر: البساط، للناصر الأطروش [٥٤].

واختلفت الزيدية في زيادة الإيمان ونقصانه: فمنهم من قال بأن الإيمان يزيد ولا ينقص؛ لأن الله تعالى إنما ذكر الزيادة ولم يذكر النقصان، ومن هؤلاء الإمام الناصر الأطروش(١).

ومنهم من قال بأن الإيمان يزيد وينقص؛ وذلك أن النقص لازم الزيادة، كما أن الطاعات جميعها - واجباتها ونوافلها - من جملة أعمال الإيمان(٢).

**الثانية: مفهوم الكفر عند الزيدية:**

يعرف الإمام القاسم بن محمد الكفر بأنه: عصيان مخرج لمرتكبه من ملَّة الإسلام(٣).

ورجَّح الإمام يحيى بن حمزة تعريف بعض المتكلمين للكفر، حيث قال: "الكفر هو تكذيب الرسول في شيء مما جاء به مما يعلم ضرورة من دينه، ونعني بالتكذيب: إما نفس التكذيب، وإما ما يعلم من الدين دلالته على التكذيب؛ كلبس الغيار(٤)، وشدّ الزنار. ولعلَّ هذا هو الأقرب في تعريف الكفر"(٥).

**الثالثة: بِمَ يكون الكفر؟**

ويكون الكفر بانتفاء أحد أركان الإيمان الثلاثة؛ فتارك العمل بالكلية

---

(١) انظر: البساط [٦١].

(٢) انظر: سبيل الرشاد، لمحمد بن الحسن [٥٧].

(٣) انظر - مختصراً-: كتاب الأساس لعقائد الأكياس [١٨١].

(٤) الغِيار: علامة أهل الذِّمة كالزنَّار للمجوسي ونحوه يشدُّه على وسْطِه. انظر: المعجم الوسيط، تأليف: مجمع اللغة العربية، (ط٤)، نشر: مكتبة الشروق الدولية - مصر، ١٤٢٥هـ [٦٦٨].

(٥) التمهيد، ليحيى بن حمزة [٢/ ٥١٢].

كافر[١]، وتارك الاعتقاد، المظهر للإيمان بلسانه منافق كافر[٢].

ويكون الكفر بترك شيء من الفرائض على الاستحلال، قال الإمام محمد بن القاسم الرسي: "وكل من أتى كبيرة من الكبائر، أو ترك شيئاً من أوجب الفرائض على الاستحلال لذلك فهو كافر مرتد، حكمه حكم المرتدين، ومن ترك ذلك اتباعاً لهواه، وإيثاراً لشهوته، كان فاجراً فاسقاً كافراً كفر نعمة لا كفر شكر وجحود، ما أقام على خطيئته.."[٣].

والكفر كما أنه يكون بترك العمل، كذلك يكون بالعمل السيئ. قال الأطروش: "فدلَّ بأن كفرهم بعملهم الطالح - والذي هو ضد العمل الصالح - وقال سبحانه في سورة لقمان: ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾﴾ [لقمان: ٢٣]، فأخبر أن كفرهم بأعمالهم"[٤].

**الرابعة: مفهوم الفسق عند الزيدية:**

الفسق: ارتكاب كبيرة عمداً، لم يرد دليل بخروج صاحبها من المِلَّة[٥].

والكبيرة: كل قبيح عقلاً وسمعاً؛ فمن أتاه عمداً قصداً له مع علمه بقبحه، فقد أتى كبيرة، والصغائر: ما وقع على سبيل النسيان والخطأ؛ كخطيئة آدم عليه السلام وغيره من الأنبياء عليهم السلام، وليس بعمد ولا قصد إلى معصية الله[٦].

---

(١) انظر: المنزلة بين المنزلتين، للإمام الهادي [٤٥].

(٢) انظر: سبيل الرشاد إلى معرفة رب العباد، لمحمد بن الحسن [٥٥].

(٣) مجموع محمد بن القاسم الرسي [٣٥-٣٦].

(٤) البساط، للناصر الأطروش [٩٣].

(٥) انظر: كتاب الأساس لعقائد الأكياس، للإمام القاسم [١٨٢].

(٦) انظر: مجموع محمد بن القاسم الرسي [١٢٠].

**الخامسة: حكم فساق أهل القبلة:**

تعتقد الزيدية في فُسَّاق أهل القبلة (مرتكبي الكبائر): كشارب الخمر، والزاني، ونحوهم، أنهم يسمَّون فجَّاراً وفسَّاقاً، ولا يُسمَّون مؤمنين، ويسمون أيضاً: كفَّار نعمة، وهذا قول عامة أئمة الزيدية، وأتباعهم(١).

فأصحاب الكبائر ليسوا كفاراً ولا مشركين ولا منافقين، كما أنهم لا يستحقون أن يطلق عليهم اسم الإيمان أو الإسلام، فكانوا أهل منزلة بين منزلتين؛ وهي منزلة الفسَّاق والفجَّار التي بين منزلة المؤمنين والكافرين في هذه الدنيا(٢).

وأما في الآخرة فإنَّهم مُعذَبون في النار، وخالدون فيها أبداً(٣)، فمن مات على كبيرة من الكبائر، غير تائب منها، لم يَغفِرِ اللهُ له، ولم يَنْجُ من عذاب الله وعقابه عليها(٤)، وأمَّا صغائر الذنوب فإن الله يغفرها لأصحابها إذا اجتنبوا الكبائر(٥).

ويُبنَى على هذا الحكم عند الزيدية عدمُ جواز الاستغفار، أو الدعاء بالرحمة لمن مات على كبيرة من أهل القبلة، مستدلين بقوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النِّساء: ١٢٣](٦).

---

(١) انظر: كتاب الأساس لعقائد الأكياس [١٨٠]، سبيل الرشاد إلى معرفة رب العباد [٥٧-٥٨].

(٢) انظر: المنزلة بين المنزلتين، للإمام الهادي [٥٨].

(٣) انظر: التبصرة في العدل والتوحيد، للهاروني [٤٩]، التمهيد، ليحيى بن حمزة [٢/ ٥٠٦].

(٤) انظر: مجموع محمد بن القاسم الرسي [١٥].

(٥) انظر: البساط، للأطروش [١١٨]، التبصرة، للهاروني [٥٠].

(٦) انظر: مجموع الإمام القاسم بن محمد [١٩٦].

**مسائل الآخرة:**

واستكمالاً لما تقدم نذكر بعضاً من مسائل الآخرة وما يعتقده الزيدية في ذلك مختصراً.

- يعتقد جمهور الزيدية؛ أنَّ الروح تعود إلى صاحبها في قبره، فيشعر بفُراقه للدنيا، ويُحِسُّ بلزَّة(١) القبر، ويتعرَّض لسؤال مُنكَر ونَكير، فيثبِّتُ اللهُ المؤمنين بالقول الثابت من التوحيد والشَّهادة..(٢)، ويُنَعَّمُ المؤمنُ، ويُعذَّبُ الكافر، وكلُّ ذلك في القبر ثابت لمستحقِّه(٣).
- تؤمن الزيدية بأنَّ الله يُفني العالمَ بكل ما فيه، ولا يبقى إلا الله سبحانه وتعالى، ولكن يختلفون في صورة الإفناء؛ هل هو إفناء إعدام، أو هو إفناء تبديد؛ فالأوَّل: قال به جمهور الزيدية(٤).

ويُفَصِّل بعضهم في حقيقة الإفناء، فصورة الإفناء ليست واحدة في جميع المخلوقات؛ فإن المخلوقات منها ما هو أجسام، ومنها ما هو أعراض، ومنها ما هو حيوان، ومنها ما هو جماد، فلمَّا تعَدَّدَت حقيقةُ المخلوقات تنوَّعت طريقةُ إفنائها(٥).

---

(١) لزَّة القبر: ضغطته. قال ابن فارس: "اللام والزاء أصلٌ صحيح يدلُّ على ملازمة ومُلاصَقة. يقال: لُزَّ به، إذا لَصِق به لَزّاً ولَزَازاً. ولازَزْتُه: لاصقته". معجم مقاييس اللغة، تأليف: أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، نشر: دار الفكر - بيروت، ١٣٩٩هـ [٥/ ٢٠٤].

(٢) انظر: البدر المنير، لليماني [٢/ ٤٢٦-٤٢٧].

(٣) انظر: سبيل الرشاد إلى معرفة رب العباد، لمحمد بن الحسن [١٠٦]، كتاب التمهيد، ليحيى بن حمزة [٢/ ٤٧١].

(٤) انظر: كتاب الأساس لعقائد الأكياس، للإمام القاسم بن محمد [١١١].

(٥) فمثلاً: فناء ذوات الأرواح: بذهاب معنى الحياة منها بإذهاب أرواحها وحفظها في غير أجسادها، وأما فناء السموات والأرض: فهو بتبديد وتبديل صفتيهما =

- ونتيجة لاختلافهم في حقيقة الإفناء اختلفوا في الإعادة بعد الإفناء؛ فمن قال بأن الإفناء هو الإعدام قال بأن الإعادة إيجاد المعدوم، ومن قال إن الإفناء هو التبديد قال بأن الإعادة هي تأليف الأجزاء واجتماعها(١).
- وأما المقدار الذي يجب إعادته من الإنسان، فهو هذه الأجزاء التي لا يكون الإنسانُ إنساناً إلَّا بها، وأنَّ التميز إنما هو واقع بها، ويدل على ذلك: أنَّ الذي يجب إعادته هو المثابُ والمعاقَب، والمثاب والمعاقب ليس إلا هذه الأجزاء، فيجب أنْ تكونَ هي المعادة دونَ سواها(٢).
- واختلفت الزيدية في معنى الصُّور المذكور في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ [النَّمل: ٨٧]، فمنهم من أثبته قرناً يَنفُخُ فيه إسرافيل عليه السلام(٣)، ومنهم من يجعله جميعَ الصُّوَر، ومنهم من يقول إنَّه مجاز(٤).
- كما تأولت الزيدية نزول الحق تبارك وتعالى وقالوا: إن الذي ينزل إنما هو أمره، وأن أمر الحساب يوليه ثمانية أصناف من الملائكة، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحَاقَّة: ١٧](٥).

---

= لا تبديل نفس الذات وإعدامها حتى لا تكون شيئاً، وأما الأعراض والمياه ولهب النار والأوقات، وغيرها: ففناؤها فناء عدم وبطلان. انظر: البدر المنير [٢/ ٣١٨-٣٢٣].

(١) انظر: التمهيد، ليحيى بن حمزة [٢/ ٤٦٤].
(٢) انظر: المصدر السابق [٢/ ٤٧٠].
(٣) انظر: الإرشاد إلى نجاة العباد، للعنسي [٢٢٨، ٢٢٩].
(٤) انظر: كتاب الأساس لعقائد الأكياس [١٩٩-٢٠٠].
(٥) انظر: البدر المنير، لليماني [٢/ ٢٨٠ - ٢٨١].

- كما تأول جمهور الزيدية الميزان والصراط؛ وقالوا: إن المراد بالصراط: الحقُّ؛ من إقامة العدل والإنصاف[١]، وليس هناك ميزان على الحقيقة له كِفَّتان ولِسَان[٢]، وأما الصراط فمجاز وليس على الحقيقة[٣].
- ويعتقد جمهور الزيدية أن الجنة والنار غير مخلوقتين الآن، وإنَّما تخلقان وقت الحاجة إليهما - أي: يوم القيامة - بعد أن يتم إفناء العالم ويصير اللَّا فناء، وأن الجنَّة التي كان فيها آدم عليه السلام كانت في الأرض، وليست في السماء[٤].
- وتعتقد الزيدية بثبوت الشفاعة للنبي محمد ﷺ ولغيره من الأنبياء، وللملائكة والمؤمنين في الآخرة، إلا أنها لا تكون إلا برفع درجات أهل الجنة، وأما أهل الكبائر فلا شفاعة لهم[٥].
- وتؤمن الزيدية بحوض النبي ﷺ في الآخرة، وأنَّه كما بين أَيْلَةَ إلى مَكَّة، له ميزابان من الجنة، وأنَّ كؤوسه كعدد نجوم السماء؛ شرابه أشدُّ بياضاً من اللَّبن، وأَحْلَى من العَسَل، وأطيبُ رائحةً من المِسْك[٦].



(١) انظر: الأساس لعقائد الأكياس، للإمام القاسم بن محمد [٢٠٣].
(٢) انظر: البدر المنير [٢/ ٣٤٣].
(٣) انظر: الأساس لعقائد الأكياس [٢٠٤].
(٤) انظر: البدر المنير [٢/ ٥٨-٥٩]، الأساس لعقائد الأكياس [٢٠٦].
(٥) انظر: التبصرة في العدل والتوحيد، للهاروني [٥٢]، الإرشاد إلى نجاة العباد [٢٤٨]، البدر المنير [٢/ ٣٧٣-٣٧٩]، سبيل الرشاد [٦٥-٦٦].
(٦) انظر: الإرشاد إلى نجاة العباد، للعنسي [٢٤٧].

# الفصل الثاني

## التعـريف بأهل السـنة

وفيه مبحثان:

- ❖ المبحث الأول: التعريف بمسمى أهل السنة وضابطة.
- ❖ المبحث الثاني: مجمل عقيدة أهل السنة.

## المبحث الأول

## التعريف بمسمى أهل السنة وضابطه

**تعريف السنة لغة وشرعاً:**

السُّنَّة لُغة: على معان، منها: السِّيرة؛ حميدة كانت أم ذميمة، قال خالد بن عُتبة الهُذَلي:

فلا تَجزَعَنْ مِنْ سِيرَةٍ أَنْتَ سِرْتَها  فَأَوَّلُ رَاضٍ سُنَّةً مَنْ يَسِيرُها(١)

وسَنَنْتُها سَنّاً، واسْتَنَنْتُها: سِرْتُها، وسَنَنْتُ لكم سُنَّةً فاتَّبِعوها، وفي الحديث: (مَنْ سَنَّ سُنَّةً حسَنة فلَه أَجْرُها وأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِها، ومَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً..)(٢) يريد من عملها لِيُقتَدى بهِ فيها؛ وكلُّ من ابتدأ أمراً عمل به قوم بعدَه قيل: هو الذي سَنَّه، قال نَصِيب:

كأَنِّي سَنَنْتُ الحُبَّ أَوَّلُ عاشِقٍ  مِنَ النَّاسِ إِذْ أَحْبَبْتُ مِنْ بَيْنِهِمْ وَحْدِي(٣)

**ومنها**: الطريقة، ومن ذلك الحديث في مجوس هَجَر: (سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة [٣/ ٦١]، مختار الصحاح، تأليف: محمد بن أبي بكر ابن عبد القادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، نشر: مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، ١٤١٥هـ [٣٢٦]، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تأليف: أحمد بن محمد بن المقري الفيومي، نشر: المكتبة العلمية - بيروت [١/ ٢٩٢]، المعجم الوسيط [٤٥٦].

(٢) انظر الحديث بتمامه: صحيح مسلم عن المنذر بن جرير عن أبيه مرفوعاً. كتاب: الزكاة - باب: الحث على الصدقة [٣٩٢]، برقم (١٠١٧).

(٣) انظر: لسان العرب، لابن منظور [٣/ ٢١٢٤].

أَهْلِ الكِتَاب)[١]، أي: اسلكوا بهم طريقهم، يعني: عاملوهم معاملة هؤلاء في إعطاء الأمان بأخذ الجزية منهم[٢].

**والسُّنَّة**: الطريقة المحمودة المستقيمة، ولذلك قيل: فلان من أهل السنة، معناه من أهل الطريقة المستقيمة المحمودة[٣].

**وسُنَّة الله**: حكمه في خليقته، وسُنَّة النبي ﷺ: ما ينسب إليه من قول، أو فعل، أو تقرير[٤].

**والسُّنَّة في الشَّرع**: ما أُضيف إلى النَّبي ﷺ بعد النُّبوَّة؛ من قول، أو فعل، أو تقرير[٥]، وزاد بعضهم: أو صفة خَلقيَّة، أو خُلُقيَّة، أو سيرة؛ سواء قبل البعثة أم بعدها[٦].

---

(١) رواه مالك في الموطأ عن جعفر بن محمد بن علي عن أبيه؛ كتاب: الزكاة - باب: جزية أهل الكتاب [٢/ ٣٩٥]، برقم (٩٦٨)، وقال الألباني: ضعيف. انظر: الإرواء [٥/ ٨٨]، برقم (١٢٤٨).

(٢) انظر: المغرب في ترتيب المعرب، تأليف: أبي الفتح ناصر الدين المطرِّزي، تحقيق: محمود فاخوري، وَ عبد الحميد مختار، نشر: مكتبة أسامة بن زيد - حلب/ سورية، ١٣٩٩هـ [١/ ٤١٧].

(٣) انظر: تهذيب اللُّغة، تأليف: أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، نشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ٢٠٠١م [١٢/ ٢١٠]، لسان العرب [٣/ ٢١٢٤]، تاج العروس من جواهر القاموس، تأليف: أبي الفيض، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، نشر: دار الهداية [٣٥/ ٢٣٠ - ٢٣١].

(٤) انظر: المعجم الوسيط - مجمع اللغة [٤٥٦].

(٥) انظر: مجموع الفتاوى، تأليف: شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، اعتنى بها وخرج أحاديثها: عامر الجزَّار، وَ أنور الباز، (ط٣)، نشر: دار الوفاء - مصر، ١٤٢٦هـ[١٨/ ٨].

(٦) انظر: أصول الحديث علومه ومصطلحه، تأليف: د. محمد عجَّاج الخطيب، (ط٢)، نشر: دار الفكر - بيروت، ١٣٩١هـ [١٩].

**وأهل السنة**: هم الذين التزموا في العقيدة بالقرآن والسنة دون آراء الفلاسفة، ومنهم السلف، ومنهم الخلف(١).

وهم القائلون بخلافة أبي بكر وعمر عن استحقاق، ويقابلهم في ذلك الشيعة.

ويقال لهم: السُّنيَّة: نسبة إلى السُّنَّة، والواحد منهم: سُنِّي، يقال: هو سُنِّي، وهي سُنيَّة(٢).

**أسماء أهل السُّنَّة:**

ولأهل السُّنَّة عدد من الأسماء التي يُعرفون بها، فمن هذه الأسماء:

١) **أهل الحديث والأثر**: لاهتمامهم بأحاديث الرسول ﷺ وآثار الصحابة ﷺ واشتغالهم بها، وتقديمها على الرأي(٣).

٢) **الجماعة، أو أهل الجماعة**: وذلك أنَّهم يجتمعون على العقيدة ولا يتفرقون فيها، ويجتمعون على أمرائهم ولا يخرجون عليهم - كما يفعل أهل البدع - بل هم في ذلك على نمط السَّلف الصالح والسَّواد الأعظم من خير القرون(٤). يقول النبي ﷺ في بيان

---

(١) انظر: معجم لغة الفقهاء، تأليف: د. محمد روا قلعجي، وَ د. حامد صادق قنيبي، (ط٢)، نشر: دار النفائس - بيروت، ١٤٠٨هـ [٩٥].

(٢) المعجم الوسيط [٤٥٦].

(٣) انظر: تلبيس إبليس، تأليف: أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، دراسة وتحقيق (إلى منتصف الكتاب): د. أحمد بن عثمان المزيد، نشر: دار الوطن - الرياض، ١٤٢٢هـ [١/ ١٣٥ - ١٣٦]، الملل والنحل [١٣٩].

(٤) قال الشاطبي: "الجماعة: ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه والتابعون لهم بإحسان". الاعتصام تأليف: أبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللَّخمي الشاطبي، ضبط وتخريج: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، نشر: مكتبة التوحيد - البحرين، ١٤٢١هـ [١/ ٢١].

الجماعة(١): "ما أَنَا عَلَيه وأَصحابي"(٢).

٣) الطائفة المنصورة: وذلك أنَّ أهل السُّنَّة تمسَّكوا بما جاءهم عن الله ورسوله والتزموا به، فلم يحرِّفوا ولم يبدِّلوا، فاستحقوا بذلك النَّصرَ من الله. قال ﷺ: (لَا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ)(٣)، قال محمد بن إسماعيل البخاري(٤): قال علي

---

(١) قال ﷺ: "أَلَا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ؛ ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ". أخرجه أبو داود في سننه عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه؛ كتاب: السنة - باب: شرح السنة [٥/ ٨]، رقم الحديث (٤٥٩٧)، وقد ذكره الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة وأفاض في الكلام عليه، وذكر طرقه، وفنَّد المطاعن فيه، فانظره في موضعه، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، نشر: مكتبة المعارف - الرياض، (١٤١٥ - ١٤٢٢هـ) [١/ ٤٠٤ - ٤١٤]، رقم الحديث (٢٠٤).

(٢) رواه الترمذي في سننه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، كتاب: الإيمان - باب: ما جاء في افتراق هذه الأمة [٥/ ٢٦]، برقم (٢٦٤١)، وقال الترمذي: هذا حديث مفسَّر غريب لا نعرفه مثل هذا إلَّا من هذا الوجه.

(٣) روى الحديث البخاري في صحيحه عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه؛ كتاب: الاعتصام - باب: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق يقاتلون، وهم أهل العلم [٩/ ١٠١]، برقم (٧٣١١)، ومسلم في صحيحه عن المغيرة وغيره؛ كتاب: الإمارة - باب: قوله ﷺ: لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم [٧٩٥]، عن المغيرة برقم (١٩٢١)، واللَّفظ للبخاري.

(٤) البخاري: الإمام الحافظ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي، البخاري. مولده ببخارى سنة ١٩٤هـ، ووفاته بخرتنك قرب سمرقند سنة ٢٥٦هـ. كان آية في الحفظ والإتقان، فكان يحفظ أكثر من ثلاثمائة ألف حديث، منها مائة ألف حديث صحيح، ومنها اختار كتابه الصحيح. من مؤلفاته: (الجامع الصحيح) المعروف بصحيح البخاري، و(التاريخ الكبير)، و(الأسماء والكنى). =

ابن المديني[(١)]: (هم أصحاب الحديث)[(٢)].

٤) **الفرقة الناجية**: ومعنى الناجية؛ أي: الناجية من العذاب بالنار، وذلك لتمسكهم بطريقة النبي ﷺ، وتتبعهم لآثاره؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية[(٣)] رحمه الله: "إنَّ أحقَّ الناس بأنْ تكون هي الفرقة الناجية: أهلُ الحديث والسُّنَّة، الذين ليس لهم مَتبوع يتعصَّبون له إلَّا رسول الله ﷺ، وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله، وأعظمهم تمييزًا بين

---

= انظر: تاريخ بغداد [٢/ ٣٢٢، ٣٥٧]، تهذيب الأسماء، للنووي [١/ ٦٧ - ٦٨]، تذكرة الحفاظ، للذهبي [٢/ ١٠٤-١٠٥]، سير أعلام النبلاء [١٢/ ٣٩١].

(١) ابن المديني: أبو الحسن علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح السعدي مولاهم، المديني، البصري. أجمع أهل الحديث على جلالته وإمامته وبراعته في هذا الشأن. مولده بالبصرة سنة ١٦١هـ، ووفاته بسامراء سنة ٢٣٤هـ. من مؤلفاته: (الأسامي والكنى)، و(الطبقات)، و(قبائل العرب). انظر: تهذيب الأسماء للنووي [١/ ٣٥٠ - ٣٥١]، تذكرة الحفاظ [٢/ ١٣-١٤]، الأعلام، للزركلي [٤/ ٣٠٣].

(٢) سنن الترمذي، كتاب: الفتن - باب: ما جاء في الشام [٤/ ٤٨٥]، حديث رقم (٢١٩٢).

(٣) شيخ الإسلام، تقي الدين، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، الحراني، الدمشقي. ولد بحرَّان سنة ٦٦١هـ، ونشأ وتعلم بدمشق، وفيها تولى التدريس بدار الحديث السكّرية خلفاً لوالده، وكانت له محن كثيرة مع مخالفيه حبس بسببها مراراً حتى كانت وفاته في السجن سنة ٧٢٨هـ. من مؤلفاته: (مجموع الفتاوى)، و(منهاج السنة النبوية)، و(الصارم المسلول على شاتم الرسول). انظر: الذيل على طبقات الحنابلة، تأليف: عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، تحقيق: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، نشر: مكتبة العبيكان - الرياض، ١٤٢٥هـ [٤/ ٤٩١، وما بعدها]، الدارس في تاريخ المدارس، تأليف: عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، تحقيق: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، نشر: مكتبة العبيكان - الرياض، ١٤٢٥هـ [١/ ٥٨]، الدرر الكامنة [١/ ١٤٤]، فوات الوفيات، تأليف: محمد بن شاكر الكتبي، تحقيق: إحسان عباس، نشر: دار صادر - بيروت، ١٩٧٤م [١/ ٧٥، وما بعدها].

صحيحها وسقيمها، وأئمتهم فقهاء فيها وأهل معرفة بمعانيها واتِّباع لها، تصديقًا وعملاً، وحُبًّا وموالاة لمن والاها، ومعاداة لمن عاداها، الذين يَرُدُّون المقالات المجملة إلى ما جاء به من الكتاب والحكمة"[١].

**خصائص أهل السنة:**

ولأهل السنة خصائص عديدة، تميزوا بها عن غيرهم، فمن خصائصهم:

١- الأخذ بكتاب الله، وبأحاديث رسول الله ﷺ، وأحاديث أصحاب رسول الله رضي الله عنهم، وترك الرأي والابتداع[٢]؛ فأهل السُّنَّة لا يُقدِّمون على الكتاب والسنة قول أحد كائناً من كان، ويفهمونهما بحسب فهم الصحابة رضي الله عنهم[٣].

٢- الالتزام بصحيح الحديث وتصديقه، ولا يتجاوزونه بمحض الهوى، فعن عبد الرحمن بن أبي حاتم[٤] قال: سمعت أحمد بن

(١) مجموع الفتاوى [٣/ ٢١٦].

(٢) انظر: الحجَّة في بيان المحجَّة، تأليف: أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي المدخلي، وَ محمد بن محمود أبو رحيم، نشر: دار الراية - الرياض، ١٤١٩هـ [٢/ ٢٦٩].

(٣) انظر: الحجة في بيان المحجة [٢/ ٢٢٤].

(٤) أبو محمد، عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي؛ كان هو وأبوه من كبار حفاظ الحديث. مولده بالري سنة ٢٤٠هـ، ثم ارتحل به أبوه فأدرك الأسانيد العالية، ووفاته سنة ٣٢٧هـ.من مؤلفاته: (الجرح والتعديل)، و(علل الحديث)، و(الرد على الجهمية). انظر: تذكرة الحفاظ [٣/ ٣٤-٣٦]، طبقات الشافعية الكبرى، لابن السبكي [٣/ ٣٢٤-٣٢٦]، الأعلام، للزركلي [٣/ ٣٢٤]، معجم المؤلفين، لعمر كحالة [٢/ ١٠٩].

سنان[١] يقول: "المشبِّهة الذين غلوا فجاوزوا الحديث، فأما الذين قالوا بالحديث فلم يزيدوا على ما سمعوا، فهؤلاء أهل السنة والمتمسِّكون بالصواب والحق، وليس هم بالمشبِّهة!"[٢].

٣- كَثْرَةُ الاشتغال بحديث رسول الله ﷺ تعلُّماً وعَمَلاً، حتى صاروا منسوبين إليه، فقيل عنهم: أهل الحديث، وأهل الأثر، وقد كانوا أحقَّ من ينسب إلى سنة رسول الله ﷺ، فهم الذين رحلوا في طلب الآثار، فأخذوها من معادنها، وجمعوها من مظانِّها وحفظوها ودعوا إلى اتباعها، وعابوا من خالفها[٣].

٤- اتفاقهم في أصول الدين ومسائل الاعتقاد، وعدم الاختلاف في ذلك وإن تباعدت بلدانهم واختلفت أزمانهم[٤].

٥- الالتزام بإقامة شعائر الدين، والدخول في طاعة ولاة الأمور؛ فيقيمون الجُمَع والجماعات، والمناسك والأعياد، والحج والجهاد،

---

(١) أبو جعفر أحمد بن سنان بن أسد بن حِبَّان القطَّان الواسطي، محدَّث، حافظ، مُسْنِد. قال ابن أبي حاتم: هو إمام أهل زمانه. مولده بعد سنة ١٧٠هـ، ووفاته سنة ٢٥٦هـ، وقيل بعدها. من مؤلفاته: كتاب (مسند) مخرج على الرجال. انظر: تذكرة الحفاظ [٢/ ٨٠]، سير أعلام النبلاء [١٢/ ٢٤٤-٢٤٥]، طبقات الشافعية [٢/ ٥]، معجم المؤلفين [١/ ١٤٩].

(٢) الحجة في بيان المحجة، للأصبهاني [١ / ١٨٠-١٨١].

(٣) انظر: فصول من كتاب الانتصار لأصحاب الحديث، تأليف: أبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد التميمي، تحقيق: محمد بن حسين بن حسن الجيزاني، نشر: مكتبة أضواء المنار - المدينة المنورة، ١٩٩٦م [٥٣ - ٥٥].

(٤) انظر: الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، تأليف: أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، تحقيق: أبي عبد الله أحمد بن إبراهيم أبو العينين، نشر: دار الفضيلة - الرياض، ١٤٢٠هـ [٣١٠]، الانتصار لأصحاب الحديث، لأبي المظفر التميمي [٤٢]، الحجة في بيان المحجة [٢/ ٢٢٤-٢٢٥].

والقيام بحماية الثغور. . .إلخ[١].

٦- ترك الإفراط والتفريط في مسائل العقيدة، فهم وسط في ذلك، متبرئون من أقوال أهل الضلال[٢].

**ضابط النسبة إلى السنة:**

مما سبق يتبين أنَّ (أهل السنة) على الحقيقة اسم لجماعة المسلمين الذين يلتزمون بما أُثر عن النبي ﷺ، وكذلك ما أثر عن الصحابه ﷺ، وما أثر عن الأئمة الأعلام من خير القرون التي شهد لها النَّبي ﷺ بالخيرية، وحَضَّ المسلمين على الاقتداء بهم، فقال ﷺ: "خيرُ القرون قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم.."[٣]؛ فأهل السُّنَّة الذين يلتزمون بذلك النَّهج عقيدة وعملاً، فلا يعتقدون خلاف ما اعتقده أولئك، ولا يبتدعون في عباداتهم شيئاً لم يرد به الخبر، ولم يؤثر لدى خير القرون (السَّلف)، فأصل مذهبهم الاتباع وعدمُ الابتداع[٤]، فمَنْ كان على هذه الصورة فهو

(١) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة - اللالكائي [١/ ٢٦].

(٢) انظر: الصفدية، تأليف: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، نشر: دار الهدي النبوي - مصر، ودار الفضيلة - الرياض، ١٣٦٩هـ [٢ / ٣١٠]، الفتوى الحموية الكبرى، تأليف: شيخ الإسلام ابن تيمية، دراسة وتحقيق: د. حمد بن عبد المحسن التويجري، (ط٢)، نشر: دار الصميعي - الرياض، ١٤٢٥هـ [٢٦٧].

(٣) رواه البخاري ومسلم في صحيحهما عن عبد الله بن مسعود ﷺ؛ البخاري: كتاب: الشهادات - باب: لا يشهد على شهادة جور إذا أُشْهِد [٣/ ١٧١]، برقم (٢٦٥٢)، مسلم، كتاب: فضائل الصحابة - باب: فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم [١٠٢٣]، برقم (٢٥٣٣).

(٤) قال عبد الله بن مسعود ﷺ: "اتبعوا ولا تبتدعوا، فقد كفيتم". رواه الدارمي [١/ ٢٨٨]، برقم (٢١١)، والطبراني في الكبير [٩/ ١٦٨]، برقم (٨٧٧٠).

السُّنِّي، ومَنْ خالف في أصل من أصول العقيدة، أو اخترع في العبادات من عند نفسه لم يكن سُنيّاً على الحقيقة، بل هو المبتدع(١)، وقِس على ذلك كلَّ فرقة، فتَعْرِفَ موقعَها من السُّنَّة قُرباً وبُعداً(٢).

وقد يُنسَب إلى السُّنَّة سوى من ذكر - من غير أهل الاتباع - نسبة عامَّة لمجرد موافقة السُّنَّة في بعض المسائل، أو مخالفة الرَّافضة، فإنَّ مُسمَّى السُّنَّة قد يطلق إطلاقاً عامّاً على من سوى الرافضة ممن يُثبِتُ خلافة المشايخ الثلاثة الذين تقدَّموا علياً رضي الله عنهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "فلفظ أهل السُّنَّة يُراد به من أثبت خلافة الخلفاء الثلاثة، فيدخل في ذلك جميع الطوائف إلَّا الرَّافضة، وقد يراد به أهل الحديث والسُّنَّة المحضة، فلا يدخل فيه إلَّا من يثبت الصفات لله تعالى، ويقول: إنَّ القرآن غير مخلوق، وأنَّ الله يُرى في الآخرة، ويُثبت القدر، وغير ذلك من الأصول المعروفة عند أهل الحديث والسُّنَّة"(٣).

ومما لاشك فيه أنَّ النسبة العامة إلى السُّنَّة فيها تجوُّز، لأنَّ حقيقة اتباع

---

(١) قال الشاطبي في تعريف البدعة: "عبارة عن طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه". كتاب الاعتصام [١/ ٤٣]. كما عرف المبتدع بقوله: "والعامل بغير السنة تدينا هو المبتدع بعينه". الاعتصام [١/ ٥٤].

(٢) قد يخطى العالم فيقع في البدعة، فإذا لم يجعل قوله الذي أخطأ فيه قولاً يفارق به جماعة المسلمين، يوالى عليه ويعادى فيه كان من الخطأ المغفور بإذن الله تعالى. انظر: مجموع الفتاوى [٣/ ٢١٧].

(٣) منهاج السنة النبوية، تأليف: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، نشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض، ١٤٠٦هـ [٢/ ٢٢١].

السُّنَّة، وأَحقيَّة النسبة إليها لا يكفي فيها مجرد المتابعة في مسألة أو مسألتين، وإنَّما ينبغي أن يكون الانتساب إليها مؤيَّداً بالاتباع الكامل مع ترك الابتداع في الدِّين.

يقول الإمام الصنعاني رحمه الله: "فأهل السُّنَّة الذين يستحقون هذه الإضافة إلى السُّنَّة النبوية حقيقة والطريقة الرَّسوليَّة يقيناً هم: الذين يتَّبعون أقواله وأفعاله وتقريراته، مقتصرين على ذلك، لا يتجاوزونه إلى بدعة في الدين، هذا إن أريد بالإضافة المستحق لهذا الاسم الشَّريف حقيقة، الذي هو المراد بالإطلاق في لسان الرسول ﷺ، وإنْ أريد الإضافة إليها لأدنى مُلابَسة فالأمر مُتَّسِع، فإنَّه يَصدق على كل مسلم أنَّه من أهل السُّنَّة، فما من مسلم إلَّا وله مُلابَسة وإلمام بالسُّنَّة النَّبويَّة واتصال تصدُق بها الإضافة في الجملة.."[١].

والإطلاق الخاص لأهل السُّنَّة هو المراد هنا من مسمى أهل السُّنَّة، ولمزيد من البيان، فهذه بعض من أقوال علماء السُّنَّة في تمييز السُّنِّي عن غيره.

قال رجال لأبي بكر بن عياش[٢]: يا أبا بكر: مَن السُّنِّي؟. قال: "السُّنِّي: الذي إذا ذُكِرَت الأهواء لم يَغضب لشيء منها"[٣].

---

(١) الأنفاس الرحمانية اليمنية في أبحاث الإفاضة المدنية، تأليف: محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، تحقيق ودراسة: علي بن عبده بن علي الألمعي، نشر: مكتبة الرشد - الرياض، ١٤٢٨هـ [٢٢٣].

(٢) أبو بكر سالم - ويقال: شعبة - بن عياش بن سالم الكوفي المقرئ، مولى واصل الأحدب الأسدي الحناط. فقيه، ومحدث من الثقات. مولده سنة ٩٦هـ، ووفاته بالكوفة سنة ١٩٣هـ. انظر: وفيات الأعيان [٢/ ٣٥٣ - ٣٥٤]، تذكرة الحفاظ [١/ ١٩٤-١٩٥]، سير أعلام النبلاء [٨/ ٤٩٥-٥٠٧]، الأعلام [٣/ ١٦٥].

(٣) الاعتصام، للشاطبي [١/ ١٤٠].

وقال عبد الله بن المبارك[١]: "أصل اثنتين وسبعين هوى: أربعة أهواء، فمِن هذه الأربعة تشعَّبت الاثنتان وسبعون هوى؛ القدرية، والمرجئة، والشيعة، والخوارج؛ فمَن قدَّم أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً على أصحاب رسول الله ﷺ، ولم يتكلَّم في الباقين إلَّا بخير ودعا لهم، فقد خرج من التَّشيُّع أوَّله وآخره؛ ومَنْ قال: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، فقد خرج من الإرجاء أوله وآخره؛ ومن قال: الصَّلاة خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وفاجر، والجهاد مع كل خليفة، ولم يَرَ الخروج على السُّلطان بالسَّيف، ودعا لهم بالصلاح، فقد خرج من قول الخوارج أوَّله وآخره؛ ومن قال: المقادير كلها من الله عز وجل، خيرها وشرَّها، يُضِل من يشاء ويَهدي من يشاء، فقد خرج من قول القدرية أوله وآخره، وهو صاحب السُّنَّة"[٢].

**مصادر تلقي العقيدة عند أهل السنة:**

يعتمد أهل السنة في تلقي عقيدتهم على النقل، والمتمثِّل في الكتاب والسنة والإجماع، فلا يثبتون شيئاً من العقيدة إلَّا من خلال هذه المصادر، وذلك أنَّ العقيدة إنَّما تعالج في غالبها مسائل غيبية لا وصول للحواس

---

(١) أبو عبد الرحمن، عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي بالولاء، التميمي، المروزي، الحافظ، شيخ الاسلام، المجاهد، التاجر، أفنى عمره في الأسفار؛ حاجاً ومجاهداً وتاجراً. سمع الحديث عن جِلَّة من أهل الحديث، وحدَّث عنه خلق كثير، وكان نسيجاً وحده، فجمع الحديث، والفقه، والعربية، وأيام الناس، والشجاعة، والسخاء، ومحبة الفرق له. مولده بمرو سنة ١١٨هـ، ووفاته بهيت سنة ١٨١هـ. من مؤلفاته: (كتاب في الزهد)، و(السنن) في الفقه، و(كتاب التفسير). انظر: وفيات الأعيان [٣/ ٣٢-٣٤]، تذكرة الحفاظ [١/ ٢٠١-٢٠٤]، معجم المؤلفين [٢/ ٢٧١].

(٢) شرح السنة، تأليف: أبي محمد حسن بن علي بن خلف البربهاري، تحقيق: قسم التحقيق بالمكتبة الإسلامية، نشر: المكتبة الإسلامية - القاهرة، ١٤٢٦هـ [٤١].

البشرية إليها. قال أبو عمر بن عبد البر[1]: "ليس في الاعتقاد كلِّه - في صفات الله وأسمائه - إلا ما جاء منصوصاً في كتاب الله، أو صحَّ عن رسول الله ﷺ ، أو أجمعت عليه الأمة، وما جاء من أخبار الآحاد في ذلك كلِّه أو نحوِه يُسَلَّم له ولا يُناظَر فيه"[2].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "ليس الاعتقاد لي، ولا لمن هو أكبر منِّي، بل الاعتقاد يؤخذ عن الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ، وما أجمع عليه سلف الأمة؛ يؤخذ من كتاب الله تعالى، ومن أحاديث البخاري ومسلم وغيرهما من الأحاديث المعروفة، وما ثبت عن سلف الأمة"[3].

وهذا يعني أن أهل السنة لا يعتمدون العقل مصدراً في إنشاء العقائد، وإن كان أداة لا يستغنى عنها في إدراك نصوص الوحي وفهمها على الوجه الصحيح، وإنما يعتمدون على المصدر المعصوم المتمثِّل في: الكتاب، والسنة، والإجماع.

---

(١) الإمام، حافظ المغرب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النَّمَري. مولده بقرطبة سنة ٣٦٨هـ، ووفاته بشاطبة سنة ٤٦٣هـ، وله الكثير من المصنفات الفائقة، منها: (جامع بيان العلم وفضله)، و(التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد)، و(الكافي في الفقه). انظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تأليف: القاضي عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، وَ آخرون، (ط٢)، نشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المملكة المغربية، ١٤٠٣هـ [٨/ ١٢٩ - ١٣٠]، وفيات الأعيان [٧/ ٧١]، تذكرة الحفاظ [٣/ ٢١٧-٢١٨]، سير أعلام النبلاء [١٨/ ١٥٣].

(٢) جامع بيان العلم وفضله، تأليف: أبي عمر يوسف بن عبد الله النَّمَري القرطبي، دراسة وتحقيق: أبي عبد الرحمن فوَّاز أحمد زمَّرلي، نشر: مؤسسة الريان، وَ دار ابن حزم - بيروت، ط١ - ١٤٢٤هـ [٢ / ١٩٥].

(٣) مجموع الفتاوى [٣/ ١٣٠].

**أولاً: الكتاب:**

وهو المصدر الأول الذي يأخذون منه عقيدتهم، ويعتقدون أنه محفوظ بحفظ الله تعالى له عن التغيير والتبديل، مصداقاً لقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحِجر: ٩].

والأصل الذي يسير عليه أهل السنة في أخذهم بالقرآن في باب العقيدة أنَّهم يؤمنون بظواهره ما أمكن، ولا يصرفون اللَّفظ عن ظاهره بتأويل[(١)]، إلَّا إذا توفرت الشروط[(٢)]؛ فيعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه[(٣)]، ولا يَقْفُون ما ليس لهم به علم، فيؤمنون بما جاء عن الله على وفق مراد الله[(٤)].

---

(١) ذُكِرَت هذه القاعدة في: منهج الاستدلال على العقيدة عند أهل السنة والجماعة، تأليف: عثمان علي حسن، (ط٤)، نشر: مكتبة الرشد - الرياض، ١٤١٨هـ [١/ ٣٩١].

(٢) ذكر العلماء للتأويل الصحيح أربعة شروط:
الشرط الأول: أن يكون اللفظ محتملاً للمعنى الذي تأوله المتأول في لغة العرب.
الشرط الثاني: إقامة الدليل على تعين ذلك المعنى إذا كان محتملاً.
الشرط الثالث: إثبات صحة الدليل الصارف للفظ عن حقيقته وظاهره.
الشرط الرابع: أن يسلم الدليل الصارف عن معارض.
انظر - مختصراً-: معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، تأليف: محمد بن حسين بن حسن الجيزاني، نشر: دار ابن الجوزي - السعودية، ١٤١٦هـ [٣٩٤ - ٣٩٥].

(٣) ذكر هذه القاعدة في (منهج الاستدلال على العقيدة عند أهل السنة والجماعة). انظر تفصيل القاعدة في ذات الكتاب [٢/ ٤٦٩].

(٤) روي عن الإمام محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله أنه قال: (آمنت بما جاء عن الله على مراد الله، وآمنت بما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله). ذم التأويل، تأليف: موفق الدين بن قدامة المقدسي، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، نشر: دار الفتح - الشارقة، ١٤١٤هـ [٤٢].

**ثانياً: السنة:**

وهي المصدر الثاني من مصادر تلقي العقيدة عند أهل السنة والجماعة، وهي محفوظة - إجمالاً - بحفظ الله تعالى، إذ أنَّها من الذِّكر الذي تعهَّد الله بحفظه، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩]، وقال تعالى: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النّحل: ٤٤]، والسنة من وحي الله - غير المتلو - إلى النبي ﷺ. قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴿٤﴾﴾ [النّجم: ٣-٤][1]، وهي الحكمة التي أنزلها الله إلى نبيه ﷺ، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ [البَقَرَة: ٢٣١]، وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤][2].

ولما كانت السنة في دين الله بهذه المكانة لم يجد أهل السنة بُدّاً من أن يأخذوا بها في جميع أبواب الدين - قولاً، وعملاً، واعتقاداً - بشرط أنْ يصحَّ النقل إلى النبي ﷺ، وسواء كان الخبر متواتراً أو آحاداً.

وقد كان تعامل أهل السنة مع أحاديث العقيدة كتعاملهم مع آيات

---

(١) قال ابن حزم: "فصحَّ أن كلام رسول الله ﷺ كله - في الدين - وحي من عند الله عز وجل لا شك في ذلك. ولا خلاف بين أحد من أهل اللغة والشريعة في أن كل وحي نزل من عند الله تعالى فهو ذكر منزل، فالوحي كله محفوظ بحفظ الله تعالى له بيقين.. ". الإحكام في أصول الأحكام، تأليف: أبي محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، نشر: دار الحديث - القاهرة، ١٤٠٤هـ [١ / ١١٤].

(٢) قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: "فذكر الله الكتاب وهو القرآن وذكر الحكمة فسمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول الحكمة سنة رسول الله". الرسالة، تأليف: محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت [٧٨].

الكتاب، فهم يعملون بمحكم السنة ويؤمنون بمتشابهها، ويجرون معانيها على الظواهر، ولم يحرفوا، ولم يؤولوا[١] إلا بوجود الشروط المسوِّغة للتأويل[٢].

**ثالثاً: الإجماع:**

وهو المصدر الثالث من مصادر تلقي العقيدة عند أهل السنة، واعتبارهم لهذا المصدر إنَّما هو من باب الكشف عن الدليل، أو رفع درجته، فإنَّ السَّلف ﷺ لا يُجمعون في العقائد على ما لا دليل عليه، ولكنَّه قد يخفى الدليل الذي أجمعوا عليه، فكان إجماعهم كاشفاً في المسألة، ومزيلاً لاحتمال الخطأ الذي قد يتطرَّق إلى الظنِّيَّات، فيرتفع الدليل الظني - بفضل الإجماع - إلى مقام القطعيات؛ فالإجماع - من هذا الباب - دليل مقطوع به في مسائل الاعتقاد، ولا سيما إجماع الصحابة ﷺ[٣].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "والإجماع هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين، وهم [أي: أهل السنة والجماعة] يَزِنُون بهذه الأصول الثلاثة [الكتاب، والسنة، والإجماع] جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة أو ظاهرة مما له تعلُّق بالدين، والإجماع الذي ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح، إذ بعدهم كثر الاختلاف وانتشرت

---

(١) قال ابن قدامة: "وأما الإجماع؛ فإن الصحابة ﷺ أجمعوا على ترك التأويل بما ذكرناه عنهم، وكذلك أهل كل عصر بعدهم، ولم ينقل التأويل إلا عن مبتدع أو منسوب إلى بدعة". ذم التأويل [٣٨].

(٢) سبق ذكر شروط التأويل قريباً عند الكلام على المصدر الأول (القرآن).

(٣) انظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، لعثمان علي حسن [١/ ١٥٤].

الأمة "[١].

وقد دلَّت طريقة أهل العلم على الاعتداد بالإجماع في مسائل العقيدة، فمثلاً: ذكر الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله في رسالته إلى أهل الثغر كثيراً من مسائل الأصول التي أجمع عليها السلف رحمهم الله، فأفرد لها باباً كاملاً ذكر فيه ما يزيد على خمسين مسألة أصولية مما أجمع عليه السلف رضي الله عنهم[٢].

وخلاصة لما سبق فإن مصادر التلقي عند أهل السنة ثلاثة: الكتاب، والسنة، والإجماع، وإن كان الإجماع في الحقيقة تابعاً للكتاب والسنة وناشئاً عنهما[٣].



---

(١) مجموع الفتاوى [٣/ ١٠٤].

(٢) انظر: رسالة إلى أهل الثغر، تأليف: أبي الحسن الأشعري، تحقيق: عبد الله شاكر محمد الجنيدي، (ط٢)، نشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ١٤٢٢هـ [٢٠٩ - ٣١٠].

(٣) انظر: الاعتصام، للشاطبي [٣/ ٢٧٧].

## المبحث الثاني

## مجمل عقيدة أهل السنة

**أول واجب على العبد:**

يعتقد أهل السُّنة أنَّ أوَّلَ واجب على العبد هو شهادة أن لا إله إلا الله[١]، قال الله جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩]، وقال له ولأمته: ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٠]، وقال: ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [هود: ١٤]، وقال: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

وقد كان النبي ﷺ يُرسِل البعوث إلى الأماكن المختلفة، فيأمرهم أنْ يدعوا الناس أوَّلاً إلى توحيد الله عز وجل بقول كلمة التوحيد: (لا إله إلا الله)، فمن قالها عصم دَمَهُ ومالَه، ثم يطالبونهم بعد ذلك ببقية أركان الإسلام، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: "أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلهَ إِلَّا اللهُ وأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله، ويُقِيموا الصَّلاةَ ويُؤتُوا الزكاة، فإذا فَعَلُوا ذلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِماءَهُمْ وأَمْوالَهُم إِلَّا بِحَقِّ الإسلَامِ وحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ"[٢].

---

(١) انظر: شرح الطحاوية، تأليف: علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، نشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - الرياض، ١٤١٨هـ [٢٧].

(٢) صحيح البخاري؛ كتاب: الإيمان - باب: فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم [١/ ١٤]، برقم (٢٥)، واللفظ للبخاري، صحيح مسلم؛ =

وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: "لما بَعَثَ النَّبي ﷺ مُعاذاً نَحو اليمن قال له: إِنَّكَ تَقْدمُ عَلى قَوْم مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ! فَلْيَكُنْ أَوَّلَ ما تدعوهم إلى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تعالى، فإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ، فأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قد فَرَضَ عَلَيْهِم خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِم ولَيْلَتِهِم، فإِذَا صَلَّوا فَأَخبِرْهُم أَنَّ اللهَ افتَرَضَ عَلَيْهِم زكاةً في أَموَالِهم تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِم فَتُرَدُّ عَلى فَقيرهِم، فإِذا أَقَرُّوا بِذَلِكَ، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائمَ أَموَالِ النَّاس"(١).

قال ابن أبي العِزّ(٢): "ولهذا كان الصحيح أنَّ أوَّلَ واجبٍ يجبُ على المكلَّف: شهادةُ أن لا إله إلا الله، لا النَّظرُ، ولا القصدُ إلى النظر، ولا الشَّك، كما هي أقوال لأرباب الكلام المذموم، بل أئمة السلف كلُّهم مُتَّفِقون على أَنَّ أَوَّلَ ما يُؤمَرُ به العبد الشهادتان.. فالتوحيد أوَّلُ ما يُدخِل في الإسلام، وآخِرُ ما يَخرُجُ به من الدُّنيا، كما قال النبي ﷺ: (مَنْ كان آخِرُ كلامِه لا إله إلَّا اللهُ دَخَلَ الجَنَّة)(٣). وهو أوَّلُ واجب وآخِرُ

---

= كتاب: الإيمان - باب: الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ويقيموا الصلاة [٤٣]، برقم (٢٢).

(١) صحيح البخاري؛ كتاب: التوحيد - باب: ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى [٩/ ١١٤]، برقم (٧٣٧٢)، صحيح مسلم؛ كتاب: الإيمان - باب: الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام [٤٢]، برقم (١٩)، واللفظ للبخاري.

(٢) ابن أبي العزّ: علي بن علي بن محمد بن أبي العز، الحنفي، الدمشقي. كان قاضي القضاة بدمشق، ثم بالديار المصرية، ثم بدمشق، وامتحن بسبب اعتراضه على قصيدة لابن أيبك الدمشقي. مولده سنة ٧٣١هـ، ووفاته في سنة ٧٩٢هـ. من مؤلفاته: (التنبيه على مشكلات الهداية) في الفقه، و(النور اللامع فيما يعمل به في الجامع)، أي: جامع بني أمية. انظر: الدُّرَر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، لابن حجر [٣/ ٨٧]، الأعلام، للزركلي [٤/ ٣١٣].

(٣) أخرجه أبو داوود في سننه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه؛ كتاب: الجنائز - باب: التلقين [٣/ ٣١٨]، برقم (٣١١٦). والحديث حسنه الألباني في الإرواء [٣/ ١٤٩]، برقم (٦٨٧).

واجِب!"[١].

**أصول الدين عند أهل السنة[٢]:**

إنَّ أصول الدين عند أهل السنة هي مسائل العقيدة ودلائلها التي تلقَّوها من مصادرهم الأصيلة: (الكتاب والسنة والإجماع)، وما لم يكن عن هذه المصادر فلا يستحق أن يكون من أصول الدين، قال شيخ الإسلام: "وإنَّما الغرض التنبيه على أنَّ في القرآن والحكمة النبوية عامَّة أصول الدين من المسائل والدلائل التي تستحق أن تكون أصول الدين؛ وأمَّا ما يدخله بعض الناس في هذا المسمَّى من الباطل، فليس ذلك من أصول الدين - وإن أدخله فيه - مثل "المسائل"، و"الدلائل" الفاسدة، مثل: نفي الصفات، والقدر ونحو ذلك من المسائل، ومثل: "الاستدلال" على حدوث العالم بحدوث "الأعراض" التي هي صفات الأجسام القائمة بها.."[٣].

فأصول الدين عند أهل السنة والجماعة تابعة لما جاء به الرسول ﷺ، وأصل الدين: الإيمان بما جاء به الرسول[٤]، وأعظم أصول الدين التي جاء بها الرسول ﷺ أركان الإيمان الستة، وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره[٥].

دل على هذه الأصول: الكتاب والسنة، فمن الكتاب: قال تعالى:

---

(١) شرح الطحاوية [٢٧].

(٢) "أصول الدين: هي كل ما ثبت وصح من الدين، من الأمور الاعتقادية العلمية والعملية، والغيبيات الثابتة بالنصوص الصحيحة". حراسة العقيدة، تأليف: د. ناصر ابن عبد الكريم العقل، نشر: مكتبة العبيكان - الرياض، ١٤٢٣هـ [٥٣].

(٣) مجموع الفتاوى [٣ / ١٨٨ - ١٨٩].

(٤) انظر - بتصرف يسير-: شرح الطحاوية، لابن أبي العز [٢٧٨].

(٥) انظر: شرح الطحاوية، لابن أبي العز [٣٥٠].

﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩]، وقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان: ٢].

ومن السنة: ما جاء عن النبي ﷺ في حديث جبريل عليه السلام عندما سأله عن الإيمان، فقال ﷺ: "أَنْ تُؤْمِنَ باللهِ، وملائِكتِه، وكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ، واليَومِ الآخِرِ، وتُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّه"(١).

فجمع ﷺ في هذا الحديث هذه الأمور الستة في مقام واحد للدلالة على أنَّها جميعاً أركان للإيمان، لا يتحقَّقُ إيمانُ عبد إلَّا بها جميعاً.

**الأصل الأول: الإيمان بالله:**

ويتضمَّن هذا الأصل: الإيمانَ بربوبية الله تعالى، والإيمانَ بألوهيته، والإيمانَ بأسمائه وصفاته؛ فأهل السنة يعتقدون بأنَّ الله هو الخالق المدَبِّر - لهذا الكون - وحدَه، لا شريك له في ذلك، وليس له من ظهير، كما يؤمنون بأنَّ الله هو الإله الحقُّ، المستحق للعبادة وحدَه لا شريك له، وأنَّ له الأسماء الحسنى والصفات العُلَى كما أخبر هو عن نفسه في كتابه وفي سنة نبيه ﷺ(٢).

---

(١) رواه مسلم عن عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه؛ كتاب: الإيمان - باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان [٣٦]، رقم الحديث (٨).

(٢) انظر: أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، تأليف: حافظ أحمد الحكمي، دراسة وتحقيق: أحمد بن علي علُّوش، نشر: مكتبة الرشد - الرياض، ١٤١٨هـ [٤٩]، معارج القبول بشرح سلم الوصول، تأليف: حافظ أحمد الحكمي، =

ويعتقد أهل السنة أنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ ونيَّة، يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي[(١)]. وهذا هو المذهب المعتمد لدى غالبية أهل السنة، لم يخالف إلَّا أبو حنيفة ومن تبعه من أصحابه. قال ابن عبد البَر: "أَجمعَ أهلُ الفِقه والحديث على أَنَّ الإيمان قولٌ وعملٌ، ولا عملَ إلا بِنِيَّة، والإيمانُ عندهم يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، والطاعات كلُّها عندهم إيمان، إلا ما ذكر عن أبي حنيفة وأصحابه، فإنَّهم ذهبوا إلى أنَّ الطاعات لا تسمى إيماناً، قالوا: إنَّما الإيمان التصديق والإقرار.. "[(٢)].

**ومن الإيمان بالله الإيمان بأسمائه تعالى وصفاته:**

فأهل السنة يعتقدون بأنَّ لله الأسماء الحسنى، كما أخبر الله سبحانه في كتابه وكما أخبر نَبيُّه ﷺ في سنته. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال:﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]، وقال ﷺ: (إنَّ لله

---

= ضبط وتعليق: عمر بن محمود أبو عمر، (ط٣)، نشر: دار ابن القيم - الدمَّام، ١٤١٥هـ [٢/ ٦٥٥-٦٥٦].

(١) انظر: الرسالة الوافية، تأليف: أبي عمرو الدَّاني، تحقيق: دُغش بن شبيب العجمي، نشر: دار الإمام أحمد - الكويت، ١٤٢١هـ [١٦٩]، الاعتقاد، تأليف: أبي الحسين محمد بن القاضي أبي يعلى الفراء الحنبلي، تحقيق: د. محمد بن عبد الرحمن الخميس، نشر: دار أطلس الخضراء - السعودية، ١٤٢٣هـ [٢٣-٢٤]، لوامع الأنوار البهية، تأليف: محمد بن أحمد السفاريني، (ط٢)، نشر: مؤسسة الخافقين - دمشق، ١٤٠٢هـ [١/ ٤١٦].

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تأليف: أبي عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر النَّمَري، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي وَ آخرون، نشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المملكة المغربية، ١٣٨٧هـ - ١٤١٢هـ [٩ / ٢٣٨].

تِسْعَةً وتِسْعِينَ اسماً، مِائةً إِلَّا واحِداً مَنْ أَحْصَاها دَخَلَ الجَنَّة)[(١)]. ويؤمنون بما جاء من صفات الله تعالى في الوحيين - الكتاب والسنة - فيُثْبِتون لله ما أثبته لنفسه من الصِّفات على ظواهرها، من غير تشبيه لله بخلقه، ومن غير تكييف لصفاته ولا تمثيل، وينفون عنه ما نفاه عن نفسه من صفات النَّقص، مُسلِّمين لله ولرسوله ﷺ، وملتزمين في ذلك بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١][(٢)].

"فما صَحَّ من أحاديث الصِّفات عن رسول الله ﷺ اجتمع الأئمة على أنَّ تفسيرَها قراءتُها، وقالوا: (أَمِرُّوها كَما جاءَتْ)، وما ذكر الله في القرآن مثل قوله عز وجل: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البَقَرَة: ٢١٠]، وقوله عز وجل: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢]؛ كل ذلك بلا كيف ولا تأويل، نُؤمِنُ بها إيمانَ أهل السَّلامة والتَّسليم، ولا نتفكَّر في كَيفيَّتِها، وساحَةُ التَّسليم لأهل السُّنَّة والسَّلامَة واسِعةٌ بحمد الله ومَنِّه"[(٣)].

وهذه هي القاعدة التي يسير عليها أهل السنة في تعاملهم مع نصوص

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. صحيح البخاري؛ كتاب: التوحيد - باب: إن لله مائة اسم إلا واحداً [٩/ ١١٨]، برقم (٧٣٩٢)، صحيح مسلم؛ كتاب: الذكر والدعاء - باب: في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها [١٠٧٥ - ١٠٧٦]، برقم (٢٦٧٧).

(٢) انظر: شرح السنة [١٥-١٦]، عقيدة السلف وأصحاب الحديث، تأليف: أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، تحقيق: أبي اليمين المنصوري، نشر: دار المنهاج - القاهرة، ١٤٢٣هـ [٣٦ - ٣٩]، مختصر معارج القبول، اختصره: أبو عاصم هشام بن عبد القادر آل عُقدة، (ط٥)، نشر: مكتبة الكوثر - الرياض، ١٤١٨هـ [١٨٧].

(٣) الحُجَّة في بيان المحجَّة، للأصبهاني [١ / ٢٤٣].

الصفات الواردة في كتاب الله تعالى وفي سنة رسوله ﷺ لا يحيدون عنها ولا يميلون.

**الإيمان بالرؤية:**

ويعتقد أهل السنة بأنَّ الله يُرى في الآخرة بالأبصار، يراه أهل الإيمان، ويَحجُبُ نفسَه عن أهل الكفر، فقد تقرَّر عند جميع أهل الأديان أنَّ الله تعالى موجود، وكل موجود فهو جائز الرُّؤيَة، وإنَّما تستحيل رؤية المعدوم، وليس ربُّنا بمعدوم![(١)].

والأدلة على ثبوت الرؤية كثيرة؛ قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، وقال: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ [المطففين: ١٥][(٢)]، وقال ﷺ: (إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، فَافْعَلُوا)[(٣)].

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين [١/ ٣٤٦]، عقيدة السلف وأصحاب الحديث [٧٦]، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تأليف: طاهر بن محمد الاسفراييني، تحقيق: كمال يوسف الحوت، نشر: دار عالم الكتب - بيروت، ١٩٨٣م [١٥٧].

(٢) سئل الشافعي رحمه الله عن الرؤية فقال: "يقول الله عز وجل: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ [المطفّفين: ١٥]، ففي هذا دليل على أن المؤمنين لا يحجبون عن الله عز وجل ". شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي [٢/ ٥١٨-٥١٩].

(٣) متفق عليه عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه. البخاري؛ كتاب: مواقيت الصلاة - بَاب: فَضْلُ صَلَاةِ الْعَصْرِ [١/ ١١٥]، برقم (٥٥٤)، مسلم؛ كتاب: المساجد - باب: فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما [٢٤٩]، برقم (٦٣٣).

**الإيمان بالعلو والنزول:**

ومن عقيدة أهل السنة: أنَّ الله فوق سماواته، مُستَوٍ على عَرشه، بائنٌ من خلقه[(١)]، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام: ١٨]، وقال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ﴾ [فاطر: ١٠]، وقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه: ٥]، ويؤمنون بأنه - تعالى - ينزل إلى السماء الدنيا كما صحت بذلك الأخبار، قال ﷺ: (يَنزِلُ رَبُّنَا - تَبارَكَ وتَعالَى - كُلَّ لَيلَةٍ إلى السَّمَاءِ الدُّنيَا حِينَ يَبقَى ثُلُثُ اللَّيلِ الآخِرِ، يَقول: مَنْ يَدعُوني فأَسْتَجِيبَ لَه؟ مَنْ يَسأَلُني فأُعطِيَه؟ مَنْ يَسْتَغفِرُني فأَغْفِرَ لَه؟)[(٢)]. ومثله المجيء والإتيان، قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢]، وقال: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾ [البقرة: ٢١٠]، فيثبتون لله ما تقدَّم من الصِّفات كما يَليقُ به سبحانه وتعالى، من غير تكييف في كل ذلك، ولا تَشبيه لصفاته تعالى بصفات خَلقِه ولا تَمثيل[(٣)].

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين، للأشعري [١/ ٣٤٥]، كتاب الشريعة، تأليف: أبي بكر محمد بن الحسين الآجري، دراسة وتحقيق: د. عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، نشر: دار الوطن - الرياض، ١٤١٨هـ [٣/ ١٠٨١-١١٠٦]، عقيدة السلف وأصحاب الحديث، للصابوني [٤٤-٤٩].

(٢) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة، واللَّفظ للبخاري. انظر: صحيح البخاري؛ كتاب: التهجُّد - باب: الدعاء والصلاة من آخر الليل [٢/ ٥٣]، برقم (١١٤٥)، صحيح مسلم؛ كتاب: صلاة المسافرين وقصرها-باب: الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه [٢٩٩]، برقم (٧٥٨).

(٣) للمزيد عن صفات: (النزول والمجيء والإتيان)، انظر: التبصير في معالم الدين، تأليف: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: علي بن عبد العزيز بن علي الشبل، نشر: دار العاصمة - الرياض، ١٤١٦هـ [١٤٢]، مقالات الإسلاميين [١/ ٣٤٨]، عقيدة السلف وأصحاب الحديث [٥٠-٦٤].

**الإيمان بالقرآن:**

ويعتقد أهل السنة في القرآن أنَّه كلامُ الله تعالى، ووَحيُه، وتَنزيلُه، وأنَّه غَير مخلوق، قال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ١٩٢-١٩٥]، وهو المكتوبُ في المصاحف، المحفوظُ في الصُّدور، المتلو بالألسنة، لم يخرج بذلك عن كونه كلامَ الله حقيقة، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبَة: ٦]، فالتَّالي للقرآن: الإنسان، والمسموعُ منه: كلام الله، ويعتقدون بأنَّ كلامَ الله (القرآن) صفة من صفاته سبحانه، ليس بخالِقٍ ولا مَخلُوق[١]، وعلى هذا أهل السنة أجمعون[٢].

**الأصل الثاني: الإيمان بالملائكة:**

ويعتقد أهل السنة بأَنَّ لله خلقاً من نور[٣]، خلقَهم لعبادتِه وطاعته وكلَّفَهم بها، تُدعى الملائكة، وهم الكِرام البَرَرَة[٤]، لا يَعصون اللهَ ما

(١) انظر - ملخصاً: صريح السنة، تأليف: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: بدر بن يوسف المعتوق، (ط٢)، نشر: مكتبة أهل الأثر - الكويت، ١٤٢٦هـ [٢٤ - ٢٥]، الرسالة الوافية لأبي عمرو الداني [١٥٣]، عقيدة السلف وأصحاب الحديث [٤٠]، الاعتقاد للبيهقي [٩٥].

(٢) انظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر [٢١ / ٢٤١].

(٣) عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: (خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم). أخرجه مسلم في صحيحه؛ كتاب: الزهد والرقائق - باب: في أحاديث متفرقة [١١١٩]، برقم (٢٩٩٦).

(٤) ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [عَبَسَ: ١٦] قال ابن كثير: "أي: خلقهم كريم حَسَنٌ شريف، وأخلاقهم وأفعالهم بارة طاهرة كاملة". تفسير القرآن العظيم، تأليف: أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (ط٢)، نشر: دار طيبة - الرياض، ١٤٢٠هـ [٨ / ٣٢١].

أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون[١].

ويعتقدون بأنَّ للملائكة أعمالاً مختلفة وُكِّلوا بها، فمِنهم حَمَلةُ العَرش، ومنهم الموكلون بالأفلاك، والشمس والقمر، ومنهم الموكلون بقبض الأرواح، ومنهم الرُّسُل إلى أنبياء الله، ومنهم الموكلون بكتابة الأعمال، ومنهم خَزَنة الجنَّة، وخزنة النَّار، ومنهم المسبِّحون لله تعالى، ومنهم السَّاجدون.. وغير ذلك من الأعمال التي أُمِروا بها، فهم يقومون بها كما أُمِروا، من غير زيادة ولا نقصان، وهم أعظم جُنْدِ الله، وما مِن حركة علويَّة ولا سفليَّة إلَّا وهي ناشِئة عن الملائكة، وهذه هي عبادتهم لِرَبِّهم سبحانه وتعالى[٢].

**الأصل الثالث: الإيمان بالكتب:**

ويؤمنون بأَنَّ لله تعالى كُتُباً أنزلها إلى الأرض لهداية البشر، منها ما سماه في كتابه، ومنها ما لم يُسمِه، فما سمَّاه آمنوا به عَيناً، وما لم يُسَمِّ آمنوا به إجمالاً، ويؤمنون بأنَّها جميعَها مُنزلَةٌ من عند الله عز وجل، وأنَّ الله تكلَّم بها حقيقة؛ فمنها المسموع منه تعالى من وراء حِجاب بدون واسِطَةِ الرَّسُول الملكي، ومنها ما بَلَّغَه الرَّسول الملكي إلى الرَّسول البَشَري، ومنها ما كتبه الله تعالى بيده كالتَّوراة، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ

---

(١) انظر: شعب الإيمان، تأليف: أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، تحقيق: د.عبد العلي عبد الحميد حامد، نشر: مكتبة الرشد - الرياض، ١٤٢٣هـ [٢٩٦/١]، معارج القبول بشرح سلم الوصول [٦٥٦/٢ - ٦٥٧].

(٢) انظر - تلخيصاً-: شعب الإيمان [٢٩٦/١]، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، تأليف: محمد بن أبي بكر الزرعي، المعروف بابن القيم، تحقيق: عمرو عبد المنعم سليم، نشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ١٤١٧هـ [٣٩٠-٣٩١]، شرح الطحاوية، لابن أبي العز [٢٧٩-٢٨٠].

أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [الشورى: ٥١]، وقال تعالى في شأن التوراة: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥](١).

وما سمَّاه الله في كتابه من الكتب هي: التَّوراة، والزَّبور، والإنجيل، والقرآن، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ [النساء: ١٦٣]، وقال في عيسى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾ [المائدة: ٤٦]، وقال لمحمد ﷺ في شأن القرآن: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الإسراء: ١٠٦](٢).

ويؤمن أهل السنة بأن الله أنزل القرآن مُصَدِّقاً لما قبله من الكتب ومُهيمناً عليها، ليكون حُجَّةً على جميع البشر، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، ثم تكفَّل بحفظه من التَّحريف والتبديل، دون سابقه من الكتب، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩]، وأمَّا الكتب السابقة فقد حرِّفت وبُدِّلت بعد أن كانت تمثل الدين الحق عند إنزالها(٣).

ومن الإيمان بالقرآن امتثال أوامره واجتناب مناهيه، وتحليل حلالِه وتحريم حرامِه، والاعتبار بأمثالِه، والاتِّعاظ بقَصَصِه، والعَمَل بمُحْكَمِه،

---

(١) انظر - تلخيصاً -: أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، لحافظ حكمي [٩٠]، معارج القبول بشرح سلم الوصول، لحافظ حكمي [٢/ ٦٧١ - ٦٧٢].

(٢) انظر: شرح الطحاوية، لابن أبي العز [٢٩١]، أعلام السنة المنشورة [٩٠-٩١].

(٣) انظر: العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، تأليف: عبد الحميد ابن باديس، تحقيق: محمد الصالح رمضان، نشر: دار الفتح - الشارقة، ١٩٩٥م [٨١ - ٨٢].

والتَّسلِيم لمتشابهه، والوقوف عندَ حدودِه، وتلاوتِه والذَّبِّ عنه، والنَّصيحة لَه ظاهراً وباطناً، قال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ﴾ [المَائدة: ٤٩]، وأمَّا السُّنَّة فإنَّ تحكيمها تَصديقٌ بالكتاب وتحكيمٌ لَه، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحَشر: ٧][1].

**الأصل الرابع: الإيمان بالرسل:**

ويُؤمنُ أهلُ السُّنَّة برسلِ اللهِ جميعاً، مَنْ عُلِمَ اسمه ومَنْ لم يُعْلَم، وأنَّهم صادقون فيما أخبروا عن الله تعالى، وقد بلَّغوا الرِّسالات من غير زيادة ولا نقصان، فهم حُجَّةُ الله تعالى على عباده، قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النِّسَاء: ١٦٥]، وقد أيَّدَهم الله بالمعجزات التي تُبيِّن صدقَ نبوَّتهم، قال ﷺ: (مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مِنْ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ أُومِنَ، أَوْ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنِّي أَكْثَرُهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[2]، وكان القرآن هو المعجزة الكبرى التي أيَّد الله بها خاتَم النبيينَ والرُّسُل محمداً ﷺ[3].

ويُؤمِنُ أهلُ السُّنَّة بأَنَّ دعوة الرُّسُل في أصل الدِّين - وهو توحيد الله عز وجل - مُتَفِقَةٌ مِن أَوَّلِهم إلى آخرهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى [١٢/ ١٨٢-١٨٤]، معارج القبول بشرح سلم الوصول [٢/ ٦٧٥]، العقائد الإسلامية [٨٣].

(٢) رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة - باب: قول النبي ﷺ بعثت بجوامع الكلم [٩/ ٩٢]، رقم الحديث (٧٢٧٤).

(٣) انظر: الرسالة الوافية لأبي عمرو الداني [٢٣٥]، أعلام السنة المنشورة [٩٧-٩٨]، العقائد الإسلامية [٨٥].

أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النّحل: ٣٦]، وإنَّما اختلفت شرائع الأحكام لحكمة أرادها سبحانه، قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًاۚ﴾ [المَائدة: ٤٨](١)

وقد عَصَمَ اللهُ أنبيائَه ورُسُلَه في دعوتهم، فَلَم يَجُزْ في حَقِّهم الكَذِبُ، أو التحريفُ، أو الكِتمانُ، أو الخطأ، لِيَحصُلَ بذلك البلاغُ المبين. قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾ [النّحل: ٣٥].

وأهل السنة متفقون على القول بعِصمة الأنبياء عليهم السلام فيما يُبلِّغونَه عن الله تعالى، وهذا هو مقصود الرِّسالة فإنَّ الرَّسول هو الذي يُبلِّغ عن الله تعالى أمرَه ونهيَه وخَبرَه، وهم في هذا معصومون باتفاق المسلمين بحيث لا يجوز أن يستقر في ذلك شيء من الخطأ(٢).

ومع القول بعصمة الأنبياء، فإنَّ أهلَ السُّنَّة لا يقولون بعصمة أَحَدٍ غير الأنبياء - لا الخلفاء الراشدون، ولا أئمة العلم من الصحابة ولا القرابة - كما يعتقد الشِّيعة في أئمتهم، بل يجوز عندهم وقوع الذنوب منهم، والله تعالى يغفر لهم بالتوبة، ويرفع بها درجاتهم، ويغفر لهم بحسنات ماحية، أو بغير ذلك من الأسباب(٣).

**الأصل الخامس: الإيمان باليوم الآخر:**

ويؤمن أهل السنة باليوم الآخر إجمالاً، وبكل ما ورد من تفاصيله في

---

(١) انظر - تلخيصاً: إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد النبوات، تأليف: محمد بن علي الشوكاني، تصحيح وضبط: جماعة من العلماء، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٤هـ [٥]، أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة [٩٨-١٠٢]، معارج القبول بشرح سلم الوصول [٢ / ٦٧٧].

(٢) انظر: منهاج السنة النبوية، لابن تيمية [١/ ٤٧٠ - ٤٧١].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية [٣٥ / ٤٤].

القرآن والسنة، فيؤمنون ببعث الأجساد من القبور، وما يحصل في ذلك اليوم من الأهوال. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ۝٧﴾ [الحج: ٦-٧].

ويؤمنون بالحساب والميزان، قال تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝٩﴾ [الأعراف: ٨-٩][1].

ويؤمنون بالصراط، جسر حقيقي على ظهر جهنَّم يجوزه الناس على قدر أعمالهم[2]، قال ﷺ: "فيُضرَب الصِّراطُ بين ظهراني جهنَّم، فأكون أولَ من يجوز من الرسل بأمته، ولا يتكلَّم يومئذ أحدٌ إلا الرُّسُل، وكلامُ الرُّسُل يومئذ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ.."[3].

ويؤمنون بحوض النبي ﷺ على ما صَحَّتْ به الأخبار من صفاته، وأَنَّ شَرابَه أَشَدُّ بياضاً من اللَّبن، وأَحلَى من العَسَل، وأَنَّ فيه من الآنية مِثلَ عَدَدِ

---

(١) انظر: الاعتقاد، لابن أبي يعلى [٣٣]، الحجة في بيان المحجة، للأصبهاني [١/ ٢٣٣-٢٣٤].

(٢) انظر: العقيدة، تأليف: أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني - رواية أبي بكر الخلال، تحقيق: عبد العزيز عز الدين السيروان، نشر: دار قتيبة - دمشق، ١٤٠٨هـ [١٢١]، رياض الجنة بتخريج أصول السنة، تأليف: أبي عبد الله محمد بن عبد الله الأندلسي، الشهير بابن أبي زمنين، تحقيق: عبد الله بن محمد عبد الرحيم بن حسين البخاري، نشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية، ١٤١٥هـ [١٦٨]، الرسالة الوافية، لأبي عمرو الداني [٢٠٣]، معارج القبول بشرح سلم الوصول [٢/ ٨٥٠].

(٣) رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة، كتاب: الأذان - باب: فضل السجود [١ / ١٦٠-١٦١]، برقم (٨٠٦).

نُجوم السَّماء، مَن شرب منه لا يظمأ أبداً[(١)].

ويؤمنون بالجنَّة والنَّار، وأنَّهما مخلوقتان الآن، وأنَّهما لا تفنيان أبداً![(٢)]، وأن الله جعل الجنة دار كرامة لأوليائه، إذا دخلوها لم يخرجوا منها أبداً، وجعل النار دار خزي وعقوبة، مَنْ دَخَلَها بكفر لم يَخرُج منها أبداً، ومَنْ دَخَلَها مِنْ أَهل الإيمان، عَذَّبَه بها ما شاء، ثم أَخرجَه منها وأَدخَله الجنَّة[(٣)].

وقبل ذلك يؤمنون بفتنة القبر وما يحصل فيه من سؤال الملكين، ونعيم القبر وعذابه، وكلُ ذلك يؤمنون به على الحقيقة من غير تأويل، ولا تحريف للكلم عن مواضعه[(٤)].

**الشَّفاعة:**

ويؤمن أهل السنة بثبوت الشفاعة عموماً في الآخرة، وهي عدة شفاعات؛ منها: الشفاعةُ الكبرى - خَصَّ الله بها نبيَّه محمداً ﷺ - لأهل

---

(١) انظر: الرسالة الوافية، لأبي عمرو الداني [٢٠٧]، عقيدة السلف وأصحاب الحديث، للصابوني [٧٥]، الاعتقاد، لابن أبي يعلى [٣٣]، شرح الطحاوية، لابن أبي العز [١٩٩].

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين [١/ ٣٤٩]، عقيدة السلف وأصحاب الحديث [٧٧]، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، تأليف: ابن القيم، محمد بن أبي بكر الزرعي، تحقيق: خالد بن محمد بن عثمان، نشر: مكتبة الصفا - القاهرة، ١٤٢٦هـ [٥١].

(٣) انظر: عقيدة السلف وأصحاب الخديث [٧٧]، مجموع الفتاوى [٣/ ٢٣٣]، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، تأليف: سليمان بن عبد الله آل الشيخ، تحقيق: أسامة بن عطايا بن عثمان العتيبي، نشر: دار الصميعي - الرياض، ١٤٢٨هـ [١/ ١٧٤].

(٤) انظر: مقالات الإسلاميين [١/ ٣٤٧]، عقيدة السلف وأصحاب الحديث [٧٢] رياض الجنة بتخريج أصول السنة [١٥٠].

الموقف لفَصْلِ القَضَاء، وهي المقامُ المحمود الذي عَنَاه سبحانه وتعالى في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۝٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩][1].

كما يُؤمِنُ أهلُ السُّنَّة بشفاعةُ النَّبي ﷺ لأهل الكبائر مِنْ أُمَّتِه، على ما صَحَّتْ بذلك الأخبار، قال ﷺ: (شَفاعَتي لأَهلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتي)[2][3].

وهناك شفاعات أخرى للنبي ﷺ يؤمن بها أهل السنة[4]، كما أنَّ هناك شفاعات أخرى لغير محمد ﷺ، فإنَّ الأنبياء تشفع، والشُّهداء تشفع، والصالحون يشفعون بإذن الله تعالى لمن رضي[5].

---

(١) انظر: كتاب التوحيد، تأليف: أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، دراسة وتحقيق: د. عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، نشر: دار الرشد - الرياض، ١٤٠٨هـ [٥٨٨/٢-٥٩٦]، إثبات الشفاعة، تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: إبراهيم باجس عبد المجيد، نشر: دار أضواء السلف - الرياض، ١٤٢٠هـ [٢٠]، شرح الطحاوية [٢٠٢].

(٢) رواه أبو داود والترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه. انظر: سنن أبي داود؛ كتاب: السنة - باب: في الشفاعة [٥/ ٧٠]، رقم الحديث (٤٧٣٩)، وسنن الترمذي؛ كتاب: صفة القيامة - باب: ١١ [٤/ ٦٢٥]، رقم الحديث (٢٤٣٥)، والحديث صحَّحه الألباني في مشكاة المصابيح، تأليف: محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، (ط٢)، نشر: المكتب الإسلامي - بيروت، ١٣٩٩هـ [١٥٥٨/٣]، برقم (٥٥٩٨).

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين [٣٤٧/١]، شرح السنة للبربهاري [١٠]، الاعتقاد لابن أبي يعلى [٣٤]، إثبات الشفاعة للذهبي [٢١]، شرح الطحاوية لابن أبي العز [٢٠٦].

(٤) مثل: شفاعته في قوم استوجبوا دخول النار بذنوبهم، فيشفع فيهم، فلا يدخلون النار ويدخلون الجنة، وكذا شفاعته في رفع درجات أهل الجنة، وغير ذلك. انظر: إثبات الشفاعة للذهبي [٢١ - ٢٢]، شرح الطحاوية [٢٠٢-٢٠٦].

(٥) انظر: شرح السنة، للبربهاري [١٠].

قال ﷺ في حديث الرُّؤية الطويل: (.. فيقول الله تعالى: شَفَعَت الملائكة، وشَفَعَ النَّبيُّون، وشفعَ المؤمنون، ولم يَبْقَ إلَّا أرحمُ الرَّاحمين، فَيَقبِضُ قبضة من النار، فيُخْرِج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط..)[١].

**حكم مرتكب الكبيرة:**

ومما ينبغي الإشارة إليه هنا ذِكر مذهب أهل السنة في مرتكب الكبيرة، فإنَّ عقيدتهم في جواز شفاعة النَّبي ﷺ لأهل الكبائر تابعة لعقيدتهم في أهل الكبائر من هذه الأمة، فأهل السُّنَّة يؤمنون بأنَّ فاعل الكبيرة - من أهل الإيمان - لا يكفر بكبيرته لمجرد فعلها، وأنَّه إذا مات على غير توبة منها، فإنَّه يوم القيامة واقع تحت مشيئة الله تعالى، إنْ شاء عَذَّبَه، وإنْ شَاءَ غَفَرَ له؛ إمَّا ابتداءً، أو بشفاعة الشافعين، وإنْ عَذَّبَه بالنار فإنَّه لا يخلد فيها، ومصيره إلى الجنة[٢].

وقد نقل ابن عبد البر رحمه الله مذهب أهل السنة والجماعة في مرتكبي الكبائر من هذه الأمة، وهو المذهب الذي عليه سائر أهل السنة، فقال رحمه الله: "وأمَّا سائر الفقهاء من أهل الرأي والآثار بالحجاز والعراق والشام ومصر، منهم: مالك بن أنس[٣]، واللَّيث بن

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، كتاب: الإيمان - باب: معرفة طريق الرؤية [١٠٢]، برقم (١٨٣).

(٢) انظر: التبصير في معالم الدين للطبري [١٨٣ - ١٨٤]، شرح السنة للبربهاري [١٠]، عقيدة السلف وأصحاب الحديث [٨٢]، شعب الإيمان، للبيهقي [١/ ٤٦٤ - ٤٦٥]، مجموع الفتاوى [٣/ ٢٣٣].

(٣) أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي، إمام دار الهجرة، وأحد سادات أتباع التابعين، وصاحب المذهب المالكي. مولده بالمدينة النبوية سنة ٩٣هـ، ووفاته بها سنة ١٧٩هـ. من مؤلفاته: (الموطأ)، و(رسالة في الرد على القدرية)، =

سَعد[(١)]، وسُفيان الثوري[(٢)]، والأَوْزَاعي[(٣)]، والشافعي[(٤)]، وأحمد بن

---

= و(رسالة إلى الرشيد). انظر: تهذيب الأسماء واللغات، تأليف: أبي زكريا محي الدين بن شرف النووي، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت [٢/ ٧٥]، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تأليف: ابن فرحون المالكي، تحقيق: د. محمد الأحمدي أبو النور، نشر: دار التراث - القاهرة [١/ ٨٢] الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، تأليف: أبي عمر يوسف بن عبد البر النَّمَري القرطبي، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت [١٠]، التقييد لمعرفة الرواة والسنن والمسانيد، تأليف: أبي بكر محمد بن عبد الغني الشهير بابن نقطة، نشر: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - الهند، ١٤٠٣هـ [٢/ ٢٣٣].

(١) أبو الحارث، اللَّيث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي، مولى خالد بن ثابت بن ظاعن، عالم الديار المصرية، وأصله من أصفهان. قال الشافعي: الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به!. مولده في قلقشنده سنة ٩٤هـ، ووفاته بالقاهرة سنة ١٧٥هـ. من مؤلفاته: (التاريخ)، و(مسائل في الفقه). انظر: طبقات الفقهاء، تأليف: أبي إسحاق الشيرازي، تحقيق: د. إحسان عباس، نشر: دار الرائد العربي - بيروت، ١٩٧٠م [٧٨]، وفيات الأعيان [٤/ ١٢٩، وما بعدها]، سير أعلام النبلاء [٨/ ١٣٦-١٦٣]، الأعلام [٥/ ٢٤٨].

(٢) الثوري: سيد الحفاظ، أبو عبد الله، سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري؛ أجمع الناس على دينه وورعه وزهده وثقته. مولده بالكوفة حوالي سنة ٩٦هـ، ووفاته بالبصرة متوارياً من السلطان سنة ١٦١هـ. من مؤلفاته: (الجامع الكبير)، و(الجامع الصغير) كلاهما في الحديث، و(الفرائض). انظر: طبقات الفقهاء [٨٤]، وفيات الأعيان [٢/ ٣٨٦، وما بعدها]، تذكرة الحفاظ [١/ ١٥١-١٥٣]، الأعلام [٣/ ١٠٥].

(٣) أبو عمرو، عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي، عالم أهل الشام وإمامها في الفقه والزهد. مولده ببعلبك سنة ٨٨هـ، ثم سكن قرية الأوزاع بدمشق فنسب إليها، ووفاته ببيروت سنة ١٥٧هـ. من مؤلفاته: (السنن) في الفقه، و(المسائل)، ويقدر ما سئل عنه بسبعين ألف مسألة أجاب عنها جميعاً. انظر: طبقات الفقهاء [٧٦]، وفيات الأعيان [٣/ ١٢٧-١٢٨]، سير أعلام النبلاء [٧/ ١٠٧-١٣٤]، الأعلام [٢/ ٣٢٠].

(٤) أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع المطلبي القرشي، إمام المذهب الشافعي. مولده بغزة بفلسطين سنة ١٥٠هـ، ونشأته بمكة يتيماً. حفظ =

حنبل[(١)]، وإسحاق بن راهَوَيه[(٢)]، وأبو عبيد القاسم بن سلام[(٣)]،

---

= القرآن ثم الموطأ ولم يجاوز عشر سنين، ثم قصد الإمام مالكاً بالمدينة فلازمه إلى أن مات. رحل في طلب العلم، فجمع بين علم أهل الحجاز وأهل العراق، ثم استقر في آخر أيامه بمصر، وفيها كانت وفاته سنة ٢٠٤هـ من مؤلفاته: (كتاب الأم)، و(الرسالة)، و(اختلاف الحديث). انظر: التاريخ الكبير [١/ ٤٢]، التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد [١/ ٢٣]، تهذيب الأسماء [١/ ٤٤ - ٤٨]، تذكرة الحفاظ [١/ ٢٦٥]، الوفيات، تأليف: أبي العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطيني، تحقيق: عادل نويهض، (ط٤)، نشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت، ١٤٠٣هـ [١٥٥ - ١٥٦].

(١) إمام أهل السنة، وصاحب المذهب المعروف، أحمد بن محمد بن حنبل، الشيباني. مولده ببغداد سنة ١٦٤هـ، وأصله من مرو. نشأ على طلب العلم من الصغر، ثم طاف البلاد في طلب الحديث، فكان يحفظ ألف ألف حديث. نصر الله به السنة عند أن استفحل أمر المعتزلة في فتنة خلق القرآن، فأوذي في ذلك وصبر، ثم فرِّجت المحنة. وكانت وفاته سنة٢٤١هـ من مؤلفاته: (المسند)، و(الناسخ والمنسوخ)، و(الرد على الزنادقة)، وغيرها. انظر: طبقات الفقهاء [٩١-٩٢]، وفيات الأعيان [١/ ٦٣-٦٤]، تذكرة الحفاظ [٢/ ١٥-١٦]، الأعلام [١/ ٢٠٣].

(٢) أبو يعقوب، إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم التميمي، الحنظلي، المروزي، نزيل نيسابور. من سادات العلماء في المشرق والمغرب. جمع بين الحديث والفقه والورع. توفي بنيسابور سنة ٢٣٨هـ من مؤلفاته: (المسند). انظر: طبقات الفقهاء [٩٤]، وفيات الأعيان [١/ ١٩٩-٢٠٠]، سير أعلام النبلاء [١١/ ٣٥٨-٣٨٣].

(٣) أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي البغدادي، إمام في الحديث والفقه واللغة. مولده بهراه سنة ١٥٧هـ، ووفاته بمكة سنة ٢٢٤هـ من مؤلفاته: (غريب الحديث)، و(كتاب الإيمان)، و(أدب القاضي). انظر: وفيات الأعيان [٤/ ٦٠-٦٣]، تذكرة الحفاظ [٢/ ٥-٦]، الأعلام [٥/ ١٧٦]، معجم المؤلفين [٢/ ٦٤٢].

وداود بن علي(١)، وأبو جعفر الطبري(٢)، ومَنْ سَلَكَ سبيلَهم، فقالوا: الإيمانُ قولٌ وعَمَل.. وأهل الذنوب عندهم مؤمنون غيرُ مُستَكمِلي الإيمان من أَجْل ذنوبهم، وإنَّما صاروا ناقصي الإيمان بارتكابهم الكبائر؛ أَلَا ترى إلى قول رسول الله ﷺ: لا يَزني الزَّاني حين يَزني وهو مُؤمن، ولا يَسرق السارقُ حينَ يَسرِقُ وهو مُؤْمِن، ولا يَشرَبُ الخمرَ حينَ يشربُها وهو مُؤْمِن(٣)، يريد مستكمل الإيمان، ولم يُرِدْ به نفيَ جميع الإيمان عن فاعل ذلك، بدليل الإجماع على توريث الزاني والسارق وشارب الخمر، إذا صَلَّوا للقبلة، وانتحلوا دعوة الإسلام، من قرابتهم المؤمنين الذين آمنوا بتلك الأحوال"(٤).

(١) أبو سليمان، داود بن علي بن خلف البغدادي الأصبهاني، أحد الأئمة المجتهدين في الإسلام، وإليه تنسب الطائفة الظاهرية، وسميت بذلك لأخذها بظاهر الكتاب والسنة وإعراضها عن التأويل والرأي والقياس، وكان داود أول من جهر بهذا القول، مولده بالكوفة سنة ٢٠٠هـ، ووفاته ببغداد سنة ٢٧٠هـ. من مؤلفاته: (الإيضاح)، و(الإفصاح)، و(الدعوى والبينات). انظر: الفهرست، تأليف: أبي الفرج محمد بن إسحاق النديم، نشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٩٨هـ [٣٠٣-٣٠٤]، وفيات الأعيان [٢/ ٢٥٥-٢٥٧]، سير أعلام النبلاء [١٣/ ٩٧ - ١٠٨]، الأعلام [٢/ ٣٣٣].

(٢) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري. إمام في كثير من العلوم؛ كالتفسير، والحديث، والفقه، والتاريخ، وله فيها المؤلفات القيّمة؛ مولده بآمل طبرستان سنة ٢٢٤هـ، ووفاته ببغداد سنة ٣١٠هـ. من مؤلفاته: (أخبار الرسل والملوك)، و(جامع البيان عن تأويل القرآن)، و(اختلاف علماء الأمصار). انظر: تاريخ بغداد [٢/ ٥٤٨-٥٥٠]، وفيات الأعيان [٤/ ١٩١ - ١٩٢]، العبر في خبر من غبر، تأليف: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٥هـ [١/ ٤٦٠]، الوفيات لابن قنفذ [٢٠٣].

(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه إنَّ رسولَ الله ﷺ قال: (لا يَزني الزاني حِين يَزني وهو مؤمن، ولا يَسرِقُ السَّارقُ حين يَسْرِقُ وهو مؤمن، ولا يَشرَبُ الخمرَ حينَ يَشربُها وهو مُؤمن). متفق عليه. البخاري؛ كتاب: الأشربة - باب: قوله تعالى: (إنَّما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) [٧/ ١٠٤]، برقم (٥٥٧٨)، مسلم؛ كتاب: الإيمان - باب: بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبِّس بالمعصية على إرادة نفي كماله [٥٤]، برقم (٥٧).

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر [٩ / ٢٤٣].

**الأصل السادس: الإيمان بالقدر:**

ويؤمن أهل السنة بأنَّ الله عز وجل قدَّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض[(١)]، وأنَّ الأقدار كلَّها - من ذوات وأعمال - خيرَها وشرَّها، حلوَها ومرَّها، قد علمها تبارك وتعالى، فكتبها في اللَّوح المحفوظ، ثم خلقها بإرادته ومشيئته، وأنَّ أفعال العباد من القدر؛ عَلِمَها، فكتَبَها، ثمَّ شاءها فخَلَقَها؛ يُضِل من يشاء ويهدي يشاء، ولا يكون في ملكه إلا ما يشاء، تعالى وتقدَّس عن الجهل والإكراه، وأنَّ كُفْرَ الكافِر، وإيمانَ المؤمِن، كل ذلك بمشيئة الله وإرادته، وإنْ كان لا يُحِبُّ الكفر ولا يرضاه، ويُحِبُّ الإيمانَ ويرضاه، ولكنَّه كمالُ العِلم والملك والعِزَّة والقدرة، فلا يكون في ملكوته إلا ما شاء وأذن به وأراد![(٢)].

وعلى هذه العقيدة في القَدَر كافَّةُ أهلِ السُّنَّة والجماعة في جميع الأعصار والأمصار؛ فعن عبد الرحمن بن أبي حاتم - رحمه الله تعالى - قال: "سألت أبي[(٣)] وأبا زُرْعة[(٤)] عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين

---

(١) فعن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (كتب الله مقادير الخلائق كلها قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء). رواه مسلم، كتاب: القدر - باب: حجاج آدم وموسى عليهما السلام [١٠٦٥]، برقم (٢٦٥٣).

(٢) انظر - تلخيصاً: الرسالة الوافية لأبي عمرو الداني [١٤٥ - ١٤٧]، عقيدة السلف وأصحاب الحديث [٨٥-٩٠]، شرح الطحاوية، لابن أبي العز [٢٢٥].

(٣) أبو حاتم، محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران الحنظلي، من كبار علماء الحديث رواية ودراية، ولد في الري سنة ١٩٥هـ وإليها نسبته، وتنقل في البلاد منذ الصغر لطلب الحديث، ووفاته ببغداد سنة ٢٧٧هـ. من مؤلفاته: (تفسير القرآن العظيم)، و(أعلام النبوة)، و(طبقات التابعين). انظر: تذكرة الحفاظ، للذهبي [٢/ ١١٢-١١٣]، شذرات الذهب، لابن العماد [٣/ ٣٢١]، الأعلام، للزركلي [٦/ ٢٧]، معجم المؤلفين، لكحالة [٣/ ١١٨].

(٤) أبو زرعة، عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ القرشي مولاهم، الرازي. =

وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار، وما يعتقدان من ذلك، فقالا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار - حِجازاً، وعِراقاً، وشاماً، ويَمَناً - فكان من مذهبهم: الإيمان قول وعمل، يزيد ويَنقص، والقرآن كلام الله غير مخلوق بجميع جهاته، والقَدَرُ خيرُه وشرُّه من الله عز وجل.."[١].

وقال النووي[٢] رَحِمَهُ اللَّهُ: "تظاهرت الأدلة القطعيات - من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأهل الحل والعقد من السلف والخلف - على إثبات قدر الله سبحانه وتعالى"[٣].

فهذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة في القَدَر لا اختلاف بينهم في إثباته لله تعالى؛ علماً وكتابة ومشيئة وخلقاً، كما لا اختلاف بينهم في بقية أصول الإيمان السِّتَّة، فالحمد لله على توفيقه.

**عقيدتهم في الصحابة:**

إنَّ أهل السُّنَّة هم أحسن الناس قولاً، وأطهرهم قلوباً نحو صحابة

---

= كان من أفراد الدهر حفظاً وذكاء وديناً وإخلاصاً وعلماً وعملاً. مولده بالري سنة ٢٠٠هـ زار بغداد وحدث بها، وجالس أحمد بن حنبل، وكان يحفظ مئة ألف حديث حتى قيل: كل حديث لا يعرفه أبو زرعة ليس له أصل. توفي بالري سنة ٢٦٤هـ. من مؤلفاته: (مسند) في الحديث. انظر: تذكرة الحفاظ [٢/ ١٠٥-١٠٦]، شذرات الذهب [٣/ ٢٧٨]، الأعلام [٤/ ١٩٤]، معجم المؤلفين [٢/ ٣٥١].

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للّالكائي [١/ ١٩٨].

(٢) أبو زكريا، محي الدين يحيى بن شرف النواوي، الدمشقي، الشافعي. علَّامة في الحديث والفقه. مولده بنوى في حوران - في سورية - سنة ٦٣١هـ. ولي مشيخة دار الحديث بدمشق من سنة ٦٦٥هـ إلى أن مات سنة ٦٧٦هـ. من مؤلفاته: (الروضة)، و(المنهاج في شرح مسلم)، و(رياض الصالحين). انظر: تذكرة الحفاظ [٤/ ١٧٤-١٧٦]، شذرات الذهب [٦١٨-٦٢١]، الأعلام [٨/ ١٤٩].

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، تأليف: محيي الدين يحيى بن شرف النووي، (ط٢)، نشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٣٩٢هـ [١/ ١٥٥].

رسول الله ﷺ، فأهل السُّنَّة يَشهدون للصحابة رضي الله عنهم أنَّهم أفضل هذه الأُمَّة، لقوله عليه السلام: (خَيرُ النَّاس قَرنِي، ثُمَّ الذين يَلُونَهُم، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ..)[١].

ويشهدون أنَّ أفضل الصَّحابة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وهم الخلفاء الراشدون المهديُّون، وأنَّ أَوْلَاهم بالإمامة أَفضَلُهُم، أَبو بَكر، ثُمَّ عُمر، ثم عثمان، ثم علي رضي الله عنهم أجمعين، وأنَّ ترتيبَهم في الفضل بحسب ترتيبهم في الخلافة[٢].

كما يشهدون لمن شَهِدَ لهم النَّبيُّ ﷺ بالجنة أنَّهم من أهلها؛ كالعشرة المبشرين بالجنَّة[٣]، وثابت بن قيس[٤]، وغيرهم[٥].

---

(١) رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما - واللَّفظ للبخاري - عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. البخاري؛ كتاب: الشهادات - باب: لا يشهد على شهادة جور إذا أُشهِد [٣/ ١٧١]، برقم (٢٦٥٢)، مسلم؛ كتاب: فضائل الصحابة - باب: فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يَلونهم [١٠٢٤]، برقم (٢٥٣٣).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين [١/ ٣٤٨]، شرح السنة، للبربهاري [١١]، الإمامة والرد على الرافضة، تأليف: أبي نعيم الأصبهاني، تحقيق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، نشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ١٤٠٧هـ [٢٠٦]، عقيدة السلف وأصحاب الحديث [٩٥]، الاعتقاد لابن أبي يعلى [٤٢].

(٣) وهم: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وأبو عبيدة عامر بن الجراح. انظر: سنن الترمذي، كتاب: المناقب - باب: مناقب عبد الرحمن بن عوف [٥/ ٦٤٧]، برقم (٣٧٤٧).

(٤) بشره النبي ﷺ بالجنة وأنه من أهلها، بعد أن ظن بنفسه سوءًا بسبب رفعه صوتَه عند رسول الله ﷺ. انظر: صحيح البخاري، كتاب: التفسير - باب: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحُجرَات: ٢] [٦/ ١٣٧] برقم (٤٨٤٦)، صحيح مسلم، كتاب: الإيمان - باب: مخافة المؤمن أن يحبط عمله [٧٢]، برقم (١١٩).

(٥) انظر: عقيدة السلف وأصحاب الحديث، للصابوني [٩٣].

ويَرون الكَفَّ عمَّا شَجَر بين الصَّحابة، وتطهير الألسنة عن ذكرهم بما يَعيبُهم، أو يُنقِصُ من قدرهم، والتَّرحُّم عليهم، والموالاة لكافَّتِهم، وتَعظيم قَدرِ أزواجِ النَّبي ﷺ، والدُّعاء لهنَّ، ومعرفة فضلهن، والإقرار بأَنَّهنَّ أُمهاتُ المؤمنين[١]، وهذا هو الذي عليه أهل السنة في كل مكان[٢].

**الإمامة عند أهل السنة:**

ويرى أهل السنة في الإمامة أنَّها فَرضٌ على الكفاية، يَجبُ على الأُمَّة أنْ تُقيمَ لها من بينها إماماً ترجع إليه وتَلْتَفُّ حولَه، وهو إلى أَهلِ الحَلِّ والعَقد من الأُمَّة دون النَّص من النَّبي ﷺ[٣].

وتثبت الإمامة عند أهل السنة بالبَيعَة العامَّة من أهل الحل والعَقْد؛ كبيعة الصحابة رضي الله عنهم لأبي بكر رضي الله عنه، أو بالعَهد من الإمام السابق، كما فعل أبو بكر في عَهده لعمرَ رضي الله عنهما، أو بجَعْلِ الإمامة شورى بين عدد مُحدَّد من أهل الحلِّ والعَقد فيختاروا أحدَهم، كما فعل عمر في توليَةِ مَنْ بَعدَه، أو بأَنْ يدعوَ فاضِلٌ لِنَفسِه عند عَدَمِ الإمام، كما فعل عليٌّ بعد مقتل عثمان رضي الله عنهما، أو بالغَلبَة؛ بأَنْ يَغلِبَ على الأمر إنسان مُكتمِلُ الشُّروط، فإن استَتَبَّ

---

(١) انظر: شرح السنة، للبربهاري [١٢، ٣٢]، الرسالة الوافية، لأبي عمرو الداني [٢٣٧]، عقيدة السلف وأصحاب الحديث [١٠١]، مختصر معارج القبول، لحافظ حكمي [٣٩٧].

(٢) نقله اللالكائي عن عبد الرحمن بن أبي حاتم. انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة [١/ ١٩٨].

(٣) انظر: الرسالة الوافية لأبي عمرو الداني [٢٤٠ - ٢٤١]، روضة الطالبين، تأليف: يحيى بن شرف النووي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وَ علي محمد معوَّض، نشر: دار عالم الكتب - الرياض، ١٤٢٣هـ [٧/ ٢٦٣]، لوامع الأنوار البهية، للسفاريني [٢/ ٤١٩].

له الأمر فهو الإمام(١).

ولأهل السُّنَّة في الإمام عدد من الشروط التي ينبغي مراعاتها فيه، وهي: الإسلام، والحريَّة، والعدالة، والتكليف (العقل والبلوغ)، والذكورة، والقُرَشيَّة، وسلامة الحواس(٢)، والدِّرْيَة (العلم والخبرة)، والحُكم (القدرة على إيصال الحق إلى مستحقه، وكف ظلم المعتدي وإقامة الحدود..)(٣).

فمن توفرت فيه هذه الشروط، وثبتت له الإمامة بالطرق المتقدمة فقد وجبت طاعته على الأمة وحرم الخروج عليه، وإنْ جار أو ظلم - من غير كُفْر - فكذلك يَحرُمُ الخروج عليه، وتَجِبُ طاعَتُه في غير مَعصِيَة(٤). والله تعالى أعلم.



---

(١) انظر: الفِصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم [٤/ ١٣٠ - ١٣١]، الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، تأليف: يحيى بن أبي الخير العمراني، تحقيق: د. سعود بن عبد العزيز الخلف، نشر: أضواء السلف - الرياض، ١٤١٩هـ [١/ ١٠١]، و[٣/ ٨٢٣]، روضة الطالبين [٧/ ٢٦٣ - ٢٦٦]، لوامع الأنوار البهية [٢/ ٤٢٢ - ٤٢٣].

(٢) من أهل السنة من لم يقل بهذا الشرط، قال النووي: "وفي اشتراط سلامة سائر الأعضاء كاليد والرجل والأذن خلاف؛ جزم المتولي بأنه لا يشترط، وجزم الماوردي باشتراط سلامته من نقص يمنع استيفاء الحركة وسرعة النهوض وهذا أصح". روضة الطالبين [٧/ ٢٦٢ - ٢٦٣].

(٣) انظر - مختصراً-: روضة الطالبين [٧/ ٢٦٢ - ٢٦٣]، لوامع الأنوار البهية، للسفاريني [٢/ ٤٢٣ - ٤٢٥].

(٤) انظر: شرح السنة، للبربهاري [١٢-١٣]، كتاب الشريعة، للآجري [١/ ٣٧٣، وما بعدها]، الرسالة الوافية لأبي عمرو الداني [٢٤١-٢٤٢].

# الفصل الثالث

## التعريف بالرافضة

وفيه ثلاثة مباحث:

- ❖ **المبحث الأول:** التسمية والنشأة.
- ❖ **المبحث الثاني:** عقائد الرافضة الإمامية.
- ❖ **المبحث الثالث:** أماكن تواجد الرافضة.

# المبحث الأول

## التسمية والنشأة

**أولاً: التسمية:**

**الـرَّفْضُ فـي الـلُّغـة:** تَرْكُكَ الشَّيءَ، تقول: رَفَضَني، فرفَضْتُه(١)، والفاعل للرَّفض يُسَمَّى: رافِض، والجمع: روافِض، والنِّسبَة إليهم: رافِضيّ(٢).

والرَّافِضَة: مؤنَّث الرَّافِض، وطائفة من الجنود تركوا قائدهم وانصرفوا(٣).

والرَّافِضَة: اسمٌ لفرقة من الشِّيعَة تركت زيد بن علي بعد أن بايعته(٤).

**الرَّافِضَة اصطلاحاً:**

بالنظر في تعريفات أهل اللُّغة المتقدمة لمعنى الرافضة، نجد أنَّها

---

(١) انظر: تهذيب اللغة، للأزهري [١٢/ ١٥]، لسان العرب، لابن منظور [٧/ ١٥٦]، التوقيف على مهمات التعاريف، تأليف: محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، نشر: دار الفكر - بيروت، ١٤١٠هـ [١/ ٣٦٩]، كتاب الكليات، تأليف: أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، إعداد: د. عدنان درويش، وَ محمد المصري، (ط٢)، نشر: مؤسسة الرسالة ناشرون - بيروت، ١٤١٩هـ [١/ ٤٧٩].

(٢) انظر: تهذيب اللغة [١٢/ ١٥].

(٣) انظر: تهذيب اللغة [١٢/ ١٥]، المعجم الوسيط - مجمع اللغة [٣٦٠]، وانظر: كتاب الكليات [١/ ٤٧٩].

(٤) انظر: تهذيب اللغة [١٢/ ١٥ - ١٦]، التوقيف على مهمات التعاريف [١/ ٣٦٩]، كتاب الكليات [١/ ٤٧٩]، المعجم الوسيط [٣٦٠].

متجهة نحو واقعة مُعَيَّنة، وهي ترك طائفة من الشيعة لزيد بن علي ومُبايَنَتُه بعد مُبايَعتِه؛ وهذا يدلُّ على أنَّ مُسَمَّى (الرَّافِضَة) لم يكن معروفاً قبل هذه الحادثة، وإِنَّما ظهر أثنائها واستمرَّ بعد ذلك.

وقبل أن نعطي تعريفاً للرافضة في الاصطلاح، نستعرض بعضاً من أقوال العلماء في بيان الرَّافضة:

- قال عبد الله(١) بن الإمام أحمد: "سألتُ أبي: مَن الرافضة؟ قال: (الذين يسُبُّون، أو يَشتمون أبا بكر وعمر)"(٢).
- وقال أبو الحسن الأشعري: "وإنَّما سُمُّوا رافِضَة، لِرَفضِهم إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما"(٣).
- وقال أيضاً: "وكان زيد بن علي يُفَضِّل علي بن أبي طالب على سائر أصحاب رسول الله ﷺ ويتولَّى أبا بكر وعمر، ويرى الخروج على أئمة الجور، فلمَّا ظهر في الكوفة في أصحابه الذين بايعوه سمع من بعضهم الطعن على أبي بكر وعمر فأنكر ذلك على من سمعه منه، فتفرَّق عنه الذين بايعوه، فقال لهم: رفضتموني! فيقال إنَّهم سمُّوا

---

(١) أبو عبد الرحمن، عبد الله بن الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، البغدادي، من حفاظ الحديث، روى عن أبيه علماً كثيراً، من جملته كتاب (المسند) كله، وكتاب (الزهد). مولده ببغداد سنة ٢١٣هـ، ووفاته بها سنة ٢٩٠هـ. من مؤلفاته: (زوائد المسند) زاد به على مسند أبيه نحو عشرة آلاف حديث، و(الزوائد) على كتاب الزهد لأبيه، و(مسند أهل البيت). انظر: تذكرة الحفاظ [٢/ ١٧٣-١٧٤]، سير أعلام النبلاء [١٣/ ٥١٦-٥٢٣]، شذرات الذهب [٣/ ٣٧٧]، الأعلام [٤/ ٦٥].

(٢) كتاب السنة، تأليف: أبي عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل، تحقيق: د. محمد سعيد سالم القحطاني، نشر: دار ابن القيم - الدمام/ السعودية، ١٤٠٦هـ [٢/ ٥٤٨].

(٣) مقالات الاسلاميين [١/ ٨٩].

رافضة لقول زيد لهم: رفضتموني"[١].

- وقال الذهبي[٢]: "ليس تفضيل علي [يعني: على عثمان] برفض ولا هو ببدعة، بل قد ذهب إليه خلق من الصحابة والتابعين، فكلٌّ من عثمان وعلي ذو فضل وسابقة وجهاد، وهما متقاربان في العلم والجلالة، ولَعَلَّهُما في الآخرة متساويان في الدَّرَجة، وهما من سادة الشهداء ﵄، ولكن جمهور الأمة على ترجيح عثمان على الإمام علي وإليه نذهب.

والخطب في ذلك يسير، والأفضل منهما بلا شك أبو بكر وعمر، من خالف في ذا فهو شيعي جلد، ومن أبغض الشيخين واعتقد صِحَّة إمامتهما فهو رافضي مَقِيت، ومَنْ سَبَّهُما واعتقد أنَّهما ليسا بإمامي هُدى فهو من غلاة الرافضة، أبعدهم الله!"[٣].

ومن كلام العلماء المتقدِّم نستخلص أنَّ الرَّافِضَة:

- قومٌ يَشتُمون، ويَسُبُّون أبا بكر وعمر.
- قومٌ رفضوا أبا بكر وعمر، والمعنى: رفضوا إمامَتَهما.
- قومٌ رفضوا زيد بن علي ولم يخرجوا معه، لِتَوَلِّيَه أبا بكر وعمر.
- قومٌ يُبغِضون الشيخين.

ومما سبق يمكن أن نُعطي تعريفاً مقارباً للرافضة، وهو أنَّ:

---

(١) مقالات الإسلاميين [١/ ١٣٧]. ومثله جاء عن البغدادي والشهرستاني في سبب تسمية الرافضة. انظر: الفرق بين الفرق، لعبد القاهر البغدادي [٢٥]، والملل والنحل، للشهرستاني [١٠٢].

(٢) تقدمت ترجمته ص [٦١].

(٣) سير أعلام النبلاء [١٦ / ٤٥٧ - ٤٥٨].

الرافضة: فرقة من الشِّيعَة اشتهرت ببغض الشيخين؛ أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، والطَّعن فيهما، وفي خلافتهما، ولم تتميز عن غيرها من الشيعة إلَّا بمفارقة زيد بن علي وقوله فيهم: أنتم الرافضة، ثم تطوَّر بهم الحال حتى صارت لهم عقائد ومذاهب تختلف عن سائر المسلمين.

**ثانياً: نشأة الرَّافضة:**

لم يكن الرفض مصطلحاً معروفاً قبل خروج زيد بن علي رحمه الله، ورَفْضِ طائفة من الشِّيعَة له، إلَّا أنَّ هذا الرَّفضَ لزيد بن علي كان مُسَبَّباً بمخالفته لهم في تَوَلِّي الشَّيخين أبي بكر وعمر، وإقرارِه بإمامتهما، إذ كانوا لا يَتَوَلَّون الشيخين ولا يُقِرُّون لهما بالإمامة؛ وهذا بلا شك (اعتقاد رافضي) لم يكن وليدَ اللَّحظة، وإنَّما كان سابقاً لذلك الحَدَث؛ فالرَّفض كَمُسَمًّى واصطلاح وإنْ كان ظهوره مُتأَخِّراً، إلا أنه كان شائعاً - قديماً - كمعتقد وسلوك لدى طائفة من الشِّيعة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فإنَّ الذي ابتدع الرَّفض كان يهودياً أظهر الإسلام نفاقاً، ودَسَّ إلى الجهال دسائس يقدح بها في أصل الإيمان، ولهذا كان الرفض أعظم أبواب النِّفاق والزَّندَقَة"[(١)].

وهذا اليهودي الذي قَصَدَه شيخُ الإسلام رحمه الله هو عبد الله بن سبأ اليهودي، الذي بدأ دعوته في زمن الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وبقيت أقواله لدى طائفة من الشيعة (الرافضة) إلى يومنا هذا.

لقد عمل ابن سبأ جاهداً على حَرْفِ مَسَار التَّشَيُّع عن النَّهج الإسلامي إلى نَهْجٍ آخر أَشْبَهَ ما يكون بالنَّهج اليهودي[(٢)]، إذ كان يقول في يهوديَّته بأَنَّ

---

(١) مجموع الفتاوى [٤/ ٢٦٢].

(٢) نقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن الإمام الشعبي رحمهما الله، أنه ذكر كثيراً من =

النَّبيَّ يُوشَعَ وَصِيُّ موسى عليهما السَّلام، ثم لما أسلم قال قولَتَه تلك في علي بن أبي طالب ﷺ، فقال: إنَّ علياً وَصِيُّ محمد ﷺ، كما أظهر العديد من الطوام؛ كالقول بالرجعة والطَّعن في الصَّحابة بما فيهم الخلفاء الثلاثة، والتَّبَرِّي منهم، وراح ينشر ضلالاته في الأفاق ويؤلِّب الناس على إمامهم حتى خرجوا عليه وكان من أمر الناس معه ما كان[(١)].

وقد بلغ غُلوُّ ابن سبأ في أمير المؤمنين - علي بن أبي طالب ﷺ - مبلغاً عظيماً، حتى ادَّعى أُلوهيَّتَه، فتبعه في ذلك فِئامٌ من الناس ممن لم يستقر الإيمان في قلوبهم، ولا علموا الإسلامَ على حقيقته، فما كان من أمير المؤمنين إلَّا أن خَدَّ الأَخاديد، وأَضرَمَ فيها النِّيران، ثم رمى فيها من لم يَتُبْ عن قولته تلك[(٢)].

يقول الجرجاني[(٣)]: "السَّبَئِيَّة: هم أصحاب عبد الله بن سبأ، قال لعلي

---

= أوجه الشبه بين الرافضة والديانة اليهودية والنصرانية، ثم قال: "وفضَلَتْهُم اليهود والنصارى بخصلة؛ قيل لليهود: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى. وقيل للنصارى: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: حواري عيسى. وقيل للرافضة: من شر أهل ملتكم؟ قالوا: حواري محمد - يعنون بذلك: طلحة والزبير - أمروا أن يستغفروا لهم فسبوهم..". منهاج السنة النبوية [١/ ٢٧].

(١) انظر: فرق الشيعة، تأليف: الحسن بن موسى النوبختي، وَ سعد بن عبد الله القُمِّي، تحقيق: د. عبد المنعم الحفني، نشر: دار الرشد - القاهرة، ١٤١٢هـ [٣٢]، تاريخ الطبري [٤/ ٣٤٠-٣٤١]، البداية والنهاية [١٠/ ٢٦٣].

(٢) روى البخاري عن عكرمة قال: أُتيَ عليٌ ﷺ بزنادقة، فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس، فقال: لَو كُنتُ أنا لم أُحْرِقْهُم، لِنَهي رسول الله ﷺ - (لا تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللهِ) - ولَقَتَلْتُهُمْ، لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: (مَنْ بَدَّلَ دِينَه فاقتُلُوه)". صحيح البخاري، كتاب: استتابة المرتدين - باب: حكم المرتد والمرتدة [٩/ ١٥]، برقم (٦٩٢٢).

(٣) الجرجاني: علي بن محمد بن علي الجرجاني، الحسيني، الحنفي. يُعرف بالسيد الشريف، أبو الحسن. عالم مشارك في أنواع من العلوم. مولده بجرجان سنة ٧٤٠هـ، =

رضي الله عنه : أنت الإله حقاً، فنفاه علي إلى المدائن[١]، وقال ابن سبأ: لم يَمُتْ عليٌ ولم يُقتَل، وإنَّما قَتَلَ ابنُ مِلْجَم شيطاناً تَصَوَّر بصورة علي رضي الله عنه، وعلي في السَّحاب؛ والرَّعد صوته، والبَرق سَوْطُه، وأَنَّه ينزل بعد هذا إلى الأرض ويملؤها عدلاً.."[٢].

ومع اشتهار هذه الفرقة الضَّالَّة في زمن أمير المؤمنين رضي الله عنه، وكذا بعد موته، إلَّا أَنَّها كانت فرقةً مَنبوذَة لا قوَّة لها ولا اجتماع إلى أن قُتِلَ الحسين ابن علي رضي الله عنه [٣]، فكان الثَّأرُ من قاتليه الذَّريعةَ التي استطاع قادةُ الرَّفض أن يجمعوا الشيعة عليها، ثم لم يَلبثوا أن افترقوا أيام زيد بن علي رحمه الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ثم ظهر في زمن علي التكلُّم بالرَّفض؛ لكن لم يجتمعوا ويصير لهم قوة إلا بعد مقتل الحسين رضي الله عنه، بل لم يظهر اسم الرَّفض إلَّا حين خروج زيد بن علي بن الحسين بعد المائة الأولى، لما أظهر الترحُّم على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما رفضته الرافضة فسموا: (رافضة)، واعتقدوا أنَّ أبا جعفر هو الإمام المعصوم، واتَّبعه آخرون فسموا: (زَيديَّة) نسبة إليه"[٤].

---

= ووفاته بشيراز سنة ٨١٦هـ. من مؤلفاته: (شرح المفتاح)، و(شرح مواقف الإيجي)، و(التعريفات). انظر: البدر الطالع، للشوكاني [٢/ ٥٢٧-٥٢٩]، الأعلام، للزركلي [٥/ ٧].

(١) لم يكن ابن سبأ موجوداً عندما حرق أمير المؤمنين السبئية القائلين بألوهيته، فقد كان إذ ذاك في منفاه الذي استمر فيه إلى أن توفي أمير المؤمنين علي رضي الله عنه. انظر: الفرق بين الفرق [١٦].

(٢) التعريفات، تأليف: علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، نشر: دار الكتاب العربي - بيروت، ١٤٠٥هـ [١٥٥].

(٣) كان مقتل الحسين بن علي رضي الله عنه يوم الجمعة، العاشر من محرم سنة ٦١هـ. انظر: البداية والنهاية [٩/ ٢٣٩].

(٤) مجموع الفتاوى [٢٨/ ٢٦٨].

وبعد مقتل زيد بن علي تميَّزت الرافضة عن الزيدية، وصارت لها عقائدها التي تتفرَّد بها عن باقي فرق المسلمين، من القول بالرجعة، والبَداء، وعصمة الأئمة، وغير ذلك من العقائد التي سنتعرف عليها لاحقاً.

ومع أنَّ ابن سبأ قد بذر أولى بذور الرَّفض وأَخبَثَها(١)، إلَّا أنَّه لم يشتهر في تلك الأيام القولُ بتكفير الصحابة ممن خالف علياً رضي الله عنهم أجمعين.

قال الذهبي رحمه الله: "وكان الناس في الصدر الأول بعد وقعة صفِّين على أقسام: أهل سُنَّة: وهم أولو العلم، وهم مُحِبُّون للصحابة كافُّون عن الخوض فيما شَجَرَ بينهم؛ كسعد، وابن عمر، ومحمد بن مسلمة، وأُمَم، ثم شيعة: يَتَوَالُون، وينالون ممن حاربوا علياً، ويقولون: إنَّهم مسلمون بغاة ظَلَمَة، ثم نواصِب: وهم الذين حاربوا علياً يوم صفِّين، ويُقِرُّون بإسلام علي وسابقته، ويقولون: خَذَلَ الخليفةَ عثمان.

فما عَلِمتُ في ذلك الزَّمان شيعيّاً كفَّر معاوية وحِزبَه، ولا ناصِبيّاً كفَّر علياً وحِزبَه، بل دخلوا في سَبٍّ وبُغض، ثم صار اليومَ شِيعةُ زماننا يُكفِّرون الصحابة، ويَبرَؤُون منهم جهلاً وعدواناً، ويَتَعَدَّون إلى الصِّديق، قاتلهم الله!.

وأما نواصِبُ وقتنا فقليل، وما عَلِمتُ فيهم مَن يُكفِّر علياً، ولا صحابياً"(٢).

ومعنى هذا أنَّ ما تفعله الرافضة في الأزمنة المتأخرة من تكفير للصحابة، والقول بِردَّتهم إلَّا عدداً يسيراً منهم، كل هذه أمور تأخَّر

---

(١) أعظمها: القول بألوهية علي بن أبي طالب، تعالى الله عما يقوله المبطلون علواً كبيراً!.

(٢) سير أعلام النبلاء [٥ / ٣٧٤].

ابتداعها، فلم تكن على عهد الأوائل من الشيعة، بل حتى في زمن الاقتتال بين شيعة علي ومخالفيهم، لم يكونوا يجرؤون على تكفيرهم، ولَعَلَّ هذا يفيد الارتباط بين مسمى الرَّفض، والطعن في الصحابة رضي الله عنهم، إذ صار الموقف من الصحابة هو الدليل الأبرز في تمييز الرافضة من غيرهم، والله أعلم!.

**فرق الرافضة:**

ولما كان الرفض قديماً في الشيعة، لم يَسلم منه غالب فرقهم، ومن أبرز هذه الفرق التي وُسِمَتْ بالرَّفض إجمالاً:

١- **الغُلاة**: وهم الذين قالوا بإلهيَّة الأئمة، وأباحوا مُحرَّمات الشريعة، وأسقطوا وجوب فرائض الشريعة، وهم فرق كثيرة، وما هم من فرق الإسلام وإن انتسبوا إليه[(١)]، والسَّبئيَّة منهم[(٢)]، فهم أساس هذا المذهب الخبيث كما تقدم الكلام عليهم قريباً.

٢- **الإماميَّة**: و"هم القائلون بإمامة علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد النَّبي ﷺ نصًّا ظاهراً، وتعييناً صادقاً، من غير تعريض بالوصف، بل إشارة إليه بالعين. قالوا: وما كان في الدين والإسلام أمرٌ أهمَّ من تعيين الإمام.."[(٣)].

وقد اتفقت الإماميَّة في سوق الإمامة نصّاً بعد علي رضي الله عنه إلى جعفر بن محمد الصادق، ثم اختلفوا في المنصوص عليه بعده من أبنائه، فصارت

---

(١) انظر: الفرق بين الفرق [١٧].

(٢) ذكر الشهرستاني أن الغلاة إحدى عشرة فرقة، أولها: السبئية. انظر: الملل والنحل [١١٥].

(٣) الملل والنحل [١٠٦].

الإمامية بذلك فرقاً[١]، أشهرها فرقتان:

**الأولى: الإسماعيلية**: زعموا أنَّ الإمام بعد جعفر بن محمد ابنه إسماعيل بن جعفر، إلَّا أنَّه مات في حياة أبيه، فاختلفوا في موته؛ فمنهم من قال: لم يَمُت، لكنَّه أظهر موتَه تقيَّة من خلفاء بني العباس، وهؤلاء هم الإسماعيلية الخالصة، ومنهم من قال بموته، وأنَّ الإمام بعده ابنه محمد بن إسماعيل، وذلك أنَّ النَّص لا يرجع قَهقَرى إلى الأخ بعد الحسن والحسين. ثم اختلفوا بعد ذلك، فمنهم من وقف على محمد بن إسماعيل، وقال برجعته بعد غَيبَتِه، ومنهم من ساق الإمامة في المستورين منهم، ثم في الظاهرين القائمين من بعدهم، وهم الباطنية[٢].

**الثانية: الاثنا عشرية**: وهم أكثر الإمامية في زماننا، وإليهم ينصرف مُسمَّى الرافضة عند إطلاقه، وقد ساقوا الإمامة من جعفر الصَّادق إلى ابنه موسى بن جعفر، ثم إلى ابنه علي بن موسى بن جعفر[٣]، وقالت الاثنا عشرية بإمامة اثني عشر إماماً بالنَّصِّ[٤]، كلُّ واحد منهم يَنُصُّ على من

---

(١) انظر: الملل والنحل [١٠٨، وما بعدها].

(٢) راجع: فرق الشيعة [٧٨]، والفرق بين الفرق [٤٢]، والملل والنحل [١١٠، ١٢٧].

(٣) انظر: الفرق بين الفرق [٤٣]، والملل والنحل [١١١].

(٤) ترتيب الأئمة عند الاثني عشرية على النحو التالي:-
علي بن أبي طالب (ت: ٤٠هـ).
- الحسن بن علي بن أبي طالب (ت: ٤٩هـ).
- الحسين بن علي بن أبي طالب (ت: ٦٤هـ).
- زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ت: ٩٤هـ).
- ابنه، محمد بن علي بن الحسين (الباقر) (ت: ١١٤ ه).
- ابنه، جعفر بن محمد بن علي (الصادق) (ت: ١٤٨هـ).
- ابنه، موسى بن جعفر بن محمد (الكاظم) (ت: ١٨٣هـ). =

بَعدَه، أَوَّلُهم علي بن أبي طالب، وآخرهم: المهدي المنتظر محمد بن الحسن(١).

٣- **الكَيسانيَّة**: نسبة إلى كَيْسَان مولى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقيل: نِسبَة إلى المختار بن أبي عبيد الثقفي، فإنه كان يلقب كَيسان(٢).

والكَيْسَانيَّة فِرق ترجع في مُحَصِّلِها إلى فرقتين؛ **المختارية**: وهم أتباع المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي(٣) والهاشمية: نسبة إلى أبي هاشم عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب(٤)، ويجمع الفرقتين

---

= - ابنه، علي بن موسى بن جعفر (الرضى) (ت: ٢٠٣هـ).
- ابنه، محمد بن علي بن موسى (الجواد) (ت: ٢٢٠هـ).
- ابنه، علي بن محمد بن علي (الهادي) (ت: ٢٥٤هـ).
- ابنه، الحسن بن علي بن محمد (العسكري) (ت: ٢٦٠هـ).
- ابنه، محمد بن الحسن بن علي (المهدي المنتظر).

انظر: مقالات الإسلاميين، للأشعري [١/ ٩٠-٩١]، الشيعة في الميزان، تأليف: محمد جواد مغنية، (ط٤)، نشر: دار الشروق - بيروت، ١٣٩٩هـ [٣٣٥].

(١) سيأتي الكلام عنه في المبحث التالي.

(٢) انظر: فرق الشيعة، للنوبختي [٣٣]، الملل والنحل، للشهرستاني [٩٦].

(٣) أبوه صحابي جليل قاد المسلمين في موقعة الجسر ضد الفرس وقتل فيها، وكان المختار من شيعة علي بن أبي طالب، دعا الناس إلى الطلب بدم الحسين بن علي رضي الله عنه، فغلب على الكوفة وجعل يتبع قتلة الحسين، فقتل عمر بن سعد بن أبي وقاص وشمر بن ذي الجوشن، وغيرهم، ثم ادعى النبوة فقيل له المختار الكذاب، فخرج له مصعب بن الزبير فقتله سنة ٦٧هـ. انظر: تاريخ الإسلام تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، نشر: دار الكتاب العربي - بيروت، ١٤١٠ - ١٤٢١هـ [٥/ ٤٥، وما بعدها]، شذرات الذهب [١/ ٢٩٣].

(٤) كان صاحب الشيعة في أيامه، فلما أحس بالموت ذهب إلى محمد بن علي بن عبدالله بن عباس فعرَّفه حاله، وصرف إليه شيعته وأفضى إليه بأسراره، ثم =

القول بإمامة محمد بن الحنفية بعد علي بن أبي طالب، ومنهم من قال بعد الحسن والحسين، واختلفوا في موته؛ فقالت المختارية: إنَّه حي لم يمت، ويزعمون أنه المهدي المنتظر، وأقرَّت الهاشمية بموته، ونقلت الإمامة بعده إلى ابنه أبي هاشم عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب، ثم اختلفوا بعد ذلك[١] .

٤- **الجارودية من الزيدية**: نسبة إلى أبي الجارود زياد بن المنذر[٢]؛ زعموا أن الإمام بعد النبي ﷺ هو علي بن أبي طالب بالنَّصِّ منه ﷺ، وأنَّ من دفع علياً عن مقام الإمامة فهو كافر، وأنَّ الأُمَّة كفرت وضَلَّت في تركها بيعته[٣].

ومما ينبغي الإشارة إليه أنَّ الجارودية بنسبتها إلى الرَّفض لا يعني أنَّ الزيدية بعمومها روافض، كما وقع من بعض العلماء الذين كتبوا في الفرق، حيث جعلوا الزيدية جميعها رافضة، كما في (الفرق بين الفرق) حيث قال البغدادي[٤]: "ثم افترقت الرافضة بعد زمان علي رضي الله عنه أربعة أصناف:

---

= مات عنده، وذلك في سنة ٩٨هـ. انظر: وفيات الأعيان [٤/ ١٨٨]، سير أعلام النبلاء [٤/ ١٢٩-١٣٠]، شذرات الذهب [١/ ٣٩٣].

(١) مختصراً: الفرق بين الفرق [١٧]، الملل والنحل [٩٧ - ١٠٠].

(٢) تقدمت ترجمته ص [٥٠].

(٣) انظر: فرق الشيعة، للنوبختي [٣١]، الفرق بين الفرق، للبغدادي [٢٢]، الملل والنحل، للشهرستاني [٥٤].

(٤) عبد القاهر بن طاهر بن محمد الاسفرائيني، التميمي. عالم متفنِّن من أئمة الأصول. مولده ونشأته ببغداد، ورحل إلى خراسان فاستقر في نيسابور، ومات في أسفرائين سنة ٤٢٩هـ. من مؤلفاته: (فضائح المعتزلة)، و(الفرق بين الفرق)، و(التحصيل في أصول الفقه). انظر: سير أعلام النبلاء [١٧/ ٥٧٢-٥٧٣]، طبقات الشافعية الكبرى [٥/ ١٣٦، وما بعدها].

زيدية، وإمامية، وكيسانية، وغُلاة.."[1]، وهذا لَعلَّه كان منه تغليباً، فإن الرفض قد سَرَى في غالب فرق الشيعة، إلَّا أنَّنا عند التدقيق في المسألة نجد أنَّ وَسْمَ الزيدية - جملة - بالرَّفض، وجعلها ضمن فرق الرافضة - باستثناء فرقة الجارودية - أمر غير دقيق، وذلك أنَّ من أبرز ما تميَّزت به الزيدية - تبعاً لإمامهم زيد بن علي - التولِّي لصحابة النبي ﷺ، والإقرار بإمامة الشيخين أبي بكر وعمر!. والمخالفةُ في هذا الأصل - كما تقدم - هي أُسُّ مذهب الرَّفض وعمودُه وسَبَبُه، فإذا أُلْحِقَتِ الزيدية بالرافضة جُملة، كان ذلك إلغاءً للسَّبب الذي ميَّز الشيعة وظهرت بموجبه الرَّافضة.

وأما الجارودية من الزيدية، فقد حَوَتْ عقائدها ما يصلح معه أن تُنْسَب إلى الرفض؛ كالطعن في الصحابة، وعدم الإقرار بخلافة الشيخين، والقول بالنص الجلي على إمامة علي وابنيه، وغير ذلك.

يقول شيخُنا، الدكتور ناصر بن عبد الله القفاري حفظه الله: "والذي يُلاحَظ على إطلاق اسم الرافضة على كل فرق الشيعة هو أنَّه ينبغي استثناء الزيدية، أو بعبارة أَدقّ استثناء الزيدية ما عدا فرقة الجارودية منها، لأنَّ الجارودية سلكت مسلك الروافض، ولذلك فإنَّ شيخ الشيعة المفيد اعتبر الجارودية هي الشيعة، وما عداها من فرق الزيدية، فليسوا بشيعة[2]، وذلك

---

(١) الفرق بين الفرق [١٦].

(٢) قال الشيخ المفيد: "وإذا ثبت ما بيناه بالسِّمة بالتشيع كما وصفناه، وجبت للإمامية والزيدية الجارودية من بين سائر فرق الأمة، لانتظامهم بمعناها، وحصولهم على موجبها، ولم يخرجوا عنها، وإن ضموا إليها وفاقاً بينهم أو خلافاً في أنحاء من المعتقدات..". أوائل المقالات، تأليف: الشيخ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، تحقيق: إبراهيم الأنصاري، نشر: المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد - قم/ إيران، ١٤١٣هـ [٣٧].

لأن طائفة الجارودية هي التي تشاركه في أساس مذهبه في الرَّفض"[١].

فلذا ينبغي تحرِّي الإنصاف في هذا، وألا يحكم على الزيدية جميعها بالرفض، فإنَّ فيهم الكثير ممن أحسن قولاً وسريرة بصحابة النبي ﷺ، بل لقد ذكر عدد من منصفيهم إجماعَ أئمتهم على تحريم سبِّ صحابة النبي ﷺ و رضي الله عنهم أجمعين[٢].



---

(١) أصول مذهب الشعية الإمامية الإثني عشرية عرض ونقد، تأليف: د. ناصر بن عبد الله القفاري، ط٢ - ١٤١٥هـ [١/ ٩٥].

(٢) نقل الإجماع: الإمام الزيدي يحيى بن حمزة في: الرسالة الوازعة للمعتدين عن سب صحابة سيد المرسلين، نشر: دار النشر للجامعات - صنعاء، ٢٠١١هـ [٣٥]، ويحيى بن الحسين بن القاسم في: الإيضاح لما خفا من الاتفاق على تعظيم صحابة المصطفى، تحقيق: عبد الرحمن عبد القادر المعلمي، نشر: مكتبة الصحابة - الإمارات العربية المتحدة، ١٤٢٦هـ [١٧٠]، والإمام الشوكاني في: إرشاد الغبي لمذهب أهل البيت في صحب النبي، نشر: مؤسسة رحماء الخيرية - صنعاء، ١٤٣١هـ [١٠].

## المبحث الثاني

### عقائد الرافضة الإمامية

والمقصود بعقائد الرافضة الإمامية: عقائد الفرقة الإمامية الاثني عشرية، وذلك لِتعلُّق موضوع التَّحَوُّل الزيدي بهذه الفرقة من الرَّافِضة دون غيرها من ناحية، ولأنَّ الاثني عشرية هي حاملة لواء الرَّفض في زماننا.

وفي هذا المبحث نُعرِّج - إنْ شاءَ الله - على أبرز عقائد الرافضة الإمامية الاثني عشرية، وذلك من خلال التَّعرُّف على أصول الدين عندهم، وما يتعلق بها من المسائل المهمَّة، التي تُشَكِّل في مجموعها دين الرافضة الاثني عشرية، وبالله المستعان.

**أصول الدِّين عند الإمامية:**

ترتكز عقيدة الإمامية على خمسة أصول تُعرَف بأصول الدِّين، يجب على كل مُكَلَّف أَن يَعرِفَها، لِيَصِحَّ إسلامه أولاً، ثم تَصِحَّ نسبتُه إلى المذهب الإمامي الاثني عشري ثانياً، وهذه الأصول الخمسة هي: التوحيد، والعدل، والنُّبوَّة، والإمامة، والمعاد.

يقول مُحقِّقُ الشيعة الكرَكي[1]: "يجب على كل مُكلَّف، حُرٌّ وعَبد،

---

(١) أبو الحسن، علي بن الحسين بن عبد العالي، العاملي، المعروف بالمحقق الثاني، وبالعلائي. مجتهد أصولي إمامي، مولده بجبل عامل في لبنان سنة ٨٦٨هـ. رحل إلى مصر والعراق، ثم استقر في بلاد العجم، فأكرمه الشاه (طهماسب) الصفوي، وجعل له الكلمة في إدارة ملكه، وكتب إلى جميع بلاده بامتثال ما يأمر به، واعتبره نائباً عن الإمام. توفي في نجف الكوفة سنة ٩٤٠هـ. من مؤلفاته: (الرسالة الجعفرية)، و(الرضاع)، و(حاشية الشرائع). انظر: الأعلام [٤/ ٢٨١]، معجم المؤلفين [٢/ ٤٣٠].

ذكرٍ وأنثى، أَنْ يعرف الأصولَ الخمسة التي هي أركان الإيمان، وهي: التوحيد، والعدل، والنبوَّة، والإمامة، والمعاد، بالدليل لا بالتقليد، ومن جَهِلَ شيئاً من ذلك لم ينتظم في سلك المؤمنين، واستحق العقابَ الدائمَ مع الكافرين"(١).

**الأصل الأول: التوحيد:**

ويشتمل هذا الأصل - إجمالاً - على نوعين من التوحيد:

**الأول: توحيد الذات:** ويقصدون به أَنَّ الله تعالى واحد في ذاته لا شريك له، بمعنى أنَّ الإله غيرُ مُتَعَدِّد. يقول الميرزا(٢): "إنَّا نعتقد أنَّ الله تعالى واحد في ذاته، أعني ليس له ثان، ولا شريك في ذاته، وفي وجوده وقِدَمِه ووجوبه. قال تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَـٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌۖ﴾ [النّحل: ٥١].."(٣).

**الثاني: توحيد الصفات:** ويقصدون به إفراد الله عن أن يشاركه أحد في صفاته(٤).

---

(١) رسائل الكركي، تأليف: المحقق الثاني علي بن الحسين الكركي، تحقيق: محمد الحسون، نشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي - قم، ١٤٠٩هـ[١/ ٥٩ - ٦٠].

(٢) الميرزا: أبو جعفر علي بن موسى بن محمد باقر الحائري بن محمد بن سليم الأسكوئي. والحائري: نسبة إلى الحائر - اسم من أسماء كربلاء - والأسكوئي: نسبة إلى قرية في أذريبجان الإيرانية من أعمال تبريز. مولده بالنجف الأشرف سنة١٣٠٥هـ، ونشأته بكربلاء، ووفاته بالكويت سنة ١٣٨٦هـ. من مؤلفاته: (عقيدة الشيعة)، و(منهاج الشيعة)، و(الكلمات المحكمات). انظر - مختصراً - ترجمته في مقدمة كتابه: عقيدة الشيعة [٩-٣٠].

(٣) عقيدة الشيعة، تأليف: الحاج ميرزا علي الحائري (لاتوجد بيانات أخرى على الكتاب) [٥].

(٤) انظر: عقيدة الشيعة [٥].

والصفات على قسمين: منها ما يتعلق بالذَّات، ومنها ما يتعلق بالأفعال(١).

- أما صفات الذَّات: فيقصدون بها المعاني المستَحَقَّة لِلذَّات الإلهية استحقاقاً لازماً، لا لمعنى سواها(٢)، مثل: القِدَم، والسَّمع، والبَصَر، والعلم، والحياة، والقيوميَّة، والعِزَّة، والقدرة، والغِنى، وغيرها(٣).

وهذه الصفات التي تثبتها الإمامية للذات الإلهية، وإن كانت متعدِّدَة، إلَّا أَنَّها لا تعدو أن تكون شيئاً واحداً، فليست الصفات سوى الذات، فجميع صفاته تعالى هي عين ذاته؛ فعلمه عين ذاته، وقدرته، وسمعه، وبصره، وهكذا؛ فيسمع بما يُبصِر به، ويُبصِر بما يسمع به ويقدر. . ، إلخ، فهو كما يقولون: (أحديُّ الذَّات، أَحديُّ المعنى)(٤).

كما أنَّ حقيقة إثبات الصفات عندهم ليست لذاتها، وإنَّما لتحصيل نفي ضِدِّها. يقول الشيخ الصَّدوق(٥): " كلُّ ما وصفنا اللهَ تعالى به من

(١) انظر: تصحيح اعتقادات الإمامية، تأليف: الشيخ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري، تحقيق: حسين دركاهي، (ط٢)، نشر: دار المفيد - بيروت، ١٤١٤هـ [٤١].

(٢) انظر: تصحيح اعتقادات الإمامية [٤١].

(٣) انظر: الاعتقادات، تأليف: الشيخ الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي بن بابويه القُمِّي، تحقيق: عصام عبد السيد، ١٤١٣هـ [٢٣]، تصحيح اعتقادات الإمامية [٤١].

(٤) انظر: عقيدة الشيعة للميرزا [٥-٦]، الأنوار الإلهية في المسائل العقائدية، تأليف: آية الله العظمى الشيخ جواد التبريزي، (ط٤)، نشر: دار الصديقة الشهيدة - إيران، ١٤٢٥هـ [٨٧].

(٥) الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القُمِّي، ويعرف بالصدوق، محدث إمامي، يضرب بحفظه المثل. نزل بالرَّي وارتفع شأنه =

صفات ذاته، فإنَّما نريد بكل صفة منها نفيَ ضِدِّها عنه تعالى، ونقول: لم يزل الله تعالى سميعاً، بصيراً، عليماً، حكيماً، قادراً، عزيزاً، حيّاً، قيُّوماً، واحداً، قديماً. وهذه صفات ذاته"(١).

فتَحَصَّلَ من خلال كل صفة مُثبَتَة صِفةٌ أخرى - أو صفات - مَنفيَّة، تعتبر أولى لدى الإمامية مما يُثبتونَه، فحقيقة قولهم: إنَّ الله سميع، أي ليس بأَصَم، وهي المقصودة من إثبات صفة السمع كما تقدم في كلام الصدوق؛ فلمَّا كان الأمر كذلك كَثُرَت الصفاتُ السَّلبية(٢) لدى الإمامية والمتكلمين بشكل عام، مثل كونه تعالى: "لا يُوصَف بأنَّه جوهر ولا جسم، ولا صورة، ولا عَرَض، ولا خَط، ولا سطح، ولا ثقل، ولا خفَّة، ولا سكون، ولا حركة، ولا مكان، ولا زمان"(٣)، جرياً على أنَّ المقصود هو النفي وليس الإثبات!.

ومن الصفات السَّلبية التي اهتمت الإمامية بنفيها: الرؤية، حيث اتفقت

---

= في خراسان، مولده في سنة ٣٠٦هـ، ووفاته بالرَّي سنة ٣٨١هـ. من مؤلفاته: (الاعتقادات)، و(معاني الأخبار)، و(الأمالي). انظر: سير أعلام النبلاء [١٦/ ٣٠٣-٣٠٤]، الأعلام [٦/ ٢٧٤].

(١) الاعتقادات للصدوق [٢٧].

(٢) وتعرف أيضاً بالصفات الجلالية، يقول جعفر السبحاني: "والمقصود من الصفات الجلالية هي الصفات التي يجل الله تعالى عن وصفه بها، لأن هذه الصفات تدل على نقص الموصوف بها وعجزه، والله تعالى غني غنى مطلقاً ومنزَّه عن كل نقص وعيب. والجسمانية والاحتياج إلى المكان والزمان والتركيب وأمثاله من جملة هذه الصفات، وتسمى هذه الصفات أيضاً بالصفات السلبية في مقابل الصفات الثبوتية (التي مر ذكرها أولاً)، والمقصود في كلتا التسميتين واحد". العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت، تأليف: الشيخ جعفر السبحاني، ترجمة: جعفر الهادي، نشر: مؤسسة الصادق - مدينة قم/ إيران، ١٤١٩هـ [٦٥].

(٣) الاعتقادات للصدوق [٢٣].

الإمامية على القول بأنَّ الله تعالى لا يُرى بحاسَة البصر، لا في الدُّنيا ولا في الآخرة(١).

- وأمَّا صفات الأفعال: فهي المعاني التي تجب بوجود الفعل، كقولنا: خالق، رازق، مُحيٍ، مُميت، مُبدِئ، مُعيد..، (٢).

وتعتقد الإمامية في صفات الأفعال أنَّها مُحدَثة، لا توجد إلا بوجود الفعل، وأما قبله فلا يَصِحُّ أن يُوصَف بها الرَّب - تعالى الله عن ذلك - فلا يسمى قبل الخلق خالقاً، ولا يستحق وصف: المحيي المميت، إلا في وقت الإحياء والإماتة فقط، كما أنَّه يَصِحُّ أن يوصف الرَّب - تعالى - بأضدادها من الصِّفات، فيقال: خالق، وغير خالق، ورازق وغير رازق، وهكذا.. تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً!(٣).

**القول في القرآن:**

تعتقد الإمامية أنَّ القرآن كلام الله تعالى الذي أنزله على محمد ﷺ، وأنَّه مخلوق(٤).

ويرى جمهور(٥) الشيعة الإمامية الاثني عشرية أنَّ القرآن الذي بين أيدينا الآن قد وقع فيه التحريفُ والتغييرُ، والحذفُ والزيادة. قال الشيخ

---

(١) انظر: حق اليقين في معرفة أصول الدين، تأليف: عبد الله شبّر، نشر: مؤسسة الأعلمي - بيروت، ١٤١٨هـ [١/ ٦٢].

(٢) انظر: تصحيح اعتقادات الإمامية، للمفيد [٤١].

(٣) انظر: الاعتقادات للصدوق [٢٧]، تصحيح اعتقادات الإمامية للمفيد [٤١].

(٤) انظر: الاعتقادات، للصدوق [٨٣]، الأنوار الإلهية، لجواد التبريزي [٩٧].

(٥) وجد من الشيعة من قال بعدم التحريف، كالصدوق، وغيره. انظر: الاعتقادات [٨٣ - ٨٤]، المسائل الإسلامية، تأليف: الحاج صادق الحسيني الشيرازي، (ط٥)، نشر: دار العلوم - بيروت، ١٤٢٤هـ [٢٠].

المفيد(١): "إنَّ الأخبار قد جاءت مستفيضة عن أئمة الهدى من آل محمد (ص) باختلاف القرآن وما أَحدَثَه بعضُ الظالمين فيه من الحذف والنقصان.."(٢).

وقال نعمَةُ الله الجزائري(٣): "روى أصحابنا ومشايخنا في كتب الأصول من الحديث وغيرها أخباراً كثيرة بلغت حدَّ التواتر في أنَّ القرآن قد عَرَض له التحريف، وكثيرٌ من النُّقصان وبعضُ الزيادة"(٤).

وقال عدنان البَحراني(٥): "والحاصل، فالأخبار من طريق أهل البيت

---

(١) الشيخ المفيد: أبو عبد الله، محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام العَكْبُري، البغدادي، عالم الشيعة في زمانه، ويعرف بابن المعلم. كان صاحب فنون وبحوث وكلام واعتزال وأدب، وكان صاحب نفوذ في دولة بني بويه. مولده بعَكبُرا من أعمال الدُّجيل بالعراق سنة ٣٣٦هـ، ووفاته ببغداد سنة ٤١٣هـ. من مؤلفاته: (الإيضاح في الإمامة)، و(أوائل المقالات في المذاهب والمختارات)، و(المقنعة في الفقه). انظر: سير أعلام النبلاء [٧/ ٣٤٤-٣٤٥]، الأعلام [٧/ ٢١]، معجم المؤلفين [٣/ ٦٩٦].

(٢) أوائل المقالات، للمفيد [٨٠ - ٨١].

(٣) نعمة الله بن عبد الله بن محمد، الحسيني، الموسوي، الجزائري. عالم إمامي محقِّق. مولده بقرية الصباغية بالجزائر قرب البصرة سنة ١٠٥٠هـ، ووفاته بها سنة ١١١٢هـ. من مؤلفاته: (الأنوار النعمانية)، و(تحفة الأسرار في الجمع بين الأخبار)، و(نور البراهين في أخبار السادة الطاهرين). انظر: مقدمة الأنوار النعمانية، تأليف: السيد نعمة الله الجزائري، نشر: دار القارئ وَ دار الكوفة - بيروت، ١٤٢٩هـ [١/ ٣-٩]، الأعلام [٨/ ٣٩].

(٤) نور البراهين في أخبار السادة الطاهرين، تأليف: السيد نعمة الله الموسوي الجزائري، تحقيق: مهدي الرجائي، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين - مدينة قم/ إيران، ١٤١٧هـ [١/ ٥٢٦].

(٥) البَحراني: عدنان بن شبَّر بن علي بن محمد الموسوي، البحراني. شاعر وفقيه إمامي من أهل البصرة. مولده في المحمرة حوالي سنة ١٢٨٣هـ، ووفاته بالكاظمية، حوالى سنة ١٣٤١هـ. من مؤلفاته: (قبسة العجلان من طور الإيمان)، و(حاشية على =

(ع) أيضاً كثيرة - إنْ لم تكن مُتواترة - على أنَّ القرآنَ الذي بأيدينا ليس هو القرآن بتَمامِه كما أنزل على محمد (ص)، بل منه ما هو خلاف ما أنزل الله، ومنه ما هو مُحرَّف ومُغيَّر، وأنَّه قد حُذِفَ منه أشياءُ كثيرة.. "[1].

وقد ألَّف بعض الشيعة الإمامية في إثبات تحريف القرآن كتاباً أسماه: (فَصْلُ الخِطاب في إثبات تحريف كتاب ربِّ الأرباب)[2]، حَشَد فيه الكثير من الأقوال لعلماء الشيعة الإمامية لإثبات ما ذهب إليه هو ومن على شاكلته من دعوى التحريف، وهذه من أعظم الطَّوام التي تفرَّدت بها الشيعة الإمامية دون سائر فرق الضلال ممن ينتسب للإسلام، إذ لم يَتَجرَّأ على هذا القول غيرُهم، معارضين في ذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحِجر: ٩]!.

**الأصل الثاني: العدل:**

ويقصدون به إجمالاً نفي الظلم[3] عن الله سبحانه وتعالى، وأَنَّه لا

---

= كتاب العروة الوثقى لليزدي)، و(الشافية في الفقه). انظر: الأعلام [٤/ ٢١٨]، معجم المؤلفين [٢/ ٣٧١].

(١) مشارق الشموس الدرية في أحقية مذهب الإخبارية، تأليف: السيد عدنان بن السيد علوي آل عبد الجبار الموسوي البحراني، نشر: المكتبة العدنانية - البحرين [١٢٧].

(٢) مؤلفه هو: حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي (ت: ١٣٢٠هـ)، قال في مقدمته: "هذا كتاب لطيف، وسفر شريف، عملته في إثبات تحريف القرآن، وفضايح أهل الجور والعدوان، وسميته: (فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب)، وجعلت له ثلاث مقدمات، وبابين، وأودعت فيه من بدائع الحكمة ما تقر به كل عين.. "!. عن: فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب عرض ونقد، تأليف: محمد حبيب، (ط٢) - ١٤٢٨هـ [١٠١].

(٣) الظلم: هو خلاف العدل، وله عدة تعريفات عند الإمامية؛ منها: وضع الشيء في غير موضعة، ومنها: منع الحقوق. انظر: الاعتقادات للصدوق [١٠٣]، =

يَفعَل ما يَستَقبِحُه العقل السَّليم، وما هو خلاف الحكمة، ولا يفعل إلَّا لمصلحة[(١)]، ويثيب على الحسنة ويُعاقِب على السَّيئة[(٢)]، وأنَّه يجازي على العمل بِقَدر المستَحَق عليه[(٣)].

**القول في القضاء والقدر:**

تعتقد الإمامية أنَّ القضاء قسمان: قضاءٌ كوني، وقضاءٌ شرعي، فما قضاه كوناً من خلق أو رزق، أو إحياء أو إماتة، فإنَّه واقع لا محالة، وما قضاه شرعاً، من أمر أو نهي، فهو باختيار العباد، من شاء فعل ومَن شاء تَرَك[(٤)].

وهذا يعني في الحقيقة أنَّ أفعال العباد ليست بقضاء الله وقدره، إلَّا بما يعني أنَّه عَلِمَها، وأمرهم ونهاهم، وأما تَعلُّقها بالله بكونها خلقاً له، أو بكونه أرادها فلا. قال المفيد: "وقد نَطَقَ القرآن بأنَّ الخلق مَسؤولون عن أعمالهم، فلو كانت أعمالهم بقضاء الله تعالى لما سألهم عنها، فدلَّ على أنَّ قضاء الله تعالى ما خلقه من ذوات العباد وفيهم، وأنَّه تعالى لا يَسألهم إلَّا عن أعمالهم التي عهد إليهم فيها، فأمرهم بحسنها ونهاهم عن

---

= تصحيح اعتقادات الإمامية، للمفيد [١٠٣]، عقائد ومفاهيم، تأليف: عبد الحسين دستغيب، ترجمة: موسى قصير، (ط٣)، نشر: دار البلاغة - بيروت، ١٤١٣هـ [٥٦].

(١) انظر: أصل الشيعة وأصولها، تأليف: الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، تحقيق: علاء آل جعفر، نشر: مؤسسة الإمام علي، ١٤١٥هـ [٢٢٩]، المسائل الإسلامية، للشيرازي [١٤].

(٢) انظر: الاعتقادات للصدوق [٦٩].

(٣) انظر: تصحيح اعتقادات الإمامية، للمفيد [١٠٣].

(٤) انظر: تصحيح اعتقادات الإمامية للمفيد [٥٦]، الأنوار الإلهية، لجواد التبريزي [٨٥].

قبيحها.."[1].

وقال في موضع آخر: "الصحيح عن آل محمد صلى الله عليه وآله: أنَّ أفعال العباد غيرُ مخلوقة لله تعالى.."[2].

والعِلَّة فيما تقدم من نفي القول بخلق الأفعال عند الإمامية أَنَّهم يظنون أنَّ نسبة خلق الأفعال إلى الله تعالى يتضمن نسبة الشر (القبيح) إلى الله، لأنَّ الإنسان يفعل الخير والشَّر، وهذا يناقض أصل (العدل)[3].

وهذا الذي ذهب إليه هؤلاء غير صحيح، فإنَّ اعتقاد إطلاق القدرة لله سبحان وتعالى يأبى أن يكون في ملكه ما لا يُريده، وإلَّا كان اتهاماً بالنَّقص في حق الله - تعالى الله - والله تعالى يقول: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصَّافات: ٩٦]، ولم يفرِّق بين خير وشر!.

**البداء:**

يُعَدُّ اعتقاد البداء من ضروريات المذهب الإمامي، والذي تفرَّدوا به عن سائر المذاهب الإسلامية.

**والبَداء في اللُّغة**: الظهور، يقال: بَدَا لي في هذا الأمر بَدَاء، أي: ظهر لي فيه رأي آخر[4]، والبَدَاءُ: اسْتِصْواب شيء عُلِمَ بعدَ أن لم يُعْلَم[5].

---

(١) تصحيح اعتقادات الإمامية [٥٩].

(٢) تصحيح اعتقادات الإمامية [٤٢].

(٣) تصحيح اعتقادات الإمامية [٤٩ - ٥٠].

(٤) انظر: لسان العرب، لابن منظور [١/ ٢٣٤]، المعجم الوسيط - مجمع اللغة [٤٥].

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، تأليف: أبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري، تحقيق: محمود محمد الطناحي، وَ طاهر أحمد الزاوي، نشر: مؤسسة التاريخ العربي - بيروت [١/ ١٠٩]، لسان العرب [١/ ٢٣٤]، المعجم الوسيط [٤٥].

وكما هو ظاهر من المعنى اللُّغَوي، فالبَداء يستلزم سبقَ الجهل بالأمر قبل بُدُوِّه، وحدوثَ العلمِ به، وهذا بلا شك محالٌ على الله عز وجل(١).

والإمامية إذ تعتقد بهذه العقيدة قد عَلِمَت بقبح ما يستلزمه هذا اللَّفظ من نسبة الجهل إلى الله تعالى، فراح علماؤهم يُبرِّرون هذا المعتقد(٢)، ويعطونه عدداً من المعاني التي تتضمَّن نفيَ الجهل عن الله تعالى(٣)، فمن ذلك؛ يقول المفيد: "فالمعنى في قول الإمامية: بَدا لله في كذا، أي: ظهر له فيه، ومعنى: ظهر فيه: أي ظهر منه، وليس المراد منه تَعَقُّبُ الرَّأي ووضوح أمر كان قد خفي عنه، وجميعُ أفعاله تعالى الظاهرة في خلقه بعد أن لم تكن، فهي معلومة له فيما لم يَزل.."(٤).

ويقول البَحراني(٥): "البَداء له معنيان؛ فإذا قلت: بَدا لي أن أفعل

---

(١) انظر: عقائد الشيعة الإمامية الاثني عشرية الرافضة، تأليف: أشرف الجيزاوي، نشر: دار اليقين - مصر، ١٤٣٠هـ [٣٥٥].

(٢) ذكر السيد عبد الله شبّر أن الإمامية إنما قالت بهذه العقيدة (البداء)، للرد على اليهود الذين قالوا بأن الله قد فرغ من الأمر، وعلى النظّام وبعض المعتزلة، الذين قالوا بأن الله خلق الموجودات دفعة واحدة. انظر: حق اليقين، لعبد الله شبَّر [١/ ١٠٦].

(٣) من علمائهم الذين حاولوا تقريب هذه العقيدة وتسويغها: محمد جواد مغنية في كتابه: (الشيعة في الميزان) حيث قال: "اتفق السنة والشيعة بكلمة واحدة على أن أية صفة تستدعي الجهل وتجدد العلم فهي منفية عن الله سبحانه بحكم العقل والشرع، سواء أعبرنا عنها بالبداء أو بلفظ آخر". الشيعة في الميزان [٥٣].

(٤) تصحيح اعتقادات الإمامية [٦٥ - ٦٦].

(٥) البحراني: إبراهيم بن ناصر التوبلاني مبارك البحراني؛ من علماء الإمامية في البحرين. مولده في قرية الهجير في البحرين سنة ١٣٢٦هـ. رحل إلى النجف لطلب العلم ثم عاد إلى بلاده وتوفي بها سنة ١٣٩٩هـ. من مؤلفاته: (النور المشرق في أحكام المنطق)، و(الكليات في الحكم والأمثال)، و(منار الهدى إلى دين المصطفى). انظر: مقدمة كتاب المسائل [٣-١٢]، موسوعة مؤلفي الإمامية، تأليف، ونشر: مجمع الفكر الإسلامي - مدينة قُم/ إيران، ١٤٢٠هـ [١/ ٤٢٦-٤٢٨].

كذا، فقد يكون معناه أنه ظهر لي صلاح الإتيان به بعد أن كُنتُ أجهلُ صلاحَه، أو أجهلُ الحاجةَ إليه، وهذا المعنى خاصٌّ بنا مُستحيل على الله بدليل العقل والنقل. وقد يكون معناه: أنَّه حضرت الحاجة فيه لبعض الناس أو الجهات، أو المجتمع أو غير ذلك، أو بمعنى: حضرت الحاجة للناس في إظهاره بعد أن كان في علم الله، ولكنَّه كان مخفياً عنهم، لما في إخفائه عنهم من المصلحة لهم.."(١).

والواقع أنَّ هذه التبريرات والمعاني التي تذكرها الإمامية للبَداء لم تُجْدِ نفعاً مع مخالفيهم، ولا أزالت عنهم التُّهمَة، ولعلَّ السَّببَ في ذلك، هو فَضاعَةُ اللَّفظة بنسبتها إلى الله تعالى، فكان الأجدر بهم أن يَتبَرَّأوا من هذه اللَّفظة وينظروا اصطلاحاً آخر لا يؤدي إلى المحظور الذي يتبادر من معنى البداء، ليثبتوا حسن المعتقد كما يزعمون!.

والبَداء عند الإمامية: هو النسخ، أو التغيير والتبديل في عالم التكوين؛ كالبلاء بعد العافية، والصِّحة بعد المرض، والغِنى بعد الفقر، والعُسر بعد اليُسر، وطول العمر وقصره...(٢).

ويفهم من هذا: أنَّ البَداء تغيير في القَدَر الكوني الذي كان مكتوباً على الإنسان بآخرَ مُختلِفٍ عنه، لم يكن مُقَدَّراً ولا مكتوباً من قبل؛ وهذا القَدْرُ من معنى البَداء قد يكون مقبولاً إلى حد ما لدى مخالفي الإمامية، إذا أيَّدوه بإثبات العِلم المسبق لله تعالى بما غيَّره من القدر!.

والحقيقة أنَّه قد وردت روايات عِدَّة في كتب الإمامية تثبت العلمَ

---

(١) كتاب المسائل، تأليف: الشيخ إبراهيم بن ناصر المبارك البحراني، نشر: مؤسسة المشعل للطباعة والنشر، ١٤١٦هـ [٤٧].

(٢) انظر: كتاب المسائل للبحراني [٤٨]، عقائد ومفاهيم لحسين دستغيب [٥٩].

المسبق لله تعالى في كل ما بدا، فمن ذلك ما جاء في الكافي:

- "عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما بَدا لله في شيء إلَّا كان في علمه قبل أن يَبدوَ له"[١].
- و"عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ الله لم يَبْدُ له من جهل"[٢].
- و"عن منصور بن حازم، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام هل يكون اليوم شيء لم يكن في علم الله بالأمس؟. قال: لا. من قال هذا فأخزاه الله، قُلتُ: أَرأَيتَ ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة، أليس في علم الله؟. قال: بلى، قبل أن يخلق الخلق"[٣].

**إشكالية القول بالبداء:**

ومما تقدم من أقوال الإمامية في معنى البداء، وما نقلوه عن أبي عبد الله رحمه الله، يبرز سؤال مهم، وهو: ما الإشكالية في البَداء إذا كانت الإمامية لا تنفي العلمَ المسبق عن الله تعالى؟.

إنَّه، وإن صحَّ أنَّ الإمامية لا تنفي العلم المسبق عن الله تعالى في أمور البَداء، فإنَّ الإشكالية - من وجهة نظر الباحث - تبقى في أمور، منها:

أولاً: إنَّ إطلاق القول بجواز البَداء على الله أمرٌ غير مُستَساغ، بحسب ما يفيده المعنى في لُغَة العرب، وقد علمنا فيما تقدَّم أنَّ القول بالبداء يستلزم الجهلَ المسبق وحدوثَ العلم، وهذا ظاهر في تعريف البداء، وكلاهما غير جائز في حقِّ الله تعالى.

---

(١) الكافي، تأليف: أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني، تعليق: علي أكبر الغفاري، (ط٢)، نشر: دار الكتب الإسلامية - طهران، ١٣٨٩هـ [١/ ١٤٨].

(٢) الكافي [١/ ١٤٨].

(٣) الكافي [١/ ١٤٨].

ثانياً: إنَّ قول الإمامية بالبَداء ليس نظرياً فحسب، ولكنَّه عملي أيضاً، بمعنى: أنَّه يمكن أن يظهر للناس من خلال الأئمة المعصومين كثيرٌ من البَدَوات التي ينسبونها إلى الله تعالى، وهذا مَدخَل خطير لنشر الدَّجل بين الناس وادعاء علم المغيَّبات لأفراد من البشر، وربَّما يصل الحال إلى تغيير الشَّريعة بحجة البداء.

فعن أبي حمزة الثُّمالي(١)، قال: قال أبو جعفر وأبو عبد الله عليهما السَّلام: "يا أبا حمزة، إن حدَّثناك بأمر أنَّه يجيء من هاهنا، فجاء من هاهنا، فإنَّ الله يصنع ما يشاء، وإن حدَّثناك اليوم بحديث، وحدَّثناك غداً بخلافه، فإنَّ الله يمحو ما يشاء ويثبت"(٢).

وجاء في الكافي: "تفسير العيَّاشي: عن عمرو بن الحَمق قال: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام حين ضُرِبَ على قرنه فقال لي: يا عمرو: إنِّي مفارقكم!. ثم قال: سنة السَّبعين فيها بلاء - قالها ثلاثًا - فقلت: فهل بعد البلاء رخاء؟، فلم يجبني، وأغمي عليه، فبَكت أم كلثوم، فأفاق، فقال: يا أُمَّ كلثوم لا تؤذيني، فإنَّك لو قد ترينَ ما أرى لم تبكي، إنَّ الملائكة في السموات السَّبع بعضُهم خلف بعض، والنبيُّون خلفَهم، وهذا محمد صلى الله عليه وآله وسلم آخذ بيدي يقول: انطلق يا علي، فما أَمامَك خيرٌ لك مما أنت فيه.

فقلت: بأبي أنت وأمي! قلتَ: إلى السبعين بلاء، فهل بعد السبعين

---

(١) أبو حمزة، ثابت بن أبي صفية دينار الثمالي الأزدي مولى المهلب؛ كوفي من رجال الحديث الثقات عند الإمامية. وفاته سنة ١٥٠هـ. من مؤلفاته: (تفسير القرآن)، و(الزهد)، و(النوادر). انظر: التاريخ الكبير، للبخاري [١/ ١٦٥]، الأعلام [٢/ ٩٧].

(٢) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تأليف: الشيخ محمد باقر المجلسي، (ط٣)، نشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٤٠٣هـ [٤/ ١١٩].

رخاء؟. قال: نعم يا عمرو، إنَّ بعد البلاء رخاء، ويمحو الله ما يشاء ويُثبِت، وعنده أم الكتاب.

قال أبو حمزة: فقلت لأبي جعفر عليه السلام: إنَّ علياً عليه السلام كان يقول: إلى السبعين بلاء وبعد السبعين رخاء، فقد مضت السَّبعين ولم يروا رخاء، فقال لي أبو جعفر عليه السلام: يا ثابت إنَّ الله كان قد وقَّت هذا الأمر في السبعين، فلمَّا قتل الحسين عليه السلام اشتد غضب الله على أهل الأرض، فأخَّره إلى أربعين ومائة سنة، فحدَّثناكم فأذعتم الحديث، وكشفتم قناع السِّر فأخَّره الله، ولم يجعل لذلك عندنا وقتاً، ثم قال: يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب"[1].

فانظر كيف ينسبون علمَ تغيُّر القدر الذي كان قضاه الله تعالى في مسألة الرخاء المذكورة في الرواية إلى أبي جعفر رحمه الله؛ فإنَّه قد يُجوِّز المسلم نسبة مثل هذا إلى علي رضي الله عنه لاحتمال أن يكون سمعه من النبي ﷺ، وأمَّا أن يخبر أبو جعفر بتغير ذلك إلى سنة ١٤٠هـ، فهذا لا يمكن أن يقوله إلَّا من خلال وحي جديد أوحاه الله إليه، وقد ادَّعوه، وهنا مكمن الخطورة في البداء!.

بل لقد جعل بعض علماء الإمامية مجرد (ظنّ الناس) شاهداً على حصول البداء، وإثبات تغير القدر في علم الله؛ فما ظنُّوا أنَّه سيكون فلا بَداء فيه، وما لم يظنُّوا بكونه، فيمكن أن يُسَمُّوه بَداء، ويقولون: بدا لله كذا بمحض الرأي، يقول المفيد: "وإنَّما يوصف منها بالبداء ما لم يكن في الاحتساب ظهورُه، ولا في غالب الظن وقوعُه، فأما ما عُلِمَ كونُه، وغلبَ في الظن حصولُه، فلا يُستَعمل فيه لفظ البَداء.."[2]. وهذا من أبطل

---

(١) بحار الأنوار [٤/١١٩ - ١٢٠].

(٢) تصحيح اعتقادات الإمامية [٦٦].

الباطل، إذ يصير المخلوق حَكَماً على الخالق في تقديره وقضائه - وإن تنزَّلنا معهم بأنَّهم يثبتون لله العلم المسبق فيما يدَّعون فيه البَداء - والله تعالى أعلم.

**التَّقيَّة:**

تُعَدُّ التَّقيَّة من العقائد المهمَّة لدى الشيعة الإمامية، حيث يجعلون لها من الفضل الشيء الكثير، فعن أبي عبد الله: "إنَّ تِسعَةَ أعشار الدين في التَّقيَّة، ولا دين لمن لا تَقيَّةَ له.."[(١)].

وعن أبي جعفر قال: "التَّقيَّة من ديني ودين آبائي، ولا إيمانَ لمن لا تَقيَّة له"[(٢)].

والتَّقِيَّة لُغَة: اسم من (الاتِّقاء)، وهو الخشية والخوف، والتَّقيَّة: أن يقيَ نفسَه من اللائمة، أو من العقوبة بما يُظهِر، وإنْ كان على خلاف ما يُضمِر[(٣)].

واصطلاحاً: يُعرِّفُ المفيد التَّقيَّة بأنَّها: "كِتمانُ الحقِّ، وسَترُ الاعتقاد فيه، ومُكاتَمَةُ المخالفين، وتَركُ مُظاهَرتهم بما يُعقِب ضَرراً في الدِّين أو الدُّنيا.."[(٤)].

وهذا التعريف الإمامي للتَّقيَّة موافق لتعريفها اللُّغوي، إلَّا أنَّ الإمامية تفارقُ الأُمَّة في أمرين:

---

(١) الكافي، للكليني [٢/ ٢١٧].

(٢) الكافي [٢/ ٢١٩].

(٣) انظر: المغرب في ترتيب المعرب، للمطرِّزي [٢/ ٣٦٧]، المعجم الوسيط - مجمع اللغة [١٠٥٢].

(٤) تصحيح اعتقادات الإمامية [١٣٧].

**الأوَّل**: اعتقاد وجوب التَّقيَّة، والمبالغة في ذلك، حتى أنَّ من تركها كان كمَن ترك الصلاة؛ مع القول باستمرار العمل بالتقيَّة إلى أنْ يَخرج المهدي صاحبُ الزَّمان.

قال الصدوق: "اعتقادنا في التقيَّة أنَّها واجبة، من تركها كان بمنزلة من ترك الصلاة"(١).

وقال أيضاً: "والتقيَّة واجبة، لا يجوز رفعُها إلى أن يخرج القائم عليه السلام، فمن تركها قبل خروجه فقد خَرَجَ عن دين الله ودين الإمامية، وخالَفَ اللهَ ورسولَه والأئِمَة"(٢).

**الثاني**: أنَّ الإمامية تستعمل التَّقيَّة مع أهل الإسلام بصورة عامَّة في جميع أمور الدين، يقول محمد صادق الموسوي(٣): "إنَّ الناس في هُدنة، نناكِحُهم، ونوارثهم، ونُقيمُ عليهم الحدود، ونؤدِّي أماناتهم، حتى إذا قام القائم جاءت المزايلة"(٤).

والتَّقيَّة: في أصلها مصطلح شرعي، ورخصة دينية دلَّ عليها القرآن

---

(١) الاعتقادات [١٠٧].

(٢) الاعتقادات [١٠٨].

(٣) محمد محمد صادق الصدر الموسوي. مرجع شيعي إمامي. مولده بالنجف سنة ١٣٦٢هـ، ووفاته إثر عملية اغتيال مع اثنين من أولاده سنة ١٤١٩هـ. من مؤلفاته: (ما وراء الفقه)، و(موسوعة المهدي)، و(فقه الأخلاق). مصدر الترجمة: موقع الصدرين للدراسات الاستراتيجية، متاح على الرابط: ,(www.alsadrain.com) تاريخ الدخول: ٢٣/ ١١/ ٢٠١٣م.

(٤) تاريخ ما بعد الظهور، للموسوي [٧٦٢]، نقلاً عن: مجمل عقائد الشيعة والمراجعات في الميزان، تأليف: أبي عبد الله النعماني الأثري، نشر: مكتبة الصحابة - الإمارات، ١٤٢٩هـ [٤٣].

والسُّنة. قال تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وقال النبي ﷺ لعمار بن ياسر عندما أُكرِه على قول كلمة الكفر: (إنْ عادُوا فَعُدْ)[١]؛ إلَّا أنَّ التقيَّة لا تَعْدُو أن تكون رُخصة، وليست من العزيمة كما تجعلها الإمامية، وقد جعل النبي ﷺ فاعلَ العزيمة أفضلَ في الأجر من فاعل الرخصة (التقيَّة)، فقال ﷺ: "أَفْضَلُ الجهاد كَلِمَةُ حَقٍّ عِندَ سُلْطانٍ جَائِرٍ"[٢].

والواقع أنَّ مَبدأ التقيَّة الذي تنتهجه الإمامية مع مخالفيها قد أفقدهم المصداقية لدى مخالفيهم، فصار مخالفوهم لا يُصدِّقون لهم قولاً، ولا يَرفعون بأقوالهم رأساً، لكثرة ما يوجد عندهم من أقوال مُتناقِضَة مع

(١) روى الحاكم عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه قال: أخذ المشركون عمار بن ياسر فلم يتركوه حتى سبَّ النبي ﷺ وذكر آلهتهم بخير، ثم تركوه، فلمَّا أتى رسول الله ﷺ قال: (ما وراءك؟). قال: شرٌّ يا رسول الله! ما تُرِكْتُ حتى نِلْتُ منك، وذكرت آلهتهم بخير. قال: (كيف تجدُ قلبَك؟). قال: مطمئن بالإيمان. قال: (إنْ عادوا فَعُدْ). المستدرك على الصحيحين، تأليف: محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١١هـ (معه تعليقات الذهبي في التلخيص) [٢/ ٣٨٩]، برقم (٣٣٦٢).
قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم.

(٢) انظر: سنن أبي داود؛ كتاب: الملاحم - باب: الأمر والنهي [٤/ ٣٣٣]، برقم (٤٣٤٤)، سنن الترمذي؛ كتاب: الفتن - باب: ما جاء أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر [٤/ ٤٧١]، برقم (٢١٧٤)، سنن النسائي؛ كتاب: البيعة - باب: فضل من تكلم بحق عند سلطان جائر [٧/ ١٩٣]، برقم (٧٧٨٦)، سنن ابن ماجه؛ كتاب: الفتن - باب: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [٦٦٣]، برقم (٤٠١١)، وخرَّجه الألباني في السِّلسِلة الصحيحة [١/ ٨٨٦]، برقم (٤٩١).

احتمال أن يُظهِروا خلافَ ما يُبطنون. يقول الشيخ ناصر بن عبد الله القفاري حفظه الله: "وهذا المنهج [يعني التقية] يُثبِتُ أنَّهم ليسوا على شيء، وأنَّ احتمالَ التقيَّة في كل نَصٍّ قد أفسد عليهم أمرَهم، وأضاعَ حقيقةَ المذهب.. وتَسنَّى لكل شيخ أو زنديق، أو مُفترٍ يَلبَسُ ثوبَ المشيخة، ويتظاهر بالعلم أن يأخذَ ما شاءت له زندقتُه، أو جهله وهواه وتعصُّبُه واحداً من هذه الأقوال المتعارضة المتضاربة، ويُعرِضَ عن الأقوال الأخرى، ولو كانت حقّاً، ويجدَ ما يُبرِّر هذا التصرُّفَ من الاحتجاج بالتقيَّة، أو دعوى أنَّ في ذلك مخالفة للعامَّة - أي أهل السُّنَّة - ففي خلافهم الرَّشاد - كما يفترون - وهكذا يضيع العلمُ والحقُّ والدِّين بهذه الطريقة الماكِرة.."(١).

**الأصل الثالث: النبوّة:**

" (النبوة): وظيفة إلهية وسفارة ربانيَّة، يجعلها الله تعالى لمن يَنتَجِبُه ويختاره من عباده الصالحين وأوليائه الكاملين في إنسانيتهم، فيُرسِلُهم إلى سائر الناس لغاية إرشادهم إلى ما فيه منافعهم ومصالحهم في الدنيا والآخرة"(٢).

وتعتقد الإمامية أن البِعثَة واجبةٌ على الله سبحانه وتعالى، لأنَّها مقتضى اللُّطف الإلهي(٣).

والأنبياء جميعاً معصومون، لا يجوز في حقهم الذنب صغيراً كان أم

---

(١) أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية [٢/ ٥٤٣ - ٥٤٤].

(٢) عقائد الإمامية، تأليف: الشيخ محمد رضا المظفر، تحقيق: د. حامد حفني داود، نشر: انتشارات أنصاريان - إيران [٤٨].

(٣) انظر تفصيله: كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، شرح: جمال الدين الحسن بن يوسف الحِلِّي، نشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، ١٤٠٨هـ [٣٢٥ - ٣٢٦].

كبيراً، كما لا يجوز في حقهم الخطأ والنسيان[١]، بل يجب أن يكون النبي منزهاً حتى عما ينافي المرؤة وكل عمل يُستَهجن فعله في العرف العام[٢].

وتعتقد الشيعة الإمامية، أنَّ لكل نَبيٍّ مُعجِزَةً، أو معجزات يُظهِرُها للناس لإثبات صِدق نبوَّته، وإقامةِ الحجَّةِ عليهم، يَعجَزُ عن مثلها أهلُ الفنِّ والعلمِ بها في وقته، لأنَّ معجزة كل نَبيٍّ تناسب ما يشتهر به أهلُ عصره[٣]. وقد كان لنبينا محمد ﷺ كثير من المعجزات التي أتى بها تصديقاً لنبوَّته، أعظَمُها القرآنُ الكريم[٤]، وهو باقٍ إلى يوم القيامة[٥].

**الأصل الرابع: الإمامة:**

وهي: رئاسة على الخلق مُعَيَّنَةٌ مِنْ قِبَلِ اللهِ سبحانه وتعالى[٦].

وتعتقد الإمامية أنَّ "الإمام يُعَيَّنُ من قبل الله تعالى كالنَّبيِّ تماماً؛ لأنَّه تعالى وَحدَه الذي يَعلَمُ الأصلحَ للإمامة، فنائب النَّبيِّ يجب أن يكون تاليَ تِلْوَه، والنسخة الثانية عنه، ومَعْدِنَ عِلمِ الله، ومَحِلَ ظهورِ أسمائه وصفاته، فلابُدَّ أن يكون مِثلَهُ تماماً.."[٧].

---

(١) هذا المعتقد مخالف لما جاء في القرآن، فقد ورد نسبة النسيان إلى عدد من الأنبياء، منهم: آدم، وموسى، ومحمد.. صلى الله عليهم أجمعين، وكذا الخطأ، بل المعصية، كما في قوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾ [طه: ١٢١].

(٢) انظر: عقائد الإمامية، للمظفر [٥٣ - ٥٤].

(٣) انظر: عقائد الإمامية، للمظفر [٥٢].

(٤) هنا إشكال: تقدَّم تشكيكهم في القرآن، فيا ترى ما هو القرآن الذي يعتبرونه معجزة باقية إلى قيام الساعة؟!.

(٥) انظر: عقائد الإمامية، للمظفر [٥٣]، عقيدة الشيعة، للميرزا [١٩].

(٦) انظر: عقائد ومفاهيم، لدستغيب [٦٠ - ٦١].

(٧) عقائد ومفاهيم [٦١].

ولما كانت الإمامة بهذا المكان عند الشيعة، فإنَّهم يعتقدون أنَّ النَّبيَّ ﷺ لم يُفارِق الدُّنيا حتى أوصى إلى علي بن أبي طالب القيام بأمر الأُمَّة من بعده بأمر من الله تعالى يوم غدير خُمّ، فعليٌّ هو وصيُّ رسول الله وخليفتُه بلا فَصْلٍ بالنصِّ الجلي والأمر الإلهي(١).

والأئمة عند الشيعة الإمامية اثنا عشر إماماً يُوصي الأولُ منهم للذي يَليه؛ أوَّلُهم علي بن أبي طالب، وآخرُهم المنتظر محمد بن الحسن العسكري(٢).

وتعتقد الإمامية بعصمة الأئمة جميعاً كالأنبياء، وأنهم معصومون مُطهَّرون من كل دَنَس، وأنَّهم لا يذنبون ذنباً صغيراً ولا كبيراً، ولا يعصون الله ما أَمَرَهُم، ويفعلون ما يُؤمَرون، وأنَّهم مَوصوفون بالكمال والتَّمام والعلم من أوائل أمورهم إلى أواخرها، ولا يوصفون في شيء من أحوالهم بنقص ولا عصيان ولا جهل(٣).

**الولاية التكوينية:**

وتعتقد الإمامية أنَّ الولاية التكوينية للنَّبيِّ ﷺ والأئمة، حيث تجيز الإمامية للنبيِّ والأئمة أنْ يُوكَلَ إليهم من الله تعالى شيءٌ من الولاية التكوينية - وهي التَّصَرُّفُ التكوينيُّ بالمخلوقات، سواء كانت إنساناً أو غيره(٤) - كالتصرُّف بالرِّزق، أو الإماتة، أو ما شابَه ذلك(٥).

---

(١) انظر: عقيدة الشيعة، للميرزا [٢٣ - ٢٤].

(٢) انظر: الشيعة في الميزان، لجواد مغنية [٣٣٥].

(٣) انظر: الاعتقادات، للصدوق [٩٦]، تصحيح اعتقادات الإمامية، للمفيد [١٢٩]، عقائد الإمامية، للمظفر [٥٣].

(٤) الأنوار الإلهية، لجواد التبريزي [٩١].

(٥) انظر: الأنوار الإلهية [٨٨ - ٨٩]، البرهان القاطع مجموعة أجوبة المسائل =

ويعتقدون أنَّ أئمتَهم أفضلُ من الأنبياء جميعاً إلا محمداً ﷺ، وأنَّ الله لم يخلق خلقاً أفضلَ مِن محمدٍ والأئمة، وأنَّهم أَحَبُّ الخلق إلى الله وأكرمُهم عليه وأوَّلُهم إقراراً به..(١).

**عقيدة الإمامية في آباء النبي ﷺ:**

وتعتقد الإمامية بإيمان جميع آباء النبي ﷺ والأئمة من بعده، فقد أجمعت الشيعة الإمامية على أن جميع آباء النبي ﷺ - من أبيه عبد الله وحتى آدم عليه السلام - جميعاً وبدون استثناء كانوا موحدين على الإسلام والإيمان، بما في ذلك أبو طالب عم النبي ﷺ، الذي من نسله الأئمة، الذين هم عندهم بمنزلة النبي، فلذا كان لابد أن يكون - عندهم - موحداً(٢).

**المهدي المنتظر:**

وتعتقد الشيعة الإمامية أنَّ الأرض لا تخلو من حُجَّة لله تعالى على خلقه، إما ظاهر مشهور، وإما خائف مغمور، وأنَّ من مات ولم يعرف إمام زمانه مات مِيتَةً جاهلية، وأنَّ حُجَّة الله في أرضه وخليفَتَه على عباده في زماننا هو (القائم المنتظر، محمد بن الحسن العسكري)، وأنه هو الذي أخبر به النَّبي ﷺ، وأنَّه هو الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً..(٣).

---

= العقائدية والشرعية، تأليف: آية الله العظمى الشيخ محمد تقي بهجت الغروي، نشر: دار الإيمان، ١٤١٨هـ [٥٢].

(١) لمعرفة المزيد، انظر: الاعتقادات، للصدوق [٩٣]، الأنوار الإلهية [١٧٩].

(٢) انظر: الاعتقادات، للصدوق [١١٠]، تصحيح اعتقادات الإمامية [١٣٩]، البرهان القاطع، للغروي [٢١ - ٢٢]، الأنوار الإلهية [١٢٧].

(٣) انظر: منهاج النجاة، تأليف: محمد محسن بن الشاه مرتضى الشهير بالفيض =

وتعتقد الإمامية أنَّ إمامها الثاني عشر (محمد بن الحسن) قد دخل في غَيبَة منذ النِّصف الثاني من القرن الثالث الهجري، ولم يظهر من غَيبَتِهِ إلى الآن، إلَّا أنَّ هذه الغَيبَة قد تميَّزت إلى غَيبَتَين: صُغرى، وكُبرى.

أما الصُّغرى: فمَكَثَتْ حوالي سبعين سنة، بدأت بولادته سنة ٢٥٥هـ، وقيل بدأت بوفاة والده الحسن العسكري ودخوله السِّرداب بسامراء سنة ٢٦٠هـ، واستمرت إلى أن انقطعت السّفارة[١] بينه وبين أتباعه، بوفاة السَّفير الرابع، سنة ٣٢٩هـ[٢].

وأما الغَيبَة الكبرى، أو التَّامَّة: فبدأت بموت السَّفير الرابع، الذي لم يوص بمقامه لأحد من بعده بأمر من الإمام الغائب بحسب ما تعتقده الإمامية، ثم استمرت الغيبة إلى يومنا هذا[٣].

وتعتقد الإمامية أنَّ إمامهم الثاني عشر حي يرزق في سِردابه لا يطلع عليه أحد، وأنَّ العلة المانعة من ظهوره خَوفُه على نفسه من أئمة الجور[٤]،

---

= الكاشاني، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، نشر: مؤسسة البعثة - قسم الدراسات الإسلامية - طهران، ١٤٠٧هـ [٤٣].

(١) تعتقد الإمامية بأنه كان لإمامهم الغائب أربعة سفراء، وهم: الشيخ عثمان بن سعيد العمري، وبعده: ابنه أبو جعفر محمد بن عثمان العمري، وبعده: الشيخ أبو القاسم حسين بن روح، وبعده: الشيخ أبو الحسن علي بن محمد السَّمُري. انظر: حق اليقين، لعبد الله شبّر [١/ ٢٨٦]، عقيدة الشيعة، للميرزا الحائري [٤٠ - ٤١].

(٢) انظر: المسائل الإسلامية، للحسيني الشيرازي [٦٣]، عقيدة الشيعة للميرزا [٤٠ - ٤١].

(٣) انظر: الغَيبَة، تأليف: أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، نشر: منشورات الفجر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت [٢٤٤-٢٤٥]، عقيدة الشيعة، للميرزا [٤٢].

(٤) انظر: الغَيبَة، للطوسي [٢٠٦].

وأنَّه سيخرج في آخر الزمان إذا تحقَّقت العلامات التي تدل على ظهوره(١).

**الأصل الخامس: المَعَاد:**

تعتقد الإمامية في هذا الأصل وجوب(٢) البَعث الجسماني؛ وهو أنَّ الله تعالى يُعيد الجسد الذي كان في الدنيا بعينه، وعليه يقع الثواب والعقاب بعينه دون سواه، ومن لم يعتقد بالبعث الجسماني فهو خارج عن مِلَّةِ الإسلام(٣).

وتؤمن الإمامية بفتنة القبر، وسؤال الملكين للعبد في قبره عن ربه ودينه ونبيه، وما يتبع ذلك من نعيم في القبر إذا صحَّت الإجابة، أو عذاب عند عدم الإصابة(٤).

---

(١) ذكر المفيد في الإرشاد عدداً كبيراً من العلامات على ظهور مهديهم، منها: خروج السفياني، وقتل الحسني، واختلاف بني العباس في الملك الدنياوي، وكسوف الشمس في النصف من شهر رمضان، وخسوف القمر في آخره على خلاف العادات. انظر: الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تأليف: الشيخ المفيد؛ محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث - بيروت، ١٤١٦هـ [٢/٣٦٨ - ٣٧٠].

(٢) استدلت الإمامية على وجوب البعث بأن الله وعد بالثواب وتوعد بالعقاب، مع مشاهدة الموت للمكلفين، فوجب القول بعودهم، ليحصل الوفاء بوعده ووعيده، ولأن الله تعالى قد كلف وفعل الألم، وذلك يستلزم الثواب والعوض، وإلا لكان ظالماً - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً! - ولا ريب أن الثواب والعِوض إنما يصلان إلى المكلف في الآخرة، لانتفائها في الدنيا، وهو أمر معلوم بالضرورة في دين النبي، والقرآن دل عليه في آيات كثيرة، مع أنه ممكن، فيجب المصير إليه. انظر: كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، للحلّي [٣٨٠].

(٣) انظر: عقيدة الشيعة، للميرزا [٤٣].

(٤) انظر: الاعتقادات، للصدوق [٥٨]، تصحيح اعتقادات الإمامية، للمفيد [١٠٠]، منهاج النجاة، للكاشاني [٤٦]، عقائد ومفاهيم، لدستغيب [٢٤ - ٢٥].

وتعتقد الإمامية بحقيّة حوض النبي ﷺ في الآخرة، وأنَّ عُرضه ما بين أَيلَةَ وصنعاء، وأنَّ فيه من الأباريق عددَ نجوم السَّماء، وأنَّ الوالي عليه يوم القيامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، يَسقِي منه أوليائه، ويَذودُ عنه أعدائه، ومَن شَرِبَ منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً(١).

كما تعتقد الإمامية بحقيَّة الصراط، وأنَّه من ضروريات الدين، وأنَّه جسر على جهنم، يَمرُّ عليه الناس جميعاً، وهم متفاوتون في مرورهم عليه، فمنهم الناجي ومنهم الهالك، ومنهم دون ذلك بحسب أعمالهم(٢).

كما تعتقد الإمامية بالحساب والميزان، وأنَّهما حقٌّ، وأنَّ الأعمال تُوزَنُ في القيامة؛ الخير والشَّر، وإن كانوا يختلفون في حقيقة الميزان، هل هو ميزان حقيقي، أو غير حقيقي(٣).

وترى الإمامية أنَّ من الحساب ما يتولَّاه الله تعالى بنفسه، ومنه ما يتولَّاه حُجَجُه(٤)، فحساب الأنبياء والرُّسُل والأئمة يَتَوَلَّاه اللهُ عز وجل، ويَتَوَلَّى كُلُّ نَبيٍّ حسابَ أوصيائه، ويَتوَلَّى الأوصياءُ حِسابَ الأُمَم(٥).

وتعتقد الإمامية أنَّ الجنة والنار حقٌّ، وهما مخلوقتان اليوم، وأنَّه لا تخرج نفس من الدُّنيا حتى ترى مكانَها من إحداهما(٦)، وأنَّ النَّبيَّ ﷺ قد

(١) انظر: الاعتقادات، للصدوق [٦٥].

(٢) انظر: الاعتقادات، للصدوق [٧٠]، تصحيح اعتقادات الإمامية [١٠٨ - ١١١]، عقائد ومفاهيم [٤٠].

(٣) انظر: الاعتقادات [٧٣]، الأنوار الإلهية، لجواد التبريزي [٩٥]، عقائد ومفاهيم [٣٤ - ٣٥].

(٤) يقصدون بحجج الله: النبي محمد ﷺ والأئمة الاثني عشر، أولهم: علي بن أبي طالب، وآخرهم محمد بن الحسن العسكري. انظر: الاعتقادات، للصدوق [٩٤].

(٥) انظر: الاعتقادات، للصدوق [٧٣].

(٦) انظر: منهاج النجاة، للكاشاني [٥٢].

دخل الجنة، ورأى النار حين عرج به[١].

**الوعد والوعيد:**

وهو من المسائل المتعلِّقة بالمعاد لحصوله في الآخره؛ حيث تعتقد الإمامية أنَّ الله تعالى يُتِمُّ وعدَه على من وَعَدَه بذلك، وأمَّا مَن تَوَعَّدَه فإنَّه بالخيار، فإنْ شاء عَذَّبَه، وإنْ شاء غَفَرَ له.

قال الصَّدوق: "اعتقادنا في الوَعد والوَعيد أنَّ مَن وَعَدَه الله على عمل ثواباً فهو مُنجِزُه له، ومَن أَوعَدَه على عمل عقاباً فهو فيه بالخيار، فإن عذَّبَه فبعدله، وإن عَفا عنه فبفضله، وما الله بظلَّام للعبيد"[٢].

وتعتقد الإمامية أنَّ النار دار الكافرين، وإنْ دخلها أحد من الإمامية بِذَنب، وإن كان كبيراً، فإنَّه سيخرج منها لا محالة، ولا يخلد فيها إلا الكافرون. يقول عبد الله شبَّر[٣]: "وأما أصحاب الكبائر من الإمامية فلا خلاف في أنَّهم لا يخلدون في النار، وأما أنَّهم هل يدخلون النار أم لا، فالأخبار فيهم مختلفة اختلافاً كثيراً، ولا يخفى ما في التَّبهِيم والإبهام من الحِكَم الكثيرة"[٤].

وقد بالغ بعض الإمامية في إثبات الرَّحمة في الآخرة حتى قال بعضهم

---

(١) انظر: الاعتقادات [٧٩].

(٢) الاعتقادات [٦٧].

(٣) عبد الله بن محمد رضا آل شبَّر، الحسيني، فقيه ومتكلم إمامي. كان ينعت بالمجلسي الثاني. مولده في النجف سنة ١١٨٨هـ، ووفاته بالكَرخ سنة ١٢٤٢هـ. من مؤلفاته: (الوجيز في تفسير القرآن)، و(حق اليقين في معرفة أصول الدين)، و(فقه الإمامية). انظر: مقدمة كتابه: حق اليقين [٥-١٥]، الأعلام، للزركلي [٤/ ١٣١]، معجم المؤلفين [٢/ ٢٧٩].

(٤) حق اليقين في معرفة أصول الدين [٢/ ٥١٦].

بخروج الكفار من النار!.

سئل التبريزي[١]: هل يخلد الكافر في النار؟ فأجاب: "الكافر المعاند الذي قامت عليه الحُجَّة، أو ترك الفَحص مع احتماله صِحَّةَ ما جاء به الأنبياء عليهم السلام خالد في النار إلَّا إذا رحمه الله، وأمَّا القاصر فلا يدخل النار، نعم هو لا يدخل الجنة، لأنَّ الجنَّة للمُطيعين، والله العالم"[٢].

**الشفاعة:**

وتعتقد الإمامية بثبوت شفاعة الأنبياء، والأوصياء، والمؤمنين، والملائكة في الآخرة، لمن ارتضى اللهُ دينَه، من أصحاب الكبائر والصغائر حاشا التائبين، فإنَّهم غير محتاجين للشفاعة.

قال الصَّدوق: "اعتقادنا في الشفاعة أنَّها لمن ارتضى الله دينَه من أهل الكبائر والصغائر؛ فأما التائبون من الذنوب فغير مُحتاجين إلى الشفاعة.. والشفاعة للأنبياء والأوصياء والمؤمنين والملائكة"[٣].

**الرَّجعة:**

وهي من العقائد التي تفرَّدتْ بها الإمامية عن سائر فرق المسلمين.

والرجعة في اللُّغة: بمعنى الإعادة.

---

(١) آية الله العظمى ميرزا جواد التبريزي، عالم شيعي إمامي، مولده بمدينة تبريز في إيران سنة ١٣٤٥هـ، ووفاته بمدينة قم بإيران سنة ١٤٢٧هـ. من مؤلفاته: (صراط النجاة)، و(منهاج الصالحين)، و(أسس الحدود والتعزيرات). انظر ترجمته على موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة على الرابط: http://ar.wikipedia.org
تاريخ الدخول: ٢٤/ ١١/ ٢٠١٣م.

(٢) الأنوار الإلهية، لجواد التبريزي [٢٥٩].

(٣) الاعتقادات [٦٦]، وانظر: الأنوار الإلهية [٩٨ - ٩٩].

قال في مقاييس اللُّغة: " (رجع) الراء، والجيم، والعين، أصلٌ كبيرٌ مُطَّرِدٌ مُنْقاسٌ، يَدُلُّ على رَدٍّ وتَكرار. تقول: رَجَعَ يرجِعُ رُجوعاً، إذا عادَ. ورَاجَعَ الرَّجُل امرأتَه، وهي الرَّجْعَة والرِّجْعَةُ. والرُّجْعَى: الرجوع"(١).

والرَّجعَة عند الإمامية تعني: "أنَّ الله سبحانه سَيُعيد إلى هذه الحياة قوماً من الأموات، ويُرجِعُهم بِصُوَرِهم التي كانوا عليها، ويَنتَصِرُ الله بِهم لِأَهل الحقِّ من أهلِ الباطل"(٢).

وهذه العقيدة الإمامية في الرَّجعَة ثابتة عندهم بإجماع علمائهم. قال المجلسي(٣): "أَجمعت الشيعة على ثبوت الرَّجعة في جميع الأعصار، واشتهرت بهم كالشمس في رابِعَة النَّهار حتى نظمتها في أشعارهم، واحتجوا بها على المخالفين في جميع أمصارهم، وشَنَّعَ أعداؤهم عليهم في ذلك، وأثبتوه في كتبهم وأسفارهم"(٤).

**من هم الذين يرجعون إلى هذه الدنيا؟.**

وتعتقد الإمامية أنَّ الرَّجعَة مَقصورة على فئتين اثنتين من الناس، فليس كل الناس مَعنيّين بهذه الرَّجعَة إلى الحياة الدُّنيا قبل يوم القيامة، وإنَّما

---

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس [٢/ ٤٩٠].

(٢) الشيعة في الميزان، لجواد مغنية [٥٤].

(٣) المجلسي: محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود علي الأصفهاني؛ علَّامة إمامي، ترجم إلى الفارسية مجموعة كبيرة من الاحاديث. مولده بأصفهان سنة١٠٣٧هـ، ووفاته بها سنة ١١١١هـ. من مؤلفاته: (بحار الأنوار)، و(كتاب التوحيد)، و(مرآة العقول) وغيرها. انظر: الأعلام [٦/ ٤٨-٤٩]، معجم المؤلفين [٣/ ١٥٤-١٥٥].

(٤) بحار الأنوار [٥٣/ ١٢٢]، وممن نقل الإجماع: الحر العاملي في كتابه: الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة، تأليف: محمد بن الحسن الحر العاملي، تحقيق: مشتاق المظفر، ١٤٢٢هـ [٦٣ - ٦٤]، والبحراني في كتابه: المسائل [٣٩ - ٤٠].

يرجع مَنْ محَّضَ الإيمان أو محَّض الكفر فقط(١).

ومِن هؤلاء الذين يعتقدون رجوعَهم إلى الحياة الدُّنيا: أئمةُ الشيعة الاثنا عشر، بَدءً بالإمام علي رضي الله عنه، وانتهاءً بالحسن العسكري (الإمام الحادي عشر عند الإمامية)، فيرجعون إلى هذه الدنيا لِيَحكموا المجتمعَ الذي أَرسَى قواعدَه بالعدل والقِسط الإمامُ المهدي، الذي يَظهَر قبل رَجعَة الأئمة، ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً؛ كما يَرجِعُ في هذه الأثناء أعداءُ الأئمة؛ من الصحابة وغيرهم - على حدِّ زَعم الإمامية - مِمَّن تتَّهِمُهم الإمامية بظلم الأئمة، فيقيمون عليهم الحدَّ وينتقمون منهم، ثم يموتون بعد ذلك(٢).

وهذه العقيدة الإمامية - بما فيها من التَّجنِّي على خيار الأمة - مُخالِفة لما دلَّت عليه آيات الكتاب العزيز مِن أنَّ مَن مات لا يرجعُ إلى الحياة الدنيا إلى يوم القيامة، وهذا هو الأصل المطَّرد الذي دلَّت عليه النُّصوصُ القرآنية. يقول الله تبارك وتعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠]، فقوله تعالى: ﴿كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٠] دليل على أنَّ مَنْ مات لا يرجع إلى الدنيا إلى يوم القيامة، وهذا البرزخ المذكور مانع لهم من ذلك كما هو ظاهر(٣).

---

(١) انظر: تصحيح اعتقادات الإمامية، للمفيد [٩٠].

(٢) انظر: الشيعة والتصحيح: الصراع بين الشيعة والتشيع، للدكتور موسى الموسوي، ١٤٠٨هـ [١٤١ - ١٤٢].

(٣) نقل ابن كثير عن أئمة التفسير في معنى البرزخ: "قال مجاهد: البرزخ: الحاجز ما بين الدنيا والآخرة. وقال محمد بن كعب: البرزخ: ما بين الدنيا والآخرة؛ ليسوا =

قال العلامة الآلوسي(١): "ولا يخفى أنَّ مناط التَّمَسُّك ومَحَطُّه إنَّما هو قوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝﴾ [المؤمنون: ١٠٠]، فلا يمكن للشيعة أن يقولوا: إنَّ الرَّجعَة تستحيل للعمل الصالح لا للقصاص وإقامة الحد والتَّعزير لما وقعَ المنعُ من الرَّجعَة آخرَ الآية مطلقاً.."(٢).

ويقول تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝﴾ [البَقَرَة: ٢٨]، ومثلها قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ۝﴾ [غافر: ١١](٣).

---

= مع أهل الدنيا يأكلون ويشربون، ولا مع أهل الآخرة يجازون بأعمالهم. وقال أبو صخر: البرزخ: المقابر، لا هم في الدنيا، ولا هم في الآخرة، فهم مقيمون إلى يوم يبعثون". تفسير القرآن العظيم [٥/ ٤٩٤-٤٩٥].

(١) الآلوسي: أبو المعالي، محمود شكري بن عبد الله بن محمود الآلوسي، الحسيني، كبير علماء العراق في عصره، ومن زعماء النهضة الدينية في العصر الحديث. مولده ببغداد سنة ١٢٧٣هـ، ووفاته سنة ١٣٤٢هـ. من مؤلفاته: (مختصر مسند الشِّهاب في الحِكَم والآداب)، و(كنز السيادة شرح كلمتي الشهادة)، و(صبُّ العذاب على مَن سَبَّ الأصحاب). انظر: تاريخ الأسر العلمية في بغداد، تأليف: السيد محمد سعيد الراوي البغدادي، تحقيق: د. عماد عبد السلام رؤوف، نشر: دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد، ١٩٩٧م [١٨١-١٨٢]، مشاهير علماء نجد وغيرهم، تأليف: عبدالرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، (ط٢)، نشر: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٩٤هـ [٤٦٨، وما بعدها]، تاريخ علماء بغداد في القرن الرابع عشر الهجري، تأليف: يونس الشيخ إبراهيم السامرائي، نشر: مطبعة وزارة الأوقاف والشؤون الدينية - بغداد، ١٤٠٢هـ [٦٢٣]، الأعلام [٧/ ١٧٢ - ١٧٣].

(٢) مختصر التحفة الاثني عشرية، اختصار: العلامة محمود شكري الألوسي، تحقيق: محب الدين الخطيب، نشر: المكتبة السلفية - القاهرة [٢٢٢ - ٢٢٣].

(٣) روى الطبري عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى: ﴿أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [غَافر: ١١]، قال: هي كالتي في البقرة: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البَقَرَة: ٢٨]. انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن، المعروف =

والآية الأخيرة نَصٌّ في الدلالة على أنَّه لا رَجعَة قبل يوم القيامة، لأنَّ تحديد عدد الإحياءات بالعدد (اثنتين) لا مجال لتأويله؛ فالأولى: حياةُ الدُّنيا، والثانية: حياةُ الآخرة، ولو كانت الرَّجعَة مُعتَبرة في الأصل لكانت حياةً ثالثة، ولاستحقَّت أن تُذكَر - سيَّما والذين مَحَّضوا الكفر هم السَّواد الأعظم من البشر؛ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ۝١٠٣﴾ [يُوسُف: ١٠٣] - فلمَّا لم تُذكَر دلَّ على عدم اعتبارها، والله أعلم!.

وعليه فإن الأصل الذي قرَّره القرآن في هذه الأمة أنَّه لا رَجعَة قبل يوم القيامة، وأمَّا ما تستدل به الشيعة الإمامية من رَجعَة أقوام من الأمم السابقة إلى الحياة بعد موتهم(١)، فتلك حوادث خاصة على خلاف الأصل (معجزات)، دلَّ النَّص عليها، ولولا النَّصُ ما جاز التصديق بحدوثها، وبالتالي فكل دعوى تخالف الأصل المتقرِّر عند الأمة لابد وأن تؤيد بدليل صحيح يقوى على إثبات المخالفة للأصل المتقرِّر سلفاً، وإلَّا لم تَصِحَّ هذه الدعوى وكان صاحبُها كاذباً!.

والرَّجعَة التي تعتقدها الإمامية لا تخرج عن هذا الباب، فهي خلاف

---

= بـ (تفسير الطبري)، تأليف: محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، نشر: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ [١/ ٤١٨]، ورواه الحاكم في المستدرك، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. انظر: المستدرك [٢/ ٤٧٥] رقم الحديث (٣٦٣٦).

(١) مثل قوله تعالى: ﴿فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [البَقَرَة: ٧٣]، وقوله تعالى: ﴿أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٩] وقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٤٣]، وقوله تعالى في حق عيسى: ﴿وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيۖ﴾ [المَائدة: ١١٠]، وغيرها.

الأصل الذي تقرَّر لدى المسلمين من أنَّه لا رَجعَةَ لأحد مات إلى يوم القيامة، تصديقاً لما جاء في كتاب الله العزيز، كما أنَّها لم تؤيد بأدلة ترتقي إلى الدَّرجَة التي تَصِحُّ فيها المعارضة للأصل، والله أعلم.

**موقف الرَّافِضَة من مخالفيهم:**

الإمامة أهم الأصول لدى الشيعة الإمامية الاثني عشرية، والتي ميَّزتها عن غيرها من فرق الأُمَّة، فقد أوْلَت هذا الأصل العناية الكاملة، حتى كان عليه مدارُ مذهبها، وجميع معتقدها يدور حوله[١]. ويمكن إجمال موقف الشيعة الاثني عشرية من مخالفيها من خلال الآتي:

**١) موقف الإمامية من المخالف في ولاية علي:**

وأعني بهذا: موقفهم من الصحابة الذين خالفوا علياً رضي الله عنه، حيث لا يتورَّع كثير من الإمامية عن إصدار الحكم بالتكفير والتفسيق لخير قرون هذه الأُمَّة، بل لخير البشر بعد الأنبياء والرُّسُل، يقول جمال الدين الحِلِّي[٢]: "المحارب لِعَليٍّ (ع) كافر، لقول النبيِّ (ص)[٣]: (يا عَلِي: حَربُكَ

---

(١) ذكر شيخ الطائفة ابن بابويه القمي: أنه لولا النبي ﷺ والأئمة الاثنا عشر ما خلق الله السموات والأرض، ولا الجنة ولا النار، ولا آدم ولا حواء، ولا الملائكة، ولا شيئاً مما خلق. انظر: الاعتقادات [٩٣].

(٢) أبو منصور، جمال الدين الحسن - ويقال: الحسين - بن يوسف الحِلِّي؛ نسبة إلى الحِلَّة بالعراق. فقيه ومتكلم إمامي. مولده بالحِلَّة سنة ٦٤٨هـ، ووفاته بها سنة ٧٢٦هـ. من مؤلفاته: (تبصرة المتعلمين في أحكام الدين)، و(تهذيب طريق الوصول إلى علم الاصول)، و(نهاية الوصول إلى علم الاصول). انظر: الأعلام [٢/ ٢٢٧]، معجم المؤلفين [١/ ٥٩٨].

(٣) (ع) = عليه السلام، و(ص)= صلى الله عليه وآله وسلم؛ وقد كتبت كما جاءت في المصدر.

حَربِي)[١]، ولا شَكَّ في كفر من حارب النبيَّ (ص)، وأما مخالفوه في الإمامة، فقد اختلف قول علمائنا، فمنهم من حكم بكفرهم، لأَنَّهم دفعوا ما علم ثبوته من الدين ضرورة، وهو النَّصُّ الجلي الدَّال على إمامته مع تواتره، وذهب آخرون إلى أَنَّهم فَسَقَة، وهو الأقوى، ثم اختلف هؤلاء على أقوال ثلاثة:

أحدها: أنَّهم مُخلَّدون في النار لعدم استحقاقهم الجنَّة.

الثاني: قال بعضهم أَنَّهم يخرجون من النار إلى الجنة.

الثالث: ما ارتضاه ابنُ نُوْبَخت[٢] وجماعة من علمائنا أنَّهم يخرجون من النار، لعدم الكفر الموجب للخلود، ولا يدخلون الجنة، لعدم الإيمان المقتضي لاستحقاق الثَّواب"[٣].

ومن كلام الحِلِّي المتقدم يظهر الآتي:

- لا خلاف بين الإمامية في القول بتكفير من قاتل علياً في حروبه؛ كالجمل، وصفين، والنَّهروان، فجميع من شارك في هذه المعارك يكون حكمه عندهم أنَّه كافر، بمن فيهم من الصحابة، كطلحة والزُّبَير، وعائشة، وعمرو بن العاص، ومعاوية، وغيرهم.

---

(١) قال ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللهُ: "هذا الحديث ليس في شيء من كتب علماء الحديث المعروفة، ولا روي بإسناد معروف"، ثم أخبر أن هذا الحديث كذب وموضوع على النبي ﷺ باتفاق أهل العلم بالحديث. انظر: منهاج السُّنَّة النَّبويَّة [٤/ ٤٩٥-٤٩٦].

(٢) ابن نُوبَخت: العلَّامة أبو سهل، إسماعيل بن علي بن نوبخت. بغدادي متكلِّم من غلاة الشيعة، وكبار مصنفيهم. مولده سنة ٢٣٧هـ، ووفاته سنة ٣١١هـ. من مؤلفاته: (الإمامة)، و(الرد على الغلاة)، و(نقض رسالة الشافعي). انظر: سير أعلام النبلاء [١٥/ ٣٢٨]، الوافي بالوفيات، للصفدي [٩/ ١٠٣].

(٣) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد [٣٧٥ - ٣٧٦].

- غالبيَّة الإمامية على القول بأنَّ مُخالِفي علي في الإمامة لا يدخلون الجنة، إما لكفرهم، وإما لفسقهم، ومن قال بكفرهم حكم بخلودهم في النار، وكذلك من القائلين بالفسق أيضاً حكم بخلودهم في النار، وهذا يعني أنَّ اعتقاد نجاة الصحابة في الآخرة مُضمَحِلٌّ لدى الشيعة الإمامية!.

**٢) موقف الإمامية من المُخالِف في إمامة مَن بَعد علي بن أبي طالب ﵁ :**

لا يختلف موقف الإمامية هنا كثيراً عن سابقه، فإنَّ عقيدتهم في الإمامة واحدة، فهم يعتقدون أنَّ من أنكر إمامة واحد من الأئمة من أولاد علي كان كمن أنكر إمامة علي ﵁، بل أَشَدُّ من هذا كأنما أنكر نبوة محمد ﷺ، أي بمعنى أنَّه كافر خارج عن المِلَّة.

قال المفيد: "واتفقت الإمامية على أنَّ مَن أنكر إمامة أحد الأئمة وجَحَدَ ما أوجبه الله تعالى من فرض الطاعة، فهو كافر ضال مُستَحِق للخلود في النار"(١).

وقال المجلسي: "واعتقادنا فيمن جَحَدَ إمامة أمير المؤمنين والأئمة من بعده ﵈ بمنزلة من جَحَدَ نُبوَّة الأنبياء ﵈.

واعتقادنا فيمن أقرَّ بأمير المؤمنين وأنكر واحداً من بعده من الأئمة ﵈ أنَّه بمنزلة من آمَن بجميع الأنبياء ثُمَّ أنكر نبوَّة محمد صلى الله عليه وآله"(٢).

وقال يوسف البَحرَاني(٣): "ولَيتَ شعري! أيُّ فرق بين من كفر بالله

(١) أوائل المقالات [٤٤].

(٢) بحار الأنوار [٢٧/ ٦١].

(٣) يوسف بن أحمد بن إبراهيم الدرَّازي البحراني. فقيه إمامي، من أهل البحرين =

سبحانه وتعالى ورسوله، وبين من كفر بالأئمة عليهم السلام ؟! مع ثبوت كون الإمامة من أصول الدين بِنَصِّ الآيات والأخبار الواضحة الدلالة كعين اليقين "(١).

إذَن، فَمَن لم يُقِر بإمامة الأئمة الأحد عشر بعد علي رضي الله عنه، فهو كافر، بحسب رأي الإمامية.

وظاهرٌ أنَّه لا يَسلم من هذا الحكم، إلَّا الإمامية الاثنا عشرية، فهم الوحيدون الذين يقرُّون باثني عشر إماماً، وأما من سواهم من أهل الإسلام فلا يُقِرُّون بذلك!.

وقد اصطلح الشيعة الإمامية أَنْ يُسَمُّوا مخالفيهم: بـ (النَّواصِب) تمييزاً لهم عن موافقيهم. يقول آقا رضا الهمداني(٢): "المراد بالناصب في الروايات - على الظاهر - مطلق المخالفين، لا خصوص من أظهر عداوة أهل البيت وتديَّن بِنَصبِهم"(٣).

فكل المخالفين في الإمامة يَدخلون في مُسمَّى (النَّواصِب) بما في ذلك

---

= مولده بالماحوز سنة ١١٠٧هـ، ووفاته بكربلاء سنة ١١٨٦هـ. من مؤلفاته: (أنيس المسافر وجليس الخواطر، أو الكشكول)، و(الدرَّة النجفيَّة من الملتقطات اليوسفية)، و(الحدائق الناضرة). انظر: الأعلام [٨/ ٢١٥]، معجم المؤلفين [٤/ ١٤١].

(١) الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة، تأليف: الشيخ يوسف البحراني، تحقيق: محمد تقي الإيرواني، (ط٢)، نشر: دار الأضواء - بيروت، ١٤٠٥هـ [١٨/ ١٥٣].

(٢) رضا بن محمد هادي الهمداني. فقيه إمامي. من مواليد همذان سنة ١٢٤٠هـ، وتوفي بسامراء سنة ١٣٢٢هـ. من مؤلفاته: (مصباح الفقيه)، و(العوائد الرضوية على الفوائد المرتضوية)، و(حاشية الرسائل). انظر: الأعلام [٣/ ٢٦]، معجم المؤلفين [١/ ٧٢٠].

(٣) مصباح الفقيه، تأليف: آقا رضا الهمداني، نشر: مكتبة الصدر - طهران [٢/ ٥٦٨].

مخالفوهم من الشيعة، يقول يوسف البَحراني: "ينبغي أن يُعلَم أنَّ جميع من خرج عن الفرقة الاثني عشرية من أفراد الشيعة، كالزيدية والواقفية والفطحية ونحوها، فإنَّ الظاهر أنَّ حكمهم كحكم النَّواصِب"(١).

إذن، فجميع مخالفي الشيعة الإمامية الاثني عشرية - عندهم - نواصب، وهذه التسمية تساوي التكفير، لأنَّ النَّاصِبَ كافر في حكم الإمامية. يقول الجواهري: "لا إشكال في كفر الناصِب عندنا وإن وقع النِّزاع في معناه"(٢)، ومن ثَمَّ فقد أنزلوا عليهم كثيراً من الأحكام الدنيوية العملية، والأحكام الأخروية المترتبة على هذا الاسم، فمن الأحكام الدنيوية: استباحة دماء النَّواصِب، واستباحة أموالهم، والحكم بنجاستهم، وتحريم تزويجهم أو التزوج منهم، وعدم جواز الصلاة خلفهم، وعدم الحج عنهم، وتحريم الأكل من ذبائحهم، وعدم الصلاة على موتاهم(٣).

وأما الأحكام الأخروية، فأبرزها: أنَّ النَّاصب خالد في نار جهنم، لا يخرج منها أبداً، وإن شفع فيه جميع الخلق. يقول عبد الله شَبَّر: "وقد ورد في الناصب ما ورد من خلوده في النار، وقد روي بأسانيد كثيرة عنهم عليهم السلام: لو أنَّ كل مَلَك خلَقَه الله عز وجل، وكل نَبيٍّ بَعثَهُ الله، وكلَّ صِدِّيق، وكلَّ شهيد شفعوا في ناصب لنا أهلَ البيت أن يُخرِجَه الله عز وجل من النار ما أخرجه الله أبداً، وإنَّ الله عز وجل يقول في كتابه: (ماكثين

---

(١) الحدائق الناضرة [٥/ ١٨٩].

(٢) جواهر الكلام، تأليف: محمد حسن النجفي الجواهري، تحقيق: محمود القوجاني، (ط٣)، نشر: دار الكتب الإسلامية - طهران [٣٦/ ٩٦].

(٣) انظر تفصيل أكثر في كتاب: النصب والنواصب دراسة تاريخية عقدية، تأليف: د. بدر بن ناصر العواد، نشر: دار المنهاج - الرياض، ١٤٣٣هـ [٨٢٤ - ٨٥٠].

فيها أبداً)[١][٢].

وقال المجلسي بعد أن ذكر عدداً من الروايات: "اعلم أنَّ إطلاق لفظ الشرك والكفر على من لم يعتقد إمامة أمير المؤمنين والأئمة من ولده ﷺ، وفضَّل عليهم غيرَهم يدل على أنَّهم كفَّار مُخلدون في النار"[٣].

على أنَّه قد ورد عن بعض مراجع وعلماء الشيعة موقف أقلُّ تَطرُّفاً مما تقدم آنفاً - من القول بالتكفير، والتُّهمَة بالنَّصب - إلَّا أَنَّه يبقى مشكوكاً فيه لإمكانية أن يكون صدر على سبيل التقيَّة، فإنَّ الإمامية تتقي في إظهار صِغار المسائل، فالتقيَّة في هذه المسألة أولى!. وأما إذا لم يكن على سبيل التقيَّه، فلا أكثرَ من أن يكون قولاً ثانياً في المسألة.

يقول التبريزي: "لا نَصبَ إلَّا مع إظهار العداء لأهل البيت ﷺ"[٤].

ويقول عبد الله الجزائري[٥]: "أما ما ذهب إليه شُذَّاذ من المعاصرين ومن قاربهم - وربما نسبوه إلى بعض القدماء أيضاً - من أنَّ كل مخالف في الإمامة فهو ناصب، يُحكَم عليه بالنجاسة وتحريم المناكحة وسائر لوازم

---

(١) لا توجد آية في القرآن بهذا اللفظ، ولكن فيه: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ تكرَّرت في عدد من الآيات، وفيه قوله: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ۝٢٣﴾ [النَّبإ: ٢٣]، ولا توجد (ماكثين فيه أبداً)!!!.

(٢) حق اليقين [٢/ ٥١٥ - ٥١٦].

(٣) بحار الأنوار [٢٣/ ٣٩٠].

(٤) الأنوار الإلهية [٢٥٨].

(٥) عبد الله بن علي نور الدين بن نعمة الله الموسوي، الجزائري، التَستُري. أديب وفقيه إمامي من أهل النجف. مولده سنة١١١٤هـ، ووفاته في سنة ١١٧٣هـ. من مؤلفاته: (المقاصد العلية في جوابات المسائل العلوية)، و(الأنوار الجليلة)، و(التذكرة). انظر: الأعلام [٤/ ١٠٧]، معجم المؤلفين [٢/ ٣٠٤].

الكفر، ففي غاية الضعف والبُعد عن الصواب"(١).

والحقيقة أنه ليس له صلة بالصواب قُرباً ولا بُعداً، فإنَّه لا يَعْدُ أن يكون من الإرهاب الفكري الذي تَتَّخِذُه الفرق المنحرفة لإسناد باطلها، فإنَّهم لما كانت حُجَّتُهم داحِضَةً، وقولُهم على غير هدى، ذهبوا يؤلِّفون له الأقوال، ويُتبِعونَه بالأحكام التي تمنع من التفكير فيما هم عليه من الباطل، ومن ثَمَّ قبولُه كما هو من غير بحث ولا دراسة.

**مصادر التلقي عند الرافضة:**

مصادر التلقي عند الشيعة الإمامية أربعة؛ وهي: الكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل.

قال الشيخ البهائي(٢) وهو يُبَيِّن أصول الاستدلال عند الإمامية، قال: "وهي عندنا أربعة: الكتاب، والسنة، والإجماع، ودليل العقل؛ أما القياس فليس من مذهبنا.."(٣).

وقال محمد جواد مُغنِيّة(٤): "القرآن هو الدليل الأول من الأدلة

---

(١) التحفة السَّنِيَّة للجزائري، ص (٩١)، نقلاً عن كتاب: النصب والنواصب [٩٥].

(٢) بهاء الدين، محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي الهمذاني. عالم وأديب إمامي. مولده ببعلبك سنة ٩٥٣هـ، ثم انتقل به أبوه إلى إيران، ورحل في البلدان، وتوفي بأصفهان سنة ١٠٣١هـ، ودفن بطوس. من مؤلفاته: (العروة الوثقي) في التفسير، و(الفوائد الصمدية في علم العربية)، و(أسرار البلاغة). انظر: الأعلام [٦/ ١٠٢]، معجم المؤلفين [٣/ ٢٥١].

(٣) زبدة الأصول، تأليف: الشيخ البهائي؛ بهاء الدين محمد بن الحسين بن عبد الصمد العاملي، تحقيق: فارس حسون كريم، ١٤٢٣هـ [٨٣].

(٤) محمد جواد مُغنية. عالم إمامي لبناني. مولده بقرية طيردبا قضاء صُوْر سنة ١٣٢٢هـ، رحل إلى النجف وقُم لطلب العلم، وتوفي بلبنان سنة ١٤٠٠هـ. من مؤلفاته: =

الأربعة للشريعة، وهي: الكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل.."[1].

**أولاً: القرآن:**

وهو الدليل الأول من الأدلة الشرعية عند الإمامية، كما تقدَّم، ومنه يستمدون عقائدهم كما يزعمون!. يقول مغنية: "إنَّ الإمامية أشدُّ الناس تمسُّكاً بالقرآن ومحافظة عليه، وتعظيماً له، ومنه يستقون عقيدتهم وأحكامهم، وبه يدفعون شبهات المبطلين وأقوال المتحذلقين، فهو عندهم المعجزة الكبرى . . "[2].

وهذا الكلام الذي ذكره مغنية، فيه الكثير من المغالطات، فإنَّ الإمامية هي أكثر فرقة تُدَندِنُ حول قضية تحريف القرآن، والنقص منه والزيادة فيه، وهذا أمر ثابت في كتبهم لا ينكره إلا مكابر، وقد تقدم الكلام قريباً عن شيء من ذلك؛ وبالتالي إذا صحَّ كلام مغنية في تمسُّكهم بالقرآن، فليس المقصود القرآن الذي بين أيدينا؛ أما أولاً: فلأن القرآن الذي بين أيدينا هو مصحف عثمان بن عفان الذي كتبه وألجأ الناس على قبوله وقرآءته على ما رتَّبه، وليس مصحف أهل البيت الذي يزعمونه!. ثمَّ كيف يَعْتَدُّون على نظمه من العام والخاص، والظاهر والنص ونحوها، وقد يجوزون أن يكون هذا القرآن الذي بين أيدينا كله أو أكثره منسوخاً بالآيات أو السور التي أُسقطت منه، أو مخصوصاً بها؟؟.

---

= (علم أصول الفقه في ثوبه الجديد)، و(فقه الإمام الصادق)، و(الأحكام الشرعية للمحاكم الجعفرية). انظر: شجاعة التعبير عن الرأي الشيخ محمد جواد مغنية أنموذجاً، تأليف: حسن بن موسى الصفَّار، ١٤٣٠هـ [٣٩-٤٢].

(١) الشيعة في الميزان [٣١٦].

(٢) الشيعة في الميزان [٣١٤].

وأما ثانياً: فلأن نقلة هذا القرآن هم الصحابة، وقد علمنا موقف الإمامية منهم، فجميعهم مُتَّهمون لدى الإمامية، محكوم عليهم بالكفر أو بالفسق إلَّا نفراً يسيراً، فكيف يصح القول بأنهم مُتَمَسِّكون بالقرآن الذي بين أيدينا؟![(١)].

**ثانياً: السُنَّة:**

وهي المصدر الثاني من مصادر التلقي عند الإمامية في العقيدة والأحكام[(٢)]؛ إلَّا أنَّ هذه السنة التي تعتمدها الإمامية لا تلتقي مع ما عند أهل السنة إلا بالاسم فقط، وأما المحتوى فمختلف تماماً، فإن للإمامية كتبها الخاصة في الحديث، ولها رجالها الذين تعتمد عليهم في نقل الروايات، كما أن لها طريقتها في الحكم على الروايات في كتبها، وأما كتب أهل السنة فلا تَعتَدُّ بها من قريب ولا من بعيد..

وأشهر كتب الحديث المعتمدة عند الإمامية[(٣)]:

- الكافي؛ لمحمد بن يعقوب الكليني[(٤)]، وعدد أحاديثه: ١٦٠٩٩حديثاً.

---

(١) راجع: مختصر التحفة الاثني عشرية، للآلوسي [٥٤ - ٥٥].

(٢) انظر: الشيعة في الميزان، لمحمد جواد مغنية [٣٢٠]، تسديد الأصول، تأليف: محمد المؤمن القُمِّي، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين - قم/ إيران، ١٤١٩هـ [٢/ ١٠٠].

(٣) انظر: الشيعة في الميزان [٣١٧].

(٤) أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق، الرازي، الكُليني، شيخ الشيعة في زمانه وعالمهم. من أهل كُلَين (بالرَّي)، سكن بغداد في أواخر أيامه وتوفي فيها سنة ٣٢٨هـ. من مؤلفاته: (الكافي في علم الدين)، و(الرد على القرامطة)، و(رسائل الأئمة). انظر: سير أعلام النبلاء [١٥/ ٢٨٠]، الأعلام [٧/ ١٤٥].

- مَن لا يحضره الفقيه؛ لمحمد بن بابويه، المعروف بالصدوق (ت: ٣٨١هـ)، وعدد أحاديثه: ٩٠٤٤حديثاً.
- التهذيب؛ لمحمد بن الحسن الطُّوسي(١)، وعدد أحاديثه: ١٣٠٩٥ حديثاً.
- الاستبصار؛ للطوسي المتقدم، وعدد أحاديثه: ٥٥١١حديثاً.
- الوافي، للكاشاني المعروف بمحسن الفيض(٢)، وهو ١٤ جزءاً.
- الوسائل، للحُرِّ العامِلي(٣) (ت: ١٠٣٣هـ)، وهو ٦ مجلدات.

**ثالثاً: الإجماع:**

وهو المصدر الثالث من مصادر التلقي لدى الإمامية، إلَّا أنَّ حقيقة الإجماع لديهم مختلفة عن غيرهم، فإنَّ حُجِّيَّة هذا الأصل مُنحَصِرَة في

---

(١) أبو جعفر، محمد بن الحسن بن علي الطوسي، فقيه، وأصولي إمامي. مولده بطوس سنة ٣٨٥هـ. هاجر إلى بغداد، فتفقه أولاً بالفقه الشافعي، ثم لازم الشيخ المفيد فتحول. سكن المشهد بالكوفة إلى أن توفي سنة ٤٦٠هـ. من مؤلفاته: (تهذيب الأحكام)، و(الاستبصار)، و(العدة في الأصول). انظر: طبقات الشافعية الكبرى [٤/ ١٢٦-١٢٧]، الأعلام [٦/ ٨٤-٨٥]، معجم المؤلفين [٣/ ٢٢٥-٢٢٦].

(٢) محسن محمد بن مرتضى بن فيض الله محمود الكاشي، عالم إمامي، عُرف جدُّه بالفيض، وهو من أهل كاشان. مولده سنة ١٠٠٧هـ، وقيل: ١٠٠٨هـ، ووفاته سنة ١٠٩٠هـ، وقيل: ١٠٩١هـ. من مؤلفاته: (الصافي في تفسير كلام الله الوافي)، و(الأصول الأصلية)، و(منهاج النجاة). انظر: الأعلام [٥/ ٢٩٠]، معجم المؤلفين [٣/ ٦١٧].

(٣) محمد بن الحسن بن علي العاملي، الملقب بالحر؛ فقيه إمامي، مؤرخ. ولد في قرية مشغر (من جبل عامل بلبنان) سنة ١٠٣٣هـ، ثم انتقل إلى (جبع) ومنها إلى العراق، وانتهى إلى طوس (بخراسان) فأقام بها وتوفي فيها سنة ١١٠٤هـ. من مؤلفاته: (الجواهر السَّنيَّة في الاحاديث القدسيَّة)، و(وسائل الشيعة)، و(هداية الأمة إلى أحكام الأئمة). انظر: الأعلام [٦/ ٩٠]، معجم المؤلفين [٣/ ٢٢٧].

وجود قول المعصوم بين أقوال المجمعين، وإلَّا لم يكن للإجماع قيمة تذكر. يقول الشيخ المنتظري[(١)]: "إنَّ اتفاق أهل الحل والعقد من أمَّة محمد صلى الله عليه وآله لو فُرِضَ تحقُّقُه في عصر واحد فلا محالة يكون الإمام المعصوم عليه السلام أيضا داخلاً فيهم لعدم خلو عصر منه عليه السلام، فنحن أيضاً نعترف بحجيَّة الإجماع المذكور ولكن لا بمعنى كون الإجماع بنفسه حُجَّة مستقلة، بل لاشتماله على هذا الفرض على قول الإمام المعصوم عليه السلام، فيكون هو تمام الحجَّة حقيقة، والباقون من قبيل ضم الحجر إلى الإنسان.. "[(٢)].

إذن فالحجة إنما هي في قول المعصوم مع المجمعين ولا قيمة لقول المجمعين بدونه. وهذه المسألة تشبه مسألة الإجماع في عهد النبي ﷺ، فجمهور الأصوليين على القول بأنَّ ذلك الإجماع غير مُتصوَّر، لأنه لا يخلو من أمرين: فإما أن يوافقهم النبي ﷺ، وعندها تكون العبرة بإقراره؛ وإما أن يخالفهم، وعندها فلا قيمة لإجماعهم، لأنَّه هو المشرِّع بأمر الله، ولا حق للأمة بأن تخالف المشرِّع[(٣)].

---

(١) آية الله حسين علي المنتظري؛ مرجع شيعي إيراني. كان من المشاركين في الثورة الإيرانية على الشاه، وعيَّنه الخميني نائباً للمرشد الأعلى للثورة، لكن تم عزله بسبب انتقاداته لولاية الفقيه وللحكومة، كما تعرَّض للاضطهاد هو وأتباعه من قبل حكومة الثورة، وفرضت عليه الإقامة الجبرية. مولده سنة ١٩٢٢م، ووفاته بمدينة قم سنة ١٤٣١هـ. المصدر: ويكيبديا الموسوعة الحرة، آخر تعديل على الصفحة بتاريخ: ٣١/ ١٠/ ٢٠١٣م، متاح على الرابط: (http://ar.wikipedia.org)
تاريخ الدخول: ٢٤/ ١١/ ٢٠١٣م.

(٢) نهاية الأصول، تأليف: آية الله حسين علي المنتظري، ١٤١٥هـ [٥٢٨].

(٣) انظر: البحر المحيط في أصول الفقه، تأليف: الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر، تحقيق: عبد القادر عبد الله العاني، (ط٢)، نشر: وزارة الأوقاف والشئون =

وبالمثل: فإنَّ الإمامية لما اعتقدت بأنَّ أئمتها بمنزلة النبي ﷺ، وأنَّ لهم حقَّ التشريع والعِصمَة، بالإضافة إلى استمرار الإمامة ووجود المعصوم في كل زمان[١]، كانت المسألة عندهم مماثلة، فكل إجماع يُدَّعَى، لابد له من الأمرين السابقين، فتَحَقَّقَ أن الإجماع لا حقيقة له عند الإمامية، وإنَّما قالوا به مُجاراة للقائلين به فقط[٢].

**رابعاً: العقل:**

وهو الأصل الرابع من أصول التلقي عند الإمامية، وهو حُجَّةٌ إلهية كالوحي. يقول جعفر السُّبحاني[٣]: "نحن نعتمد في أخذ العقائد والأحكام الدينية على حُجَّتين إلـهيتين هما: العقل والوحي"[٤]، فاعتبر العقل قسيم

= الإسلامية - الكويت، ١٤١٣هـ [٤/ ١٢٨]، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تأليف: محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: سامي بن العربي الأثري، نشر: دار الفضيلة - الرياض، ١٤٢١هـ [١/ ٣٤٨]، علم أصول الفقه، تأليف: عبدالوهاب خلَّاف، (ط٨)، نشر: مكتبة الدعوة الإسلامية شباب الأزهر - مصر [٤٥].

(١) قال أبو المكارم بن زهرة في كتابه (الغُنية): "قد بينا فيما مضى أن الإمام عليه السلام موجود العين فينا، وبين أظهرنا، نلقاه ويلقانا، وإن كنا لا نعرفه بعينه ولا نميزه من غيره، ومعنى قولنا أنه غائب: أنه مجهول العين غير متميز الشخص، لا نريد بذلك الغيبة، أنه بحيث لا يرى شخصه ولا يسمع كلامه". نقلاً عن: تقريرات في أصول الفقه، (تقرير بحث البروجردي)، تأليف: آية الله الشيخ علي بناه الاشتهاردي، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين - قم/ إيران، ١٤١٧هـ [٢٩٠].

(٢) انظر: نهاية الأصول، للمنتظري [٥٢٨].

(٣) جعفر بن محمد حسين السبحاني الخياباني. آية عظمى إمامي؛ مولده في تبريز سنة ١٣٤٧هـ، وله العديد من المؤلفات والتحقيقات. من مؤلفاته: (مفاهيم القرآن)، و(بحوث في الملل والنحل)، و(نظام النكاح). انظر سيرته الذاتية من خلال موقعه على الشبكة العالمية باسم: مؤسسة الإمام الصادق، متاح على الرابط التالي: (imamsadeq.com), تاريخ الدخول: ٢٤/ ١١/ ٢٠١٣م.

(٤) العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت عليهم السلام [١٨].

الوحي[١].

والحقيقة أنَّ استخدام الإمامية للعقل لا يرقى إلى كونه أصلاً في مقابل الوحي، وإنَّما جاءوا به لتأييد عقائدهم، والدفاع عنها، لا ليكون مصدراً مستقلاً كالوحي، يقول الشريف المرتضى[٢]: "أجمعت الإمامية على أنَّ العقل يحتاج في علمه ونتائجه إلى السمع - أي المسموع من الشرع - وأنَّه غير مُنْفَكٍّ عن سمع يُنَبِّه الغافل على كيفية الاستدلال"[٣].

وهذا يعني أنَّ حاجة العقل إلى السمع (في العلم والنتائج) تجعله تابعاً غير مستقل في الاستدلال، هذا في الوقت الذي تُحيل فيه الإمامية أن يكون هناك أيُّ تعارض بين العقل والوحي. يقول جعفر السبحاني، تحت عنوان: (العقل والوحي لا يتعارضان): "لما كان الوحي دليلاً قطعياً، وكان العقل مصباحاً منيراً جعله الله في كيان كل فرد من أفراد النوع الإنساني، لذلك لزم ألا يقع أيُّ تعارض بين هاتين الحجَّتين الإلهيَّتين"[٤].

إذن فالسمع بأقسامه (الكتاب، والسنة، والإجماع) أصل العقل،

---

(١) المقصود بالوحي: الكتاب والسنة؛ والسنة تشمل عندهم أحاديث النبي ﷺ وأقوال الأئمة. انظر: العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت (ع) [١٩].

(٢) علي بن الحسين بن موسى، من أحفاد الحسين بن علي بن أبي طالب، نقيب الطالبيين. أديب ومتكلِّم معتزلي إمامي. مولده ببغداد سنة ٣٥٥هـ، ووفاته بها سنة ٤٣٦هـ. اتُّهم بوضع كتاب نهج البلاغة ونسبته إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه. من مؤلفاته: (الغُرَر والدُّرَر) ويعرف بأمالي المرتضى، و(الشهاب في الشيب والشباب)، و(الشافي في الامامة). انظر: سير أعلام النبلاء [١٧/ ٥٨٨-٥٩٠]، الأعلام [٤/ ٢٧٨].

(٣) الانتصار، تأليف: الشريف المرتضى، تحقيق ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بمدينة قم - إيران، ١٤١٥هـ [٢٥].

(٤) العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت (ع) [٢٠].

ومجال تعقُّله، وهذا الأمر صحيح، إذا كان السمع صحيحاً، لكن لما كان السَّمع عندهم كما تقدم كان إعمال العقل فيه مجرد تحصيل لما عندهم، ومن المعلوم أنَّ عقول غيرهم من أتباع الفرق قد أنكرت كثيراً من عقائدهم الثابتة عندهم بالسمع؛ كالرجعة، والبَداء، والتقيَّة، وعِصمَة الأئمة، والقول بإمامة الغائب، وغيرها، في الوقت الذي أثبتتها عقولُ الإمامية، فدلَّ أنَّ العقل ليس إلَّا تكريس لما دلَّت عليه منقولاتهم وليس دليلاً مستقلاً؛ أضف إلى أنَّ الإمامية تنكر دليل القياس في الأمور الشرعية، والقياس من إعمال العقل!.

ويقول العلامة محمود شكري الآلوسي: "وأما العقل فهو باطل أيضاً، لأن التمسُّك به إما في الشرعيات أو غيرها، فإن كان في الشرعيات فلا يصح التَّمَسُّك به عند هذه الفرقة أصلاً، لأنَّهم منكرون أصل القياس ولا يقولون بحجِّيته. وأما في غير الشرعيات فيتوقف العقل على تجريده عن شوائب الوهم والإلف والعادة والاحتراز عن الخطأ في الترتيب والفكر في صورة الأشكال، وهذه الأمور لا تحصل إلا بإرشاد إمام، لأنَّ كل فرقة من طوائف بني آدم يثبتون بعقولهم أشياء وينكرون أشياء أخر، وهم متخالفون فيما بينهم بالأصول والفروع، ولا يمكن الترجيح بالعقل فقط، فالتمسُّك إذن بقول الإمام؛ ومع ذلك لا يمكن إثبات الأمور الدينية بالعقل الصِّرف لأنه عاجز عن معرفتها تفصيلاً بالإجماع"(١).

ومما سبق يتضح أنَّ أصول التلقي والاستدلال لدى الإمامية (الكتاب، والسنة، والإجماع)، وإن تشابهت مع مسمَّيات أهل السُّنَّة، فإنَّها تختلف كثيراً من حيث المضمون والمحتوى، وأما دليل العقل، فمجرد دعوى، وما

---

(١) مختصر التحفة الاثني عشرية [٥٦].

هو إِلَّا أداة للدفاع عن عقائد الإمامية، وليس أصلاً في استنباط العقائد ولا الأحكام لإنكارهم دليل القياس، والله تعالى أعلم.



## المبحث الثالث

## أماكن تواجد الرافضة

تمثِّل الرافضة الإمامية الاثنا عشرية غالبية الشيعة في هذا العصر، حيث استطاعت الرَّافضة الاثنا عشرية أن تَتَمَدَّد في كثير من البلاد الإسلامية على فترات من التاريخ، و"تنتشر الشيعة في جميع أنحاء العالم تقريباً، بنسب مختلفة، فينتشرون في: إيران، والعراق، وسورية، والسعودية، وتركيا، وأفغانستان، والباكستان، والهند، واليمن، ومصر، والإمارات العربية المتحدة، والبحرين، والكويت، ومَسقط، وعمَّان، والتِّبت، والصين، وآذربيجان، وطاجيكستان، وباقي الجمهوريات المتحرِّرة بانحلال الاتحاد السوفيتي، وماليزيا، وإندونيسيا، وسيلان، وتايلند، وسنغافورة، وشمال إفريقيا، والصومال، والأرجنتين، وبريطانيا، وألمانيا، وفرنسا، وألبانيا، والولايات المتحدة، وكندا، وغيرها من الدول.. "(١).

والجدير ذكره أنَّ الشيعة الإمامية يهتمون كثيراً بمسألة تعداد الشيعة في العالم، وإحصاء أماكن تواجدهم(٢)، مما ينتج عنه كثير من المبالغات في تعداد الشيعة في العالم، ونسبتهم بالمقارنة مع أهل السنة، والغرض من

---

(١) دور الشيعة في بناء الحضارة الإسلامية، تأليف: جعفر السُّبحاني، نشر: دار الأضواء - بيرت، ١٤١٤هـ [٩٥].

(٢) ومما يؤكد هذا الاهتمام وجود هذا المنحى في مؤلفات بعض الشيعة المتأخرين، من أمثال: محسن الأمين في كتابه أعيان الشيعة، ومحمد جواد مغنية في كتابه: الشيعة في الميزان، وجعفر السُّبحاني في كتابه: دور الشيعة في بناء حضارة الإسلام، وكذا محمد الحسيني الشيرازي في كتابه: الشيعة والتشيع، ولعلَّ الذي لم أقف عليه من ذلك أكثر!.

ذلك غَرس الثِّقة في الأتباع، واستثارة الهِمَم لمزيد من العمل للوصول إلى الصدارة، وبالتالي فإنَّ النِّسَب التي تذكرها الشيعة تبقى محل شك، وتحتاج إلى مزيد تَقَصٍّ للتأكد من مصداقيتها؛ فمثلاً: يقول آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي(١): "تدل الإحصاءات الأخيرة بأنَّ عدد الشيعة يربو على خمسمائة مليون نسمة، وهم موجودون في أكثر بلاد العالم شرقها وغربها، ومنتشرون في كافة بلاد الإسلام، وفي كثير من البلاد غير الإسلامية"(٢).

وهذا الذي ذكره الشيرازي يحتاج إلى تَتَبُّعٍ للتأكُّد من هذا الرقم الضخم الذي يمثل حوالي ثلث المسلمين في العالم، سيما إذا علمنا أنه لا توجد حتى الآن إحصاءات قائمة على أساس المذهب العقدي!.

وقبل الشيرازي بعشرات السنين حاول محسن الأمين(٣)، وآخرون(٤)

---

(١) محمد بن المهدي الحسيني الشيرازي. مرجع دين شيعي كثير التأليف. مولده بالنجف سنة ١٣٤٧هـ، ووفاته سنة ١٤٢٣هـ. من آثاره: (موسوعة الفقه)، و(القواعد الفقهية). مصدر الترجمة: موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة، آخر تعديل: ٢٥/ ١٠/ ٢٠١٣م، متاح على الرابط: http://ar.wikipedia.org
تاريخ الدخول: ١٤/ ١١/ ٢٠١٣م.

(٢) الشيعة والتشيع [١٠٩].

(٣) محسن بن عبد الكريم بن علي الأمين، الحسيني، العاملي، ثم الدمشقي، آخر مجتهدي الشيعة الإمامية في بلاد الشام. مولده بجبل عامل بلبنان سنة ١٢٨٢هـ، ووفاته بدمشق سنة ١٣٧١هـ. من مؤلفاته: (أعيان الشيعة)، و(الحصون المنيعة)، و(تحفة الأحباب في آداب الطعام والشراب). انظر: الأعلام [٥/ ٢٨٧]، معجم المؤلفين [٣/ ٢٠].

(٤) منهم: عبد الله مخلص الحيفاوي، وإبراهيم حلمي البغدادي. انظر: أعيان الشيعة، تأليف: السيد محسن الأمين، تحقيق: السيد حسن الأمين، نشر: دار التعارف - بيروت، ١٤٠٣هـ [١/ ٢٦].

أن يستقصوا عدد الشيعة في العالم وتعدادهم في كل بلد على وجه التقريب، فذكر الأمين أنَّ عدد الشيعة حينها حوالي خمسة وسبعين مليوناً تقريباً، أي بما يعادل أكثر من خُمس عدد المسلمين حينها(١).

ومن أبرز البلاد ذات التواجد الشيعي المرتفع، أو المؤثر: إيران، والهند، والعراق، ولبنان.

**١) إيران:**

تعتبر إيران البلد الشيعي الأوَّل في هذا العصر، فهي الحاضن الأول، والمحرك الأكبر للدعوة الشيعية في العالم، حيث تعمل إيران على نشر التشيع وإعزازه بشتَّى الوسائل(٢)، ويُعَد المذهب الشيعي الإمامي الاثنا عشري هو المذهب الغالب في إيران منذ قرون مضت، فمنذ أوائل القرن العاشر الهجري (٩٠٥هـ) أشاعت الدولة الصفوية(٣) التشيع في إيران،

---

(١) انظر: أعيان الشيعة، للأمين [١/ ٢٦].

(٢) انظر: الشيعة في الميزان، لمحمد جواد مغنية [١٩٧].

(٣) تنسب الدولة الصَّفويَّة إلى الشيخ صفي الدين الأردبيلي (٦٥٠-٧٣٥هـ)، والذي كان واعظاً متصوفاً في مدينة أردبيل، ثم أسس طريقة صوفية سمي أتباعه (الإخوان)، وبعد وفاته توالى على مشيخة الطريقة أبناؤه من بعده؛ أولهم: ابنه صدر الدين، ثم إبراهيم بن صدر الدين، ثم جنيد بن إبراهيم، ثم حيدر بن جنيد، وهو أول من لقب بلقب سلطان من العائلة الصفوية، وكان أبوه قتله ملك شيروان، فخرج بجيش للثأر لأبيه فقتل وحبس أبناؤه - علي، وإبراهيم، وإسماعيل - وبعد زمن خرجوا من السجن وقتل إبراهيم وعلي، وأما إسماعيل فجهز جيشاً توجه به إلى أمير دولة التركمان سنة ٩٠٧هـ فقتله واستولى على ملكه، وأعلن دولته الصفوية، ثم أعلن المذهب الإمامي الاثني عشري مذهباً رسمياً للدولة، وأجبر الناس على اعتناقه، وأخضع الكثير من البلاد لسلطانه، وأجرى السيف في أهل السنة، فقتل منهم مقاتل عظيمة، واستمر الحكم في البيت الصفوي تعاقب على الحكم عدد من السلاطين، =

وثَبَّتَت أركانه، واستمر بعد ذلك في ازدياد إلى زماننا هذا(١)، ويبلغ عدد سكان إيران في آخر تعداد أجري في العام ٢٠١٢م، أكثر من خمسة وسبعين مليون نسمة، غالبيته من الشيعة الاثني عشرية(٢).

**٢) الهند:**

يوجد في الهند أكبر تجمُّع شيعي في العالم، حيث يبلغ عدد الشيعة في الهند - بحسب ما نقلته شبكة آل إسحاق - حوالي ٨٤ مليون نسمة، يمثل الشيعة الاثنا عشرية الغالبية فيه، ففي ولاية (لكنهو) وحدها يمثل الشيعة الاثنا عشرية غالبية السكان البالغ ١٧ مليون نسمة(٣).

والتشيع في الهند قديم نسبياً، حيث يعود تاريخه إلى قرون مضت، وبالذات في أيام حكم الدولة الصفوية، فقد كان لها الدور الأكبر في نشر التشيع في الهند(٤).

**٣) العراق:**

يعتبر العراق الموطن الأول للتشيع، فمنها بَدا، ومنها خرج دعاته في

---

= إلى العام ١١٤٨هـ، وهو العام الذي استولى فيه الأفغان على الحكم، وانتهى بذلك حكم الصفويين. انظر - مختصراً: تاريخ الدولة الصفوية في إيران، تأليف: د. محمد سهيل طقوش، نشر: دار النفائس - بيروت، ١٤٣٠هـ [٣٥-٢٥٢]، دور الشيعة في الحضارة [١١١].

(١) انظر: دور الشيعة في بناء الحضارة، للسُّبحاني [١١١].

(٢) بحسب ما نقلته: جريدة الشرق الأوسط، العدد (١٢٢٩٨)، بتاريخ ٣٠يوليو ٢٠١٢م.

(٣) عن: شبكة سادة آل إسحاق الحسيني، ٣١/ ١/ ٢٠١٠م، متاح على الرابط: http://www.m-es7aq.com
تاريخ الدخول: ٢٤/ ١١/ ٢٠١٣م.

(٤) انظر: الشيعة في الميزان، لمحمد جواد مغنية [٢٠٣].

الآفاق، حيث يعود تاريخ التشيع في بلاد العراق إلى القرن الأول الهجري، فقد كان لأهل العراق دور بارز في تأييد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في حروبه، حتى أدى به الحال إلى أن استقر في الكوفة واتخذها مركزاً لخلافته، ثم من بعده أعلنوا الولاء لأبنائه، فبايعوا الحسن بن علي رضي الله عنه بعد مقتل أبيه، ثم في خلافة يزيد بن معاوية أرسلوا إلى الحسين بن علي يستحثونه للخروج إليهم والقيام معه على بني أمية فكان من أمره وأمرهم ما كان!.

وبعد الحسين بأكثر من ستين سنة بايعوا حفيده زيد بن علي بن الحسين على أن يقوموا معه ضد بني أمية، فغدروا به، ولم يخرج معه إلَّا نزر يسير، ثم توالت حركات الشيعة بدعوى نصرة آل البيت، فكان العراق هو المركز الرئيس لتلك الحركات في تلك الفترة، ومنه انتشرت دعوة التشيع إلى بلاد فارس.

وقد كان لدولة بني بويه(١) الدَّور الأبرز في إظهار التشيع وإعلانه في

---

(١) دولة بني بويه: قامت هذه الدولة على رقعة واسعة من بلاد العراق وفارس، وبويه: رجل متوسط الحال كان يعيش بين الديلم، واسمه: بويه بن فناخسرو بن تمام..، وكنيته: أبو شجاع، وكان له ثلاثة بنين، وهم: عماد الدولة أبو الحسن علي، وركن الدولة أبو علي الحسن، ومعز الدولة أبو الحسين أحمد، وكانوا في خدمة ماكان بن كالي الديلمي، ولما سقط ما بيد ماكان من ملك بيد أشغار بن شيرويه ومرداويج، فارقه أبناء بويه، فلحقوا بمرداويج ومعهم جماعة من قوَّاد ماكان، فأحسن إليهم مرداويج، وقلَّد عماد الدولة علي بن بويه كَرَج، فقوي بها وكثر جمعه، واستمال جماعة من قواد مرداويج، ثم خرج عن طاعته وبدأ يفتح البلاد تلو البلاد ومعه إخوته يستعين بهم في قيادة الجيوش إلى أن وصلت جيوشه بغداد، فدخلها معز الدولة بن بويه في الحادي عشر من جمادى الأولى سنة ٣٣٤هـ، واستمرت دولتهم ما يزيد على مائة وثلاث عشرة سنة، ففي ٤٤٧هـ عظم أمر السلاجقة، في الوقت الذي كثرت =

بلاد العراق[١]، ففي زمان الدولة البويهية ظهرت معظم الطقوس الشيعية؛ كالاحتفال بيوم الغدير، وإحياء يوم عاشوراء، وأُعلن التشيع بكل حرية[٢].

ويمثل الشيعة في العراق في الوقت الحاضر أقل من نصف السكان؛ ففي بحث نشره المعهد العربي للدراسات الاستراتيجية مؤخَّراً، ذكر فيه أنَّ نسبة الشيعة بالنسبة لسكان العراق تبلغ **٤٣٪** مقابل **٥٣٪** للمسلمين السنة[٣]، ويبلغ عدد سكان العراق بحسب تعداد عام **٢٠١٢م** حوالي **٥و٣٤** مليون نسمة[٤]، فإذا حسبنا عدد الشيعة من خلال النسبة المذكورة، وهي: (**٤٣٪** يكون عدد السكان من الشيعة حوالي (**١٤٨٣٥٠٠٠** نسمة) مقابل (**١٨٢٨٥٠٠٠** نسمة) من السنة، بفارق يزيد عن ثلاثة ملايين نسمة لصالح السنة.

---

= فيه الفتن في بغداد بين السنة والشيعة مما أدى بكبار القادة، ومعهم الخليفة العباسي (القائم) أن أرسلوا إلى قائد السلاجقة (طغرل بك) يستحثونه للقدوم إلى بغداد، فجاء السلاجقة ودخلوا بغداد، فكانت نهاية دولة بني بويه، وبداية عهد السلاجقة. انظر: الكامل في التاريخ - ابن الأثير [٧/ ٨٧ - ٩١]، تاريخ ابن الوردي، تأليف: زين الدين عمر بن مظفر الشهير بابن الوردي، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٧هـ [١/ ٢٥٥]، البداية والنهاية [١٥/ ١٦٧]، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تأليف: محمد فريد بك المحامي، تحقيق: د. إحسان حِقي، نشر: دار النفائس - بيروت، ١٤٠١هـ [٦٣].

(١) انظر: أعيان الشيعة، للأمين [١/ ٢٦].

(٢) انظر: البداية والنهاية [١٥/ ٢٦١]، [١٥/ ٣١٤].

(٣) عن: المعهد العربي للدراسات الاستراتيجية، د. إبراهيم حمّامي، ٣٠/ ١٢/ ٢٠١٢، متاح على الرابط: http://www.airss.net
تاريخ الدخول: ٢٤/ ١١/ ٢٠١٣م.

(٤) عن: وكالة أور الإخبارية العراقية ١٨/ ٥/ ٢٠١٣م، متاح على الرابط: http://www.uragency.net
تاريخ الدخول: ٢٤/ ١١/ ٢٠١٣م.

**٤) لبنان:**

لبنان بلد صغير، لا يتجاوز عدد سكانه ثلاثة ملايين ونصف المليون نسمة، ونسبة الشيعة فيه لا تتجاوز ٣٠ ٪ من عدد السكان[(١)]، إلَّا أنَّ هذا التواجد الشيعي في لبنان على قِلَّته نسبياً ذو تأثير واضح، لا سيما بسبب تنظيم حزب الله، الذي لعب دوراً كبيراً في الآونة الأخيرة، سواء في حربه مع الكيان الصهيوني، أو من خلال التدخُّل المتكرِّر في شؤون لبنان، أو الدول المجاورة.

والتشيع وإن كان قديماً في بلاد الشام عموماً ولبنان على وجه الخصوص؛ فإنه ليس عامّاً في جميع لبنان، وإنَّما يتركز في مناطق معينة، من أشهرها: جبل عامل، وبعلبك، وجبل لبنان[(٢)].

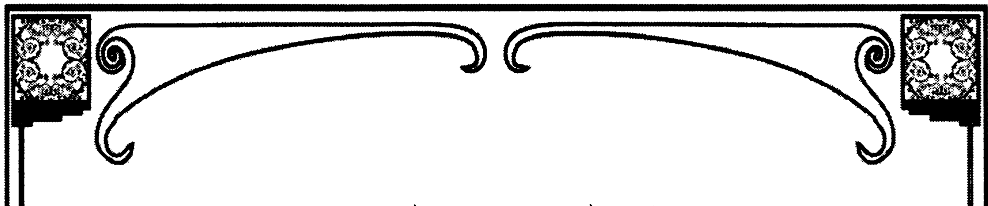
وأخيراً، فإن التشيع لا يقتصر على ما ذكر من الدول، بل هناك دول أخرى كثيرة يتواجد فيها الشيعة في عصرنا، وأعدادهم في ازدياد، فإنَّ هناك نشاطاً ملحوظاً في نشر التشيع بين أوساط المسلمين في كثير من الدول العربية والإسلامية من خلال راعية التشيع الأولى في العالم (إيران)[(٣)].

---

(١) بحسب موقع تبيان ٢٠٠٦/٦/١٢م، متاح على الرابط: http://arabic.tebyan.net تاريخ الدخول: ٢٤/ ١١/ ٢٠١٣م.

(٢) لمزيد من التفصيل، راجع: الشيعة في الميزان، لمحمد جواد مغنية [١٩٩ - ٢٠١].

(٣) لمعرفة تفاصيل عن هذا النشاط، راجع: خريطة الشيعة في العالم؛ دراسة عقدية - تاريخية - ديموجرافية - استراتيجية، تأليف: أمير سعيد، نشر: مركز الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية - القاهرة، ١٤٣٠هـ [١٣٩، وما بعدها]، التوجهات الإيرانية في المنطقة العربية وأثرها على الأمن القومي، تأليف: د. أبي بكر مرشد فازع الزهيري، (ط٢)، نشر: مكتبة ومركز الصادق - صنعاء، ٢٠١١م [٨٠ - ١٠٦].



# الباب الثاني

## أسباب التحوُّل العقدي عند زيدية اليمن

ويشتمل على فصلين:

- الفصل الأول: أسباب التحول العقدي إلى السنة عند زيدية اليمن.
- الفصل الثاني: أسباب التحول العقدي إلى الرفض عند زيدية اليمن.

# الفصل الأول

## أسباب التحول العقدي إلى السنة عند زيدية اليمن

وفيه ستة مباحث:

- ❖ المبحث الأول: استمرار القول بجواز الاجتهاد وتحريم التقليد في العقائد.
- ❖ المبحث الثاني: انفتاح الزيدية على المذاهب السنية.
- ❖ المبحث الثالث: بعث تراث أهل البيت.
- ❖ المبحث الرابع: اضطراب الزيدية في موقفهم من صحابة النبي ﷺ.
- ❖ المبحث الخامس: اشتغال متأخري الزيدية بالسنة وعلومها.
- ❖ المبحث السادس: التطرف الاعتزالي عند الزيدية.

## المبحث الأول

## استمرار القول بجواز الاجتهاد وتحريم التقليد في العقائد

**تمهيد:**

الاجتهاد لُغَة: مأخوذ من الجَهْد، أو الجُهْد، وهو بمعنى الطاقة والمشقَّة(١)، فما لا مشقَّةَ فيه لا يُعَدُّ من الاجتهاد(٢).

وأمَّا في اصطلاح الأُصوليين: فمخصوص باستفراغ الوُسْعِ في طلب الظنِّ بشيء من الأحكام الشَّرعيَّة على وجه يَحُسُّ من النفس العجزَ عن المزيد فيه(٣).

وبالجملة؛ فالمجتهد: هو من يأخذ الأدلة الشَّرعيَّة من مواطنها، ويَفرِضُ نفسَه موجوداً في زمن النُّبوَّة وعند نزول الوحي، وإن كان في آخر الزَّمان، وكأنَّه لم يسبقه عالم، ولا تَقدَّمَه مُجتهد، فإنَّ الخطابات الشَّرعيَّة تتناوله كما تناولت الصحابة من غير فرق(٤).

والتقليد في اللُّغة: مأخوذ من القِلادَة، والقِلادَة: ما جُعِلَ في العُنُق؛ يكون للإنسان والفَرَس والكلب، والبَدَنَة التي تُهدَى ونحوها.. وتقليد البُدْن: أنْ يُجْعَلَ في عنقها شعارٌ يُعلَمُ به أنَّها هَدْيٌ.. وقلَّدَه الأمرَ:

---

(١) انظر: القاموس المحيط، تأليف: محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر [١/ ٢٨٣]، لسان العرب [١/ ٧٠٨].

(٢) انظر: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، للشوكاني [٢/ ١٠٢٥].

(٣) الإحكام في أصول الأحكام، تأليف: علي بن محمد الآمدي، علّق عليه: عبدالرزَّاق عفيفي، نشر: دار الصميعي - الرياض، ١٤٢٤هـ [٤/ ١٩٧].

(٤) انظر - مختصراً-: أدب الطلب ومنتهى الأرب، للشوكاني [٢٠٦].

أَلْزَمَه إيَّاه[١].

وأما اصطلاحاً؛ فهو: العمل بقول الغير من غير حُجَّة [٢].

**حكم الاجتهاد والتقليد[٣] عند الزيدية:**

للمذهب الزيدي موقف محمود تجاه قضية الاجتهاد، وذلك من خلال تقرير القول بلزوم الاجتهاد لمن حَذَقَ علومَه، وأتقن فنونَه؛ مِن أصولِ فِقهٍ، ونَحوٍ، وصَرفٍ، ومعانٍ، وبَيَانٍ، ولُغَةٍ، ومَنطِق، وعلمِ مصطلح الحديث، وغيرِ ذلك من علوم الرِّواية والدِّرَاية، بل نَصُّوا على تحريم التقليد لمن بلغَ رتبةَ الاجتهاد، وأوجبوا أن يجتهد رأيَ نفسِه، لم يَخُصُّوا بذلك مسألةً دونَ أخرى[٤].

وقد كان لهذا الموقف من الاجتهاد نتيجةٌ محمودة، حيث أعطى علمائَهم حرية أكبر في التعرُّف على مذاهب المخالفين للزيدية، فساعد ذلك في التعرُّف على السُّنَّة، والتعرُّف على علوم أهلها، فتعلموها وتأثروا بها،

---

(١) لسان العرب، لابن منظور [٥/ ٣٧١٨].

(٢) إرشاد الفحول [٢/ ١٠٨١]، وانظر: الإحكام في أصول الأحكام للآمدي [٤/ ٢٦٩].

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "والذي عليه جماهير الأمة أن الاجتهاد جائز في الجملة، والتقليد جائز في الجملة، لا يوجبون الاجتهاد على كل أحد ويحرمون التقليد، ولا يوجبون التقليد على كل أحد ويحرمون الاجتهاد، وأن الاجتهاد جائز للقادر على الاجتهاد، والتقليد جائز للعاجز عن الاجتهاد؛ فأما القادر على الاجتهاد، فهل يجوز له التقليد؟ هذا فيه خلاف، والصحيح؛ أنه يجوز حيث عجز عن الاجتهاد؛ إما لتكافؤ الأدلة، وإما لضيق الوقت عن الاجتهاد، وإما لعدم ظهور دليله؛ فإنه حيث عجز سقط عنه وجوب ما عجز عنه وانتقل إلى بدله، وهو التقليد، كما لو عجز عن الطهارة بالماء". مجموع الفتاوى [٢٠/ ١١٢-١١٣].

(٤) انظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني [٢/ ٦٨٨].

ونشروها بين ذويهم بعد أن أحبوها وآمنوا بها.

يقول الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: "وقد كان أتباع هذا الإمام [يعني: الإمام الهادي يحيى بن الحسين] في العصور السابقة، وكذلك أتباع الإمام الأعظم زيد بن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ فيهم إنصاف، لاسيما في فتح الاجتهاد وتسويغ دائرة باب التقليد، وعدم قصر الجواز على إمام معين، كما يعرف ذلك من مؤلفاتهم بخلاف غيرهم من المقلِّدة، فإنَّهم أوجبوا على أنفسهم تقليدَ المعين، واستروحوا إلى أنَّ باب الاجتهاد قد انسدَّ، وانقطع التفضُّل من الله على عباده.."(١).

والاجتهاد عند الزيدية فرضُ عينٍ على كل أهلِ مصر حتى يقوم به البعض، فيصير عند ذلك فرض كفاية، وهذا في الفروع، وأما أصول الدين؛ فكل مؤمن بها يجب أن يكون من أولي العلم المجتهدين، وكذلك ما يلحق بها من معرفة الملائكة والنبوات، ومن تكون له الإمامة بعد رسول الله ﷺ(٢).

والاجتهاد مستمر في كل عصر، فلا يجوز أن يخلو عصر من العصور من مجتهد، لم يخالف في هذا سوى الإمام يحيى بن حمزة، قال الإمام القاسم بن محمد: "وقد تواتر من السُّنَّة ما يدل على أنَّه لا تخلو الأعصار من المجتهدين.. وذهب أئمة العترة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ والمعتزلة وغيرهم إلى مثل ما ذكرته إلَّا الإمام يحيى بن حمزة عَلَيْهِ السَّلَامُ فإنَّه قال: يجوز أن يخلو الزمان من

---

(١) القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد ضمن الرسائل السلفية في إحياء سنة خير البرية، تأليف: محمد بن علي الشوكاني، اعتنى به وراجعه: شفيق محمود البسط، نشر: المكتبة العصرية - بيروت، ١٤٢٦هـ [١٠٨].

(٢) انظر: البدر المنير في معرفة الله العلي الكبير، لليماني [١/ ١٢٧-١٢٨].

المجتهد..»[١].

والتقليد غير جائز في أصول الدين عند الزيدية[٢]، وإن كان الـمُقَلَّدُ في ذلك هم أهل البيت. سئل الإمام القاسم بن محمد: لِمَ لا يقال بوجوب تقليد أهل البيت في أصول الدين وغيره من المسائل المجمع عليها؟، فأجاب: «أما إثبات الدليل على الله سبحانه وتعالى، وعلى صِحَّة نبوَّة النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، وكون الكتاب والسنة حقاً فلا يصح ذلك؛ لأنَّا لم نعرف كونَ إجماع آل الرسول حُجَّةً إلَّا بعد تمام معرفة ذلك، وأما ما سوى ذلك من المسائل الأصولية؛ فما أجمعوا عليه اعتمد عليه، لكن لا يُسَمَّى تقليداً لكون إجماعهم حُجَّةً كما تقدم، واتباع الحُجَّة لا يسمى تقليداً بإجماع علماء الإسلام»[٣].

**العلوم التي يجب على من أراد الاجتهاد الإلمام بها:**

والاجتهاد وإن كان مُيسَّراً لدى الزيدية، إلَّا أنَّه لا يتم إلَّا بعد الإلمام بعدد من العلوم، وهي:

١- العلم بالكتاب؛ وذلك أنَّه أصل من أصول أحكام الشريعة، ولا يلزمه أن يكون حافظاً له من ظاهر قلبه؛ بل يجب عليه العلم بآيات الأحكام لِيَطلُبَها من مكانها.

٢- العلم بالسُّنَّة: فلا بد من معرفة الأحاديث التي هي مُتَعَلَّقُ الأحكام، ولا يلزمه حفظُها من ظاهر قلبه، ولا يلزمه أيضاً الإحاطةُ بجميعها، بل مقدارُ ما يتعلق بالأحكام الشرعية دون المواعظ والآداب والحِكَم.

---

(١) مجموع الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد [٦٨].

(٢) انظر: مصباح العلوم في معرفة الحي القيوم، للرصّاص [٩٣].

(٣) مجموع القاسم بن محمد [٢٧٥-٢٧٦].

٣- العلم بالإجماع: فيجب عليه ألَّا يُفتي بحكم قد وقع الإجماع على خلافه، ولابد من العلم بهذا القدر؛ لأنَّ مخالفة الإجماع حرام محظور، ولا يلزم الإحاطة بجميع الإجماعات؛ بل يكفيه هذا القدر .

٤- العقل: والمراد به أنَّ الأصل هو البقاء، والبقاء على البراءة الأصلية، ولا يحصل التغيير عن الأصل إلَّا بدليل شرعي من كتاب، أو سنة، أو إجماع، أو قياس، فإنْ لم يكن شيء من هذه الأصول فالأصل هو البراءة الأصلية.

٥، ٦ - علم النَّحو واللُّغة: وحَدُّ ذلك أن يكون متمكِّناً من فهم الحقيقة والمجاز، ويُفَرِّقَ بين النصِّ والظاهر، والمجمل والمبيَّن، والمطلق والمقيَّد، ولا يشترط أن يكون محيطاً بجميع أسرار اللُّغة والنَّحو ودقائقهما.

٧ - معرفة الناسخ والمنسوخ: ومقدار ذلك وحَدُّه أن لا يُفتي بحكم نُسِخ، ولا يلزم أن يكون محيطاً بجميع الأمور والوقائع المنسوخة.

٨ - العلمُ بأحوال الرُّواة ونقلة الأحاديث، ومَن يُقبَلُ منهم ومن هو مردود؛ ومقدار ذلك: أن يَعلَمَ بكون الراوي عدلاً ضابطاً، ولا يلزم أن يكون عالماً بجميع طرائقهم وأحوالهم وأنسابهم وسِيَرِهم، بل يكفي ما ذُكر(١).

**مخالفة الزيدية لمبدأ الاجتهاد والانسياق وراء التقليد:**

ثم إنَّ الزيدية في القرون المتأخرة نبذت الاجتهاد وانساقت وراء التقليد، فصار دينُها وديدنها الدِّفاع والمجالدة على تَرِكَةِ الآباء مما ورثوه -

(١) انظر: كتاب التمهيد في شرح معالم العدل والتوحيد، ليحيى بن حمزة [٢/ ٥٥٢-٥٥٣].

فيما يظنون - من مذهب أهل البيت، فصارت الزيدية في تمسُّكِها بمذاهب السابقين كغيرها من المذاهب؛ بل أشدَّ تَعَصُّباً!.

يقول الشوكاني: "وما ذكرنا فيما سبق أنَّه كان في الزيدية والهادوية - في الدِّيَار اليمنية - إنصاف في هذه المسألة بفتح باب الاجتهاد؛ فذلك إنَّما هو في الأزمنة السابقة كما قرَّرنا في ما سلف، وأما في هذه الأزمنة، فقد أدركنا منهم مَنْ هو أَشَدُّ تَعصُّباً من غيرهم، فإنَّهم إذا سمعوا برجل يَدَّعي الاجتهاد، ويأخذُ دينَه من كتاب الله وسُنَّة رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - قاموا عليه قياماً تبكي عليه عيونُ الإسلام، واستحلُّوا منه ما لا يستحلونه من أهل الذِّمَّة.."[1].

ولَعَلَّ من أبرز الأسباب التي أَدَّتْ إلى ركون الزيدية إلى التقليد - تقليد أئمتهم - ما تقرَّر عندهم تجاه الأئمة من كونهم أفضل الناس عقولاً، وأنَّهم الرَّاسخون في العلم، وأنَّهم أهل الذكر الذين عناهم الله تعالى في كتابه بقوله: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النّحل: ٤٣]، وبالتالي ظنُّوا أن اتباعَهم أولى من اتباع غيرهم، والعملَ باجتهادهم أصحُّ من العمل باجتهاد مَن سواهم؛ فنبذوا لأجل ذلك الاجتهادَ وانساقوا وراء التقليد، وإليك شيئاً من عقائدهم في أئمة أهل البيت تُبيِّن ذلك:

**١- أئمة أهل البيت هم الراسخون في العلم والعالمون بتأويل القرآن دون سواهم:**

يعتقد الزيدية أن الراسخين في العلم إنَّما هم أئمة أهل البيت فحسب، وبالتالي فهم المنوطون بفهم ما اشتبه على الناس من أمور دينهم. يقول

---

(١) القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد ضمن الرسائل السلفية [١١٠].

الإمام الناصر أحمد بن يحيى(١): "لَعَمرُ الله؛ إنَّ الراسخين ليعلمون تأويل الكتاب وما تحتاج إليه الأُمَّة من أمر دينها الذي تعبَّدها الله عز وجل به، لولا ذلك لم يجب لهم اسم الرسوخ في العلم، وإلّا فَفِيمَ رَسَخَ إذا لم يعرف تأويل القرآن؟!، فأولئك هم أئمة الهدى من أهل بيت النبوَّة عليهم السلام.. "(٢).

ويقول الناصر الأطروش: "فلو لم يُفَسِّر القرآنَ أهلُ النَّقصِ والجهلِ به على مَبلغ عقولهم، ولم يحملوا تأويله على لَكنَتِهم، ورَدُّوا عِلمَه إلى تراجمته من أهل بيت نبيئهم عليه السلام كما أمر الله بقوله: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٌ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾﴾ [النِّسَاء: ٨٣]، لَسَلِموا من الضلال، وسَلِمَ منهم من اتبعهم من المستضعفين الجُهَّال، ولم يَنسِبُوا اللهَ إلى الجور والمحال، ولم يجعلوا له ما كره وذَمَّ من سَيِّئ الأفعال"(٣).

### ٢- أهل البيت هم أهل الذكر:

ومعنى هذا حصرُ المسألة فيهم لمن لم يَعلَمِ الحُكمَ في حادثة مُعيَّنة

---

(١) الناصر لدين الله، أحمد بن الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم. من أئمة الزيدية في اليمن، ولي الإمامة سنة ٣٠١هـ بعد اعتزال أخيه (محمد بن يحيى)، وجهز الجيوش في قتال القرامطة فظفر بهم. توفي بصعدة سنة ٣٢٥هـ. من مؤلفاته: (كتاب النجاة)، و(مسائل الطبريين)، و(التنبيه). انظر: الشافي - عبد الله بن حمزة [١/ ٨٨٥، وما بعدها]، الأعلام [١/ ٢٦٨]، معجم المؤلفين [١/ ٣٢٣].

(٢) كتاب النجاة [٣٣٧].

(٣) البساط [١٣١].

دونَ مَن سِوَاهُم. يقول الإمام الناصر أحمد بن يحيى: "والرَّاسخون في العلم هم أهل التَّنزيل والتأويل، ولو لم يكن عندهم علمُ الكتاب لما جاز أن يقول اللهُ جلَّ ثناؤه في كتابه: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧﴾ [الأنبياء: ٧]، والذِّكرُ فهو: محمد صلى الله عليه وعلى آله، ودليل ذلك قول الله عز وجل: ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝١٠ رَّسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ﴾ [الطّلَاق: ١٠-١١]، فصار الذكر هو الرسول، وهذا ما لم يُدفَع، فصار أهل البيت عليهم السلام المأمور الخلق بسؤالهم.."(١).

### ٣- الصَّواب مع أهل البيت وإن اختلفوا:

ومعنى هذا أنَّه إذا اختلف أهل البيت في مسألة ما، فلا يمكن أن يَخرُجَ الصَّواب عنهم، وإن كان غيرَ مُعَيَّنٍ في واحد منهم، وعلى أتباعهم أن ينظروا الحق في أقوالهم. يقول الحسين بن القاسم العِياني(٢): "فمَن طلب الحقَّ عند غيرهم فقد جَهِل، ومن عاندهم فقد ضَلَّ وخُذِل؛ لأن الله لو علم أنَّ العباد يكتفون بعقولهم لما فرض سؤالَ آلِ نَبيِّه عليهم السلام؛ فَمَنْ رَامَ أن يكتفي عنهم بعقله فقد وقع في ضلالته وجهله؛ لأنَّه كَلَّفَ نفسَه ما لا يُطيق.."(٣).

وعليه، فلا جدوى من اجتهاد كلِّ مُجتهِد سوى أئمة أهل البيت من الزيدية، فمهما بلغ من رتبة الاجتهاد ودرجة العلم، فهو أقلُّ من أن يُسْأل في نازلة، أو يُتَّبَعَ في فتوى لم تُؤْثَر عن إمام زيدي، فصار الاجتهاد وكأنَّه محصور في طبقة الأئمة فحسب، كما صار التقليد غايةَ ما يستطيعه الأتباع،

---

(١) كتاب النجاة [٣٣٧].

(٢) تقدمت ترجمته ص [٣٠].

(٣) مجموع الحسين بن القاسم العياني [١٨٨-١٨٩].

فشَاعَ بذلك التقليد بين الزيدية وانتشر!.

ومما يؤكد ظاهرة التقليد لدى الزيدية وتأصُّلَها لدى المتأخرين منهم، ما كتبه اليماني في البدر المنير؛ حيث أوجب تقليد أهل البيت على من لم يبلغ درجةَ الاجتهاد، والاتباع لعلمهم وجماعتهم على من بلغ درجة الاجتهاد من غيرهم(١)!.

وبعد هذا، فلا عَجَبَ من عداوة مُقَلِّدَة الزيدية لمن يَدَّعي الاجتهاد من غير الأئمة، فقد أُشرِبَتْ قلوبُهم تلك الآراء واستقرَّت فيها، فصاروا يتَّهمون كلَّ من اجتهد رَأْيَه بعد ذلك بأنَّه يريد تقويضَ مذهبِ أهلِ البيت!. وهذا هو ما أشار إليه المنصفون من الزيدية من حال المقلِّدَة في تعظيمهم المفرط لآراء الأئمة، وازدرائهم بمن خالَفَهُم من العلماء وإن بلغوا في الاجتهاد ما بَلَغوا(٢).

ومع هذا الانحدار الذي لَحِقَ بالزيدية في أهم أصول التَّحرُّر الفكري لديهم (الاجتهاد)، فقد ظهر عدد من العلماء المجتهدين المنصفين الذين نادوا بِنَبذِ التقليد، والإقبالِ على العلم واتباعِ الدليل، والعودة بالمذهب الزيدي إلى سابق عهده من القول بجواز الاجتهاد، وأنْ يَعمَل كل مجتهد بما وصل إليه اجتهاده. يقول القاضي والمؤرخ الكبير إسماعيل بن علي الأكوع (ت: ١٤٢٩هـ) رَحِمَهُ اللهُ: "فكان أن وَلَجَ هذا الباب عدد غير قليل من علماء الزيدية في اليمن ممن هيَّأه الله لصعود مدارج الاجتهاد، فاشتغلوا بعلوم القرآن المجيد وتفاسيره، ودراسة أمهات كتب الحديث وعلومه،

---

(١) انظر: البدر المنير، لليماني [١/ ١٢٩].

(٢) انظر: القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد ضمن الرسائل السلفية [١١٠]، العلم الشامخ، تأليف: صالح بن مهدي المقبلي، طبع بعناية: وليد عبد الرحمن الربيعي، نشر: دار الجيل الجديد - صنعاء، ١٤٣٠هـ [١٦١-١٦٢].

فوجدوا في الكتاب والسنة الصحيحة ما يحتاج معهما طالب الحق إلى شيء من غيرهما، مما يُعَدُّ من مَحض الرأي، فنبذوا التقليد، ودعوا غيرهم إلى العمل بأحكام الكتاب والسنة؛ فبرز من هؤلاء العلماء أئمة في الاجتهاد المطلق؛ منهم: محمد بن إبراهيم الوزير..، وصالح بن مهدي المقبلي..، ومحمد بن إسماعيل الأمير..، وعبد القادر بن أحمد بن عبدالقادر شرف الدين..، ومحمد بن علي الشوكاني.."[١].

وبعد جُهد وصَبر، اشتد ساعد دعوتهم، ونضجت ثمرةُ جهدهم وآتت أُكُلَها بإذن ربِّها، فكَثُر أهلُ الإنصاف[٢]، وانبعث روح الاجتهاد من جديد، من خلال الدعوة إلى الاهتمام بالدليل، ونبذ التقليد الأعمى، ونشر علوم الاجتهاد، مع الاهتمام بنشر سنة الرسول ﷺ من أمهات كتب الحديث، والتي لم تَحضَ باهتمام لدى الزيدية من قبل، ولَعَلَّ هذا الأخير هو أهم ما

---

(١) الزيدية نشأتها ومعتقداتها [٣٧ - ٣٨].

(٢) ذكر الشوكاني رحمه الله عدداً لا بأس به من المجتهدين الذين اتصفوا بالإنصاف في كتابه: (البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع)، منهم على سبيل المثال:

- إبراهيم بن عبد القادر بن أحمد الكوكباني(١١٦٩- ١٢٢٣هـ).
- الحسن الجلال(١٠١٣- ١٠٨٤هـ).
- الحسن بن إسماعيل بن الحسين بن محمد المغربي(١١٤٠- ١٢٠٨هـ).
- عبد الرحمن بن محمد بن نهشل الحيمي(ت: ١٠٦٨هـ).
- عبد القادر بن أحمد بن عبد القادر(١١٣٥- ١٢٠٧هـ).
- عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن صلاح الأمير(١١٦٠- ١٢٤٢هـ).
- القاسم بن محمد بن عبد الله الكبسي(١١١٦- ١٢٠١هـ).
- لطف الباري بن أحمد بن عبد القادر بن الورد الثلائي(ت: ١١٢١هـ).
- محمد بن الحسن(المحتسب) (١١٧٠- ١٢٥٧هـ).
- يحيى بن الحسين بن القاسم(١٠٣٥- ١١٠٠هـ).

يُمَيِّزُ اجتهاد المتأخرين - من بعد زمن ابن الوزير - عن اجتهاد المتقدمين من الزيدية؛ إذ لم يكن لكتب السنة - الحديثية - مكانة كبيرة عند زيدية اليمن قديماً، فإنَّ للزيدية مصادرهم التي يأخذون منها ما يؤمنون به من السُّنَن، فلمَّا تشابه هؤلاء مع أهل السنة في هذه الصفة أشبهوا أهلَ السنة حتى صاروا منهم، فكان التَّحَوُّل(١) .

**جهود المنصفين في التنفير من التقليد والقول بتيسير الاجتهاد:**

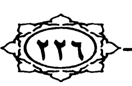
وقد عمل المجتهدون المنصفون من الزيدية على محاربة التقليد والتنفير عنه، وإشاعة القول بإمكانية الاجتهاد في الأزمنة المتأخرة، وأنَّ بابَ الاجتهاد ما يزال مفتوحاً مُتَيَسِّراً لمن أراد، وإليك بعضاً من أقوالهم تُبيِّن المراد:

يقول ابن الوزير رَحِمَهُ اللهُ: "ومن أعجب العجائب دعوى المقلِّدين للمعارف، ودعوى المتَعَصِّبين للإنصاف، وأَمارَةُ ذلك: أَنَّك تجد العوالمَ الكثيرة في لطائف المعارف - المختلف فيها - على رأي رجل واحد من القدماء في الأمصار العديدة، والأعصار المديدة..؛ فإنَّ نشأة الإنسان على ما عليه أهلُ شارِعه وبلدِه وجيرانُه وأترابُه صنيع أسقط الناس هِمَّة وأدناهم مرتبة، فلم يعجز عن ذلك صبيان النصارى واليهود، ولا ربات القدود والنهود؛ المستفرقات في تمهيد المهود، وهذه هذه، فأعطها حقَّها، وانظر لنفسك وانْجُ بها، وطالع قصَّةَ سلمانَ الفارسي وأضرابِه، وانظر كيف كان صَبرُهم، واعرف قدر ما أنت طالب، فإنَّك طالبٌ لأعلى المراتب.."(٢).

---

(١) لا يعدو التحوُّل أن يكون موافقة في مصادر التلقي، والمشابهة في طريقة الاستدلال بهذه المصادر، والله أعلم.

(٢) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، تأليف: محمد بن إبراهيم الوزير، (ط٢)، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٧هـ [٢٧-٢٨].




ويقول الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ: "فالحقُّ الذي ليس عليه غبار: الحكم بسهولة الاجتهاد في هذه الأعصار الخالية لمن له في الدين هِمَّةٌ عالية، ورزقَهُ اللهُ فهماً صافياً، وفكراً صحيحاً، ونباهة في علمي الكتاب والسنة"(١).

ويقول أيضاً: "إنَّ التزام مذهب إمام معيَّن في جميع أقواله، بحيث لا يَحِلُّ الخروجُ عنه بحال بدعةٌ، وكل بدعة ضلالة"(٢).

ويقول الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ: "والذي أَدينُ اللهَ به: أنَّه لا رُخصَةَ لمن علم من لُغَة العرب ما يفهم به كتاب الله بعد أن يُقيمَ لِسانَه بشيء من علم النَّحو والصَّرف، وشطر من مهمات كليات أصول الفقه في ترك العمل بما يفهمه من آيات الكتاب العزيز، ثم إذا انضم إلى ذلك الاطلاع على كتب السنة المطهرة التي جمعها الأئمة المعتبرون، وعمل بها المتقدمون والمتأخرون؛ كالصحيحين وما يلحق بهما مما التزم فيه مُصَنِّفوه الصِّحة، أو جمعوا فيه بين الصحيح وغيره، مع البيان لما هو صحيح ولما هو حسن، ولما هو ضعيف، وجب العمل بما كان كذلك من السنة، ولا يحل التَّمَسُّكُ بما يخالفه من الرَّأي؛ سواء كان قائله واحداً أو جماعة، أو الجمهور..، فالحاصل أنَّ من بلغ في العلم إلى رُتبة يفهم بها تراكيبَ كتاب الله، ويُرجِّح بها بين ما ورد مختلفاً من تفسير السلف الصالح، ويهتدي به إلى كتب السنة التي يعرف بها ما هو صحيح، وما ليس بصحيح، فهو مجتهد لا يَحلُّ له أن يقلِّد غيره كائناً من كان في مسألة من مسائل الدين.."(٣).

---

(١) إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد، تأليف: محمد بن إسماعيل الصنعاني، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢٧هـ [٢٢].

(٢) إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد [٥٤].

(٣) البدر الطالع [٢/ ٦٤٠-٦٤١].

**الاجتهاد عند متأخري الزيدية هو التسنن على التحقيق:**

ولو نظرت بعين الإنصاف إلى حقيقة اجتهاد من ذُكر من علماء الزيدية لوجدته التَّسنُّنَ بعينه، فإنَّهم لا يُعَوِّلون على آراء المذهب، ولا يتقيَّدون بها، بل قيدُهم الكتابُ والسنةُ وما كان عليه سلفُ الأُمَّة، من القرون الثلاثة المفضلة، كما لا يَتورَّعون عن توجيه النقد إلى المذهب إذا لزم ذلك، وهذا ظاهر في مؤلفات المجتهدين، أمثال ابن الوزير، والصنعاني، والمقبلي، والشوكاني، وغيرهم.

يقول الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: "وقد اشتهر على ألسن الناس في صنعاء وما يتصل بها أنَّ العلماء المجتهدين ومن يأخذ عنهم ويتصل بهم في هذه العصور يقال لهم: سُنيَّة، وهذا هو اللَّقب الذي يتنافس فيه المتنافسون؛ فإنَّ نسبة الرجل إلى السُّنَّة تنادي أبلغ نداء، وتشهد أكمل شهادة بأنَّه مُتَلَبِّس بها، ولكنَّه لما صار في اصطلاح هؤلاء المتعصبة يطلق على من يعادي علياً ويوالي معاوية، افتراءً منهم على أهل العلم، واجتراءً على المسلمين، استصعب ذلك من استصعبه عند إطلاقه عليه في أَلسُن هؤلاء الذين هم بالدَّوابِّ أَشبَه، ولم أجد أهلَ مِلَّةٍ مِن المِلَل، ولا فرقةٍ من الفرق الإسلامية أَشَدَّ بُهتاً وأَعظَمَ كذباً وأكثرَ افتراءً من الرافضة؛ فإنَّهم لا يُبالون بما يقولون من الزُّور كائناً ما كان، ومن كان مشاركاً لهم في نوعٍ من أنواع الرَّفض - وإن قَلَّ - كان فيه مشابهة لهم بقدر ما يشاركهم فيه.."[1].

وفي نهاية هذا المبحث يمكن القول أنَّ موقف الزيدية من الاجتهاد والتقليد كان سبباً مؤثراً لدى طائفة من العلماء الذين اتصفوا بالاجتهاد في أن يتحوَّلوا إلى مذهب أهل السنة والجماعة؛ فإنَّ اعتراف المذهب بجواز

---

(١) أدب الطلب ومنتهى الأرب [١٣٩-١٤٠].

الاجتهاد ساعدهم في أن يبحثوا عن الحق، وأن يأخذوا بما تَرَجَّحَ لهم منه، وأن يُعمِلوا الأدلة دونَ النظر إلى ما عليه الأسلاف، كما ساعدهم القول بتحريم التقليد في العقائد على أن يأخذوا بالحق حيث وجدوه من غير نظر إلى مخالفة المذهب، فوَلَجَ الكثير من المجتهدين المنصفين بهذا إلى السنة، حتى شاعت تسمية العلماء المجتهدين في بلاد الزيدية بـ (السُّنيَّة)، لِمَا تحقَّق لديهم من تطابق في ماهيَّة دعوتهم، واتفاقهم مع أهل السنة في مأخذهم، ونبذهم لمخالفات المتقدمين، مع نشرهم لعلوم السنة، واحتفائهم بها بما لا مزيد عليه، والله أعلم.



## المبحث الثاني

## انفتاح الزيدية على المذاهب السنية

والمقصود بانفتاح الزيدية على المذاهب السُّنيَّة مطالَعَتهُم لعلومِها، واقتناء كتبها، وعدم الاقتصار على مطالعة كتب المذهب؛ فإنَّ مُجرَّدَ المطالعة في كتب الآخرين تُعطي إمكانيةَ الوقوف على حقيقة المذاهب الأخرى، والتَّعَرُّفَ على محاسن الآخرين ومساوئهم، فَيُؤْخَذُ الصوابُ ويُرَدُّ على الخطأ[1]، وهذا لمن كانت عنده الأهلية في التَّمييز بين الخطأ والصَّواب!.

وهذا الانفتاح الزيدي هو الوَجه الآخر والمكمِّل للقول باستمرار الاجتهاد وجوازه، فإنَّ المجتهد إذ قد توفرت لديه آلةُ الاجتهاد لا يكتفي بما علم من مذهبه، لكنَّه يَعمَدُ إلى النظر في مذاهب المخالفين للوقوف على حقيقة ما هم عليه، فيوافق، أو يخالف، ويقرِّر، أو يرد!.

ولاشك أنَّ هذا النظر إذا كان مصحوباً بصدق التَّديُّن، مع أهلية النظر يُورِثُ صاحبَه ميلاً إلى الصواب أنَّى وجدَه، فإنَّ الحكمةَ ضالةُ المؤمن!.

**شواهد الانفتاح الزيدي:**

ومما يشهد لهذا الانفتاح الزيدي تجاه المذاهب الأخرى - سيَّما

(١) فسَّر العلامة الكبسي انفتاح الزيدية بقوله: "انفتاح المذهب الزيدي؛ من حيث عدم التزامه بمذهب معين، وإنما يأتي بالمسألة وأقوال العلماء فيها ومستندات كل في الاستدلال والمأخذ". الفروق الواضحة البهية بين الفرق الإمامية وبين الفرقة الزيدية، تأليف: السيد محمد بن أحمد الكبسي، تحقيق: عبد الخالق بن عبد الله بن محمد إسحاق، ط٣ - ١٤٣١هـ [٥٠ - ٥١].

السنيّة - كثرةُ ما يوجد في كتبهم من سرد لأقوال مخالفيهم، وذكرٍ لأدلتهم؛ هذا السرد (النقل) الذي هو غالباً لقصد الرد على المخالف، إلَّا أنَّه يعطي تصوُّراً واضحاً على وجود هذه الصفة لدى المذهب الزيدي.

والزيدية يفاخرون باتصاف مذهبهم بهذه الصفة، ويَعُدُّونَها من مَحاسِنِه. يقول العلامة أحمد يحيى حابس[(١)]: "وأما الزيدية فلا تجدهم يُخَطِّئون أحداً في الفروع؛ بل تجدهم يذكرون مذاهبَ الأربعة وغيرهم، وما تفرَّع على ذلك ذكراً حسناً، ويجعلون لذلك الخلاف بين العلماء فائدةً جليلة، وهي أنَّ المسألة تصير ظنيَّة، ويذكرون حُجَجَ تلك الأقوال، ويستوفون ما يتعلَّق بذلك؛ بل ربَّما كان استيعابهم لذلك أكثرَ من أهلها.."[(٢)].

ويقول المقبلي رَحِمَهُ اللهُ: "وإذا نظرنا إلى ما عليه أهل المذهب من الرَّفع من شأن المذاهب الأربعة، وخلط مذاهبهم بمذهبنا في بطون الكتب، ومعاملتهم معاملةَ الأُمَّةِ المرحومة قُلنا: هذا الذي عليه الاعتماد، وندينُ به ربَّ العباد"[(٣)].

ومما يشهد لهذا الانفتاح الزيدي أنَّهم في أثناء الحكم العثماني لبلاد الزيدية ظل الزيود محافظين على مذهبهم بالرَّغم من فرض العثمانيين لمذهب أبي حنيفة على رعاياهم في القضاء والتحاكم، وقد كان قضاة تلك

---

(١) أحمد بن يحيى حابس الصعدي اليماني، من مشاهير علماء الزيدية في القرن الحادي عشر، ولي القضاء بصعدة، كما ولي الخطابة وإقامة الصلاة بجامع الهادي. توفي سنة ١٠٦١هـ. من مؤلفاته: (التكميل)، و(شرح على الثلاثين مسألة)، و(المقصد الحسن). انظر: طبقات الزيدية الكبرى [١/ ٢٣٤-٢٣٧]، أعلام المؤلفين الزيدية [١٩٩].

(٢) مقدمة كتاب المقصد الحسن، تأليف: القاضي أحمد بن يحيى حابس الصعدي، نشر: مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية - صنعاء، ١٤٢٣هـ [٤٥ - ٤٦].

(٣) العلم الشامخ [٤٨٠].

النواحي من أبناء الزيدية، ومع ذلك لم تحدث إشكالية في توليهم القضاء على مذهب أبي حنيفة، فقد كان هناك تقارب كبير بين المذهبين نتيجة تأثر الزيدية بمذهب أبي حنيفة، فلم يتأثروا بما حدث![١].

ولا ريبَ أنَّ هذا الانفتاح قد أثَّر في إحداث التَّحَوُّل الزيدي إلى السُّنَّة، فإنَّ رغبة الزيدية في الاطلاع على علوم الآخرين أدَّت إلى ظهور أئمة منصفين؛ فلمَّا كان المذهب الزيدي يفتقر إلى بعض العلوم التي لم يكن للزيدية فيها اشتغال - كعلم الحديث مثلاً - كانت الحاجة مُلحَّة للنظر في هذه العلوم عند أصحابها، ولا يخفى أنَّ الاشتغال بهذه العلوم يُعطي المشتغل بها فرصةً كافية للاطلاع على مذاهب السَّلف من أهل السنة والجماعة، وهذا الاطلاع كفيل - بإذن الله - في تقريب هؤلاء إلى السنة إذا وُجِدَ الإنصاف وعدم التعصُّب. يقول الدكتور أحمد محمد العُلَيْمي: "ولَعَلَّ المتأمِّلَ لهذا المذهب [يعني: الزيدي] يرى أنَّ سببَ وجود هؤلاء الأئمة أعلام مدرسة الحديث في اليمن كان سبَبُه[٢] مرونة هذا المذهب، وكان من أهم ميزاته التي ساعدت على نشوء الفكر التحرُّري الأصولي عند هؤلاء السَّادة الأعلام.. هي: أنَّ باب الاجتهاد في المذهب الزيدي مفتوح لم يُغلق، وقد كان مفتوحاً في الأصول كما هو في الفروع؛ بل إنَّ المذهب الزيدي يُحرِّم التقليد على كل مُتَمَكِّن من أخذ الحكم من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، أو غيرهما من الأدلة الشرعية، ولا يُبيحُه في الفروع إلا لغير المتمكِّن من الاجتهاد"[٣].

(١) انظر: الفروق الواضحة البهية بين الفرق الإمامية وبين الفرقة الزيدية، للكبسي [٥٠].

(٢) جملة: (كان سببه) محشورة في السِّياق، والأليق أن تُحذَف، أو تُحذَف لفظة: (سبب) في بداية النص، لاجتناب التكرار الذي يُضعف السِّياق، والله أعلم.

(٣) الصنعاني وكتابه توضيح الأفكار، تأليف: د. أحمد محمد العُلَيمي، نشر: دار الأمة - دبي، وَ دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٨هـ [٦٠].

**أسباب ساعدت على انفتاح الزيدية:**

وهناك أسباب ساعدت في انفتاح الزيدية والاستفادة من محاسن الآخرين، كان القول بفتح باب الاجتهاد، وحرمة التقليد على من توفرت فيه صفات المجتهد في مقدمتها.

ومع قولهم بالاجتهاد فقد أَعطَوا للمجتهد مساحة أكبر للنظر في الآراء، والتَّخيُّر منها بِحُريَّة، مصوِّبين ما يصل إليه باجتهاده، بحسب القاعدة المشهورة لديهم: (كل مُجتهد مُصيب).

كما ساعد على هذا الانفتاح حُسنُ ظنِّهم بأئمة المذاهب الأربعة، واعتقاد موالاتهم لأئمة الزيدية المعاصرين لهم، وفيما يلي بيان لهذين السَّببين:

**١- قاعدة: (كل مجتهد مصيب)**[(١)]:

ويعنون بهذه القاعدة: أنَّ كل مجتهد في الفروع مُصيب للحق، فلا يجوز تخطئة المجتهد ما دام أنَّه قد اكتملت فيه شروط الاجتهاد!.

وهذه القاعدة قديمة جداً إذ تعود إلى بدايات تأسيس الدولة الزيدية في اليمن، فقد كانت الغاية من هذه القاعدة الحفاظ على وحدة الصَّف الزيدي، والحيلولة دون التفرُّق الذي كان يعصف بأتباع الفرق نتيجة الاختلاف في الآراء، فإنَّه حينما قدِمَ الإمام الهادي يحيى بن الحسين إلى

---

(١) الصواب في معنى هذه القاعدة: أن الإصابة إنما هي للأجر وليست للحق؛ لأن الحق واحد لا يتعدد، والأجر ثابت للمجتهد إذا أخطأ، والتفصيل في هذه القاعدة موضعه أصول الفقه، ولكن إشارة، وللاطلاع على المسألة. انظر: إرشاد الفحول، للشوكاني [٢/ ١٠٦٧ - ١٠٧٠].

اليمن كان متأخروا الزيدية في الجيل والدَّيلم قد انقسموا إلى قاسمية[(١)] وناصرية، وكان يُخطِّئ بعضهم بعضاً، حتى خرج المهدي أبو عبد الله الدَّاعي[(٢)]، وألقى إليهم: أنَّ كلَّ مجتهد مصيب، وهذا في الوقت الذي كان فيه زيدية اليمن قد انقسموا إلى: مخترعة ومُطرِّفية، وجارودية، وصالحية، وحسينية[(٣)]، في الأصول، وفي الفروع: هادوية، ومؤيدية، وناصرية، وقاسمية. يعتقدون أنَّ المصيب في الاجتهاديات واحد، والحقُّ معه إلى أن جاء القرن السادس، فسَرَت عندهم هذه المقالة، واعتمد عليها علماؤهم في تحديد العلاقة فيما بينهم في أبواب الاختلاف في مسائل الفقه[(٤)]. يقول ابن حابس: "وأما الزيدية فلا تجدهم يخطئون أحداً في الفروع.."[(٥)].

فكان الأخذ بهذه القاعدة يُعطي نوعاً من الأمان لدى علماء الزيدية في أن يَطَّلِعوا على أقوال المذاهب وأن يتبنَّوا ما يرونه صواباً، بغض النظر عن موافقة، أو مخالفة القول للمذهب الزيدي، ما دام أنَّ كلَّ مجتهد مُصيب!.

---

(١) القاسمية: نسبة إلى الإمام القاسم بن إبراهيم الرسي، والناصرية: نسبة إلى الإمام الناصر الأطروش، والخلاف بينهما إنما هو في الفقه فقط، وأما في العقائد فجميعهم معتزلة. والله أعلم!.

(٢) محمد بن الحسن بن القاسم الحسني، العلوي. ولد ببلاد الديلم سنة ٣٠٤هـ، ونشأ بطبرستان، وكان نقيب الطالبيين لدى سلاطين بني بويه، ثم اختلف معهم، فانحاز إلى بلاد الديلم فأطاعوه، فأعلن نفسه إماماً هناك، وتلقَّب بالمهدي وذلك سنة ٣٥٣هـ، ومات مسموماً سنة ٣٦٠هـ. انظر: الشافي [١/ ٨٨٨-٨٩٥]، سير أعلام النبلاء [١٦/ ١١٤-١١٦].

(٣) تقدم الكلام عن هذه الفرق في الباب الأول. انظر: ص [٥٤، وما بعدها].

(٤) انظر: الزيدية نشأتها ومعتقداتها، للأكوع [٣١ - ٣٢].

(٥) مقدمة كتاب المقصد الحسن، لابن حابس [٤٥ - ٤٦].

## ٢- اعتبار أئمة المذاهب شيعة لأهل البيت:

وهو السبب الآخر الذي ساعد في انفتاح الزيدية على مذاهب أهل السنة، حيث تَعُدُّ الزيدية أئمة المذاهب الأربعة - أبا حنيفة(١)، ومالكاً، والشافعيَّ، وأحمد - شيعة لأهل البيت، فيزعمون أنَّ بعضهم تتلمذ على علماء أهل البيت؛ فأبو حنيفة: أخذ عن الإمام زيد بن علي، والشافعي - محمد بن إدريس - مشهور الولاية لأهل البيت في أشعاره وأعماله، وأنَّه من أتباع إبراهيم بن عبد الله، ومالك بن أنس الأصبحي: تابع للإمام محمد ابن عبد الله (النفس الزكية) وأفتى بالخروج معه(٢).

يقول ابن حابس: "تشيُّع الأربعة ومحبتُهم ومتابعتهم لأهل البيت ظاهر لا يخفى، ونوره لا يطفا؛ هذا أبو حنيفة، فإنَّه صحَّ أنه بايع زيد بن علي في وقت شيبته، وأمدَّه بمال(٣)؛ قيل: ثلاثين ألف درهم وقيل دينار.. وروى عنه كثير من أصحابنا، ومن مشايخه في العلوم زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، الذي تنسب إليه الزيدية في جملة المذهب، وإن خالفته في شيء من التفريعات، ومن مشايخه جعفر الصادق، والحسن بن الحسن، وولده عبد الله الكامل، وأبو جعفر الباقر،

---

(١) الإمام الفقيه، صاحب المذهب الحنفي، النعمان بن ثابت بن زوطي، التَّيْمي، الكوفي، مولى بني تَيْم. مولده بالكوفة سنة ٨٠هـ، ووفاته بها في السجن سنة ١٥٠هـ. أمره المنصور بولاية القضاء وحلف على ذلك فأبى، فسجنه حتى مات. من مؤلفاته: (المخارج) في الفقه، و(مسند في الحديث). انظر: طبقات الفقهاء [٨٦]، وفيات الأعيان [٥/ ٤٠٥-٤١٤]، سير أعلام النبلاء [٦/ ٣٩٠-٤٠٣]، الأعلام [٨/ ٣٦].

(٢) انظر: القول المبين في هداية المسترشدين، تأليف: القاضي صلاح بن أحمد فليته، (ط٢)، مكتبة التراث الإسلامي - اليمن، ١٤٢٤هـ [٢٧].

(٣) ذكر هذا الجصاص - أبو بكر أحمد بن علي - في أحكام القرآن، بتحقيق: محمد الصادق قمحاوي، نشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٤١٢هـ [١/ ٨٧].

والحسين بن محمد بن علي بن أبي طالب، وعبد الله بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وغير هؤلاء.

وتواتر أنَّ أبا حنيفة كان يفتي بوجوب الخروج[١] مع الإمامين الأخوين محمد وإبراهيم ابني عبد الله، وبايع لهما، وروي أنه مات مسموماً[٢] بسبب موالاته لأهل البيت عليهم السلام "[٣].

وقال ابن حابس: "وأما الشافعي رحمه الله؛ فإنَّه بايع يحيى بن عبد الله، وهو أحد دعاته، والآخذ البيعة من الناس له[٤]..

وأما مالك بن أنس؛ فإنَّه صَحَّ أنَّه حُبِس وضُرِبَ على الفتيا بعدم لزوم بيعة الظلمة[٥].. وأما أحمد بن حنبل، فقد هُجِم بيته مرتين لطلب بعض

---

(١) كان أبو حنيفة يرى الخروج على سلاطين الجور ويفتي به، وكان هذا من المآخذ التي أخذت عليه من علماء عصره من أهل السنة. راجع: أحكام القرآن [١/ ٨٧]، تاريخ بغداد - الخطيب البغدادي [١٥/ ٥٢٨-٥٣٠].

(٢) اختلفت الروايات في سبب وفاة أبي حنيفة، منها أنه مات مسموماً في السجن؛ لكن لم يكن السبب موالاته لأهل البيت، وإنما رأيه في السلاطين وإيجابه الخروج عليهم. انظر: تاريخ بغداد [١٥/ ٤٥٢].

(٣) مقدمة كتاب المقصد الحسن، لابن حابس [٤٨ - ٥٠].

(٤) لم يذكر ابن حابس مصدره في ذلك، إلَّا أنَّ يحيى بن عبد الله رحمه الله كان خروجه على الرشيد بالديلم سنة ١٧٦هـ، ولم يذكر المؤرخون - على حد علم الباحث - أنَّ الشافعي كان هناك، والذي يُذكَر أنَّ الشافعي رحمه الله اتُّهِم بالسعي للخلافة - كذباً - بعد سنة ثمانين ومائة، وكان حينها عاملاً على نجران، وثبتت براءته من ذلك. انظر: تاريخ الطبري [٨/ ٢٤٢، وما بعدها]، البداية والنهاية [١٤/ ١٣٣].

(٥) روى ابن جرير بسنده: (أنَّ مالك بن أنس استُفتِيَ في الخروج مع محمد، وقيل له: إنَّ في أعناقنا بيعة لأبي جعفر، فقال: إنَّما بايعتم مكرهين، وليس على مُكرَه يمين، فأسرع الناس إلى محمد، ولَزِمَ مالكٌ بيتَه). تاريخ الطبري [٧/ ٥٦٠].
ويظهر أنَّ ابن حابس وقع في مُغالَطة لِيَنصُرَ مذهبَه، فإنَّ مالكاً رحمه الله إنَّما أفتى =

الطالبيين، وروي عنه أنَّه كان ينوِّه برواية فضائل أهل البيت عليهم السلام، ووصف أسانيدهم بأنَّها الشفا من الآلام المؤلمة.. "[١].

إذن، هذه نظرة معتدلي الزيدية لأئمة المذاهب السنية كما جاء في كلام ابن حابس، بِغَضِّ النظر عن مدى صحة ما نُسِبَ إليهم في كلام ابن حابس وغيره، فإنَّهم يعتبرونهم شيعةً لأهل البيت، وتلامذةً لأئمتهم، ويعترفون بمحبتهم لأهل البيت وموالاتهم لهم!. وهذا أمر لا يحتاج إلى مزيد بَسط، فأهل السُّنَّة من أصل عقيدتهم أنَّهم يحبون أهل بيت رسول الله ﷺ حُبّاً شرعياً لا غلو فيه ولا تقصير، لكنّ غلاة الشيعة لا يعترفون لأهل السنة بذلك!.

ولأجل هذا الموقف الزيدي من أئمة أهل السنة فلا غرابة أن يذكر الزيدية آراء المذاهب السُّنيَّة، فإنَّه ليس هناك ما يمنع من ذلك مع ما ذكر؛ بل قد قيل: إنَّ الزيدية قد بالغت في عرض الأقوال في كتبها، فقال ابن حابس: "ثم العجب من أصحابنا واحتفالهم بذكر أقوال الفقهاء وتفريعاتهم، والاستقصاء على أقوالهم؛ فيذكرون للعالم منهم القولين والثلاثة والأربعة، حتى وسَّعوا الدائرة بذلك، وشغلوا به الأوراق، واستغرقوا بذكره الأوقات من دون تخطئة ولا تشنيع ولا تبكيت، وإن قيل إنَّ هذا من الإنصاف والبعد عن الاعتساف، وإنَّ الإحاطة بمثل ذلك زيادة في الفضيلة، ورسوخ في المعرفة لم يَبعُد ذلك.. "[٢].

والغريب أنَّ الزيدية مع اهتمامهم بالاطلاع على ما عند الآخرين

---

= بعدم لزوم البيعة لأبي جعفر لأجل الإكراه، وليس لأجل الظلم، فإنَّ هناك فرقاً بين المسألتين، فليتنبه لذلك!.

(١) مقدمة كتاب المقصد الحسن، لابن حابس [٥١ - ٦١].

(٢) مقدمة كتاب المقصد الحسن [٣٩ - ٤٠].

تجدهم مُقصِّرين في ذِكر محاسن أكابرهم من العلماء المنصفين الذين ظهر فضلهم وعلا صيتُهم، فيسعون في طمس هذه المحاسن وإخفائها، وهذا ما أشار إليه الشوكاني ﷺ عند إشادته بكتاب (مطلع البدور) لابن أبي الرجال، فقال: "ترجم فيه لأعيان الزيدية فجاء كتاباً حافلاً، ولولا كمالُ عنايته واتساع اطلاعه لما تيسَّر له جمع ذلك الكتاب، لأنَّ الزيدية مع كَثرة فضلائهم، ووجود أعيانٍ منهم في كل مكرمة على تعاقب الأعصار لهم عنايةٌ كاملة، ورغبةٌ وافرة في دفن محاسن أكابرهم وطمس آثار مفاخرهم، فلا يرفعون إلى ما يصدر عن أعيانهم من نظم، أو نثر، أو تصنيف رأساً، وهذا مع توفر رغباتهم إلى الاطلاع على ما يصدر من غيرهم، والاشتغال الكامل بمعرفة أحوال سائر الطوائف، والإكباب على كتبهم التاريخية وغيرها.."[1].

وهذه تعتبر شهادة من الشوكاني ﷺ على تأصُّل مبدأ الانفتاح على الآخر لدى هذه الفرقة، والرغبة الشديدة في التعرف على ما عند الآخرين، والله أعلم.

**انفتاح الزيدية في عرض عقائد المخالفين:**

ولم يقتصر الانفتاح الزيدي على أبواب الفقه فحسب، بل تجاوز ذلك إلى مسائل الاعتقاد، فصاروا ينقلون مذاهب المخالفين في كتبهم، ويبسطون فيها القول، ومن ثم الرد عليها[2]؛ وهم بفعلهم هذا، وإن كان قصدهم نصرة مذهبهم بالدرجة الأولى، فإنَّهم قد ساعدوا الأتباع على التعرف على مذاهب الآخرين، ولا يبعد بعد ذلك إمكان حصول القبول لها

(١) البدر الطالع [١/ ٩٠].

(٢) من الذين نحو هذا المنحى في مؤلفاتهم: الإمام يحيى بن حمزة في كتاب التمهيد، وكذا الإمام القاسم في كتابه: الأساس لعقائد الأكياس.

إذا ظهرت أدلتُها، وصادفت قلباً مُريداً للحق!.

وقد دعا المنصفون من الزيدية إلى التعامل مع العقائد كما يتعامل مع الفروع، في النظر في العقائد والمقارنة بينها وترجيحِ الصواب منها والأخذِ به أياً كان صاحبه، فالعبرة بالإصابة، والحقُّ واحد لا يتعدد.

يقول ابن الوزير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "واعلم أنِّي رأيت المصنِّفين في علم العقائد الدِّينيَّة قد سلكوا مسلك سبيل مصنفي كتب المذاهب التي ينتصر فيها المصنِّف لمذهب واحد في القوي والضعيف، والدقيق والجلي، ولم يسلك أحد منهم مسلكَ مُصَنِّفي كتب الإسلام، التي تُذكَر فيها مذاهب أهل الملَّة الإسلامية، ويقوي فيها ما قوَّته الدلائل البرهانية، سواء كانت لقريب أو بعيد، أو صديق أو بَغيض، وكتب العقائد أحقُّ بسلوك هذا المسلك من كتب الفروع، فأما كون الحق فيها مع واحد فصحيح، ولكن لا يستلزم أن يكون الصوابُ في جميع المواضع المتفرقة قد اجتمع لبعض الفرق، إلَّا ما حصل فيه أحد الإجماعات القاطعة من الأئمة والعترة، فيجب الترجيح له والنُّصرة.. "(١).

وخلاصة لما سبق؛ يمكن القول بأنَّ الانفتاح الزيدي كان سبباً مهماً من الأسباب التي أدَّت إلى تحوُّل العديد من العلماء إلى مذهب أهل السنة، وذلك أنَّ الزيدية بتقريرها لمبدأ الانفتاح على الآخر، من خلال الاطلاع على أقوال المذاهب، فقد جرَّهم ذلك إلى الاطلاع على الأصول، والتعامل معها بنفس طريقة التعامل مع الفروع، وهو الأمر الذي أدَّى في الأخير إلى تأثر المنصفين منهم بمذهب أهل السنة، أو التحول إليه، والله تعالى أعلم.

---

(١) إيثار الحق على الخلق [٣٢-٣٣].

## المبحث الثالث

## بعث تراث أهل البيت

**تمهيد:**

إنَّ من أعظم الأخطار التي واجهت وتواجه المذهب الزيدي، وتوشك أن تقضي على معالم الاعتدال فيه: خفاءَ مذاهب أئمة أهل البيت على أتباع المذهب، واندثارَ تراثهم، الذي يمثل قَوَامَ المذهب وأساسَه. يقول الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: "فإنَّها لما خَفِيَت على غالب أهل الزمان مذاهبُ أئمة الآل، وجُهِلَتْ مصنفاتُهم التي تُقطَع في الرِّحلَة إلى مثلها أكبادُ الإبل، فلم يَبْقَ بأيدي أهل عصرنا من أتباعهم إلَّا القيلُ والقال، فلا تكاد ترى إلَّا رجلاً قد رَغِبَ عن جميع أصناف العلوم، وهَجَرَ بِخِسَّة هِمَّتِه ودناءَة نفسه الاشتغالَ بمنطوقها والمفهوم، أو آخرَ قد هجر من علوم العترة المطهَّرة الحديثَ والقديم، واشتغل ببعض الاشتغال بعلوم غيرهم، فلم يُفَرِّق بين الصحيح والسقيم، أو رجلاً ينتحلُ اتِّباعَهم والانتسابَ إلى مذاهبهم، ولكنَّه قد قَنِعَ من البحر المتدفِّق بقطرة؛ قَصَرَ همَّه على الاشتغال بمختصر من مختصراتٍ لديهم، فلم يَحظَ من غيره بنظرة، فحصل بسبب ذلك الخبط والخلط من الجمِّ الغفير، ونَسَبَ إلى أهل البيت من المسائل ما يخالفه قولُ كبيرهم والصغير.."[١].

وهذا الخطر إذا كان يتعاظم بخفاء مذاهب الأئمة المتبوعين، فإنَّه - بدون شك - يزول بظهورها وجلائها كنتيجة عكسيَّة لذلك!.

---

(١) إرشاد الغبي لمذهب أهل البيت في صحب النبي [٨ - ٩].

فَمَنْ هم أهلُ البيت؟.

وهل لأهل البيت مذهبٌ خاصٌّ بهم يمكن الاقتداء به؟.

ثم، كيف يكون بَعثُ تراثِ أهل البيت سبباً في التَّحَوُّل إلى السُّنَّة؟.

**أولاً: معنى آل البيت:**

اختلف العلماء - رحمهم الله - في تحديد معنى آل البيت، أو آل النبيِّ على أقوال، ذكر ابن القيم أربعة منها(١):

الأول: أنَّهم الذين حَرُمَتْ عليهم الصدقة(٢).

الثاني: أنَّ آل النبيِّ هم ذريتُه وأزواجُه خاصَّة(٣).

الثالث: أنَّ آلَه ﷺ أتباعُه إلى يوم القيامة(٤).

الرابع: أنَّ آلَه ﷺ هم الأتقياء مِن أُمَّتِه(٥).

---

(١) انظر: جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، تأليف: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وَ عبد القادر الأرناؤوط، (ط٢)، نشر: دار العروبة - الكويت، ١٤٠٧هـ [٢١٠ - ٢١١].

(٢) للعلماء ثلاثة أقوال فيمن حرمت عليهم الصدقة، أحدها: أنَّهم بنو هاشم وبنو المطلب، وهذا مذهب الشافعي وأحمد في رواية عنه. الثاني: أنَّهم بنو هاشم خاصة، وهذا مذهب أبي حنيفة والرواية الثانية عن أحمد، واختيار ابن القاسم صاحب مالك. الثالث: أنَّهم بنو هاشم ومن فوقهم إلى غالب؛ فيدخل فيهم بنو المطلب وبنو أمية وبنو نوفل ومن فوقهم إلى بني غالب، وهذا اختيار أشهَب من أصحاب مالك. انظر: جلاء الأفهام، لابن القيم [٢١٠].

(٣) انظر: التمهيد، لابن عبد البر [١٧/ ٣٠٣].

(٤) انظر: التمهيد، لابن عبد البر [١٧/ ٣٠٤، ٣٠٦].

(٥) انظر: المفردات في غريب القرآن، تأليف: أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، نشر: دار المعرفة - بيروت [٣٠ - ٣١]، جلاء الأفهام، لابن القيم [٢١١].

وهناك قول خامس(١)، وهو: أنَّ آلَ النبي ﷺ هم الذين جَلَّلَهم النبي ﷺ بالكساء - وهم: علي وفاطمة، والحسن والحسين - ومن تناسل منهم من أولادهم إلى يوم القيامة، وهو المشهور من مذهب الزيدية في آل البيت(٢)، وهم المرادون - عندهم - بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب: ٣٣](٣).

ويرى الصَّنعاني أنَّ أقوى الأقوال المتقدمة في معنى أهل البيت آخرُها وأوّلُها، أي أنَّ أهل البيت هم: أهل الكساء ومَنْ حَرُمَتْ عليهم الصدقة، وأنَّ الأقوال وإن اختلفت فإنَّ هناك قدراً مشتركاً عند جميع الأُمَّة، وهو أنَّ أهلَ الكساء من أهل البيت؛ لأنَّ مَن قال: هم مَنْ حَرُمَتْ عليهم الصَّدقة،

---

(١) انظر: مسائل علمية، تأليف: محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، نشر: مكتبة الإرشاد - صنعاء [٨-٩].

(٢) انظر: كتاب النجاة، للناصر أحمد بن يحيى [١٣٦ - ١٣٧]، البدر المنير، لليماني [١/ ٩٩].

(٣) عن عائشة رضي الله عنها قالت: "خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط مرحَّل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب: ٣٣]". رواه مسلم في صحيحه؛ كتاب: فضائل الصحابة - باب: فضائل أهل بيت النبي ﷺ [٩٨٦]، رقم الحديث (٢٤٢٤).
والحديث يدل على فضيلة أصحاب الكساء، وأنهم من أهله ﷺ يقيناً، وأما دعوى حصر الآل فيهم كما تقول الزيدية، فلا يسلّم لهم ذلك؛ لما ثبت من الأدلة على دخول غير هؤلاء في مسمى الآل؛ كأزواجه ﷺ بدلالة الخطاب في الآية؛ كما أن دعوى الحصر لا تستقيم عند الزيدية أنفسهم، إذ لو جاز حصر الآل في أصحاب الكساء لدخولهم بأعيانهم تحت الكساء لخرج من الآل ذرية الحسن والحسين؛ لعدم وجودها في تلك اللحظة، ولو جاز دخول ذريتهم في الآل جاز بالأولى دخول ذرية علي رضي الله عنه من غير فاطمة، وهذا لا يقولون به، فبطل الحصر، والله تعالى أعلم.

فقد دخل هؤلاء في تفسيره قطعاً، ومَنْ قال: آلُه أزواجُه وذريَّتُه، فقد دخل هؤلاء في تفسيره قطعاً، ومَنْ قال: هم أتباعُ مِلَّتِه، أو الأتقياء، فكذلك[١].

والرَّاجحُ والله أعلم: أنَّ كُلَّ مَنْ دلَّ الدَّليل على كَونه من أهل البيت فقد ثبتَ له ذلك؛ فأَهلُ الكِساء من أهل البيت، للحديث المتقدم، وأزواجُ النَّبيِّ مِن أهل البيت لآية التطهير بدلالة الخطاب، وكذلك مَن حَرُمَت عليهم الصَّدقة، فإنَّها لم تَحرُم عليهم إلَّا لانتسابهم إلى البيت الشريف؛ وأمَّا أتباع النبي ﷺ، أو الأتقياء من أتباعه فإنَّ انتسابهم إلى النبي ﷺ وليس إلى بيت النبي، ونِسبَتُهم إلى النبيِّ غيرُ حقيقية، لعدم تَرتُّبِ أحكامها، وإلَّا لصار خُمسُ الخُمس حقاً لجميع الأُمَّة، وحَرُمَت الصَّدقة على جميعهم!.

**ثانياً: آل البيت ليس لهم مذهب محدد:**

لو فرض - جدلاً - أنَّ آلَ البيت هم فقط علي وفاطمة وذريتُهُما على ما تراه الزيدية، فهل كانت الذُّريَّة كُلُّها زيدية؟ أو بمعنى آخر: هل مذهب أهل البيت هو مذهب الزيدية لا يخرجون عنه؟.

إنَّه على الفرض المتقدِّم يُعلَمُ قطعاً أنَّ أهل البيت ليسوا هم الزيدية فقط؛ فإنَّ ذريَّة الحسنين رضي الله عنهما قد صارت أُمَّةً عريضة انتشرت في جميع أقطار الدُّنيا، ولم يكن لهم مذهب يجمعهم، لكن بحسب مذاهب الناس في كل قطر؛ يقول الصنعاني رحمه الله: "إذا عرفت هذا؛ فذُريَّة الحسنين لا يدخلون تحت عَدِّ العادين ولا حصرِ الحاصرين، ولا يخلو منهم إقليم من أقاليم الدنيا، وهم أعيان الناس ونقباء الأشراف في كل قُطر.. والأكثرون منهم صارت كل طائفة من الطوائف منهم في أي قطر من أقطار الدنيا،

---

(١) انظر: مسائل علمية، للصنعاني [٨ - ٩].

فإنَّهم في مذاهبهم الدينيَّة على رأي من هم بينهم إلَّا القليل؛ فإنَّ الإدريسية(١) في المغرب مالكية المذهب، وكل من هو في ديار الرُّوم وغيرها، والهند حنفية وحنابلة، وهؤلاء آل باعلوي(٢) جميعهم شافعية، وهم أمة كثيرة، فهؤلاء الذين ذكرناهم وأضعافهم من أهل البيت - بلا ريب - شرعاً وعقلاً وعرفاً، لأنَّ أهل البيت اسم اتفق علماء الأُمَّة أجمعون بأنَّ أولاد الحسنين أهلُ البيت، إما بالاستقلال كما هو القول الخامس، أو بدخولهم فيما هو الأَعَمُّ كالأقوال الأربعة دخولاً أوَّلياً وأَولَويّاً.."(٣).

وعليه فإنَّ أقوالَ الآل من غير الزيدية ينبغي أن تُحتَرم لدى مُنصفي الزيدية، لوجود المقتضى لذلك عندهم، وهو الانتساب إلى آل البيت، فالآخِذُ بها - وإن خالَفَ ما عليه الزيدية - يصدُق عليه أنَّه مُتَبعٌ لآل البيت؛ ولَعَلَّ هذا هو سِرُّ الانتساب الذي يُدَندِنُ حولَه مُتَحَوِّلوا الزيدية، فما من أحد منهم إلَّا وهو يعلن أنَّه متبع لآل البيت دون تصريح باتباع المذهب الزيدي، لأَن مذهبَ الآل أعمُّ، والزيدي أخصُّ مُندِرجٌ ضِمن عُمومِ الاسم.

فهذا محمد بن إبراهيم الوزير - على الرَّغم من ظهور مخالفته لمذهب الزيدية - يُعلِنُ اتباعَه لآل البيت ومشابهته لهم، يقول رحمه الله(٤):

دِينِي كأَهْلِ البَيْتِ دِيناً قَيِّماً ... مُتَنَزِّهاً عَنْ كُلِّ مُعتَقَدٍ رَدِي
وَيَشُكُّ فِيَّ ذَوُو الجَهَالَةِ والعَمَى ... والشَّمْسُ لَا تَبْدُوا لِعَيْنِ الأَرْمَدِ

---

(١) أتباع إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

(٢) أُمَّة عريضة من ذرية علي بن أبي طالب يسكنون حضرموت من بلاد اليمن.

(٣) مسائل علمية [١١ - ١٢].

(٤) ذكرت هذه الأبيات في ترجمة ابن الوزير في كتابه: ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان، تأليف: محمد بن إبراهيم الوزير، نشر: مطبعة المعاهد - القاهرة، ١٣٤٩هـ [٦].

إنِّي أُحِبُّ مُحَمَّداً فَوقَ الوَرَى ... وبِهِ كَمَا فَعَلَ الأوائِلُ أَقتَدِي
وأُحِبُّ آلَ مُحَمَّدٍ (نَفسِي الفِدَا ... لَهُمُ) فَمَا أَحَدٌ كَآلِ مُحَمَّدِ

وهذا عينُه الذي قرَّره الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ، حيث قال: " .. وإذا تقرَّر ما سردناه، فالقائل لمن يرفع يديه مثلاً في تكبيرة الإحرام: خالفت أهل البيت! يقول له الذي يرفعهما: بل أنت بعدم رفعهما خالفت أهلَ البيت؛ بل خالفت الأكثرَ منهم، والأوسعَ علماً، والأجلَّ قدراً، والأعظمَ قُطراً، ولا يخفى أنَّه ليس أحدُ القائلَين بأَصدَقَ وأَحَقَّ، ولا أولى من الآخر؛ بل القائل للرافع يديه خالفت أهل البيت، إنْ أرادَ جميعَهم فهو كاذب قطعاً، وإنْ أراد بعضَهم فليس الحقُّ مُنحَصِراً في بعض أهل البيت!.

وهَبْ أنَّه مُنحَصِرٌ في بعضهم، فأين الدليل على تَعيين البَعض؟ فإنْ قُلتَ: إنَّما يريد القائل: خالفت أهلَ البيت، أي: الزيدية، قُلتُ: نعم، لكنَّ هذه الإرادة باطلة لُغَةً وشرعاً، وعقلاً وعرفاً، فَمُسَمَّى أهل البيت ما قرَّرناه، هم أولاد الحسنين على أقلِّ ما قيل، والزيدية بعض منهم، ولا يَصِحُّ عقلاً ولا شرعاً، ولا لُغَةً قَصْرُ هذا التَّسَمِّي على بعض أفراده إلَّا بدليل، وليس إليه من سبيل.. فيلزم أن يُقال لمن تبع الشافعي من أهل البيت: لست من أهل البيت، ولغيره من الحنفية والحنبلية، وهذا باطل قطعاً؛ فإنَّ أهلَ البيت لفظٌ ثبت مُسمَّاه بالنَسب لا بالمذهب"[1].

ومثل هذا التقرير الوارد عن الإمام الصنعاني جاء أيضاً عن المقبلي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه (العلم الشامخ)، فذَهب إلى ما ذَهب إليه الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ[2].

---

(١) مسائل علمية [١٢ - ١٣].

(٢) انظر: العلم الشامخ [٥٥ - ٦٤].

**ثالثاً: بعث تراث أهل البيت سبب في التسنن:**

إذا تقرَّر ما سبق، من أنَّ أهل البيت لم يكن لهم مذهبٌ خاصٌّ بهم يتميزون به عن غيرهم، فَلْيُعلَم أنَّ قُدماء العترة كانوا على مذهب أهل السُّنَّة والجماعة، وعلى رأسهم إمام المذهب زيد بن علي رحمه الله، ومن قبله علي بن أبي طالب والحسن والحسين، وغيرهم.

وقد أثبت بعض المنصفين من الزيدية هذه الحقيقة، وهي القول بأنَّ زيد بن علي كان على مذهب أهل السنة، فقال العلامة يحيى بن الحسين بن القاسم(١): "ومجموع الفقه الكبير للإمام زيد بن علي، وسائر مصنفاته تُنادي بأنَّه على رأي أهل السنة في الأصول والفروع، وأنَّه لم يوافقه من الزيدية إلَّا الصالحية، وقد انقرضوا، ولم يَبْقَ من الزيدية على حقيقة مذهبه أحد، ومن اعتزى إلى مذهبه من الهادوية، الذين على مذهب الهادي من المخترعة والمطرِّفية فهو كاذب، تكذِّبه نصوص زيد بن علي في مصنفاته ومصنفات قدماء الزيدية كما في (الجامع الكافي)(٢) جامع آل محمد، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم"(٣)، بل لقد نقل يحيى بن الحسين أنَّ زيداً رحمه الله كان موافقاً لأهل السنة، مخالفاً للزيدية في أهم أصول المذهب، وهو الإمامة، فقد ذكر أنَّ زيداً كان يرى بأنَّ الإمامة تصلح في جميع قريش، فقال رحمه الله: "ونَصَّ زيد بن علي في مجموع الفقه الكبير بأنَّ الإمامة في جميع قريش أيضاً، وعليه الصالحية، والجريرية من الزيدية، وبه تنتقض

(١) تقدمت ترجمته ص [٢٣].

(٢) الجامع الكافي في فقه الزيدية، لأبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن العلوي (٣٦٧-٤٤٥هـ).

(٣) المسالك في ذكر الناجي من الفرق والهالك [٣٥٠].

رواية من روى إجماع الزيدية على أنَّ الإمامة لا تَصِحُّ في قريش"[١]، وهذا نقض لأهم أصل قام عليه تشيع الزيدية، والله أعلم!.

ومما يؤكد تسنُّن قُدماء العترة أو موافقتهم لأهل السنة؛ وجود كثير من الأقوال المأثورة عن أهل البيت مما يظهر فيها التوافق الواضح مع أهل السنة، فمنها على سبيل المثال:

١) **النَّهي عن علم الكلام** الذي يعتمد عليه المذهب الزيدي في إثبات عقائده. يقول محمد بن إبراهيم الوزير: "ومن ذلك ما أورده السيد العلامة أبو عبد الله الحسني[٢] في كتابه (الجامع الكافي) في فقه الزيدية، في المجلد السادس منه في ذم الكلام، وما أحدث الناس من علم الكلام، والأمر بلزوم السنة وما دَرَجَ عليه السَّلف، فإنه طوَّل في ذلك، ونقله عن عيون أئمة العترة المجمعِ على علمهم وفضلهم؛ مثل: علي بن الحسين، وولده زيد، وحفيده جعفر الصادق، وعبد الله بن موسى، وأحمد بن عيسى ابن زيد، والحسن بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي رضي الله عنهم، ومحمد بن عبد الله النفس الزكية، وإبراهيم بن عبد الله، والقاسم بن إبراهيم، وأخيه محمد بن إبراهيم، ورأس شيعتهم العالم الكبير محمد بن منصور[٣]،

---

(١) الإيضاح لما خفي من الاتفاق على تعظيم صحابة المصطفى [٢٣٢].

(٢) محمد بن علي بن الحسن، أبو عبد الله العلوي الكوفي، ولد بالكوفة سنة ٣٧٧هـ، وبها نشأ، وكان واسع الاطلاع كثير الرواية. توفي بالكوفة سنة٤٤٥هـ. انظر: شذرات الذهب [١٩٨/٥]، أعلام المؤلفين الزيدية [٩٤٥ - ٩٤٦].

(٣) محمد بن منصور بن يزيد المرادي، من مشاهير رجال الزيدية وثقاتها في العراق، ولد بالكوفة ونشأ بها، وصحب الإمام القاسم بن إبراهيم الرسي ٢٥سنة، وبويع للقاسم في بيته. توفي بعد سنة ٢٩٠هـ. انظر: موسوعة أقوال أبي الحسن الدار قطني في رجال الحديث وعِلله، جمع وترتيب: د. محمد مهدي المسلَّمي، وَ آخرون، نشر: عالم الكتب - بيروت، ٢٠٠١م [٦٢٨/٢]، أعلام المؤلفين الزيدية [١٠٠٠].

وصنَّف في ذلك كتاب الجملة والأُلفَة"[١].

٢) **طريقة إثبات الصانع**؛ حيث يستشهد ابن الوزير على طريقته في إثبات الصانع بسلف له من آل البيت، كالمؤيد بالله الهاروني، يقول ابن الوزير: "وعلى كل حال، فالقصد أن يلحقني السائل - أيَّده الله - وغيره بحكم من قُلْتُ بقوله فيما يستحقه من قال بذلك القول، فالنظر إلى ذلك القول خصوصاً، والذي اخترته من هذه الطريقة هو بعينه الذي اختاره المؤيد بالله في كتاب الزيادات[٢] في فصل عقده عليه السلام في سكون النفس ومعرفة الله، واختار فيه الاحتجاج بما في العالم من الإحكام، فإن معرفة احتياج الإحكام إلى مُحكِم من العلوم الضرورية الأولية.."[٣].

ثم قال ابن الوزير: "وكان المؤيد بالله في كتاب الزيادات قد عَدَل عن الاستدلال بطريقة الأكوان إلى طريقة الإحكام الذي في العالم، ثم استدل بالسمع على حدوث كل شيء، ووجد سبيلاً إلى الله تعالى غير الأكوان، وكذلك فعلتُ حين استدللت بالإحكام الذي في القرآن"[٤].

٣) **القول بإثبات الشفاعة لأهل الكبائر**؛ فقد ذهب إلى القول بهذا كثير من أهل البيت المتقدمين. يقول ابن الوزير رحمه الله: "وإلى ذلك [يعني القول بالشفاعة] ذهب من أئمة الزيدية الدعاة؛ يحيى بن المحسن المعروف بالداعي[٥]، والمهدي

---

(١) ترجيح أساليب القرآن [٢٧].

(٢) كتاب: (الزيادات)، من تأليف: الإمام المؤيد بالله، أحمد بن الحسين الهاروني، المتوفى بآمل سنة ٤١١هـ. انظر: أعلام المؤلفين الزيدية [١٠١].

(٣) ترجيح أساليب القرآن [٩٠ - ٩١].

(٤) ترجيح أساليب القرآن [٩٢].

(٥) يحيى بن المحسن بن أبي الفوارس محفوظ بن محمد بن يحيى بن يحيى بن الحسن ابن عبد الله بن محمد بن القاسم بن أحمد بن الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم.. =

أحمد بن يحيى(١) المتأخر، وكان الفقيه علي بن عبد الله بن أبي الخير(٢) يذهب إلى هذا، وغيره من أهل المعرفة؛ فثبت بما ذكرناه أن المعترض قد جهل مذاهب أصحابه! "(٣).

وقد عَمَد كثير من أدعياء العلم من الزيدية إلى إخفاء مذاهب أهل البيت حفاظاً على مكانتهم تارة، وجهلاً بها تارة أخرى، وإمعاناً في الضلال تارات، والعالم المقلِّد قد ارتضى أن يكون إمعة في الصواب والخطأ؛ بل ربَّما قلَّبَ الأمورَ نُصرَةً لمن قلَّدَه، فأخفى من الحقِّ بقدر ما أظهرَ من الباطل!.

قال المقبلي ﷺ: "ومما جرى لي مع رجل منهم [يعني من الزيدية] رأيته مُتَقَشِّفاً، وتخيلته للصواب مُتَشَوِّفاً، ورأيته بمحلٍّ من الإمام وعيناً في ذلك المقام، الذي هو مجمع الأعلام، فسمعته يقول - وقد أملى بعضَ كتب الفقه على إمام العصر أيَّده الله تعالى - وقد قال صاحبُ ذلك الكتاب: أجمع على هذا أهلُ البيت، فقال ذلك الرجل: وقد أجمعوا على

---

= إمام زيدي دعا إلى نفسه سنة ٦١٤هـ. توفي سنة ٦٣٦هـ. من مؤلفاته: (المقنع في أصول الفقه). انظر: طبقات الزيدية الكبرى [٣/ ١٢٤٩ - ١٢٥٢]، الأعلام [٨/ ١٦٣].

(١) أحمد بن يحيى بن المرتضى الحسني، الهادوي. مولده بذمار - اليمن - سنة ٧٦٤هـ، دعا لنفسه بعد وفاة الإمام صلاح الدين محمد بن علي، ولم يفلح فحبس في صنعاء سنة ٧٩٤هـ، وظل في السجن سنين، ثم أخرج منه، وتوفي بالطاعون سنة٨٤٠هـ. من مؤلفاته: (الأزهار في فقه الأئمة الأطهار)، و(البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار)، و(طبقات المعتزلة). انظر: طبقات الزيدية الكبرى [١/ ٢٢٦ - ٢٣٣]، الأعلام [١/ ٢٦٩].

(٢) علي بن عبد الله بن أحمد بن أبي الخير الصايدي، فقيه عالم، من تلامذته محمد بن إبراهيم الوزير. توفي سنة ٧٩٣هـ. انظر ترجمته في: طبقات الزيدية الكبرى [٢/ ٧٦١ - ٧٦٥].

(٣) الروض الباسم [٢/ ٣١٥].

تخطئة من خالفهم، فقلت له بعد انفراده: سمعتك تقول: أجمعَ أهل البيت على تخطئة من خالف إجماعهم، والذي يُحفَظ عنهم أنَّهم أجمعوا على عدم تخطئة من خالفهم! ذكر هذا غير واحد منهم كالمنصور بالله، والمهدي، والإمام يحيى وغيرهم، فقال: الحقُّ ما قلنا ولا عبرة بمن خالفه!"[(١)].

فانظر إلى تحريف المقلِّدة لمذاهب أهل البيت، وخطرِه في إضلال الناس، ثم انظر كيف يعمل أهل الاجتهاد على بعث ما اندثر من تراث الآل إحقاقاً للحق، ودحضاً للباطل بعد أن استشرى الجهل في أوساط الزيدية، حتى وصل إلى الحكام، فلم يعد الحاكم يعلم من مذهبه أصلاً ولا فرعاً!.

يقول الصنعاني رحمه الله: "فهذا كلُّه مُقتضى قواعدِ المذهب، فاشدُد يديك على هذا التحقيق، فلقد جهل الناظرون والحكام قواعدَ مذهبهم الذي عليه تدور رحى هذه الأحكام، فلا يعرفون أصولاً منها ولا فروعاً، ولا يَتَورَّعون، ولا يَسألون إن جَهِلوا؛ فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون!"[(٢)].

ومما سبق نستخلص الآتي:

أولاً: اعتبار الزيدية مُسمى آل البيت محصوراً في أولاد الحسنين لا يعني انحصارَ أهل البيت في زيدية اليمن أو غيرها، وإنَّما يدخل في المسمى كلُّ من اتصف بكونه من ذرية الحسنين، وإن كان غيرَ زيديٍّ

---

(١) العلم الشامخ [٥٥].

(٢) الإشاعة في بيان من نهي عن فراقه من الجماعة، تأليف: محمد بن إسماعيل الصنعاني، تحقيق: د. محمد با كريم محمد با عبد الله، نشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة [١٢٢-١٢٣].

المذهب.

**ثانياً**: إنَّ اعتراف الزيدية بفضل آل البيت جميعاً - وإن حصروا الآل في أولاد الحسنين - يوسِّع دائرة أقوال أهل البيت؛ فكلُّ قول صَحَّتْ نِسبَتُه إلى أحد من آل البيت فإنَّ له قدراً من الاحترام، لا يقلُّ عن غيره.

**ثالثاً**: إنَّ انتشار أهل البيت في الأقاليم، وتَفَرُّقَهُم في مذاهبَ مختلفة يجعل الحقَّ مظنوناً بين هذه المذاهب، لا فرق بين المذهب الزيدي وغيره، فلزم أن يَنْظُرَ المجتهد من أتباع أهل البيت في تلك المذاهب ويختار الحق الذي يصل إليه بحسب اجتهاده.

**رابعاً**: إن بعث تراث أهل البيت كسر حاجزَ القَدَاسَة الذي صنعته زيدية اليمن حول مذهبها، باعتباره هو مذهب أهل البيت، والإعلان بوضوح أنَّ مذهبَ أهل البيت ليس حكراً على أتباع المذهب الزيدي.

**خامساً**: لما كان قدماء آل البيت على مذهب أهل السنة كان بَعْثُ تراثهم سبباً في تقريب المذهب السُّنِّي من الزيدية، باعتباره مذهباً لأهل البيت، وهذا هو مِحور السَّببيَّة في إحداث التَّحَوُّل، والله أعلم.



## المبحث الرابع

## اضطراب الزيدية في موقفهم من صحابة النبي ﷺ

يعتبر القول في الصحابة رضي الله عنهم من الأمور الفاصلة التي تُراعَى في معرفة أهل الحق من أهل الباطل، وأهلِ السُّنَّة من الرَّافِضَة، فَمَنْ حَسُنَ قولُه ومعتقدُه في الصحابة كان أقربَ إلى الحق ممن ساء قولُه ومعتقدُه فيهم.

ولخطورة هذه المسألة، اعتُبِرَت سبباً من أسباب التَّحَوُّل إلى السنة، على تقدير أنَّ الموقف المضطرب تجاه الصحابة يدعو إلى إعادة النظر في المذهب الزيدي والبحث عن الحق في سواه.

**موقف الزيدية من الصحابة:**

وقد تفاوتت مواقف زيدية اليمن من صحابة النبي ﷺ تفاوتاً بيناً، فلا تكاد تستطيع أن تنسب إليهم رأياً واضحاً لشدة ما بين هذه الأقوال من التباين، فمنهم المترضي عن الصحابة، المحبُّ لهم، ومنهم المتوقِّفُ فيهم، الساكتُ عن ثلبهم أو مدحهم، ومنهم الطاعنُ فيهم الرَّادُّ لمروياتهم، المتكلِّمُ فيهم بالباطل!.

ويمكن بيان هذا الموقف من الصحابة من خلال الأقسام الثلاثة التالية:

**أولاً: الترضِّي عنهم والترحُّم عليهم:**

وهو القول المشهور المأثور من مذاهب أهل البيت المتبوعين لدى الزيدية، يقول الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة: "ثم إنَّ لهم [يعني آل البيت] بعد القطع بعدم التكفير والتفسيق مذهبين:

الأول: من صرَّح منهم بالترحُّم والترضية عليهم، وهذا هو الأشهر عن أمير المؤمنين كما حكيناه، وعن زيد بن علي، وجعفر الصادق، والناصر للحق، والسيد المؤيد وغيرهم، وهذا هو المختار عندنا ونرتضيه لأنفسنا مذهباً.."(١).

وقد ذكر العلامة يحيى بن الحسين عدداً من أئمة أهل البيت وعلمائهم ممن يترضون على الصحابة، منهم: أمير المؤمنين، والحسن والحسين، وزين العابدين علي بن الحسين، والباقر والصادق، وعبد الله بن الحسن، ومحمد بن عبد الله النفس الزكية، وإدريس بن عبد الله، وزيد بن علي، وكافة القدماء من أهل البيت، ومن المتأخرين سادة الجيل؛ المؤيد بالله(٢)، وأخوه أبو طالب(٣)، والناصر الحسن بن علي الأطروش، والإمام الموفق بالله(٤)، وولده السيد المرشد بالله، والإمام يحيى بن حمزة، ومن المتأخرين باليمن: الإمام المهدي أحمد بن يحيى، والسيد محمد بن إبراهيم، وأخوه الهادي، والإمام أحمد بن الحسين، والإمام عز الدين

---

(١) الرسالة الوازعة للمعتدين عن سب صحابة سيد المرسلين [٣٦].

(٢) وهو أحمد بن الحسين الهاروني.

(٣) الإمام الناطق بالحق، يحيى بن الحسين بن هارون الحسني، العلوي، قام بأمر الإمامة بعد أخيه المؤيد بالله أحمد بن الحسين سنة ٤١١هـ، وبويع له في بلاد الديلم، واستمر في الإمامة إلى أن مات سنة ٤٢٤هـ. من مؤلفاته: (جوامع الأدلة)، و(التحرير)، و(المبادئ في علم الكلام). انظر: الشافي، لعبد الله بن حمزة [١/ ٩١٦]، أعلام المؤلفين الزيدية [١١٢١].

(٤) الحسين بن إسماعيل بن زيد بن الحسن بن جعفر، الحسني، العلوي، المعروف بالشريف الجرجاني، إمام زيدي مجتهد حتى قيل: هو أفقه من القاسم بن إبراهيم الرسي، روى الحديث وأخذ عنه ولده المرشد بالله يحيى بن الحسين، وتوفي في سنة ٤٢٠هـ. انظر: الشافي، لعبد الله بن حمزة [١/ ٩٢١]، أعلام المؤلفين الزيدية [٣٦٦].

ابن الحسن[١] وولده الحسن بن عز الدين، والإمام شرف الدين[٢]، وغيرهم[٣].

**ثانياً: السكوت عنهم والتوقُّف في حالهم:**

وهو قول طائفة منهم، متوقفون في حال الصحابة ﷺ، لا يَذمُّون ولا يَحمُدون، وهذا هو المذهب الثاني المأثور عن أئمة الزيدية، والذي ذكره المؤيد بالله يحيى بن حمزة لأهل البيت تجاه الصحابة ﷺ وأرضاهم؛ قال: "المذهب الثاني: هو مذهب مَنْ تَوقَّفَ عن الترضية والتَّرَحُّم، ونَهَى عن التكفير والتفسيق، وإلى هذا يُشير كلامُ الهادي والقاسم وأولادهما، وإليه يُشير كلام الإمام المنصور بالله أيضاً.."[٤].

وقد قرَّر الزيدية من هذين المذهبين القولَ بتحريم سبِّ الصحابة ﷺ، وعدمَ التعدِّي عليهم بتكفير ولا تفسيق، فنقل الإجماعَ على هذا غيرُ واحد

---

(١) عز الدين بن الحسن بن علي بن المؤيد بن جبريل الحسني، ولد بهجرة فَلَلَة سنة ٨٤٥هـ، ودرس في صعدة وغيرها من المدن اليمنية، وصنف وهو دون العشرين من عمره. دعا بالإمامة سنة ٨٧٩هـ، وخاض معارك كثيرة مع معارضيه، وتوفي في رجب من عام ٩٠٠هـ. انظر: البدر الطالع [١/ ٤٥٥-٤٥٦]، أعلام المؤلفين الزيدية [٦٤١].

(٢) الإمام المتوكل على الله، يحيى شرف الدين بن شمس الدين بن أحمد بن يحيى الحسني. مولده بحصن حضور بكوكبان سنة ٨٧٧هـ، ودعا لنفسه بالإمامة سنة ٩١٢هـ، ووفاته بظفير حجة سنة ٩٦٥هـ. من مؤلفاته: (الأثمار في فقه الأئمة الأطهار)، و(الأحكام في أصول المذهب)، و(الإمامة والحسبة). انظر: طبقات االزيدية الكبرى [٣/ ١٢٣٢-١٢٤٣]، الأعلام [٨/ ١٥٠]، أعلام المؤلفين الزيدية [١١٣٤-١١٣٦].

(٣) انظر: الإيضاح لما خفا من الاتفاق على تعظيم صحابة المصطفى، ليحيى بن الحسين بن القاسم [٢٣٩ - ٢٤٠].

(٤) الرسالة الوازعة [٣٦ - ٣٧].

منهم. يقول العلَّامة يحيى بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ذكر كثيراً من أقوال أئمة الزيدية في الصحابة: "فتقرَّر من هذا كلِّه إجماعُ أهلِ البيت كُلِّهم على تحريم سبِّ الصحابة؛ لأنَّهم بين مُتوقِّفٍ ومُتَرَضٍّ كما ذكرنا، والمترضِّي أكثر.."(١).

فنخلص من المذهبين المتقدمين أنَّ السَّب لصحابة النبي ﷺ ليس من مذاهب أهل البيت - رحمهم الله - ولا هو من مذاهب الزيدية بالإجماع المتقدِّم، إلَّا أنَّ هناك من يطعن في الصحابة - فعلاً - ممَّن يدَّعون الانتماء إلى المذهب الزيدي على الرغم من الإجماع المتقدم!.

**ثالثاً: الطعن فيهم:**

وهذا موقف حادث في الزيدية، لم يكن معروفاً عند المتقدمين من أئمة الزيدية بحسب الإجماع المذكور آنفاً، إلَّا أنَّه بسبب تأثر الزيدية بالروافض نشأ هذا القول، وصار قولاً منافساً للقولين السابقين وله كثير من القائلين به، فظهر الطعنُ في صحابة النبي ﷺ بعدد من الصور التي تدل على بُعد هذه الطائفة عن مذاهب أهل البيت، واقترابهم من الرافضة بما لا مزيد عليه، فطعنوا في خلافة الثلاثة - أبي بكر، وعمر، وعثمان - ونسبوا إلى أصحاب النبي ﷺ أنَّه قد انحرف أكثرهم عن الحق بعد وفاته، وكفَّروا طائفة منهم ممن كان منحرفاً عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

يقول اليماني: "أجمع أهل البيت عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ ومن شايعهم وجميع الأمة، إلَّا من لا يُعتد به من أهل البدع المدلِّسين: أنَّ أمير المؤمنين علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يَرضَ أن يبايع أحداً من الثلاثة المشايخ، ولا رضي بخلافة أحد منهم، وإنَّما لم يباينهم بالحرب بإجماع العترة عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ وأشياعهم، إلا لعدم الناصر،

---

(١) الإيضاح لما خفا [١٣٤].

ولما قدّمنا من الحجج من الآيات والأحاديث.. "(١).

وقال: "إن قيل: إنَّ علياً عليه السلام حدَّ الحدود بين أيديهم وغزا معهم، وجمَّع معهم، قلنا: أما الحدود والغزو، فهو الإمام، وأمر ذلك إليه بالإجماع، وأما الجمع، فمن باب التقية، وقد قال تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ [آل عِمرَان: ٢٨].. "(٢).

وهذا الذي قاله اليماني يدل على عدم اعتراف منه بخلافة الثلاثة رضي الله عنهم، ونسبة ذلك إلى علي رضي الله عنه زوراً وبهتاناً!.

وزعمُه أنَّ علياً لم يَرْضَ بخلافة الثلاثة كَذِبٌ عليه، لأنَّ الرِّضَى أمرٌ قلبي لا يُعلَم إلَّا بالتصريح به، أو بالدلالة عليه بالفِعل، فلمَّا كان الفعل دالاً على الرِّضى كان القولُ به أولى، والقولُ بخلافه تخرُّصٌ لا حقيقة له.

ومن مطاعن هذه الطائفة في الصحابة اتهامُهم بالانحراف عن أهل بيت النبي ﷺ بعد وفاته ﷺ، واتخاذهم أعداءً. يقول أبو جعفر الحوثي(٣): "..لكنَّهم استغلوا وفاته - صلى الله عليه وآله وسلم - للتنازع والاختلاف، فسبَّبَ لهم الفتنة، فانحرف أكثرهم عن أهل بيت نبيئهم، ولم يَتَمَسَّك بهم إلَّا القليل من الصحابة والتابعين، وهكذا لا يَتَمَسَّكُ بالحق إلَّا القليل في كل زمان، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ۝١٠٣﴾ [يُوسُف: ١٠٣]"(٤).

---

(١) البدر المنير [١/ ٤٧٥].

(٢) البدر المنير [١/ ٤٧٥ - ٤٧٦].

(٣) محمد بن عبد العظيم الهادوي، الضحياني، عالم زيدي معاصر، اهتم بجمع وتصوير كتب التراث الزيدي، فجمع منها الكثير، وله بعض المؤلفات، منها: (الإمام الأعظم زيد بن علي..). انظر: أعلام المؤلفين الزيدية [٩١٧].

(٤) الإمام الأعظم [٣٩٤].

وزيادة على ما تقدم، فقد طعنت هذه الطائفة في عدد من صحابة النبي ﷺ على وجه الخصوص، منهم: معاوية، وعمرو بن العاص، وأبو موسى الأشعري، والمغيرة بن شعبة، والنعمان بن بشير، وأبو هريرة، وجرير بن عبد الله البجلي.. وآخرون.

يقول الهاروني - عند الكلام على إمامة الحسنين وإثباتها لهما-: "..وعلى أنهما قد دعوا إلى أنفسهما وبويعا، ولم يكن في زمانهما من يدَّعي الإمامة غير معاوية ويزيد، وهذان قد ظهر فسقهما وكفرهما، فبان له صحة إمامتهما"[١].

ويقول المحطوري[٢]: "..إن الصحابة رضي الله عنهم قاتلوا معاوية مع أمير المؤمنين علي لم يَشُذَّ منهم أحد من الأنصار سوى النُّعمان بن بشير، ولم يكن قوياً في دينه، ولو كان متديناً لما انحاز إلى ابن آكلة الأكباد، وتركَ خزيمةَ بنَ ثابت الأنصاري ذا الشهادتين.."[٣].

وغير هذه النصوص كثير، وهي تظهر مدى توغُّل الطعن عند هذه الطائفة من الزيدية - لا كثَّرها الله - في صحابة النبي ﷺ، حتى صار موقفاً جديداً، وقولاً ثالثاً ينافس القولين المتقدمين.

---

(١) التبصرة في العدل والتوحيد، للهاروني [٦٦].

(٢) المرتضى بن زيد بن زيد بن علي المَحَطْوَري، عالم وداعية زيدي معاصر، ولد سنة ١٣٧٣هـ، أسس عدداً من المراكز العلمية الزيدية، منها مركز بدر في صنعاء اليمن، وله عدد من المؤلفات، منها: (عدالة الرواة والشهود)، و(السيرة النبوية)، و(مباحث في أصول الفقه). انظر: أعلام المؤلفين الزيدية [١٠٢٧]، موقع الدكتور المرتضى بن زيد المحطوري، متاح على الرابط: (http://www.almahatwary.org)
تاريخ الدخول: ٢٧/ ١١/ ٢٠١٣م.

(٣) مصباح العلوم في معرفة الحي القيوم (حاشية) [٨٤].

## حكم من تقدم علياً رضي الله عنه:

اختلفت آراء الزيدية في حكم من تقدَّم علياً من الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، فمنهم من صوَّبَ إمامةَ الشيخين وتوقف في إمامة عثمان وهم الصالحية، ومنهم من أنكر خلافة من تقدم وقال بفسقهم، وهم الجارودية، وغير ذلك. ذكر هذه الآراء يحيى بن حمزة في الرسالة الوازعة، ثم قال: "والذي يقضي به الشرع عندنا ونفتي به ونحب أن نلقى الله تعالى عليه، ونأمر من وقف على كتابنا هذا به، وهو طريق السلامة لكل منصف هو أنَّ مخالفتهم لهذه النصوص وإن كانت قاطعة لا توجب كفراً ولا فسقاً ولا خروجاً عن الدين، ولا توجب قطع الموالاة، فإنَّ إسلامهم صحيح، ويدل على صحة ما اخترناه من ذلك - وهو الذي عليه أكابر أهل البيت والمخلصين من أتباعهم وشيعتهم - مسالك.."[1].

وأما الإمام القاسم بن محمد، فلم يتقرر له الصواب في المسألة، وبقي فيها على مجرد الاحتمال، حيث يقول: "والحقُّ أنَّهم:

- إن لم يعلموا استحقاقه عليه السلام دونهم بعد التحرِّي، فلا إثم عليهم وإن أخطأوا؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾ [الأحزاب: ٥]، ولم يُفَصِّل، وقوله صلى الله عليه وآله: (رُفِع عن أمتي الخطأ والنسيان)[2]، ولم يُفَصِّل.

---

(١) الرسالة الوازعة [٢٢-٢٣].

(٢) ذكر الألباني - رحمه الله - أنَّ هذا اللفظ هو المشهور في كتب الفقه والأصول، ولكنه منكر! والمعروف ما أخرجه ابن ماجه عن ابن عباس مرفوعاً بلفظ: (إنَّ الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه). سنن ابن ماجه، كتاب: الطلاق - باب: طلاق المكره والناسي [٣٥٣]، رقم الحديث (٢٠٤٥)، وقد صحَّحه عدد من أهل العلم، ووافقهم الألباني. انظر: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، =

- وإن علموا، فخطيئتهم كبيرة؛ للإجماع على أنَّ من منع إمام الحق من تناول الواجب، أو منع الواجب منه بغي عليه، والإجماع على أنَّ البغي عليه فسق؛ لأنَّه اتباع لغير سبيل المؤمنين.."[1].

وهذا إنَّما هو مبني على اعتقاد النَّص في علي رضي الله عنه، وهو أمر لا حقيقة له، فإنَّ الصحابة رضي الله عنهم لم يعلموا بهذا ولا سمعوا به، وإلَّا لم يَعدِلوا بِعليٍّ أحداً، فقد كانوا أصدقَ الناس إيماناً، وأكثرَهم علماً بأقوال الرسول ﷺ، فإن كان أوصى لم يَخفَ عنهم ذلك، ولا يصح أن يُظَنَّ بهم التواطؤ على إخفاء أمر عظيم كهذا!.

## كيف نشأ التفريط في حق الصحابة من قبل الزيدية؟:

ومن العجيب والمستغرب أن تجتمع هذه الأقوال الثلاثة - الترضِّي، والتوقُّف، والطعن - في صحابة النبي ﷺ عند طائفة واحدة، فكيف حصل هذا الانحدار في عقيدة الزيدية نحو الصحابة من الترضِّي إلى اللَّعن والتكفير؟.

إن من أهم الأمور التي أدت إلى هذا الانحدار الزيدي تجاه الصحابة - فيما يظهر - اعتقاد طائفة منهم بأنَّ الصَّحابة رضي الله عنهم قوم من الناس لا مزيَّة لهم على غيرهم، ولا فرق بينهم وبين من جاء بعدهم، وأنَّ الكلام فيهم كالكلام في غيرهم ولا فرق، فَيُعَدِّلون من أرادوا، ويجرِّحون مَن شاؤوا، بدعوى أنَّ هذا من العدل الذي أمرنا الله به، وأنَّه ليس للصُّحبة حرمة ولا حصانة؛ بل كلٌّ قابل للنقد، مثلُهم كمثل غيرهم؛ فلمَّا كان منهم ذلك لم

---

= تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، إشراف: محمد زهير الشاويش، نشر: المكتب الإسلامي - بيروت، ١٣٩٩هـ [١/ ١٢٣-١٢٤]، رقم الحديث (٨٢).

(١) كتاب الأساس لعقائد الأكياس [١٦٢ - ١٦٣].

يتورَّعوا عن ذكر زلاتهم، وتتبع عثراتهم، فأوغروا بذلك الصدور، وملأوا به الأوراق والسطور، فصاروا يتكلَّمون فيهم بكل حرية وإسهاب وتفصيل[(١)].

**منصفو الزيدية والصحابة:**

ومع هذا التناقض في موقف الزيدية تجاه الصحابة لم يرضَ المنصفون من الزيدية بهذا الموقف - والذي لا يصلح أن يكون أساساً يقوم عليه عمل المحدثين وحفَّاظِ السُّنَن - فسعوا إلى كشف مذاهب أهل البيت في صحابة النبي ﷺ، وعملوا على نشرها بين أوساط الزيدية من خلال عدد من المصنفات، منها: كتاب (الإيضاح لما خفا من الاتفاق على تعظيم صحابة المصطفى)، ليحيى بن الحسين بن القاسم، وكتاب (إرشاد الغبي إلى مذاهب أهل البيت في صحب النبي)، لمحمد بن علي الشوكاني، وغيرها.

فقد أبانوا - رحمهم الله - مذاهب أهل البيت في صحابة النبي ﷺ، وأثبتوا أنَّ مذاهبهم لا تخرج عن قولين اثنين، ألا وهما: الترضِّي عنهم والترحُّم عليهم، أو: التوقُّف فيهم، كما أبانوا مذهب أهل البيت في تحريم سبِّ الصحابة رضي الله عنهم، وأنَّهم أجمعوا على ذلك، فقد روى الشوكاني رحمه الله ذلك الإجماع من ثلاثة عشر طريقاً، وقال: "قد ثبت إجماع الأئمة من أهل البيت على تحريم سبِّ الصحابة، وتحريم التكفير والتفسيق لأحد منهم، إلَّا من اشتهر بمخالفة الدين والمعاندة لسنة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنَّ الصحبة ليست بموجبة لعصمة من اتصف بها على ما ذهب إليه الجمهور؛ بل هو إجماع كما حقَّقنا ذلك في الرسالة المسماة؛ بـ

(١) للتعرُّف على طريقة الزيدية في نقد الصحابة. انظر: الصحابة بين الإفراط والتفريط، تأليف: (زيدي مجهول الاسم)، تحقيق: د. المرتضى بن زيد المحطوري، نشر: مكتبة بدر للطباعة والنشر - صنعاء، ١٤٣١هـ [٩٦ - ١٣٤].

(القول المقبول في رد رواية المجهول من غير صحابة الرسول)، وهذا الإجماع الذي قدَّمنا ذِكرَه عن أهل البيت يُروى من طرق ثابتة عن جماعة من أكابرهم.."(١). وذكر تلك الطرق.

كما أزاح يحيى بن الحسين بن القاسم في كتابه - الإيضاح لما خفا - الستار عن مذاهب أهل البيت في صحابة النبي ﷺ، فذكر كثيراً من أقوال الأئمة، ونقل اتفاقهم - رحمهم الله - على تعظيم صحابة النبي ﷺ، وتحريم القول فيهم بالسوء(٢).

ومع ذكر المنصفين من الزيدية للمذهبين في الصحابة فإنَّهم لا يرتضون منهما إلَّا القولَ بالترحُّم عليهم والترضي عنهم كما هو مذهب أهل الحديث، فيُقِرُّون بأفضلية الخلفاء الراشدين على سائر الأمة، ويقولون بعدالة سائر الصحابة!.

قال ابن الوزير رحمه الله في ردِّه على شيخه جمال الدين بن أبي القاسم: "فقد اختُلف في الخلفاء الراشدين الذين هم أفضل الصحابة، وكفَّرتهم طوائف من الروافض والنواصب والخوارج(٣)، وسَلِمَ من التكفير والاختلاف من هو دون الخلفاء رضي الله عنهم من صغار الصحابة.."(٤).

---

(١) إرشاد الغبي [١٠ - ١١].

(٢) انظر: الإيضاح لما خفا [١٣٤].

(٣) الخوارج: فرقة ظهرت في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، بعد حرب صفين، حملوه أولاً على قبول التحكيم مع جيش الشام، ثم تغيروا بعد ذلك وقالوا: لم حكمت الرجال؟. وشهدوا بالكفر على كل من رضي بالتحكيم، ثم خرجوا على جماعة المؤمنين وصاروا بعد ذلك فرقاً؛ يجمعهم القول بتكفير علي وعثمان رضي الله عنهما، والقول بكفر مرتكب الكبيرة، ووجوب الخروج على الإمام الجائر. انظر: الفرق بين الفرق [٤٩-٥٠]، الملل والنحل [٧٥-٧٦].

(٤) الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم [١/ ١١٠].

وقال الصنعاني: "فَصْلٌ في تعظيم السُّنَن والانقياد إليها، وترك الاعتراض عليها"، وذكر أحاديث في ذلك، ثم قال: "ومحل الاستدلال قولُ ابن عباس: (لا نُقدِّمُ على سنة رسول الله - صلى الله عليه وآله - كلامَ أحد من الناس كائناً من كان)، وناهيك بالشيخين رضي الله عنهما، فإنَّه لو جاز تَقَدُّمُ كلامِ أحد على سنته صلى الله عليه وآله وسلم لكان أحقُّ الناس بذلك كلامَ صاحبيه رضي الله عنهما.."(١).

وقد قرَّر ابن الوزير رحمه الله أنَّ كل مسلم ممن عاصر النبي ﷺ، فإنَّه عدل ما لم يُعلَم جرحُه، وبيَّن الحجج على هذا، وأنَّه مذهبُ جِلَّة الإسلام، وذكر أنَّه مما ادُّعِيَ فيه الإجماع(٢).

ويقول في باب (معرفة الصحابة): "ومِن مُهِمَّات هذا الباب، القولُ بعدالة الصحابة كلِّهم في الظاهر، إلَّا ما قام الدليل على أنَّه فاسق تصريحاً، ولا بُدَّ من هذا الاستثناء على جميع المذاهب، وأهلُ الحديث وإن أطلقوا القول بعدالة الصحابة كلِّهم، فإنَّهم يستثنون من هذه صفتُه، وإنَّما لم يذكروه لندوره، فإنَّهم قد بيَّنوا ذلك في كتب معرفة الصحابة.."(٣).

وقال: "فَرَحِمَ اللهُ امرأً ترك التَّعَمُّقَ في الأمور، واقتدى برسول الله صلى الله عليه وآله، وبأصحابه خير أُمَّة أخرجت للناس رضي الله عنهم أجمعين،

---

(١) إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد [٣٧ - ٣٨].

(٢) انظر: الروض الباسم، لابن الوزير [١/ ٨٨].

(٣) توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، تأليف: محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، علَّق عليه: صلاح بن محمد بن عويضة، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٧هـ [٢/ ٢٤٤ - ٢٤٦].

وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين"[١].

وبعد ما تقدم؛ يظهر أنَّ اضطراب الزيدية في موقفها تجاه الصحابة ﭫ كان له دور مهم في التفات المنصفين منهم نحو مذهب أهل السُّنَّة والجماعة، لوضوحه في هذه المسألة واضطراده، مع سلامة صَدر وحُسنِ ظنٍّ بخير القرون، كما أنَّ الأخذ بعقيدة أهل السنة وموقفهم في الصحابة يتيح للمشتغل بعلم الحديث إمكانية التعامل مع السنة بصورة سليمة، مُتَّزِنَة من غير تخبُّط؛ إذ أنَّ الصحابة ﭫ هم من نقل السنة إلينا وبلَّغ لنا الدين، والاشتغال بالكلام فيهم بالطعن، والتشكيك في أمانتهم، أو حتى التوقُّف في حالهم طعن في الدين وتشكيك فيه لأنَّهم هم حملتُه ونقلتُه، والله تعالى أعلم.



(١) الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم [١/ ١١٨].

## المبحث الخامس

## اشتغال متأخري الزيدية بالسنة وعلومها

**تمهيد:**

لا تختلف الزيدية عن أهل السنة في اعتبار السنة حُجَّةً شرعية على سبيل الإجمال، وهي تأتي في المرتبة التي تلي القرآن الكريم. يقول الإمام محمد بن القاسم الرَّسِّي: "واعلموا أنَّا نحتجُّ ونتكلَّم عن كتاب الله المبين، وما صحَّ عن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - من القول الثابت المستبين"(١).

وترى الزيدية أنَّ السنة على درجات؛ فمنها المتواتر، ومنها الآحاد(٢)؛ فأمَّا المتواتر: فلا خلاف في صحته(٣)، وإفادته العلم، وهو حُجَّةٌ في الأحكام والعقائد، وأمَّا الآحاد فإنَّه يُعمَلُ به في الاجتهادات فقط دون القطعيات.

يقول عبد الله بن زيد العنسي(٤) في أقسام السنة: "وهي ضربان؛

---

(١) مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم الرسي [٤].

(٢) انظر: الإرشاد إلى نجاة العباد، للعنسي [٢٠٦].

(٣) انظر: كتاب الأساس لعقائد الأكياس [١٣٧].

(٤) عبد الله بن زيد بن أحمد بن أبي الخير العنسي، من علماء الزيدية في القرن السابع الهجري، سكن كَحْلان في آخر عمره، وتوفي سنة ٦٦٧هـ. من مؤلفاته: (الإرشاد إلى نجاة العباد)، و(التحرير في أصول الفقه)، و(الرسالة الداعية إلى الإيمان). انظر: مطلع البدور ومجمع البحور، تأليف: أحمد بن صالح بن أبي الرجال، تحقيق: عبد الرقيب مطهر محمد حَجَر، نشر: مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية - صعدة/ اليمن، ١٤٢٥هـ [٣/ ٨٢-٨٩]، أعلام المؤلفين الزيدية [٥٨٩-٥٩١].

متواتر: يجب العمل به والتصديق له قطعاً، وآحاد: يجب العمل به في الاجتهادات دون القطعيات، لإجماع الصحابة على العمل به، وإجماعهم حُجَّة"[(١)].

ويقول صارم الدين بن الوزير[(٢)]: "ويعمل به في العملي مطلقاً، لا في العلمي، كالمسائل الإلهية، ولا في العملية العلمية كأصول الشرائع إلا مؤكِّداً، خلافاً لبعض المحدثين والبكرية، فإن خالفهما[(٣)] رُدَّ؛ إلَّا أن يمكن تأويله، واتفقوا على وجوب العمل به في الفتوى والشهادة.."[(٤)].

وتشترط الزيدية في تصحيح الاستدلال بأخبار الآحاد: الموافقة للكتاب، وأن يتلقاها أئمتهم بالقبول، وإلا لم يصح الاستدلال بها، حتى وإن صح الإسناد وحصل الظن بصدقه!. يقول الإمام القاسم بن محمد: "فإن قيل: فما الذي لا يصح الاستدلال به من الأخبار؟. قلت، وبالله التوفيق: ذلك الذي لم يكن متواتراً، ولا متلقى بالقبول، ولا موافقاً لكتاب الله سبحانه وتعالى، ولو صح سنده وحصل الظن بصدقه؛ فإنه لا يقبل الاستدلال به في شيء من المسائل.."[(٥)].

---

(١) الإرشاد إلى نجاة العباد [٢٠٦].

(٢) صارم الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن الهادي بن إبراهيم الوزيري؛ من علماء الزيدية في القرن العاشر. مولده سنة ٨٦٠هـ، ووفاته سنة ٩١٤هـ. من مؤلفاته: (الهداية)، و(الفصول اللؤلؤية). انظر: مطلع البدور ومجمع البحور، لابن أبي الرجال [١/ ١٦٣، وما بعدها]، البدر الطالع، للشوكاني [١/ ٦٠، وما بعدها].

(٣) يعني: الكتاب والسنة المتواترة.

(٤) الفلك الدوَّار في علوم الحديث والفقه والآثار، تأليف: السيد صارم الدين إبراهيم ابن محمد الوزير، تحقيق: محمد يحيى سالم عزان، نشر: مكتبة التراث الإسلامي، وَ دار التراث اليمني - اليمن، ١٤١٥هـ [١٩٦].

(٥) مجموع الإمام القاسم بن محمد [٣٧ - ٣٨].

**موقف الزيدية من حديث أهل السنة:**

ومع احتجاج الزيدية بالسنة عموماً فإنَّ لهم موقفاً من حديث أهل السنة، لحصول المخالفة في العقائد، فلا يحتجُّون بحديث أهل السنة إلَّا على سبيل الاحتجاج عليهم، أو أن يأتي الحديث موافقاً لأصولهم. يقول أحمد بن الحسن في ردِّه على الروض الباسم: "الوجه الثاني: أنَّ قدماء العترة ﷺ اعتمدوا على الكتاب العزيز، ومن السنة على ما وافقه؛ إما بظاهر آية، أو قياس جلي، أو نحو ذلك، وما ذكروه من غير هذه الطريقة التي عن سلفهم، فللاستظهار، أو غير ذلك من المحامل. وبالجملة؛ فكل من خالفهم في العقائد غير مقبول النقل من كان وكيف كان، وكلامُهم في ذلك ظاهر، وما ذكره المتأخرون من القبول، فذلك للاحتجاج على الخصم بما يَحجُجُه، نُصرَةً للتخريج لا غير ذلك.. "[1].

ويُؤَيِّدُ هذا الموقف ما ذكره ابن حابس، حيث قال: "ولا أقول لك لا تذكر حديثَ غيرهم رأساً، فينبغي ذكرُه زيادة في الحجَّة، واستعانة على دَحضِ الخصم بحديثه الذي يَصِحُّ عنده، وهذا مقصد مهم؛ وإنَّما أردت بقولي لك أولاً أنَّك لا تجعل حديثَهم أصلاً في دينك ترجع إليه وترجِّحُه على حديث أهل البيت ﷺ، فافهم أيها المسترشد موفقاً "[2].

ومن أحاديث أهل السنة التي يقف منها الزيدية هذا الموقف: أحاديث الصحيحين؛ فبالرغم من شدة عناية أصحابها بالتزام الصحة فيها، إلَّا أنَّ ذلك لم يشفع لها عندهم في أن تُعطى مكاناً يَليق بها، فالزيدية ترى أنَّ

---

(١) العِلم الواصِم في الرد على هفوات الروض الباسم، تأليف: السيد أحمد بن الإمام الحسن بن يحيى القاسمي، تحقيق: عبد الله بن حمود بن درهم العزِّي، نشر: مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية - صنعاء، ١٤٢٩هـ [١٠٥].

(٢) إجازة ابن حابس ضمن مجموع القاسم بن محمد [٣٧٣].

الصحيحين (البخاري ومسلم) كغيرهما من كتب الحديث، ولا مَزيَّة لهما عليها، وأنَّ أحاديثهما بحاجة إلى التفتيش والنظر في حال الرواة، فما أقرَّه أئمةُ الزيدية فهو المقبول، وما ردُّوه فهو المردود، إلَّا أنَّ مؤلفيهما قد برئا من العهدة بإسنادهم لها. يقول أحمد بن الحسن: "والحقُّ الذي لا غبار عليه؛ أنَّ الصحيحين كغيرهما من الكتب، وقد أخرجا ما أخرجاه مُسنداً فبرئا من العهدة، وعلى العامل التفتيش عن تلك الطرق، ولا يلزم من هذا الخطأ على المصنِّف مع الإسناد، وكلٌّ على أصله، والترجيح باتفاق العقائد نوع من الغلو، والعبرة في هذا الشأن بالضبط مع الصدق وعدم التجاري على المعاصي، وخصوصاً أبواب سلاطين الجور، فافهم!"(١).

وقال صارم الدين بن الوزير: "وقال السيد الإمام جمال الدين علي بن محمد بن أبي القاسم(٢) رَحِمَهُ الله تعالى: الذي ذهب إليه علماؤنا وتجري عليه أصولهم أنَّ في أخبار هذه الكتب [يعني كتب الصِّحاح]: الصحيح، والمعلول، والمردود، والمقبول، والضابط في ذلك: أنَّ ما صحَّحَه أئمتنا من ذلك فهو صحيح، وما رَدُّوه، أو طعنوا في رواته فهو مردود، لصحة اعتقادهم، وسعة اطلاعهم، وتحرِّيهم في انتقادهم"(٣).

ومعنى ما تقدم أنَّ الأحاديث الواردة في الصحاح وفي مُقدمها البخاري

---

(١) العِلم الواصِم [١٠٠].

(٢) علي بن محمد بن أبي القاسم بن محمد الحسني، العلوي. عالم زيدي مبرز، كان بينه وبين تلميذه محمد بن إبراهيم الوزير مراسلات وردود بسبب مخالفته للمذهب الزيدي، وقد رد عليه ابن الوزير بمؤلفه الشهير: (العواصم والقواصم). توفي سنة ٨٣٧هـ. من مؤلفاته: (تجريد الكشاف). انظر: مطلع البدور [٣/ ٣١٠، وما بعدها]، البدر الطالع [٢/ ٥٢٤-٥٢٥].

(٣) الفلك الدوَّار [٧٢].

ومسلم لا يُحكم بصحتها إلَّا بعد النظر في أحكام أئمة الزيدية، دون النظر في أصول التصحيح والتضعيف المعتبرة عند المحدثين، بل يُكتفى بحكم أئمتهم؛ وهذا نوع من التَّحكم المفتقِر للإنصاف!.

ونتيجة لهذه السَّطحيَّة في التعامل مع السنة، فقد قوبلت طريقة الزيدية بكثير من النقد من قِبَل المنصفين منهم، فبيَّنوا ضَعفَ الزيدية في علوم السنة، وعدمَ إمكانية الاعتماد على مؤلفاتهم التي أُلفت بهذا الشأن، وتقديم أهل السنة عليهم في ذلك.

**بيان ضعف الزيدية في علوم السنة رواية ودراية:**

ويتبين ضعف الزيدية في علوم السنة من خلال العنصرين التاليين:

**١- ضعف مرويات الزيدية الحديثية وعدم إمكانية الاعتماد عليها:**

لم يكن للزيدية اشتغال بجمع الأحاديث والسُّنَن متأسين في ذلك بأهل الكلام، إلَّا أنَّهم لما كان لهم مذهبُهم الخاص بهم أرادوا أن يستقلُّوا عن غيرهم، فصنعوا لهم كتباً خاصة بهم يروون فيها السُّنَن ليستفيد منها أهل الاجتهاد والفتوى في استنباط الأحكام، فعمدوا إلى كتب أهل السنة فاختاروا منها ما يناسب مذاهبَهم، فجمعوها في عدد من المؤلفات الحديثية من غير أن يُسندوا هذه المرويات إلى أصحابها أو يذكروا مالها وما عليها من الأحكام.

وعند أن عرف المنصفون من الزيدية علومَ الحديث أَيقَنوا أنَّ الاعتماد على مثل هذه المؤلفات الحديثية الزيدية لا يجوز بحال من الأحوال لعدم تحقُّق شروط القبول المعتبرة فيها. يقول ابن الوزير ﵀: "الوجه الثاني: أنَّا لو رجعنا إلى تصانيف الزيدية في الحديث لَكُنَّا قد رجعنا إلى أضعفَ مما استَضْعَفْتَ، وأنكرَ مما استَنْكَرْتَ، وذلك لأنَّ المصنفين من الزيدية في

الحديث ليس إلَّا القاضي زيد[1]، والإمام أحمد بن سليمان[2]، والأمير الحسين[3]، والإمام يحيى بن حمزة؛ هؤلاء الذين توجد تصانيفهم في أيدي الزيدية في نجد اليمن؛ أما القاضي زيد: فقد ادَّعى في شرحه الذي يروي فيه الحديث إجماع الأُمَّة على قبول خبر أهل الأهواء، وأما الإمام أحمد بن سليمان فقد صرَّح في خطبة كتابه بالنقل من كتب المحدثين، بل ذكر أنَّه جمع كتابه من كتب مسموعة وكتب غير مسموعة، ولم يُميِّز ما رواه من الكتب المسموعة، مع أنَّ كتابه عمدة عند علماء الزيدية، مُعتَمد عند المجتهدين منهم؛ وأمَّا الأمير الحسين: فينقل من كتب المحدثين، وهما معاً ينقلان من كتاب القاضي زيد، وكلُّ كتبهم خالية من الإسناد وعن بيان من خرَّج الحديث من الأئمة.. وعلى الجملة؛ فالزيدية إن لم يقبلوا كفارَ التأويل وفسَّاقَه قبلوا مُرسَل مَن يقبَلُهم من أئمتهم، وإن لم يقبلوا المجهول قبلوا مُرسَلَ من يقبله، ولا يعرف منهم من يَتَحَرَّز من هذا البتة!.

---

(١) زيد بن محمد بن الحسن الكلاري؛ نسبة إلى كلار من بلاد الجيل، أحد كبار علماء الزيدية في القرن الخامس. من مؤلفاته: كتاب (الجامع في الشرح)، ويسمى: شرح التحرير. انظر: مطلع البدور ومجمع البحور [٢/ ٣٠٩-٣١٢]، أعلام المؤلفين الزيدية [٤٤٩ - ٤٥٠].

(٢) الإمام المتوكل أحمد بن سليمان بن محمد بن المطهر، ولد سنة ٥٠٠هـ، ودعا لنفسه بالإمامة سنة ٥٣٢هـ، وتوفي سنة ٥٦٦هـ، من مؤلفاته: (أصول الأحكام)، و(الحكمة الدرية). انظر: الشافي، لعبد الله بن حمزة [١/ ٩٣١، وما بعد]، طبقات الزيدية الكبرى [١/ ١٣٢-١٣٥]، الأعلام [١/ ١٣٢].

(٣) الحسين بن بدر الدين محمد بن أحمد بن يحيى، الحسني، العلوي. من علماء الزيدية، ولد سنة ٥٩٩هـ في صعدة هجرة (رغافة) ونشأ بها، وتوفي سنة ٦٦٢هـ. من مؤلفاته: (شفاء الأوام في أحاديث الأحكام)، و(ينابيع النصيحة)، و(الذريعة). انظر: مطلع البدور ومجمع البحور [٢/ ٢١٥-٢١٧]، أعلام المؤلفين الزيدية [٣٩٠].

وهذا يدل على أنَّ حديثهم في مرتبة لا يقبلها إلَّا من جمع بين قبول المراسيل؛ بل المقاطيع، وقبول المجاهيل، وقبول الكفَّار والفُسَّاق من أهل التأويل؛ فكيف يُقال مع هذا إنَّ الرجوع إلى حديثهم أولى من الرجوع إلى حديث أئمة الأثر ونقادِه الذين أفنوا أعمارَهم في معرفة ثقاته، وجمع متفرقاته، وبيانِ صِحاحِه من مستضعفاتِه، فَتَكَثَّرت بهم فوائدُه، وتمهَّدَت قواعدُه، وتقيَّدت أوابِدُه؟!، وهل هذا إلَّا مثل إنكار الشعوبية لفضل علماء العربية؛ بل هو أقبحُ منه بدرجات عديدة ومسافات بعيدة، لأنَّ الآثار النبويَّة هي ركنُ الإيمان، وأختُ القرآن، وهي شعارُ الفقه والدِّثار، وعليها في أمور الإسلام المدار"[1].

ويقول المقبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "مسألة إطلاق الدُّعاء في الصلاة، ومسألة الرفع؛ لا نقول إنَّها ظنيَّة في كل منهما؛ بل كل منهما معلومة لِكَثرة أدلتها وصحتها نصوصاً وإشارة، فهي متواترة المعنى قطعاً، ولا ينكر هذا إلَّا من جهل حقيقةَ الحال، لكنَّ القومَ بُهْمٌ لُدُدٌ عن نحو هذا لِبُعدِهم عن الحديث، إنَّما يقتطعون من كتب الحديث ما يَتَقَوَّون به لِقِلَّةِ الرِّواية في كتبهم الأصلية.

وأما المتأخرون فقد أخذوا من سُنَن أبي داود ونحوها، ووضعوا لهم كـ (الشِّفاء)[2]، و(أصول الأحكام) بغير إسناد؛ بل مراسيل في الظاهر، فلا يَقدِر أحدُهم على إسنادها، اللَّهُمَّ إلَّا إلى أصولها من كتب المحدثين، لكنَّ الدعوى أنَّها متصلة بغير حاجة إلى المحدثين، والحقيقة خلاف ذلك، والمسند كما في كتابي الهادي، وكتاب أحمد بن عيسى، وكتاب محمد بن

---

(١) الروض الباسم [١/ ١٢١-١٢٢].

(٢) للحسين بن بدر الدين، المتقدمة ترجمته قريباً، وأما أصول الأحكام فهو للإمام أحمد بن سليمان.

منصور، و(شرح التجريد)، ونحوها، لا يقدرون على معرفة رجالهم إلَّا من جهة المحدثين؛ لأنَّه ليس لهم وضع في الجرح والتعديل؛ بل قال سيِّدُهم الإمام المهدي: إنَّ قبولَ المراسيل أسقطَ علمَ الجرح والتعديل، فلا يحتاجُ إليه المجتهد.."(١).

وقال المقبلي في موضع آخر: "وأخرج البخاري عن علي رضي الله عنه أنَّه قال: (اقضُوا كَمَا كُنتُم تَقضُون فإنِّي أكرهُ الخلاف، حتَّى يكونَ للناسِ جَماعَةٌ، أو أَموتَ كما ماتَ أصحابي) قال: وكان ابن سِيرين(٢) يرى أنَّ عامَّة ما يُروى على علي الكذب(٣).

وصدق ابن سيرين رحمه الله، فإنَّ كلَّ قلب سليم، وعقلٍ غيرِ زائغٍ عن الطريق القويم، ولُبٍّ تَدَرَّبَ في مقاصد سالكي الصِّراط المستقيم، يَشهَدُ بكذب كثير مما في (نَهج البلاغَة)، الذي صار عند الشيعة عديلَ كتاب الله بمجرد الهوى الذي أصابَ كلَّ عرق منهم ومِفصَل، وليتَهم سلكوا مَسلكَ جلاميد الناس، وأوصلوا ذلك إلى علي برواية يَسوغ عند الناس، وجادلوا عن رواتها، ولكن لم يبلغوا بها مُصَنِّفَها، حتى لقد سألتُ في الزيدية إمامَهم الأعظم وغيرَه، فلم يبلغوا بها الرَّضي الرافضي، ولو بلغوه لم ينفعهم، فإنَّ مذهبَ الإمامية تكفيرُ مَن لم يُكفِّر مَن لم يكن على مذهبهم

(١) العلم الشامخ [٤٩٢-٤٩٣].

(٢) ابن سيرين: أبو بكر محمد بن سيرين البصري، الأنصاري مولاهم. تابعي، فقيه، ورع، اشتهر بتفسير الرؤى، كان أبوه مولى لأنس بن مالك من سبي ميسان، فكاتبه بألوف من الدراهم فأداها وتحرر. مولده بالبصرة سنة ٣٣هـ، ووفاته بها سنة ١١٠هـ. انظر: وفيات الأعيان [٤/ ١٨١-١٨٢]، سير أعلام النبلاء [٤/ ٦٠٦]، شذرات الذهب [٢/ ٥٢-٥٤].

(٣) صحيح البخاري؛ كتاب: فضائل الصحابة - باب: مناقب علي بن أبي طالب [٥/ ١٩] برقم (٣٧٠٧).

كفراً صريحاً لا تأويلاً"(١).

ومن كلام الإمامين المتقدم يَتبيَّن جلياً ضَعفُ مرويات الزيدية في الحديث، وعدمُ إمكانية الاعتماد عليها في التعرُّف على السُّنَن، لما فيها من العيوب؛ كعدم الإسناد، وقبول الرواية عن المجهولين وكفار التأويل وفُسَّاقه، وغيرِ ذلك من العيوب المسقطة لقيمة الرواية؛ بل إن الإمام الهادي - صاحب المذهب - رغم مجيئه في عصر ازدهار علم الحديث ومصنفاته مع نهاية القرن الثالث إلا أن غالب أسانيده غير متصلة منه إلى النبي ﷺ، فهو غالباً ما يروي عن آبائه وأجداده، وأحياناً يسقطهم من الإسناد ليرفع الحديث إلى علي رضي الله عنه، أو إلى النبي ﷺ، والكثير من أحاديثه عبارة عن بلاغات عن زيد بن علي عن آبائه، أو عن بعض الصحابة؛ كعلي، وسلمان الفارسي، وبعضها بلاغات إلى النبي ﷺ(٢).

**٢- ضعف الزيدية في علوم الدراية:**

وكما أنَّ المذهب الزيدي كان ضعيفاً بالرواية، فكذلك كان ضعيفاً في علم الدراية لعدم اشتغالهم به، لما تقدم من عدم توفر المرويات الخاصة بهم وعدم اهتمامهم بجمع الطرق وإسناد الروايات، والبحث عن أحوال الرجال وما شابه ذلك من علوم الدراية، ونتيجة لهذا التقصير كان الخلط لدى الزيدية في الرواية، فَرَوَوا عن المجهولين والضعفاء والكذابين، وأشباهِهِم.

---

(١) العلم الشامخ [٥٥٦].

(٢) انظر: الإمام الهادي يحيى بن الحسين الرسي وآراؤه العقدية - دراسة نقدية مقارنة، تأليف: د. عبد الحميد أحمد مرشد حمود، نشر: دار الآفاق للطباعة والنشر - صنعاء، ١٤٣١هـ [٩٨ - ٩٩].

يقول ابن الوزير رَحِمَهُ اللَّهُ في ردِّه على شيخه جمال الدين بن أبي القاسم: "إنَّ قولك بالرجوع في الحديث وتصحيحه وتضعيفه وردِّه وتعليله إلى أئمة الزيدية، يحتاج إلى تمهيد قاعدة، وهي: أن يكون أئمة الزيدية قد صَنَّفوا في معرفة صحيح الحديث ومعلوله ومردوده ومقبوله ما يكفي أهل الاجتهاد من أهل الإسلام، والمعلوم خلاف ذلك؛ فإنَّ من أهل الاجتهاد من لا يقبل المرسل، ومنهم من لا يقبل ما وقفه الأكثرون ورفعه بعض الثقات، أو وصله وقطعوه، أو أسنده وأرسلوه، ومعرفة هذا تحتاج إلى تأليف في العِلَل، والذي صنف كتب العلل هم علماء الحديث؛ كالدارَ قطني[1] وغيره، وليس لأئمة الزيدية في ذلك تصنيف البتة، ومن لم يفرد للعلل تأليفاً من المحدثين ذكرها في تأليفه في الحديث، كما يصنع أبو داود[2] والنسائي[3] وغيرهما، بخلاف من جمع الحديث من الزيدية، فإنَّه لا

---

(١) أبو الحسن، علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي، الشافعي؛ كان إمام عصره في معرفة الحديث والعلل. ولد بمحلة دار القطن ببغداد سنة ٣٠٦هـ، ووفاته ببغداد سنة ٣٨٥هـ. من مؤلفاته: (السُّنَن)، و(العِلَل الواردة في الأحاديث النبويَّة)، و(المؤتَلِف والمختَلِف). انظر: وفيات الأعيان، لابن خلِّكان [٣/ ٢٩٧-٢٩٩]، تذكرة الحفاظ، للذهبي [٣/ ١٣٢-١٣٤]، شذرات الذهب، لابن العماد [٤/ ٤٥٢-٤٥٣]، الأعلام، للزركلي [٤/ ٣١٤].

(٢) سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني، سيِّد الحفَّاظ، مولده بسجستان سنة ٢٠٢هـ. طاف البلاد شرقاً وغرباً، فجمع الكثير من الأحاديث. توفي بالبصرة سنة ٢٧٥هـ. من مؤلفاته: (السُّنَن)، و(المراسيل)، و(كتاب الزُّهد). انظر: وفيات الأعيان [٢/ ٤٠٤-٤٠٥]، تذكرة الحفَّاظ [٢/ ١٢٧-١٢٨]، شذرات الذهب [٣/ ٣١٣-٣١٦]، الأعلام [٣/ ١٢٢].

(٣) أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر النَّسائي، الخراساني. إمام في الحديث. مولده بمدينة (نَسا) بخراسان سنة ٢١٥هـ، طاف البلاد في طلب الحديث ثم استوطن مصر، وقبل وفاته دخل دمشق، فامتحن فيها فقام عليه =

يتعرَّض لذلك، وكذلك المجتهد يحتاج عند تعارض الأحاديث إلى معرفة الراجح بكثرة الرواة، أو زيادة مُعدِّليهم، أو أنَّ بعضهم مُجمَع عليه وبعضهم مُختَلف فيه، وهذا يحتاج إلى معرفة فنين عظيمين:

**أحدهما**: معرفة طرق الحديث؛ وهو فن واسع لا يُعرَف للزيدية فيه تأليف.

**الفن الثاني**: علم الجرح والتعديل.. وليس للزيدية في هذا الفن تأليف البتة، وهذه علوم جليلة لابد من معرفتها عند من يعتقد وجوبَ معرفتها من أهل الاجتهاد.

فقول المعترض: إنَّ الواجب هو الرجوع إلى أئمة الزيدية في علوم الحديث قولُ مُغَفَّلٍ لا يعرف أنَّ ذلك مستحيل في حقِّ أكثر أهل العلم الذين يشترطون في علوم الاجتهاد ما لم تقم به الزيدية، وإنَّما هذا مثلُ من يقول: إنَّه يجب الرجوعُ في علم الطبِّ إلى الأحاديث النبوية والآثار الصحابية.."[1].

ويؤيد ما قاله ابن الوزير ما جاء في العلم الشامخ للمقبلي، حيث قال: ".. وعلى الجملة، فتَأَمَّل الكتابَ المذكور[2] وغيرَه؛ مثلَ: (شرح القاضي زيد)، وكتاب الإمام يحيى بن حمزة، لا تشم فيها رائحةَ الفرق بين

= الناس وداسوه، فمات بعدها بيسير، وكانت وفاته بالرَّملة من أرض فلسطين، وقيل بمكة سنة ٣٠٣هـ. من مؤلفاته: (السُّنَن الكُبرى)، و(الضُّعفاء والمتروكون)، و(خصائص علي). انظر: وفيات الأعيان [١/ ٧٧-٧٨]، تذكرة الحفاظ [٢/ ١٩٤-١٩٥]، شذرات الذهب [٤/ ١٥-١٧].

(١) الروض الباسم [١/ ١١٩-١٢٠].

(٢) يعني: البحر الزَّخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار. مؤلفه هو: الإمام أحمد بن يحيى المرتضى (ت: ٨٤٠هـ).

الصحيح والموضوع، فضلاً عن الضعيف؛ بل ربَّما ذكروا الضعيف حين يكون لهم لا عليهم، وسَيَّر الإمام المهدي[1] كلمةً من قِبَل نفسه أوقعته في نحو ما ذكرنا، وهي قولُه: العُهدة على صاحب الكتاب، يعني: المصنف للكتاب؛ كأبي داود مثلاً، وتلقَّاها الحمقى؛ فإذا قلت لقائلهم: كيف رواية هذا الخبر؟ قال: العهدة على صاحبِ الكتاب؛ كأنَّهم وجدوا هذه الكلمة في أمِّ الكتاب!"[2].

ونتيجةِ لهذا الضعف البَيّن لدى الزيدية في هذين العلمين: الرواية والدراية، لم يجد المنصفون منهم بُدّاً في أن يتجهوا نحو أهل السُّنَّة ليأخذوا عنهم في هذين العلمين، فكثُر المشتغلون بعلوم الحديث من الزيدية كثرةً عظيمة، وانتشرت كتب السُّنَن انتشاراً واسعاً، فكان هذا باباً تَلِجُ الزيدية من خلاله نحو التَّسَنُّن!.

وفيما يلي ذِكر طائفة من الأسماء التي عُرِفَتْ باشتغالها بعلوم الحديث من الزيدية تُبيِّنُ المراد، فمن هذه الأسماء[3]:

- السيد محمد بن إبراهيم الوزير (٧٧٥-٨٤٠هـ).
- محمد بن يحيى بن محمد بن أحمد الصَّعدي المعروف ببَهران الزيدي (ت: ٩٥٧هـ).
- عبد الرحمن بن محمد بن نَهشَل الحيمي (ت: ١٠٦٨هـ):

---

(١) الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى، صاحب كتاب البحر الزخَّار.

(٢) العلم الشامخ [١٦٠].

(٣) غالب هذه الأسماء مذكورة في كتاب البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع - عدا الجنداري، والوادعي، والعمراني محمد بن إسماعيل - وقد صرح الإمام الشوكاني رحمه الله باشتغال هؤلاء جميعاً بعلم الحديث.

- لُطف الباري بن أحمد بن عبد القادر بن الورد الثَّلائي (ت: ١١٢١هـ).
- السَّيد عبد الله بن لُطف الباري الكِبسي الصنعاني (١١١٣ - ١١٧٣هـ).
- السيد محمد بن إسماعيل الأمير الصَّنعاني (١٠٩٩-١١٨٢هـ).
- السيد القاسم بن محمد بن عبد الله الكِبسي (١١١٦ - ١٢٠١هـ).
- القاسم بن يحيى الخَولاني (١١٦٢ - ١٢٠٩هـ).
- السيد محمد بن يحيى بن أحمد بن علي الحَمزي الكِبسي الصَّنعاني (١١٥٤ - ١٢١٩هـ).
- السيد محمد بن عبد الله بن لُطف الباري الكبسي (ت: ١٢٣٣هـ).
- السيد عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن صلاح الأمير الصنعاني (١١٦٠ - ١٢٤٢هـ).
- الحسين بن يحيى الدَّيلمي (ت: ١٢٤٩هـ).
- محمد بن علي الشَّوكاني (١١٧٣-١٢٥٠هـ).
- السيد محمد بن الحسن المعروف بالمحتسب (١١٧٠ - ١٢٥٧هـ).
- محمد بن علي بن حسين العَمراني الصَّنعاني (١١٩٤ - ١٢٦٤هـ).
- أحمد بن عبد الله الجِنداري (١٢٧٩ - ١٣٣٧هـ).
- مقبل بن هادي الوادعي (ت: ١٤٢٢هـ).
- محمد بن إسماعيل العمراني (معاصر).

**ثناء المنصفين من الزيدية على أهل الحديث والدفاع عنهم:**

**١) الثناء على أهل الحديث:**

ومما يؤكد الأثر الإيجابي الذي أحدثه علم الحديث في أتباع المذهب

الزيدي - لا سيما المجتهدين منهم - ثناؤهم المستفيض على علماء الحديث، والاعترافُ بفضلِهم وصحةِ ما هم عليه من الدِّين وسلامةِ المعتقد. يقول ابن الوزير رَحِمَهُ اللهُ تعالى[1]:

عَلَيكَ بأَصحَابِ الحَديثِ الأَفاضِلِ ... تَجِدْ عِندَهُمْ كُلَّ الهُدَى والفَضَائِلِ
أَحُنُّ إِلَيهِمْ كُلَّمَا هَبَّتِ الصَّبَا ... وأَدْعُوا إِلَيْهِمْ فِي الضُّحَى والأَصائِلِ
لَئِنْ شَحَّتِ الأَيَّامُ فِي الجَمْعِ بَينَنَا ... سَخَتْ بالتَّوَالِي بَينَنَا والرَّسَائِلِ

..

يَذُبُّونَ عَنْ دِينِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ... بِأَلْسِنَةٍ مِثْلِ السُّيُوفِ الفَوَاصِلِ
دَلِيلُهُمُ قَوْلُ الرَّسُولِ وفِعْلُهُ ... وَذَلِكَ يَوْمَ الفَصْلِ أَقْوَى الدَّلَائِلِ
وَمَدْرَسُهُمْ آيُ الكِتَابِ وَإِنَّهُ ... لَأَقْمَعُ بُرْهَانٍ لِكُلِّ مُنَاضِلِ
هُمَا حُجَّةُ الإِسلَامِ لَا مَا يَطِيشُ مِنْ ... دِمَاغِ أَلُدٍّ فِي الخِصَامِ مُجَادِلِ
وَلَولَاهُمَا كَانَ ابْنُ سِيْنَا[2] مُنَزَّلاً ... مِنَ الْعِلْمِ فِي أَعْلَى بُرُوجِ المنَازِلِ
وَكَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ[3] وَأَعْلَامُ عَصْرِهِ ... مِنَ الصَّحْبِ فِي مَهْوًى مِنَ الجَهْلِ نَازِلِ

---

(١) الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم [٢/ ٤٠٢-٤٠٣].

(٢) أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا، البَلخِي. فيلسوف، وطبيب، وشاعر. كان يُلَقَّب بالشيخ الرئيس، وكان هو وأهل بيته من أهل دعوة القرامطة العبيديين. مولده ببخارى سنة ٣٧٠هـ، ووفاته بهمذان سنة ٤٢٨هـ. من مؤلفاته: (الشِّفاء)، و(القانون)، و(النجاة). انظر: وفيات الأعيان [٢/ ١٥٧-١٦١]، شذرات الذهب [٥/ ١٣٢-١٣٧].

(٣) أبو عبد الرحمن، عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب المكِّي، الهُذلي. صحابي جليل من أهل مكة، أسلم قديماً وهاجر الهجرتين، وشهد مع النبي ﷺ جميع مشاهده، وهو أوَّل من جهر بالقرآن بمكة، روى عن النبي ﷺ علماً كثيراً، وكان من أقرب الناس هدياً ودلّاً وسمتاً برسول الله ﷺ، توفي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بالمدينة سنة ٣٢هـ، عن بضع وستين سنة. انظر: أُسد الغابة في معرفة الصحابة، تأليف: عز الدين بن الأثير =

فَلَا تَقْتَدُوا إِلَّا بِهِمْ وَتَيَمَّمُوا ... لَهُمْ مَنْهَجاً كالقِدْحِ[١] لَيْسَ بِمَائِلِ

ويقول الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ[٢]:

سَلَامٌ عَلَى أَهْلِ الحَدِيثِ فَإِنَّنِي ... نَشَأْتُ عَلَى حُبِّ الأَحَادِيثِ مِنْ مَهْدِي
هُمُ بَذَلُوا فِي حِفْظِ سُنَّةِ أَحْمَدٍ ... وَتَنْقِيْحِهَا مِنْ جُهْدِهِمْ غَايَةَ الجُهْدِ
وَأَعْنِي بِهِمْ أَسْلَافَ أُمَّةِ أَحْمَدٍ ... أُولَئِكَ فِي بَيْتِ القَصِيْدِ هُمُ قَصْدِي
أُولَئِكَ أَمْثَالَ الْبُخَارِي وَ مُسْلِمٍ ... وَأَحْمَدَ أَهْلَ الجِدِّ فِي العِلْمِ وَالجِدِّ
بُحُورٌ وَحَاشَاهُمْ عَنِ الجَزْرِ إِنَّمَا ... لَهُمْ مَدَدٌ يَأْتِي مِنَ اللهِ بِالْمَدِّ
رَوَوا وَارْتَوَوا مِنْ بَحرِ عِلْم مُحَمَّدٍ ... وَلَيْسَتْ لَهُمْ تِلْكَ المذَاهِب مِنْ وُرْدِ
كَفَاهُمْ كِتَابُ اللهِ وَالسُّنَّةُ الَّتِي ... كَفَتْ قَبْلَهُم صَحْبَ الرَّسُولِ ذَوِي المَجدِ
أَأَنْتُمْ بِأَهْدَى أَمْ صَحَابَةُ أَحْمَدٍ ... وَأَهْلُ الكِسَا هَيْهَاتَ مَا الشَّوْكُ كَالوَرْدِ
أُولَئكَ أَهْدَى فِي الطَّرِيقَةِ مِنكُمُ ... فَهُمْ قُدوَتِي حَتَّى أُوَسَّدَ فِي لَحدِي

**٢) الدفاع عن أهل الحديث:**

ومما يؤكد أثر المطالعة في علوم الحديث ما نجده من دفاع المنصفين من الزيدية عن علماء الحديث، حيث يكثر اتِّهام المتكلمين لأهل الحديث من أهل السُّنَّة بأَنَّهم حشويَّة، وأنَّهم علماء سلاطين، وعلى هذا دَرَج كثير من علماء الزيدية، ومنهم جمال الدين بن أبي القاسم - شيخ ابن الوزير - فقد صرَّح بهذا في رسالة وجهها إلى تلميذه محمد بن إبراهيم الوزير، فردَّ عليه ابن الوزير هذه التُّهَم، وأوضح عدمَ صحتها، وأبانَ له أنَّ أهل

---

= الجزري، تحقيق: علي محمد معوَّض، وعادل أحمد عبد الموجود، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت [٣/ ٣٨١-٣٨٧]، سير أعلام النبلاء [١/ ٤٦١-٤٩٩].

(١) القِدْح: السَّهم بلا نَصل ولا قُذَذ. انظر: معجم مقاييس اللغة [٥/ ٦٧].

(٢) ديوان الصنعاني [١٣٠-١٣١].

الحديث هم أَبعدُ الناس عن الحشو، بل هم أعداء الحشوية على الحقيقة. يقول ابن الوزير رَحِمَهُ اللَّهُ: "ومَنْ كان له أدنى تمييز عَرَفَ أنَّ نُقَّاد الحديث وأئمة الأثر هم أعداء الحشوية، وأكره الناس لهذه الطائفة الغَويَّة؛ فإنَّ الحشوية إنَّما سُمُّوا بذلك لأنَّهم يحشون الأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ؛ أي: يُدخلونها فيها وليست منها.."[1].

كما رد على شيخه اتِّهامَه لبعض علماء الحديث بأنَّهم علماء سلاطين، واتهامَهم بمعاونة الظلمة في ظلمهم - ومن هذا القبيل اتهامُه للإمام الزهري[2] رَحِمَهُ اللَّهُ - فردَّ عليه ابن الوزير بقوله: "الوَهم الثامن عشر: قدح المعترض على المحدثين بالرواية عن الزهري، وجرح الزهري لمخالطته للسلاطين، وإعانتهم على الظلم؛ فأمَّا مخالطةُ السلاطين فقد كانت منه ومن غير واحد ممن أجمع أهل العلم على عدالتهم وفضلهم ونُبلِهم؛ مثل الإمام علي بن موسى الرضا[3]،

(١) الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم [١/ ١٨٠].

(٢) محمد بن مسلم بن عبيد الله، القرشي، الزهري، أحد الأئمة الأعلام، وعالم الحجاز والشام. روى عن عدد من الصحابة وجمع من كبار التابعين، وعلماء الحديث مطبقون على توثيقه وحفظه، والاعتراف بفضله، وهو أول من جمع الحديث بأمر من الخليفة عمر بن عبد العزيز أواخر القرن الأول الهجري. مولده بالمدينة بعد سنة ٥٠هـ، ووفاته بأدما - أول أعمال بلاد فلسطين - سنة ١٢٤هـ. انظر: معرفة الثقات، تأليف: أبي الحسن أحمد بن عبدالله بن صالح العجلي، تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي، نشر: مكتبة الدار - المدينة المنورة، ١٤٠٥هـ [٢/ ٢٥٣]، الثقات، تأليف: محمد بن حبان التميمي البستي، نشر: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - الهند، ١٣٩٣هـ [٥/ ٣٤٩]، جامع بيان العلم وفضله [١/ ١٥٥]، سير أعلام النبلاء [٥/ ٣٢٦-٣٥٠]، تهذيب التهذيب [٣/ ٦٩٦-٦٩٨].

(٣) علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق، عالم، محدث، مصنِّف، من أعلام أهل البيت وفضلائهم، يعتبره الإمامية الثامن من أئمتهم الاثني عشر. طلبه المأمون =

والقاضي أبي يوسف(١) رحمهما الله تعالى، ومَن لا يأتي عليه العَد، وأما الإعانة على المظالم فدعوى على الزهري غير صحيحة، وقد ذكر العلماء ﷺ ما يجوز من مخالطة الظَلَمَة، وفرَّقوا بين المداراة والمداهَنَة. قال القاضي عِياض(٢)، أو المازِرِي(٣) في (شرح مسلم)(٤): المداهنة بما كان

---

= العباسي وعهد إليه بالخلافة بعده، وزوَّجه ابنته وضرب اسمه على الدينار والدرهم، ثم تغير عليه المأمون بعد ذلك. مولده بالمدينة سنة ١٥٣هـ، ووفاته بطَوْس سنة ٢٠٢هـ. انظر: وفيات الأعيان [٣/ ٢٦٩-٢٧١]، سير أعلام النبلاء [٩/ ٣٨٧-٣٩٣].

(١) يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن خُنَيْس الكوفي، صاحب أبي حنيفة. مولده بالكوفة سنة ١١٣هـ، ثم سكن بغداد وتولى القضاء، ولقب بقاضي القضاة، وكان أميل إلى المحدثين من أبي حنيفة ومحمد. توفي ببغداد سنة ١٨٢هـ. من مؤلفاته: (الخراج)، و(الآثار)، وهو مسند أبي حنيفة، و(اختلاف الأمصار). انظر: وفيات الأعيان [٦/ ٣٧٨-٣٩٠]، سير أعلام النبلاء [٨/ ٥٣٥ - ٥٣٨]، الأعلام [٨/ ١٩٣].

(٢) عالم المغرب، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليَحصُبي، مولده بمدينة سبتة من بلاد المغرب العربي سنة ٤٧٦هـ، وأصله أندلسي. ولي قضاء سبتة زمناً طويلاً، ثم قضاء غرناطة، وتوفي مسموماً بمدينة مرَّاكش سنة ٥٤٤هـ. من مؤلفاته: (الإعلام بحدود قواعد الإسلام)، و(إكمال المُعلِم شرح صحيح مسلم)، و(الإلماع في ضبط الرواية وتقييد السماع). انظر: وفيات الأعيان [٣/ ٤٨٣، وما بعدها]، سير أعلام النبلاء [٢٠/ ٢١٢، وما بعدها]، شذرات الذهب [٦/ ٢٢٦]، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تأليف: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق: مصطفى السَّقا، وآخرون، نشر: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة، ١٣٥٨هـ [١/ ٢٣].

(٣) محمد بن علي بن عمر بن محمد التميمي، المازري، نسبة إلى مازر بجزيرة صقلية. محدِّث وفقيه مالكي. مولده بمدينة المهدية من إفريقية سنة ٤٥٣هـ، ووفاته بها سنة ٥٣٦هـ. من مؤلفاته: (المُعلِم بفوائد كتاب مُسلِم)، و(إيضاح المحصول في برهان الأصول. انظر: وفيات الأعيان [٤/ ٢٨٥]، سير أعلام النبلاء [٢٠/ ١٠٤-١٠٥].

(٤) الشك في كلام ابن الوزير سببه أن المازري شيخ للقاضي عياض، وكان المازري قد ألَّف شرحاً على مسلم أسماه: (المعلم بفوائد مسلم)، ثم ألَّف القاضي عياض =

من أمر الدين، مثل أن يُفتيَه بغير حق، والمداراة ما كان من أمر الدُّنيا.. "[1].

وهكذا تظهر قناعات المنصفين بما عليه أهلُ السُّنَّة بما لا مزيد عليه في الدلالة على تحوُّلهم إلى السنة حتى صرَّحَ ابن الوزير أنَّ أهل الحديث هم أَشبَهُ الناس برسول الله ﷺ وبأصحابه رضي الله عنهم. قال رحمه الله: "وبالجملة؛ فالعلم حاصلٌ بأنَّ أهل الحديث أشبَهُ برسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وأصحابِه من أهل الكلام في أمر العقيدة، والرجوعِ إلى القرآن والسُّنَّة، لا يشك في ذلك إلَّا من قَصُرَت معرفتُه بالأحوال النبويَّة والآثار الصحابية "[2].

وقد عَلِمَ الزيديون أثرَ تَعلُّمِ الحديث ومطالعةِ كتبه على أتباع المذهب الزيدي، وقدرتَه - بفضل الله تعالى - على تحويل الزيدية نحو السُّنَّة، فحاولوا جاهدين في الصَّدِّ عنه والتحذيرِ منه.

يقول صارم الدين بن الوزير: "ولما انتشرت كتب المحدثين في الأقطار، وطارت في جميع الأقطار كلَّ مطار، وأقبل عليها الناس من جميع المذاهب، اشتغل بقراءتها خلق كثير من أهل المذاهب، واعتمدوا عليها، وفيها حقٌّ شِيبَ بباطل؛ كبعض أحاديث الفضائل[3].. وكالأحاديث

---

= شرحاً على مسلم وأسماه: (إكمال المعلم بفوائد مسلم)، وهو فيما يظهر إكمال لكتاب شيخه، فشك في نسبة العبارة لهذا، والله أعلم. وأما التفريق بين المداراة والمداهنة فذكر معناه القاضي عياض في إكمال المُعْلِم بفوائد مسلم، تحقيق: د. يحيى إسماعيل، نشر: دار الوفاء - مصر، ١٤١٩هـ [٨/ ٦٢].

(١) الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم [٢/ ٢٨٤].

(٢) الروض الباسم [٢/ ٣٩٦].

(٣) يقصد أحاديث فضائل الصحابة، لأن الزيدية تعتقد أن الكثير منها موضوع، وأن الصحيح نسبتها إلى أهل البيت!.

التي احتجُّوا بها في الإمامة لمن تقدَّمَ الوصي عليه السلام، فإنَّهم احتجوا بها في القطعي، وهي من الظواهر، وتركوا مُعارِضَها، وهو النصُّ المتلقى بالقبول، أو المتواتر، حتى كاد ذلك يَغرِسُ في قلوب بعض من اعتمدها من أهل مذهبنا شجرات يَجتني من باطلها ثمرات، والأمرُ في ذلك كما قيل في المثل: (مَنْ يَسْمعْ يَخَلْ!)[١]، وقَلَّ من اشتغل بعلمِ مخالفٍ مُعانِد، وشُبَهِ زائغٍ عن الحق حايد فسَلِمَ مِنِ اعتقادٍ فاسِد، كما وقع ذلك لمن اشتغل بعلوم الفلاسفة من المتشرِّعين، ولِمَن اقتصر على أخذ الحديث من كتب فقهاء المحدثين، وقَصُرَت هِمَّتُه عن كتب أهل البيت المطهرين[٢].

ولقد وجدت ذلك من نفسي أيام قراءتي لكتب الحديث من كتبهم، مع شِدَّةِ تَمسُّكي بمذهب العِترة عليهم السلام؛ فلولا تثبيتُ الله لي لقد كدت أركنُ إليهم شيئاً قليلاً، وأميل عن طريقة الشيعة التي هي أهدى سبيلاً .."[٣].

ونتيجة لهذه القدرة المؤثرة - بحمد الله - لكتب الحديث، فقد عمل الزيدية على المنع من المطالعة فيها، والتنفير عنها وتكذيبِ أهلها، وضيَّقوا على من يتعلمها منهم باتهامه تارة بالنصب، وتارة بتقييض مذهب أهل البيت، وغير ذلك من الأمور المنفِّرة عن هذا العلم[٤].

**بعض الجهود الإصلاحية لمنصفي الزيدية:**

وقد عمل المنصفون من الزيدية من خلال تأثرهم بالسنة على محاولة

---

(١) يَخَلْ: يعني يظن، وهذا مَثَل يضرب، معناه: مَنْ يَسمَعْ أخبارَ الناسِ ومَعايِبَهم يَقَعْ في نَفسِه عليهم المكْروهُ. انظر: تاج العروس من جواهر القاموس [٢٨ / ٤٤٩].

(٢) قد تقدم الكلام على ضعف كتب الحديث الزيدية بشهادة علمائهم!.

(٣) الفلك الدوَّار في علوم الحديث والفقه والآثار [٧٠-٧١].

(٤) سيأتي الكلام عن هذا مفصلاً في الباب الثالث، عند الكلام عن آثار التحول إلى السنة، فارقبه في موضعه.

جمع الكلمة ونبذ التفرُّق في الدين من خلال الدعوة الجادَّة إلى التَّمَسُّك بالدليل، وترك كل ما يدعو للفرقة، لاسيما الانتساب للمذاهب المبتدعة التي لم تؤثر على عهد رسول الله ﷺ ولا أمر بها أُمَّتَه، وكذا الرفع من قيمة كتب الحديث التي عُرِف أصحابُها بالديانة والصدق، والتحريض على العمل بخبر الآحاد متى ثبتت صحته، سواء في العقائد أو في الأحكام، وإليك البيان فيما يأتي.

**١) إنكار التَّسمِّي بالألقاب المذهبية:**

من أولى معالم الإصلاح التي سعى إليها المنصفون إنكارهم بدعَة النِّسبَة إلى المذاهب، لأنَّها سببٌ للتعصب الأعمى، فالمسلم ينبغي أن يَفخَر بنسبته إلى الإسلام دونَ غيره من النِّسَب التي لم يُنزِلِ الله بها من سلطان، فهو الذي سَمَّى الله به عبادَه من قبل أن يُنزِّلَ القرآن(١).

قال ابن الوزير: "واعلم أنَّه لا يكاد يَسلم من هذه الأغلاط إلَّا أحدُ رجلين؛ إمَّا رجلٌ ترك البدعة كلَّها، والتَّمَذهُبَ والتقليد، والاعتزاءَ إلى المذاهب، والأخذَ من التعصُّب بنصيب، وبقي مع الكتاب والسنة كرجل نشأ قبل حدوث المذاهب، ولم يُعَبِّر عن الكتاب والسنة بعبارة منه مُبتَدَعَة، واستعان بالله وأَنصف، ووقف في مواضع التعارض والاشتباه، ولم يَدَّع علمَ ما لم يَعلم، ولا تكلَّف ما لا يُحسِن.. "(٢).

ويقول الصنعاني: "أقول: لا يخفاه(٣) - أدام الله إفادته - أنَّ هذه

---

(١) قال تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الحَجّ: ٧٨]. قال ابن كثير: "أي: من قبل هذا القرآن". تفسير القرآن العظيم [٥/ ٤٥٦].

(٢) إيثار الحق على الخلق [١٢٢].

(٣) يقصد شيخه: أبا الحسن محمد بن عبد الهادي السِّندي.



الألقاب: القادري، الخَلْوَتي، في الطريقة، وكذلك: الحنفي، والشافعي، والزيدي، والحنبلي في المذاهب، ومثلَها: الأشعري، والمعتزلي، والماتريدي[1] في العقيدة: ألقاب مُبتَدَعَة بالاتفاق، وأنَّها أَلهَبَتْ بين العباد نارَ الخلاف والجدال والشقاق.. وبهذه الألقاب نُبذَت وبُدِّلَت الأسماءُ الشرعية التي سمَّى الله تعالى ورسوله ﷺ بها العباد، وشرَّفَهم بالتسمية بها قبل الإخراج لهم إلى هذه الدار والإيجاد، فسمَّاهم بالمسلمين، والمؤمنين، وناداهم في كتابه المبين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، وقال تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الحَجّ: ٧٨]، من قبل القرآن.. فما بالهم يختارون هذه الألقابَ المبتدعة بالإجماع والضرورة؛ التي فرَّقت شملَ الإسلام وولَّدت بينهم الدَّواهي[2] العظام، وعادوا بسببها كالملل المختلفة، وصارت قلوبهم بسببها غيرَ متفقة ولا مؤتلفة؟!!"[3].

---

(١) الماتريدي: نسبة إلى أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي، المولود في ماتريد من بلدان سمرقند فيما وراء النهر، والمتوفي سنة ٣٣٣هـ، وكان معاصراً للأشعري ومتحداً معه في محاربة المعتزلة. وافق السلف في مسائل وخالفهم في مسائل متأثراً بما كان عليه من مذهب الاعتزال، وغالب أتباع الماتريدي على مذهب أبي حنيفة في الفقه. من مؤلفات الماتريدية: (التوحيد)، و(بيان وهم المعتزلة)، و(تأويلات القرآن) جميعها لأبي منصور. انظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية، تأليف: محي الدين أبي محمد عبد القادر بن محمد بن أبي الوفاء القرشي، تحقيق: د. عبد الفتاح محمد الحلو، (ط٢)، نشر: دار هجر - القاهرة، ١٤١٣هـ [٣/ ٣٦٠-٣٦١]، فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، تأليف: د. غالب بن علي العواجي، (ط٤)، نشر: المكتبة العصرية الذهبية - جدة، ١٤٢٢هـ [٣/ ١٢٢٧، وما بعدها].

(٢) الدَّواهي: جمع داهية، والدَّاهية: الأمر المنكر العظيم. انظر: المعجم الوسيط [٣٠١].

(٣) الأنفاس الرحمانية اليمنية [١٩١، وما بعدها].

## ٢) الرفع من قيمة الصحيحين لدى الزيدية:

عمل المنصفون من الزيدية على إعلاء مكانة هذين الكتابين عند قومهم والتعريف بقدرهما ومكانة مؤلفيهما، وتقديمهما على غيرهما. يقول الإمام الصنعاني رحمه الله: "لا شكَّ أنَّ الصحيحين أشرفُ كتب الحديث قدراً، وأعظمُها ذكراً، وأنَّ أحاديثهما أرفعُ الأحاديث درجة في القبول من غيرهما لخصائص؛ منها: جلالةُ مؤلفيهما، وإمامتُهما في هذا الشأن، وبلوغُهما غايةً في الديانة والإتقان، ثم: ما رُزِقَ هذان الكتابان من الحظِّ والقبول عند أئمة هذا الشأن وفرسان ذلك الميدان، فبحثوا عن رجالهما، وتكلموا عن كل ذَرَّةٍ فيهما بما لهما وما عليهما، فغالب أئمة الإسلام وأعلامِ الأعلام مابين خادم لهما بالكلام؛ إمَّا على رجالهما، أو على معانيهما، أو على لُغَتِهما، أو على إعرابهما، أو مُختصرٍ منهما أو مُخَرِّجٍ عليهما"[1].

ويقول ابن الوزير: "ومع ذلك فقد اشتهر عن أئمتهم القولُ بصحة مُسنَد صحيحي البخاري ومسلم، وادَّعى غيرُ واحد من ثقاتهم انعقاد الإجماع على ذلك، وخبرُ الثقة في رواية الإجماع واجب القبول كما هو المنصور المصحَّح في موضعه من كتب الأصول.

وعلى تسليم أنَّه ليس بمنقول، أو أنَّ ذلك الإجماع غيرُ صحيح، فلا أقلَّ مِن أنْ يكون ما ادُّعيَ من الإجماع على صحته قولَ جماهير نُقَّاد علم الحديث وأئمة فرسان علم الأثر، وهذا من أعظم وجوه التراجيح؛ بل أئمةُ علماء الأصول والغُوَّاصُ على الدقائق والحقائق من أهل علوم المعقول،

(١) ثمرات النظر في علم الأثر، تأليف: محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، تحقيق: عبد الحميد بن صالح بن قاسم آل أعوج سبر، نشر: دار ابن حزم - بيروت، ١٤٢٧هـ [١٥٤].

يقضون بوجوب الترجيح بأَخَفِّ أمارة وأخَفِّ دلالة تُثير أقلَّ الظنِّ وتُثمِرُ يَسيرَ القوة، فكيف بما نقَّحَه ووضَّحَه إمامُ الحفاظ الثقات والنقاد الأثبات محمَّد بن إسماعيل البخاري، ومسلم بن الحجَّاج النيسابوري، وانتقياه من ألوفِ أحاديثَ صِحاح، مع تواتر إمامتهما وأمانتهما ونقدهما ومعرفتهما، فلو لم يتابعهما غيرُهُما لكان الترجيح بهما كافياً، والتعويلُ على قولهما واجباً؛ كيف وقد خضعت لهما رقاب النُّقَّاد، وأطبق على تصحيح دعواهما أئمةُ علم الإسناد؟! "(١).

### ٣) الدعوة إلى اعتماد خبر الآحاد في العقائد:

ومما دعا إليه المنصفون من الزيدية في هذا الصدد، الاحتجاجُ بخبر الآحاد في العقائد، وعدمُ ردّه لمجرد كونه آحادياً أو معارضَتِه العقل، وكما هو معلوم من حال الزيدية فإنَّها لا تَعتَدُّ بخبر الآحاد في العقائد كما تقدم، وهذا معارض لما عليه أهل الحديث، فإنَّه لا ينبغي إهدارُ الأدلة الصحيحة في أبواب العقائد لمجرَّد قِلَّة عدد الناقلين، أو معارضةِ العقل، فالعِبرة إنَّما هي في صحة الحديث. يقول المقبلي رحمه الله: "فالواجب: تسليمُ ما صَحَّ، وما اشتبه معناه رَدَدْنَاه إلى الله سبحانه، ولا يَغُرَّنَّكَ قولهم: آحاديٌ فلا نقبلُه في مقابلة العقل؛ لأنَّ ما رواه الثقات مقبول، وإلَّا اطَّرحنا أكثرَ الشريعة، والدليل على قبول الآحاد شاملٌ لكل الدين، والتفرقة جاءت من قِبَلِهِم لا من قِبَلِ الله ورسوله، والعقلُ قد فرضنا أنَّه لم يُدرِك حقيقةَ ذلك، فكيف يقال: إنَّه مُصَادِمٌ لَه؟! "(٢).

ومما سبق يتبين أنَّ لعلوم الحديث دوراً كبيراً، وسبباً ظاهراً خطيراً،

---

(١) الروض الباسم [١/ ١٠٩].

(٢) العلم الشامخ [١٠٤].

ساعد في تحوُّل المنصفين من الزيدية إلى السُّنَّة، وذلك أنَّهم بعد اشتغالهم بعلومه، وقراءةِ كتبه، اطلعوا على محاسنه، فتأثروا به وبما وجدوا فيه من إتقان، ومن تَفَاني أهله في البحث عن السُّنَّة، ودِقَّةٍ في ضبط أصولها، وعدالةٍ في الحكم على رجالها، وقوَّةٍ في التَّمَسُّك بمعانيها؛ كلُّ هذا كان سبباً مباشراً في تحوُّلهم إلى مذهب أهل الحديث، فكانوا جنوداً من جُند السُّنَّة، ينفون عنها تحريفَ الغالين، وانتحالَ المبطلين، وتأويلَ الجاهلين.



## المبحث السادس

## التطرُّف الاعتزالي عند الزيدية

**تمهيد:**

المعتزلة فرقة كلامية قديمة ظهرت في البصرة في بدايات القرن الثاني الهجري، بواسطة رجل يُدعى واصل بن عطاء الغزَّال الألثغ(١) الذي كان تلميذاً للحسن البصري(٢)، فخالفه في حكم مرتكب الكبيرة، وزعم أنَّ مُرتكبَ الكبيرة في منزلة بين منزلتين، فلا هو مُؤمن ولا هو كافر، ثمَّ اعتزل حلقة الحسن وبدأ يُقَرِّرُ ما ذهب إليه، فقال الحسن: اعتزلنا واصل، فسُمِّيَ وأتباعُه المعتزلة(٣).

---

(١) واصل بن عطاء المخزومي مولاهم، المعروف بالغزَّال، لقب بالألثغ؛ لأنه كان يلثغ بالراء غيناً، ولتمكنه من اللغة كان يجعل كلامه خالياً من الراء. كان في حلقة الحسن البصري، فشذَّ بقوله: الفاسق لا مؤمن ولا كافر، فطرده الحسن، وانضم إليه عمرو ابن عبيد، فسموا المعتزلة. كان مولده بالمدينة سنة ٨٠هـ، ووفاته سنة ١٣١هـ. من مؤلفاته: (المنزلة بين المنزلتين)، و(مؤلف في التوحيد). انظر: وفيات الأعيان [٦/ ٧-١١]، سير أعلام النبلاء [٥/ ٤٦٤-٤٦٥].

(٢) الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد، البصري، مولى زيد بن ثابت الأنصاري، كانت أم الحسن مولاة لأم سلمة أم المؤمنين المخزومية. وكان أبوه يسار من سبي ميسان، سكن المدينة وأعتق، وتزوج بأم الحسن في خلافة عمر، فولدت له الحسن رَحِمَهُ اللهُ لسنتين بقيتا من خلافة عمر، وكان سيد أهل زمانه علماً وعملاً. توفي سنة ١١٠هـ. انظر: وفيات الأعيان [٢/ ٦٩، وما بعدها]، سير أعلام النبلاء [٤/ ٥٦٣ - ٥٨٨].

(٣) انظر: المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها، تأليف: عوَّاد بن عبد الله المعتق، (ط٢)، نشر: مكتبة الرشد - الرياض، ١٤١٦هـ [١٣-١٤]، و[٢٨]، وانظر: حاشية (١).

ثم تطوَّر الحال بهذه الجماعة فصارت لها مجموعة من العقائد، أو المبادئ التي انفردت بها عن الأُمَّة، وتقوم عقيدتهم على خمسة أصول، وهي: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر(١).

**تأثر الزيدية بالمعتزلة:**

الزيدية في أصل نشأتها فرقة من الشيعة، كانت على طريقة الإمام زيد ابن علي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، إلَّا أنَّها تأثرت بفكر المعتزلة، ثم لم تلبث أن صارت على طريقتهم في جميع أصولها، حاشا مسألةَ الإمامة، فقد خالفوهم فيها.

يقول المقبلي، وهو يتكلم عن الفِرَق التي في زمانه، ويردُّها إلى بعضها، فذكر الزيدية وردها إلى المعتزلة، فقال: "كالزيدية في هذا الجبل من اليمن هم معتزلة في كل الموارد إلَّا في شيء من مسائل الإمامة، وهي مسألة فقهية، وإنَّما عدَّها المتكلمون من فَنِّهم لشدَّة الخصام، كوضع بعض الأشاعرة المسح على الخفين في مسائل الكلام.. والمخالف في مثل هذه المسائل لا ينبغي أن يُعَدَّ فرقةً، كما قال السيد الهادي بن إبراهيم الوزير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.. فقال فيهم وفي المعتزلة: وإنَّهما فرقةٌ واحدة في التحقيق، إذ لم يختلفوا فيما يُوجب الإكفارَ والتفسيق"(٢).

ويقول المقبلي أيضاً: "وإنَّما أطلتُ لك الكلام في اتحاد الفريقين مع وضوحه لما ظهر في بعض أهل العصر من اعتقاد التباين الكُلِّي بينهما، بسبب أنَّ بعض المتأخرين ألَّف كتاباً يقول فيه: أئمتنا كذا، المعتزلة كذا، أو خلافاً للمعتزلة، أو نحو ذلك، وهو إنَّما اختار في غالب كتابه كلمات

---

(١) انظر: المعتزلة وأصولهم الخمسة [٥١].

(٢) العلم الشامخ [٥٠ - ٥١].

البغدادية، وكان الغالب على هذه الجهة مذهبَ البصرية؛ بل البَهشمية(١)، فيُخَيَّل للقاصرين أنَّ تلك المقالات تختصُّ أهلَ البيت، وهي مذهبُ البغدادية، وأئمة الزيدية - فضلاً عن غيرهم - يخالفون تلك المذاهب، ولَيْتَ أهلَ عصرك عرفوا حقيقة ذلك الكتاب وساروا بسَيره، ولكنَّهم فاتَهُم حقيقتُه وحقيقةُ غيره! "(٢).

ويكفي في الدَّلالة على التطابق العقدي بين الفريقين اتفاقُهم في أصول الاعتزال الخمسة، وأما اختلافهم في مسألة الإمامة، فهي من مسائل الفقه وليست من مسائل الأصول، كما قال المقبلي(٣).

وأما عن سبب تأثر الزيدية بالمعتزلة فيحيله بعض الباحثين إلى تتلمذ بعض رؤوس الزيدية على بعض شيوخ المعتزلة؛ فيروي الشهرستاني(٤) أنَّ زيد بن علي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تتلمذ في الأصول على واصل بن عطاء الغزَّال(٥)، رأس

---

(١) البهشمية: أتباع أبي هاشم، عبد السلام بن أبي علي الجبائي، المتكلم المعتزلي. تفرَّد عن باقي المعتزلة بعدد من المسائل، منها القول بأن صفات الله أحوال، وكانت وفاته سنة ٣٢١هـ. انظر: الفرق بين الفرق [٥١، ٥٣]، وفيات الأعيان [٤/ ٣٢٨]. ولعل أصل النسبة: (الأب هاشمية)، فلما استثقلت حذفت (الهمزة، والألف)، فصارت البهشمية.

(٢) العلم الشامخ [٥٤ - ٥٥].

(٣) انظر: العلم الشامخ [٤٧٦ - ٤٧٧].

(٤) أبو الفتح، محمد بن عبد الكريم بن أحمد، كان إماماً في علم الكلام وأديان الأمم ومذاهب الفلاسفة، وكان يلقب بالأفضل. ولد بشهرستان سنة ٤٧٩هـ، وانتقل إلى بغداد سنة ٥١٠هـ، فأقام بها ثلاث سنين ثم عاد إلى بلده وبها توفي سنة ٥٤٨هـ. من مؤلفاته: (المِلَل والنِّحَل)، و(نهاية الإقدام في علم الكلام)، و(المضارعة). انظر: وفيات الأعيان [٤/ ٢٧٣-٢٧٥]، شذرات الذهب [٦/ ٢٤٦-٢٤٧].

(٥) عارض ابن الوزير ما قاله الشهرستاني بشدَّة، ونقضه من عِدَّة وجوه، وأيَّده في ذلك العلامة يحيى بن الحسين، وأكدا أن الإمام زيداً كان على مذهب السلف، =

المعتزلة ورئيسهم، فاقتبس منه الاعتزال، وصارت أتباعُه كلُّهُم معتزلة[١].

كما يُشير بعضُ الباحثين إلى أنَّ الإمام القاسم بن إبراهيم الرَّسِّي كان قد تتلمذ على شيخ المعتزلة أبي الهُذَيل العلّاف[٢]، وبعده الإمام الهادي يحيى بن الحسين كان تلميذاً لأبي القاسم البَلْخِي[٣]*.

---

= أهل السنة والجماعة. لكن لا شك من تتلمذ بعض قدماء أئمة الزيدية على المعتزلة كالإمام الهادي يحيى بن الحسين الرسِّي، مؤسس الدولة الزيدية في اليمن، والإمام أحمد بن سليمان، وغيرهم. انظر: العواصم والقواصم [٥/ ٣٠٨-٣١٠]، القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني: حياته العلمية والدعوية [٦٩].

(١) انظر: الملل والنحل [١٠١ - ١٠٢].

(٢) أبو الهذيل العلَّاف: محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدى، مولى عبد القيس، شيخ المعتزلة في زمانه، مولده بالبصرة سنة ١٣٥هـ، ووفاته بسامراء سنة ٢٣٥هـ من مؤلفاته: كتاب سماه: (ميلاس)، على اسم رجل مجوسي أسلم على يديه. انظر: وفيات الأعيان [٤/ ٢٦٥-٢٦٧]، لسان الميزان، لابن حجر [٧/ ٥٦١-٥٦٣]، الأعلام [٧/ ١٣١].

(٣) انظر: تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة أسبابه ومظاهره، تأليف: د. عبد اللطيف ابن عبد القادر الحفظي، نشر: دار الأندلس - جدة، ١٤٢١هـ [٤١١، وما بعدها]، القاضي العمراني حياته العلمية والدعوية [٦٨-٦٩].

* البَلخي: أبو القاسم، عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي، كان رأس طائفة من المعتزلة يُقال لهم الكعبية، مولده ببَلْخ سنة ٢٧٣هـ، ووفاته بها سنة ٣١٧هـ. من مؤلفاته: (التفسير الكبير)، و(تأييد مقالة أبي الهذيل)، و(أدب الجدل). انظر: وفيات الأعيان [٣/ ٤٥]، سير أعلام النبلاء [١٤/ ٣١٣]، الأعلام [٤/ ٦٥-٦٦].

تنبيه: نفى بعض الباحثين صحة تتلمذ الإمام الهادي على البلخي، وذلك لأسباب، منها: تباعد موطن كل منهما عن الآخر؛ فالأول بالرس من أرض الحجاز، والآخر ببلخ من بلاد خراسان، بالإضافة إلى أن الهادي لم يرحل إلا رحلة واحدة إلى طبرستان سنة ٢٨٠هـ، والبلخي حينها في السابعة من عمره. راجع: الإمام الهادي وآراؤه العقدية [٩٦ - ٩٧].

وبالإضافة إلى هذا السبب فهناك أسباب أخرى لا تقل أهمية عنه، منها(١):

١ - ظهور نزعة التشيع في أقوال بعض رجال المعتزلة، مما أدى إلى ميل الشيعة عموماً - زيدية وإمامية - إلى المعتزلة، ثم التأثر بعقائدهم بعد ذلك.

٢ - انتقال بعض علماء المعتزلة إلى المذهب الزيدي.

٣ - انفتاح الزيدية على الفرق الإسلامية.

٤ - ثناء بعض أئمة الزيدية وعلمائها على المعتزلة.

٥ - جلب الزيدية لكتب المعتزلة، والاحتفاظ بها حتى بعد سقوط المعتزلة.

ونتيجة لهذه الأسباب، فلا غرابةَ في أن يتأثَّر الزيدية بالمعتزلة، أو أن تتطابقَ عقائدهم وأصولهم بعد ذلك.

**تاريخ دخول الاعتزالِ اليمنَ:**

لا يعلم تحديداً متى كانت بداية دخول الاعتزال إلى اليمن، فقد اختلف المؤرخون في ذلك على أقوال، وإليك تلخيصها فيما يلي(٢):

القول الأول: أنَّ الاعتزال دخل اليمن في القرن الأول عن طريق وَهْبِ بنِ مُنَبِّه(٣).

---

(١) لتفصيل أكثر، انظر: تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة أسبابه ومظاهره [٤١١، وما بعدها].

(٢) انظر - مختصراً: ابن الوزير وآراؤه الاعتقادية، تأليف: علي بن علي جابر الحربي، نشر: مركز الكون - مكة المكرمة، ١٤٣٠هـ [٢٣٠ - ٢٣٢].

(٣) وهب بن منبه بن كامل بن سيج بن ذي كبار، الأبناوي؛ تابعي من أهل صنعاء، وأصله من أبناء الفرس. كان كثير الأخبار عن الكتب القديمة، وكان يقول =

القول الثاني: أنَّه كان على يد الإمام القاسم بن إبراهيم الرَّسِّي (ت: ٢٤٦هـ).

القول الثالث: أنَّه كان على يد الإمام الهادي يحيى بن الحسين (ت: ٢٩٨هـ).

القول الرابع: أنَّ دخول الاعتزال اليمنَ كان في عام بضع وستين وخمسمائة هجرية على يد القاضي جعفر بن أحمد بن عبد السلام(١) (ت: ٥٧٣هـ).

والذي يظهر - والله أعلم - أنَّ بداية دخول الاعتزال إلى اليمن كانت على يد الإمام القاسم الرسِّي عند إعلان دعوته في اليمن، فقد كان معروفاً باعتقاده لعقيدة المعتزلة، ولا شكَّ أنَّه قد دعا إلى عقيدته، فاستجاب له أناس.

ويدل على هذه الاستجابة: أنَّ أهل اليمن أرسلوا إلى حفيده - يحيى ابن الحسين بن القاسم - بعدَ ما يقرب من نصف قرن من الزمان يطلبون منه القدوم إلى اليمن ليجعلوه إماماً عليهم - وكان على منهج جدِّه - فآزروه

---

= بالقدر، وألَّف فيه كتاباً ثم رجع. مولده بصنعاء في خلافة عثمان رضي الله عنه سنة ٣٤هـ، ووفاته بها سنة ١١٤هـ. انظر: وفيات الأعيان [٦/ ٣٥-٣٦]، سير أعلام النبلاء [٤/ ٥٤٤-٥٥٧].

(١) كان القاضي جعفر يرى برأي المطرفية إلى أن وصل الفقيه زيد بن الحسن البيهقي الزيدي في سنة ٥٠٠هـ، فراجعه وقرأ عليه، فرجع إلى مذهب الزيدية المخترعة، ولما أراد الفقيه زيد بن الحسن الرجوع إلى العراق رحل معه القاضي جعفر لتمام السماع، فمات زيد بن الحسن بتهامة، فرحل القاضي جعفر إلى العراق إلى العلامة أحمد بن أبي الحسن الكنّي، فقرأ عليه كتب المعتزلة ونقلها إلى اليمن. انظر: طبقات الزيدية الكبرى [١/ ٢٧٣، وما بعدها]، أعلام المؤلفين الزيدية [٢٧٨-٢٧٩].

ونصروه، وأقام فيهم دولَتَه الزيدية.

وأمَّا القول بأنَّه عن طريق وهب بن منبه، فغير دقيق، لأنَّ وهباً لم يكن مُعتزلياً، وإن قال بالقدر؛ لإنَّ الاعتزال أعمُّ من القدر، ثم إنَّه قد تابَ من ذلك(١).

وأما القول بأنَّه على يد جعفر بن عبد السلام، فليس بصحيح، لثبوتِ وجود الاعتزال قَبلَه، وإنَّما الذي فعلَه ابن عبد السلام أنَّه انتصر لمذهب المخترعة من الزيدية، وجَلَبَ كتبَ المعتزلة من العراق، فكان بمثابة المجدِّد للاعتزال في اليمن(٢)، والله أعلم.

**من مظاهر الاعتزال عند الزيدية:**

**١) تمجيد العقل:**

لقد دأبت المعتزلة على الرفع من قيمة العقل، بل غالَت في ذلك حتى جعلته حاكماً على النصوص الشرعية من الكتاب والسُّنة!(٣).

وعلى نهج المعتزلة سارت الزيدية، فكان تمجيد العقل أبرزَ معالم المذهب الزيدي، إذ أنَّ العقل - عندهم - هو الحاكم الذي لا يتعقَّبُه أيُّ حاكم غيرُه، والحُجَّةُ المعصومَةُ التي بها استحق الإنسان الخطابَ من ربِّ العالمين، ومن خلالِه تُستَوْحَى أصولُ العقيدة(٤).

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء [٤/٥٤٨].

(٢) انظر: طبقات الزيدية الكبرى [١/ ٢٧٤-٢٧٨]، تيارات معتزلة اليمن في القرن السادس الهجري، تأليف: د. علي محمد زيد، نشر: المركز الفرنسي للدراسات اليمنية - صنعاء، ١٩٩٧م [٦٠].

(٣) انظر: المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها، لعواد المعتق [٥٢].

(٤) انظر: الزيدية في اليمن، تأليف: بدر الدين بن أمير الدين الحوثي، نشر: دار الزهراء [٢].

يقول الإمام الزيدي يحيى بن حمزة - مجادلاً لمثبتي صفة العلو لله تعالى-: "فإن دلَّ ما ذكرتم على أنَّه تعالى حاصل في جهة العلو، لَيَدُلَّنَّ ما ذكرنا على أنَّه حاصل في جميع الجهات، فإذا تعارضَت هذه الظواهر وجبَ اطِّراحُها والرجوعُ إلى أدلَّة العقل، وقد أوضحناها، ولأَنَّ العقل إن تطرَّق إليه الخطأ بَطُلَ كلُّ شيء، وإن لم يَتَطرَّق إليه الخطأ فهو الطريق إلى الحقائق، وهو المعصوم حقيقةً، وفيه كفايةٌ عن غيره"(١).

ويؤكد تمجيد الزيدية للعقل قولُ العلامة الزيدي صلاح فَلِيتَه: "العقل هو الحُجَّة الأولى الموجودة مع كل مُكلَّف، ومع تَدَبُّر العقل يُهدَى صاحبُه إلى أفضل طريق"(٢).

ومعنى كلام فليته: أنَّ حُجِّيَّةَ الكتاب والسنة تاليةٌ لحجيَّة العقل، وأنَّ الهداية سبيلُها تدبُّر العقل، ولو مِن غير شرع، لأنَّ الحُسن والقُبح معلومان بالعقل من غير حاجة للشرع كما تقول بهذا المعتزلة. وبهذا تتضح متابعةُ الزيدية للمعتزلة في تمجيد العقل وتقديمه على بقية أصول التشريع، وجعله حاكماً عليها!.

**٢) متابعة المعتزلة في أصولهم الخمسة:**

وهذا ظاهر بجلاء من خلال أصولهم العقدية، واتضح إجمالاً من خلال كلام المقبلي رحمه الله؛ وزيادة على ما تقدم يقول إمام الزيدية ومؤسِّس دولتهم في اليمن، الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم الرَّسِّي: "إن سأل سائل فقال: من أين زعمتم أنَّ الحق في أيديكم دون غيركم، وجميع مَن خالَفَكُم يدَّعي مثلَ ما ادعيتم؟. قلنا له: إنَّ أقرب الأشياء عندنا الذي قد

---

(١) كتاب التمهيد [١/ ٢٧٧].

(٢) القول المبين في هداية المسترشدين [٧١].

علمنا به أنَّا على الحق، ومَنْ خالفنا على الباطل، أنَّ جميعَ فرق الأُمَّة بجملة قولنا مُصَدِّقون، ونحن لهم فيما انفردت به كل طائفة منهم مُكَذِّبون، **وهم في ما نَدينُ اللهَ به من أصول التوحيد والعَدل، وإثباتِ الوعد والوعيد، والقول بالمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مُصَدِّقون**"[١].

وهذا النص واضح الدلالة بما لا مزيد عليه في كمال متابعة الإمام الهادي للمعتزلة، وهذا ظاهر أيضاً في كتب أتباعه من زيدية اليمن[٢].

**٣) التكفير بالتأويل، واللَّعن للمخالف:**

التكفير حكم شرعي لابُدَّ أن يكون مُقيَّداً بالدليل الشرعي، فلا يُكفَّر إلَّا مَن كفَّره اللهُ ورسولُه، لأنَّ التكفير حقٌّ لله، ولا يجوز أن يُتَعَدَّى عليه من الخلق. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "التكفير حقٌّ لله، فلا يُكفَّرُ إلَّا مَن كفَّرَهُ اللهُ ورسولُه"[٣].

وقد كان للزيدية موقف مُتَطرِّف في الحكم على المخالف، فلم تتردَّد طوائفُ منهم عن الحكم بالتكفير، والسَّبِّ باللَّعن على مخالفيها من هذه الأمة، ولو بالتأويل!.

فمن التكفير بالتأويل تكفيرُهم لمن يُسَمُّونَهم: المشبِّهة، والمجبرة، حيث يذهب جمهور الزيدية إلى تكفير المشبِّهة، وكذا المجبرة، وذلك أنَّ

---

(١) كتاب المنزلة بين المنزلتين [٥].

(٢) قارن عقائد الزيدية المذكورة في الباب الأول مع عقائد المعتزلة، تجدها متطابقة تخرج من جراب واحد!.

(٣) الرد على البكري، تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد علي عجال، نشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة، ١٤١٧هـ [٢ / ٤٩٢].

المشبِّهة جاهلون بالله تعالى؛ لما قد تقرَّر ببرهان العقل - عندهم - أنَّ الله تعالى ليس بجسم؛ فمَن اعتقده تعالى جسماً لم يكن عالماً بالإله على ما هو عليه في نفسه؛ بل يكون جاهلاً، والجاهل بالله تعالى كافر بالإجماع.

ثم إنَّ عابد الصنم إنَّما يكفر لأنَّه عابدٌ لغير الله، والمجسِّم عابد لغير الله، فيجب أن يكون كافراً[١].

يقول يحيى بن حمزة: "فأما المتكلِّمون، فذهب الجماهير من الزيدية والمعتزلة إلى إكفار المشبِّهة، وذهب غيرُهم من سائر الفرق إلى ترك الإكفار.. وأمَّا المجبِّرة[٢]؛ فالأكثر من الزيدية والمعتزلة: حكموا بإكفارهم، ولم يخالف في كفرهم من أهل البيت إلَّا السيد المؤيد بالله، وأبا الحسين[٣] من المعتزلة، فإنَّهما صرَّحا بترك الإكفار للمُجبِّرة.."[٤].

إنَّ مما لاشك فيه أنَّ المشبِّهة والجبريَّة ضُلَّال مُبتدعة، إلَّا أن تكفيرهم لابد له من نصٍّ واضح، وليس بمجرد الاجتهاد أو الحكم بتأثير المذهب العقدي، والملاحظ من حال الزيدية أنَّها مع تكفيرها لهم لا تحصر التسمية في الجبرية الخالصة والمشبِّهة الخالصة، لكنَّها تُدخِلُ أهلَ السنة ضمن المشبهة والجبرية، ولا تُفرِّق بينهم؛ ومعنى هذا أنَّ أهل السنة في حكم

---

(١) انظر: كتاب التمهيد، ليحيى بن حمزة [٢/ ٥٢١].

(٢) تعتبر الزيدية أهل السنة من المشبهة، لأنهم يثبتون الصفات على ظاهرها، وكذا يعتبرونهم من المجبرة، لأنهم يثبتون أفعال العباد خلقاً لله تعالى، وهكذا فإن دائرة المسمى (المشبهة والمجبرة) عند الزيدية أوسع منها عند أهل السنة، فتنبه!.

(٣) أبو الحسين، محمد بن علي بن الطيب، البصري، إمام المعتزلة في زمانه. ولد في البصرة وسكن بغداد وتوفي بها سنة٤٣٦هـ. من مؤلفاته: (المعتمد في أصول الفقه)، و(تصفُّح الأدلة)، و(شرح الأصول الخمسة). انظر: وفيات الأعيان [٤/ ٢٧١]، سير أعلام النبلاء [١٧/ ٥٨٧-٥٨٨].

(٤) كتاب التمهيد [٢/ ٥١٨].

الزيدية كفَّار، فانظر - مثلاً - إلى قول الإمام محمد بن القاسم الرسِّي، وكيف يحكم على مخالفيه في مسألة الرؤية بالكفر، فيقول: " .. فأخطأ في قوله عز وجل: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القِيَامَة: ٢٣] الجهلةُ العماةُ الكفَّار، وإنَّما أراد سبحانه بالوجوه الناضرة: الوجوهَ النضيرةَ البهيَّةَ المشرقة، وأراد تبارك وتعالى بقوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القِيَامَة: ٢٣]. أي: وجوه المؤمنين ناضرة منتظرة لثواب الله عز وجل إيَّاها .. "[1].

فتلاحظ أنَّه يَحكُمُ على مخالفيه بأنَّهم: (جهلة، عُماة، كفَّار)، وأهل السنة هم أبرز الذين خالفوه في هذا، لأَنَّهم يُثبتون رؤيةَ الله في الآخرة، فدخلوا بذلك في حكمه عليهم بما تقدم.

**وأما اللَّعنُ:** فقد توسَّعت فيه طوائف من الزيدية كثيراً، فأطلقت فيه لألسنتها العَنَان ضد مخالفيها من المسلمين، مبرِّرين ذلك بأنَّ مخالفهم قد حاد عن أهل بيت النبي ﷺ وتخلَّى عنهم، بل منهم من جعل اللَّعنَ واجباً شرعياً يأثم تاركُه، ولا تبرأ ذمَّتُه إلَّا بفعله.

يقول صاحب كتاب الصحابة بين الإفراط والتفريط[2]: "فأمَّا لَفظَةُ اللَّعن فقد أمر الله تعالى بها وأوجبَها، أَلَا ترى إلى قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ۝١٥٩﴾ [البَقَرَة: ١٥٩]، فهو إخبارٌ مَعناه الأمر[3]،

---

(١) مجموع محمد بن القاسم الرسي [١٩].

(٢) لا يُعْلَمُ صاحِبُ الكتاب، إلَّا أنَّ مُحقِّقَ الكتاب من الزيدية - وهو المرتضى بن زيد المحطوري - يقطع بأنَّ مؤلفَه زيدي المعتقد؛ بل يَعُدُّه من أكابر علماء الزيدية، إعجاباً منه بتحقيقه في المسألة!. انظر المقدمة والتحقيق في الكتاب المذكور (الصحابة بين الإفراط والتفريط) [٣٤، ٥٣].

(٣) ذكر أهل التفسير أنَّ هذه الآية نزلت في أهل الكتاب لكتمانهم صفةَ النبي محمد ﷺ، والآية فيها وعيد شديد للذين يكتمون البينات فأخبر تعالى أنَّه يلعنهم ويلعنهم =

كقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، وقد لَعن الله تعالى العاصين بقوله: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩].. اللَّعن طاعة، ويُستَحقُ عِليها الثواب إذا فُعِلَتْ على وجهها، وهو أن يلعن مُستَحِقَّ اللَّعن، لله وفي الله، لا في العصبية والهوى.."[١].

ويقول أيضاً: "وأما قوله: (لو جعل عوض اللَّعنة أستغفر الله لكان خيراً له)[٢]؛ فإنَّه لو استغفر من غير أن يَلعَن، أو يعتقد وجوبَ اللَّعن لما نفعَه استغفارُه، ولا قُبِلَ منه؛ لأنَّه يكونُ عاصياً لله تعالى، مخالفاً أمرَه في إمساكه عمَّن أوجبَ الله تعالى عليه البراءةَ منه، وإظهارَ البراءة، والمصرُّ على بعض المعاصي لا تُقبَلُ توبتُه واستغفارُه عن البعض الآخر"[٣].

وقد ذكر العلامة المقبلي رحمه الله أنَّ اللَّعنَ مُتأصِّل لدى الوعيدية بشكل

---

= اللَّاعنون، وأما أنَّ هذا الإخبار معناه الأمر فلا يُسَلَّمْ ذلك، وغاية ما هنالك هو القول بجواز لَعن الكفار عموماً، قال ابن كثير: " لا خلاف في جواز لعن الكفار، وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومن بَعدَه من الأئمة يلعنون الكفرة في القنوت وغيره؛ فأمَّا الكافر المعيَّن، فقد ذهب جماعة من العلماء إلى أنَّه لا يُلْعَنُ لأنَّا لا ندري بما يُختَمُ له، واستدل بعضهم بهذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [البقرة: ١٦١]، وقالت طائفة أخرى: بل يجوز لعن الكافر المعيَّن، واختار ذلك الفقيه أبو بكر بن العربي المالكي..". انظر: تفسير الطبري [٣/ ٢٤٩]، تفسير ابن كثير [١/ ٤٧٣-٤٧٤].

(١) الصحابة بين الإفراط والتفريط [٥٥ - ٥٦].

(٢) هذا الكلام ينسب للإمام أبي المعالي الجويني رحمه الله من رسالة له ينهى فيها عن اللَّعن، ولم أتمكن من الوقوف على نص هذه الرسالة.

(٣) الصحابة بين الإفراط والتفريط [٥٧].

عام بمن فيهم الزيدية، وذلك أنَّه مبني على قولهم بتخليد فاعل الكبيرة في النار في الآخرة، يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: "واعلم أنَّ الوعيدية يتفرَّع لهم على هذه المسألة جواز لعن أهل الكبائر من دون توقُّف على دليل خاص، وكذلك منع الترحُّم عليهم، ولذا منعوا الترضية عن باغي الصحابة كمعاوية!"(١).

وسيأتي ردُّ المقبلي رَحِمَهُ اللَّهُ مفصلاً في المسألة في الباب الثالث عند الكلام على مظاهر التحوُّل إلى السنة.

**٤) تأويلات زيدية اعتزالية:**

ومن مظاهر الاعتزال لدى الزيدية متابعتهم للمعتزلة في تأويلاتهم للقرآن، حيث تعتمد الزيدية في تأويلها لكتاب الله وفهمها له على كتب المعتزلة(٢)، فنهجت نهجَهم في تفسير كلام الله، فأوَّلَت صفات الله كالمعتزلة، وتوسَّعت في القول بالمجاز توسُّعاً كبيراً كما فعل أشياخُهم من قبل!.

وفيما يلي شاهدان على تأويلاتهم الاعتزالية لبيان المتابعة، وإلا فتتبعها رسالة بمفردها.

**الشاهد الأول: تأويل الرؤية:**

تنطلق الزيدية في تفسيرها لآيات الرؤية وأحاديثها من أصلها المـفُرَغ منه سَلَفاً، وهو أنَّ الله تعالى ليس بجسم(٣)، وما ليس بجسم فلا يمكن أن

---

(١) العلم الشامخ [١٥٦].

(٢) من أبرز كتب المعتزلة في هذا كتاب الكشاف، للزمخشري، والزيدية تعتمد عليه اعتماداً كبيراً.

(٣) الجسمية: هذه الصفة غير واردة في الكتاب والسنة ولا في كلام سلف الأمة، لا بالإثبات ولا بالنفي؛ وبالتالي فإنَّه لا يصح إضافتها لله تعالى بإطلاق دون النظر =

يُرى، وعليه فلا يمكن حمل أدلة الرؤية على ظاهرها، ووجب تأويلُها، أوتضعيفُها.. وكذلك فعلوا!.

يقول أحمد بن الحسين الهاروني: ".. فأمَّا الأخبار المروية في إثبات الرؤية، فإنَّ أكثرها ضِعاف، وقد بيَّن ذلك العلماء في الكتب المؤلفة في هذا الباب، فإن صحَّ منها شيء فالمراد بالرؤية هو العلم.."(١).

وانظر إلى تكلُّف يحيى بن حمزة في صرفه للقرآن عن ظاهره لإثبات عقيدته في نفي الرؤية، حيث يجعل سؤال موسى عليه السلام للرؤية في قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، إنَّما كان نقلاً عن قومه، ولم يكن عن نفسه، ثم قال: "لا يُقال: هذا الاختيار يضعف لوجهين:

**أما الأول:** فلأنه خلاف الظاهر، فلا يكون مقبولاً، لأنَّ الظاهر إضافة الرؤية إلى نفسه في قوله: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ﴾، وأضافها الله إليه في جوابه بقوله: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]!.

**وأما ثانياً:** فإذا كان يَعْلَمُ أنَّ الرؤية مُستحيلة على الله تعالى، فَلِمَ لم يمنع قومَه عن سؤالها، ويرد عليهم جهلَهم ولا يقرُّهم عليه لما فيه من الخطأ؟!، لأنَّا نقول: أما كونُه عدولاً عن الظاهر فلا ننكره، ولكن إنَّما عدلنا عن الظاهر لأنَّ أدلة العقل لا يمكن حملها على غير مدلولها، والظواهر يمكن حملُها على غير ظاهرها، فكان التصرُّف في المحتمل أولى

= في المعنى المراد منها، فإن كان المعنى المراد من الإثبات معنى صحيحاً أثبتناه، وإلَّا فلا، وكذلك في النفي، إن كان المعنى المراد من النفي صحيحاً قلنا بالنفي وإلَّا لا، والله أعلم. انظر تفصيل المسألة: الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح، تأليف: شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق وتعليق: د. علي بن حسن بن ناصر، وآخرَين، (ط٢)، نشر: دار العاصمة - الرياض، ١٤١٩هـ [٤/ ٤٣٠-٤٣٤].

(١) التبصرة في العدل والتوحيد [٢٦].

من غير المحتمل، وأما أنه لِمَ لم يمنعهم عن سؤال الرؤية؟، فلأنَّه قد بالغ في نهيهم وتعريفهم بجهلهم فأبوا إلَّا الإصرار على الجهل، فأراد قطعَ شغبهم، وحسمَ مادتهم بما يَرِد من الله تعالى من المنع عن رؤيته(١)(٢).

والذي ذكره يحيى بن حمزة من الوجوه المـُضْعِفَة لقوله هي الحقُّ، ولكنْ محافظتُه على المذهب أدخلته في مضايق التأويلات!. والسلامة كل السلامة في ترك التكلُّف، وأخذ النصوص على ظاهرها كما فعل السلف، فلسنا بأَحرَصَ على النَّجاةِ منهم، وقد يَسَّرَ الله القرآنَ للذِّكر، فهل من مُدَّكِر؟!.

**الشاهد الثاني: تأويل (أغفلنا) في قوله تعالى: (وَلا تُطع من أغفلنا قلبَه عن ذكرنا):**

ومن الأمثلة على متابعة الزيدية للمعتزلة في تأويلهم لآيات القرآن، تأويلهم لمعنى: (أغفلنا) المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ۝٢٨﴾ [الكهف: ٢٨].

قال يحيى بن حمزة: "له معنيان: أحدهما: أن يكون قوله (أي: وجدناه غافلاً، كأَحْمَدْتُ فلاناً إذا وجدته محموداً، وأَحْيَيْتُ الأرضَ إذا وجدتها حيَّة النبات.

---

(١) إن هناك نكتة غفل عنها ابن حمزة، وهي أن هناك فرقاً جوهرياً بين من يطلب المعجز ليزداد إيمانه، ومن يطلب المعجز شرطاً في الإيمان؛ فإن موسى عليه السلام إنما سأل الرؤية شوقاً إلى الله وحباً له، واستزادة في الإيمان، وأما قومه؛ فسألوا الرؤية شرطاً في الإيمان، وليس لأجل الزيادة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٥﴾ [البَقَرَة: ٥٥]، فشتان بينهما! ثم يقال: إن موسى إنما طلب الرؤية له وليس لقومه. فتنبه!.

(٢) التمهيد في شرح معالم العدل والتوحيد [١/ ٣١٦ - ٣١٧].

**وثانيهما**: أن يكون المعنى، ولا تُطع من أغفلنا قلبه، أي: تركنا أن نَسِمَ قلبَه بِسِمِةِ الإيمان وعلامَتِه، فإنَّ لقلب المؤمن علامةً، ولقلب الكافر علامَة.. "[١].

وظاهرٌ أن ابن حمزة لم يتطرَّق إلى المعنى الظاهر من معنى الإغفال، ظنّاً منه أنَّ فيه نِسبَةَ قبيح أو ظلم إلى الله تعالى، وأهلُ السُّنة يفسِّرون الإغفال على ظاهره. يقول ابن جرير: "يقول تعالى ذكره لنبيِّه ﷺ: ولا تُطِعْ يا محمد مَنْ شَغَلْنَا قلبَه من الكفار - الذين سألوكَ طرد الرَّهط الذين يدعون ربَّهم بالغداة والعَشيِّ عنك - عن ذكرنا، بالكفرِ وغلبةِ الشَّقاء عليه، واتَّبَعَ هواه، وتركَ اتباعَ أمرِ الله ونَهيِهِ، وآثرَ هَوَى نفسِه على طاعةِ رَبِّه"[٢].

والشَّواهِدُ في هذا الباب كثيرة لَدَى الزيدية، ولَعَلَّ فيما ذكر كفاية، والله الموفق.

**التطرُّف الاعتزالي سَبب في التحوّل إلى السُّنَّة!**

لقد ظهر فيما تقدم من مظاهر للاعتزال مدى تأثر الزيدية بالمعتزلة، حتى عَدَّ بعضُهم الفرقتين فرقة واحدة، لكثرة ما بينهم من أوجه الاتفاق؛ ويبقى السؤال: كيف يكون التطرُّف الاعتزالي، أو الكلامي سبباً في تحوَّل الزيدية إلى السُّنَّة؟.

لقد تقدَّم في المبحث السابق كيف أنَّ كتب السنة قد انتشرت في بلاد الزيدية، وعرفنا أنَّ غالب المتحولين من الزيدية كانوا من العلماء المشتغلين بالحديث، ولا يخفى ما لدى أهل الحديث من معارضة لعلوم المتكلمين عموماً، والمعتزلة على وجه الخصوص، فمن هنا كان تأثُّر هؤلاء العلماء

---

(١) التمهيد [٢/ ٤١٠].

(٢) تفسير الطبري [١٨/ ٨].

بموقف أهل الحديث تجاهَ علم الكلام من ناحية، ثم من خلال ما اطلعوا عليه من تجاربهم الخاصة مع علم الكلام، فأَلْفَوه لا يروي غليلاً، ولا يشفي سقيماً!.

وكذا من خلال ما اطلعوا عليه من تجارب السابقين من أهل الكلام الذين أفنوا أعمارهم في تعلُّمِهِ والتَّوَغُّلِ في مسائله، فلم يُحصِّلوا منه إلَّا التخبُّط في عقائدهم، والرِّيبةَ في خالقهم، فعادوا بعد بلوغهم الغايةَ في الكلام يطلبون دينَ العجائز!.

كل هذا وغيرُه دفع بالمنصفين من الزيدية إلى العزوف عن مناهج المتكلمين، والسلوك في سبيل الكتاب والسنة، وتتبع مذاهب السلف الصالحين رضي الله عنهم أجمعين.

**موقف أهل السنة من علم الكلام:**

لقد كان لأهل السنة - من المحدثين والفقهاء - موقفاً حاسماً من علم الكلام، فذهب عمومُ أهل الحديث إلى القول بتحريمه، ومعهم أصحابُ المذاهب الفقهية(١)، فاشتهرت عباراتهم بذمِّ الكلام ومَن اشتغل به؛ فعن أبي يوسف قال: "مَنْ طلبَ الدِّينَ بالكلام تزندق، ومن طلب غريبَ الحديث كذَب، ومن طلب المال بالكيمياء أفلَس"(٢).

---

(١) قال الغزالي رحمه الله: "وإلى التحريم ذهب الشافعي، ومالك، وأحمد بن حنبل، وسفيان، وجميع أهل الحديث من السلف..". إحياء علوم الدين، تأليف: أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، نشر: دار الشعب - القاهرة [١/ ١٦٣].

(٢) انظر: أحاديث في ذم الكلام، انتخبها: الإمام أبو الفضل المقرئ من رد أبي عبدالرحمن السلمي على أهل الكلام، دراسة وتحقيق: د. ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع، نشر: دار أطلس - الرياض، ١٤١٧هـ [٨٥]، الحجّة في بيان المحجَّة، للأصبهاني [١/ ١٠٦].

وقال الإمام مالك بن أنس: "إيَّاكم والبدع! فقيل: يا أبا عبد الله، وما البدع؟. قال: أهلُ البدع الذين يتكلَّمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته، ولا يسكتون عما سَكتَ عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان"(١).

وقال الإمام الشافعي: "لقد اطَّلعتُ من أهل الكلام على شيء، والله ما توهَّمْتُه قط، ولِأَن يُبتَلى المرءُ بما نَهى اللهُ عنه خلا الشِّركَ بالله خيرٌ له من أن يُبتلى بالكلام"(٢).

وأما الإمام أحمد بن حنبل، فحوادثه مع أهل الكلام كثيرة مشهورة، وجهاده لهم معروف لا ينكر، ومما يؤثر عنه في ذم الكلام قوله: " علماء الكلام زنادقة"(٣).

والآثار الواردة عن أئمة الحديث والسنة في نبذ الكلام أكثر من أن تُحصَى، وفي هذا رادع لأهل الإيمان لئلا تُسوِّل لهم أنفسُهم الخوضَ في غِمار الكلام، فإنَّ من اعتقد بصحَّة طريقة أهل الحديث وأتعبَ نفسَه بالتفتيش عن صحيحها والضعيف، يستحيل أن يَستَبدِلَ هذا الخير الذي هو فيه بالذي هو أَدنَى!.

**موقف المنصفين من الزيدية من علم الكلام:**

وقد سَرَى موقف أهل السنة من علم الكلام إلى المنصفين من الزيدية،

---

(١) انظر: الحجة في بيان المحجة [١/ ١٠٤].

(٢) انظر: أحاديث في ذم الكلام، لأبي الفضل المقرئ [٨١]، الحجَّة في بيان المحجَّة [١ / ١٠٤].

(٣) انظر: إحياء علوم الدين، للغزالي [١/ ١٦٤]، النبوات، تأليف: شيخ الإسلام أحمد ابن عبد الحليم بن تيمية، دراسة وتحقيق: د. عبد العزيز بن صالح الطويان، نشر: أضواء السلف - الرياض، ١٤٢٠هـ [٢/ ٨٠٧].

فتركوا الخوض فيه، وندموا على ما فرَّطوا في ذلك، ثم حذَّروا منه. وفيما يلي بعضاً من أقوال المنصفين توضح موقفَهم من علم الكلام:

يقول ابن الوزير رحمه الله: "وإنِّي لما رأيتُ طريقَ النَّجاة من علم الكلام مما لا يجتمع عليها أهلُ الكلام - دَعْ عنك غيرَهم - ورأيتُها إن كانت طريقاً صحيحة فإنَّها متوقِّفة - ولابد - على التحقيق فيه والبحث العميق عن لطائفه وخوافيه المودعة في علم اللَّطيف.. وأئمةُ أهله - أعني علم الكلام - في غاية المباعدة والمنافاة، حتى أنَّ الشيخ أبا الحسين ذكر أنَّه يكفي في معرفة بطلان مذاهب أصحابه البَهاشِمة من المعتزلة مجرَّدُ معرفةِ مقاصدِهم، مع أنَّ الجميع من أئمة الاعتزال؛ هذا مع وقوع كثير من أئمة الكلام في الشَّكِّ والحيرة!.

فلمَّا عرفت ذلك كلَّه، علمتُ - من غير شكٍّ - صعوبةَ معرفة طريقِ النَّجَاة من هذا الفن على الأكثرين.

وقد أَلْهَمَ اللهُ تعالى - وله الحمد والشكر والثناء - إلى أسهل طريقٍ وأَخصَرِه - في عِلمي - إلى اليقين والنَّجاة ونُصرَةِ طريق الصحابة والسَّلف، التي عُلِمَ تقريرُهم عليها بالضَّرورة من الدين، وهي فطرةُ الله التي فَطَرَ الناسَ عليها، وإنَّما عُنِيتُ في توضيحها وتجديدها بعد دَرْسِها، ومُدَاواة ما قد وقع من تغيير المغيِّرين لها.."(١).

ويؤكد الشوكاني ما ذهب إليه ابن الوزير من صعوبة معرفة طريقِ النَّجَاة من هذا الفن على الأكثرين، معتبراً أن أقل أحوال النظر في علم الكلام أن يكون من المتشابه الذي أمرنا بالوقوف عنده. قال رحمه الله: "ومن أعظم الأدلة الدَّالة على حظر النظر في كثير من مسائل الكلام أنَّك لا ترى رجلاً أفرغَ

(١) إيثار الحق على الخلق [٢٠ - ٢١].

فيه وُسعَه، وطوَّلَ في تحقيقه باعَه، إلَّا رأيتَه عند بلوغ النِّهاية، والوصول إلى ما هو فيه من الغاية يَقرَعُ على ما أنفقَ في تحصيله سِنَّ النَّدامَة، ويرجِعُ على نفسه في غالب الأَحوال بالملامَة، ويتمنَّى دينَ العجائز، ويفِرُّ من تلك الهَزاهِز، كما وقعَ من الجويني(١)، والرَّازي(٢)، وابنِ أبي الحديد(٣)، والسَّهروردي(٤)،

---

(١) أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، الشافعي، إمام الحرمين، مولده بجوين - من نواحي نيسابور - سنة ٤١٩هـ، رحل في طلب العلم، ثم حج وجاور بمكة والمدينة أربع سنين، ثم رجع إلى نيسابور، فأقام مدرساً في المدرسة النظامية ثلاثين سنة. كانت له هفوات اعتزال تاب منها وتراجع عنها، ثم مال إلى مذهب السلف في الصفات وأقره. وفاته بنيسابور سنة ٤٧٨هـ. من مؤلفاته: (البرهان)، و(نهاية المطلب في دراية المذهب)، و(الشامل). انظر: وفيات الأعيان [٣/ ١٦٧-١٦٩]، سير أعلام النبلاء [١٨/ ٤٦٨-٤٧٧]، الأعلام [٤/ ١٦٠].

(٢) أبو عبد الله، فخر الدين، محمد بن عمر بن الحسن التيمي البكري. من أبرز علماء المعقول والمنقول. مولده في الري سنة ٥٤٤هـ، ووفاته بهراة سنة ٦٠٦هـ. من مؤلفاته: (مفاتيح الغيب)، و(المحصول في علم الأصول)، و(نهاية العقول). انظر: وفيات الأعيان [٤/ ٢٤٨-٢٥٢]، شذرات الذهب [٧/ ٤٠-٤١]، الأعلام [٦/ ٣١٣].

(٣) أبو حامد، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين. عالم بالأدب، من أعيان المعتزلة، له شعر جيد واطلاع واسع على التاريخ. ولد بالمدائن سنة ٥٨٦هـ، وانتقل إلى بغداد، وخدم في الدواوين السلطانية، وبرع في الإنشاء، وكان حظياً عند الوزير ابن العلقمي. توفي سنة ٦٥٥ هـ. من مؤلفاته: (شرح نهج البلاغة)، و(الفلك الدائر على المثل السائر)، و(القصائد السبع العلويات). انظر: وفيات الأعيان [٥/ ٣٩١-٣٩٢]، الأعلام [٣/ ٢٨٩].

(٤) أبو النجيب، عبد القاهر بن عبد الله بن محمد بن عمويه البكري، الشافعي، الصوفي. ولد بسهرورد سنة ٤٩٠هـ تقريباً. دخل بغداد فسمع بها، وتفقه بالمدرسة النظامية، ثم انقطع وتزهّد ودعا إلى الله، وانتفع به خلق كثير. توفي سنة ٥٦٣هـ. من مؤلفاته: (آداب المريدين)، و(شرح الأسماء الحسنى)، و(غريب المصابيح). انظر: وفيات الأعيان [٣/ ٢٠٤-٢٠٥]، سير أعلام النبلاء [٢٠/ ٤٧٥-٤٧٨]، طبقات الشافعية الكبرى [٧/ ١٧٣-١٧٥]، الأعلام [٤/ ٤٩].

والغزالي[١]، وأمثالهم ممن لا يأتي عليه الحصر، فإن كلماتهم نظماً ونثراً في النَّدَامَة على ما جَنَوا به على أنفسهم مُدَوَّنَةٌ في مؤلفات الثِّقات[٢].. ولْتَعْلَمْ أَرشَدَني اللهُ وإيَّاك أَنِّي لم أَقُل هذا تقليداً لبعض من أرشدَ إلى ترك الاشتغال بدقائق هذا الفن - كما وقع لجماعة من مُحقِّقي العلماء - بل قُلتُ هذا بعد تضييع بُرهَة من العمر في الاشتغال به، وإحفاء السُّؤال لمن يَعرِفُه، والأخذِ عن المشهورين به، والإكبابِ على مطالعة كثير من مختصراته ومطوَّلاته، حتى قلتُ عند الوقوف على حقيقته من أبيات منها:

وغَايَةُ مَا حَصَّلْتُهُ مِنْ مَبَاحِثِي ... وَمِنْ نَظَرِي بَعْدَ طُولِ التَّدَبُّرِ
هُوَ الْوَقْفُ مَا بَيْنَ الطَّرِيقَيْنِ حَيْرَةً ... فَمَا عِلْمُ مَنْ لَمْ يَلْقَ غَيْرَ التَّحَيُّرِ!
عَلَى أَنَّنِي قَدْ خُضْتُ مِنْهُ غِمَارَهُ ... وَلَمْ أَرْتَضِي فِيهِ بِدُونِ التَّبَحُّرِ

---

(١) أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، الشافعي؛ فيلسوف، ومتكلم، وفقيه، وأصولي، متصوف. مولده في الطابران بخراسان سنة ٤٥٠هـ، تفقه ببلده أولاً، ثم تحول إلى نيسابور فلازم بها إمام الحرمين، فبرع في الفقه، ومهر في الكلام والجدل، ثم تزهّد، وأخيراً مال إلى أهل الحديث ومطالعة كتب الحديث. وفاته بالطابران سنة ٥٠٥هـ. من مؤلفاته: (إحياء علوم الدين)، و(تهافت الفلاسفة)، و(المستصفى). انظر: وفيات الأعيان [٤/ ٢١٦-٢١٨]، سير أعلام النبلاء [١٩/ ٣٢٢-٣٤٦]، طبقات الشافعية الكبرى [٦/ ١٩١، وما بعد].

(٢) مما دوِّن في كتب الثقات، يقول الرازي: " لقد تأمّلتُ الطرق الكلاميّة، والمناهج الفلسفيّة، فما رأيتُها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيتُ أقرب الطرق طريقة القرآن؛ اقرأ في الإثبات: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فَاطِر: ١٠]، ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، واقرأ في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورىٰ: ١١]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ۝١١٠﴾ [طه: ١١٠]، ومن جرّب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي". عن: النبوات [١/ ٣٠٥].
ويقول الجويني: "لقد خُضْتُ البحرَ الخِضَم، وتركتُ أهلَ الإسلام وعلومَهم، وخُضْتُ في الذي نهوني عنه، والآن إن لم يتداركني ربِّي برحمته فالويل لفلان، =

وأقلُّ أحوال النَّظر في ذلك أن يكون من المشتبهات التي أُمِرنا بالوقوف عندها.."(١).

ولما كان أمر الكلام في نظر المنصفين كذلك، كان الحق الذي لا مرية فيه ولا شك، العودة إلى ما كان عليه أهل القرون الثلاثة الأولى، للخلوص إلى الحقيقة التي لا خلاف عليها، وهي ما كان عليه السَّلف الصالح رحمهم الله، فهم الذين لم يكن الاختلاف قد سرى بينهم في العقائد، وأقرَّهم على عقيدتهم النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم، فإنَّ تفرُّق الأمة إنَّما كان بسبب ما أحدَثَه المبتدعة من علوم لم تكن على عهد السَّلف جعلوها حاكمةً على نصوص الشَّريعة.

يقول ابن الوزير: "كان المسلمون أُمَّةً واحدة في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأيام الخلفاء الرَّاشدين ﭬ ليس بينهم خلاف في أمر العقيدة، وعُلِمَ من النبيِّ صلى الله عليه وآله، ومن الخلفاء الراشدين والسَّلف الصالحين أنَّ الذي كان عليه المسلمون في أعصارهم هو سبيلُ الهدى ومنهجُ الحق وطريق السَّلامة، حتى مارَستُم هذه العلوم، وتركتم الجمود وسالَتْ أذهانُكم بالحقائق، وغُصتُم على هذه الدقائق، وضَلَّت

---

= وها أنا أموت على عقيدة أمي". عن: الفتوى الحموية [١٩٤].

وأما الغزالي، فيُبيِّن حقيقته بقوله: "وأما منفعته، فقد يُظن أن فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ما هي عليه، وهيهات! فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف، ولعلَّ التخبيط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف!. وهذا إذا سمعته من محدِّث، أو حشوي، ربما خطر ببالك أن الناس أعداء ما جهلوا، فاسمع هذا ممن خَبُر الكلام ثم قلَاه بعد حقيقة الخبرة، وبعد التغلغل فيه إلى منتهى درجة المتكلمين، وجاوز ذلك إلى التعَمُّق في علوم أخر تناسب نوع الكلام، وتحقَّق أن الطريق إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود". إحياء علوم الدين [١/١٦٨].

(١) كشف الشبهات عن المشتبهات، ضمن الرسائل السلفية، للشوكاني [٧٧ - ٧٨].

اثنتان وسبعون فرقة من ثلاث وسبعين، ولم يَبْقَ من الأُمَّة على الحقِّ ببركة هذه الممارسَة عُشْرُها ولا نِصْفُ عُشْرِها!"(١).

ومما سبق يتبين أنَّ خوضَ الزيدية في علم الكلام ومتابعَتَهم للمعتزلة في أصولهم الكلاميَّة كان سبباً من الأسباب التي نَفَّرَت المنصفين من الزيديَّة والمشتغلين منهم بعلم الحديث عن المذهب، مُتجهين نحو السُّنَّة التي وجدوا فيها الطمأنينة واليُسر والسَّلامة وعدمَ التَّكَلُّف، والله تعالى أعلم.



(١) الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم [٢/ ٢٤٠ - ٢٤١].

# الفصل الثاني:

## أسباب التحول العقدي إلى الرفض عند زيدية اليمن

وفيه خمسة مباحث:

- ❖ **المبحث الأول:** ادعاء مظلومية أهل البيت.
- ❖ **المبحث الثاني:** الغلو في أهل البيت.
- ❖ **المبحث الثالث:** تخبط الزيدية في التعامل مع السنة.
- ❖ **المبحث الرابع:** التلقي عن الرافضة.
- ❖ **المبحث الخامس:** تأثير الظاهرة الحوثية.

## المبحث الأول

### ادعاء مظلومية أهل البيت

إنَّ من أهم الأسباب الدَّاعية إلى تحوُّل الزيدية عن الاعتدال إلى الرَّفض، اعتقادُ طائفة منهم بمظلومية أهل البيت ﵃، وهذا ما يؤدي إلى نفور هؤلاء قلبيًّا تجاه الصحابة ﵃ ومن سار على طريقهم. وتبرز هذه الدعوى في ثلاث مظالم رئيسة:

**المظلمة الأولى: ادعاء مظلوميّة فاطمة ﵂:**

من المعلوم أنَّه بعد وفاة النَّبي ﷺ، ومبايعة الصحابة لأبي بكر ﵁ خليفة للمسلمين، جاءت فاطمة ﵂ إلى أبي بكر الصديق ﵁ تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ، إلَّا أنَّ أبا بكر لم يُعطِها ميراثاً، مُستشهداً بقوله ﷺ: (إنَّا مَعْشَرَ الأَنبيَاءِ لا نُورَث، ما تَركناه صَدَقَة)، فغضبت فاطمة ﵂، فهَجَرَت أبا بكر فلم تَزَلْ مهاجِرَتُه حتى توفِّيَت، وعاشت بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر[(١)].

فأهل السُّنة وقفوا عند حديث رسول الله ﷺ، الذي رواه أبو بكر، مُصَحِّحين بذلك فعلَ أبي بكر ﵁، لكنَّ الشيعة لما كانت عاطفتُهم مُتَّجِهَةً نحو أهل البيت أكثر من غيرهم من الصحابة، ممزوجةً بدعوى العِصمَة

---

(١) انظر القصة كاملة في الصحيحين من حديث عائشة ﵂. صحيح البخاري؛ كتاب: فرض الخمس - باب: فَرْض الخُمُس [٤/ ٧٩]، برقم (٣٠٩٣)، صحيح مسلم؛ كتاب: الجهاد والسير - باب: قول النبي ﷺ: (لا نورث ما تركنا فهو صدقة) [٧٣٠] برقم (١٧٥٩).

لفاطمة وأهل بيتها ﵂، لم يقبلوا خبر أبي بكر، إمَّا بِرَدِّه[١]، أو بتأويله[٢]؛ لأنَّ المعصومَة - في نظرهم - لا يمكن أن تغضَب إلَّا لباطل لَحِقَ بها[٣]!.

والزيدية وإن كانت من الشيعة، إلَّا أنَّه قد وجد من أئمتهم مَن يُصَحِّحُ ما ذهبَ إليه أبو بكر من أنَّ النَّبي ﷺ لا يُورَث، حيث يقول العلامة يحيى ابن الحسين: "وأمَّا فَدَك فاختلف الناس فيه، فبعض أهل البيت قال: هو خَطَأ؛ كالهادي، وبعضهم قال: إنَّه صواب، وهو قول الإمام يحيى بن حمزة، والإمام المهدي أحمد بن يحيى، وأن هذه المسألة اجتهادية، وأما قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [النَّمل: ١٦]، فليس المراد إرثَ المال، بل العلم والحُكم، ولو كان باطلاً لَنَقَضَهُ عليُّ بن أبي طالب وبنو هاشم أيام خلافَتِهم، وروي عن زيد بن علي أنَّه لما سئل عن ذلك قال: لو كُنْتُ إيَّاه ما قَضَيتُ إلَّا بما قضى به أبو بكر"[٤].

وممن ذَهَبَ إلى إبطال حكمِ أبي بكر - من أئمة الزيدية - الإمامُ القاسمُ بن محمد[٥]، وغيره، حتى عَدَّ بعضهم إبطالَ الحكم هو مذهبُ

---

(١) انظر: الصحابة بين الإفراط والتفريط [١١٩].

(٢) قال القاسم بن محمد: "احتمال أن يكون معناه: أن الصدقة، أي الزكاة التي لا تحل لبني هاشم غير موروثة، بل تصرف في مصرفها". كتاب الأساس لعقائد الأكياس [١٦٥].

(٣) دَرَج على هذا رجل من متأخري الزيدية وهو أحمد بن لطف الديلمي، فأبطل حديث أبي بكر متذرعاً بذريعة مضحكة، وهي أن أبا بكر، لعلّه سمعه من بعض المنافقين فظنه سمعه من النبي ﷺ!. انظر: كشف النقاب عن مذهب قرناء الكتاب، تأليف: أحمد بن لطف بن زيد الديلمي، نشر: مركز عبادي للدراسات والنشر - صنعاء، ١٤٣١هـ - حاشية [٧٣].

(٤) الإيضاح لما خفا من الاتفاق على تعظيم صحابة المصطفى [٢١١ - ٢١٢].

(٥) انظر: كتاب الأساس لعقائد الأكياس، للإمام القاسم بن محمد [١٦٥].

أهل البيت[١].

ومما سبق يظهر أنَّ القول بتخطئة أبي بكر رضي الله عنه في حكمه في مسألة ميراث النبي ﷺ، والقول بمظلومية السيدة فاطمة رضي الله عنها هو الأكثر رواجاً لدى الزيدية[٢]، وإنَّ تبنِّي مثلَ هذه الدعوى يلزم منه عدة أمور، منها:

أولاً: أنَّ دعوى مظلومية فاطمة رضي الله عنها تعني بالضرورة أنَّ هناك ظالماً أوقعَ بها هذا الظلم، وأصابعُ الاتهام الزيدية تُشير إلى أبي بكر وعمر، وذلك أنَّ أبا بكر هو الذي مَنَعَها ميراثَها، وكذا عمر لإقراره بقضاء أبي بكر ومِن بعدهما عثمان رضي الله عنهم.

يقول الإمام الهادي، وهو يتحدَّث عن ميراث النَّبي ﷺ: "فآذوها[٣] أشدَّ الأذى، ولم يُلتَفَتْ فيها، ولا في أقاربه إلى شيء ممن ذكرنا، فكانت حُرمَةُ رسول الله أوَّلَ حُرمَةٍ انتهكت في الإسلام، وكان أولَ مشهودٍ عليه بزُور، وكان أوَّلَ مالٍ أُخِذَ غَصباً مِن وَرَثَتِهِ بالدعوى التي ذكرها أبو بكر"[٤].

ثانياً: يلزم من وجود المظلمة وجوبُ النُّصرة للمظلوم من ظالمه، سيَّما

---

(١) يقول أحمد لطف الديلمي: "والخلاصة أن حكم أبي بكر في فدك بحوزه فدكاً باطل عند أهل البيت عليهم السلام". كشف النقاب عن مذهب قرناء الكتاب - حاشية [٧٣].

(٢) تعتبر هذه الدعوى من أبرز الشُّبَه التي يروِّج لها الرافضة المعاصرون في اليمن، فقد أثبتها بعض الباحثين من خلال دراسة ميدانية في محافظة صعدة معقل الحركة الحوثية في اليمن. انظر: التشيع في صعدة - الجزء الأول - دراسة ميدانية، تأليف: عبدالرحمن المجاهد، ط٢ - ١٤٣٣هـ [٦٦].

(٣) يقصد أن أبا بكر ومن وافقه من الصحابة قد آذوا فاطمة رضي الله عنها!.

(٤) كتاب المنتخب والفنون، مما سأل عنه القاضي العلامة محمد بن سليمان الكوفي الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم، تأليف: محمد بن سليمان الكوفي، نشر: دار الحكمة اليمانية - صنعاء، ١٤١٤هـ [٤٩٨].

إذا كان المظلوم ذا مكانة عند الله وعند رسوله ﷺ[(١)]، فإنَّ النُّصرَة تكون آكَدَ، وبالتالي فكلٌ يَنصُرُ بما تَيَسَّر له، وأَقَلُّهُ البُغض، أو الشَّتم!.

يقول العلامة الزيدي مَجدُ الدِّين المؤيدي[(٢)]: "وقد اتفقت الأُمَّة أنَّ فاطمة - صلوات الله عليها - ماتت غَضبَى على أبي بكر، هاجرةً له، ودفَنَها سَيِّدُ الوَصيِّين وعَمُّه العبَّاس عمُّ سيِّد النبيين - صلوات الله عليهم - ومَن معهما من أهل بيتهم وشيعتهم ليلاً، بوصيَّة منها، مع روايتهم: (إنَّ اللهَ يَغضَبُ لِغَضَبِهَا)[(٣)]، وروايتهم أنَّ علياً - صلوات الله عليه - لم يُصالح القومَ إلَّا بعد وفاتها، وأنَّه كان مُعتزلاً عنهم، غيرَ داخل فيما عقدوه من بيعتهم في سقيفتهم سِتَّةَ أشهر، وكلُ ذلك ثابتٌ في صحاحهم من رواية البخاري ومسلم[(٤)]"[(٥)].

---

(١) يقول ﷺ: (فاطمةُ بِضعَةٌ مِنِّي فَمَنْ أَغضَبَها أَغضَبَني) رواه البخاري، واللَّفظ له؛ كتاب: فضائل الصحابة - باب: مناقب فاطمة [٥/ ٢٩]، برقم (٣٧٦٧)، ومسلم؛ كتاب: فضائل الصحابة - باب: فضائل فاطمة بنت النبي [٩٩٤]، برقم (٢٤٤٩).

(٢) أبو الحسين، مجد الدين بن محمد بن منصور.. الهادوي، الحسني. من كبار علماء الزيدية. مولده بقرية الرَّضْمَة من جبل بَرَط سنة ١٣٣٢هـ، ووفاته سنة ١٤٢٨هـ. من مؤلفاته: (لوامع الأنوار في جوامع العلوم والآثار)، و(التُّحَف شرح الزُّلَف). انظر: هجر العلم ومعاقله في اليمن [٣/ ١٢٠٥-١٢٠٦]، أعلام المؤلفين الزيدية [٨٠٦-٨٠٨]، كتاب ذكرى أربعينية مجد الدين المؤيدي، إعداد: عبد الله بن حمود بن العزي، نشر: مؤسسة الإمام زيد بن علي - صنعاء - ١٤٢٨هـ.

(٣) المحفوظ في كتب أهل السنة أنَّ النبي ﷺ يغضبُ لغضبها، ولورود الخبر سبب، فإنَّ علياً رضي الله عنه لما عُرضت عليه خِطبَة بنت أبي جهل وعلم النبي ﷺ بذلك لم يرضَ، فقال: (فاطمةُ بِضعَةٌ مِنِّي فَمَن أَغضَبَها أَغضَبَني) الحديث.

(٤) ثابت في كتب السُّنَّة خبرُ الخلاف الذي وقع بين فاطمةَ وأبي بكر رضي الله عنهما، وقد ذكروا - أيضاً - سببَ تأخُّرِ بيعة علي رضي الله عنه، ومراجعتَه الأمرَ واعترافَه بفضل أبي بكر، ثم مبايعتَه إيَّاه، وسيأتي الحديث الدال على ذلك كاملاً في المتن قريباً؛ فليتهم يأخذون به جميعاً ولا يأخذون ببعضه ويتركون بعضه!.

(٥) لوامع الأنوار في جوامع العلوم والآثار وتراجم أولي العلم والأنظار، تأليف: =

إنَّ ما ذكره المؤيدي مما تكثُرُ به دَنْدَنَةُ الشيعة في تحريض أتباعهم ضِدَّ أفاضلِ الأُمَّة بعد رسول الله ﷺ، وهذا ناشئ عن مُقدِمات باطلة لا يثبتها الشرع، منها: القولُ بعصمة علي وفاطمة رضي الله عنهما، وأَحَقِيَّةُ علي بالخلافة بعد رسول الله ﷺ. وبناء على هاتين المقدمتين اعتبر الشيعة أنَّ كلَ خلاف مع المـَعصومَيْن، فخَصْمُهما مخصومٌ لا محالة!.

وأهل السنة لا يعتقدون بِعصِمَة علي ولا فاطمة، ولا غيرهما من هذه الأُمَّة حاشا النبيَّ ﷺ، وبالتالي فكلُّ خصومة بين الصحابة تُحْتَملُ فيها الإصابةُ والخطأ من الجميع حتى يَفْصِلَ بينهم الشَّرع؛ وما دام أنَّ الشَّرعَ قد دلَّ على شرعية قضاء أبي بكر في ميراث النبي ﷺ، فلا يَضرُّه بعد ذلك أن تهجرَه فاطمةُ رضي الله عنها، أو أن تغضَبَ عليه[1]!.

وكثيراً ما يستخدم علماءُ الزيدية هذه المظلمة المزعومة في تهييجِ النفوس، وإثارةِ عواطف الأتباع ضدَّ خلفاء الرسول رضي الله عنهم. يقول مجد الدين المؤيدي: "فَيَحِقُّ والله أن يَغضبَ - لمن يَغضبُ الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم لغضبها - كافَّةُ الأُمَّةِ المحمَّديَّة، فضلاً عن بَنِيها من العترة النبوية، والسُّلالَة العلويَّة[2]، وغضبُها معلوم حتى هَجَرَت الشيخين، وأَوصَت أن تُدفَنَ ليلاً ولا يَشهَدَا جنازتَها، ولا الصلاةَ عليها، وفَعَلَ ذلك

---

= مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي، تحقيق: محمد علي عيسى، (ط٢)، نشر: مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية - صعدة/ اليمن، ١٤٢٢هـ [١/ ٢٦٧].

(١) ومع القول بتصويب قضاء أبي بكر، يلتمس العذر لفاطمة رضي الله عنها في ذلك، فلعلها رأت البقاء على الأصل في الميراث هو الأولى، أو غير ذلك، والله أعلم!.

(٢) لو كانت هذه الدعوى صحيحة، أو أنها تستحق الغضب الذي يدعوا إليه المؤيدي لكان أولى الناس بالاستجابة أمير المؤمنين علي وابنه الحسن رضي الله عنهما، فقد وليا إمرة المسلمين، وآلت الأمور إليهم، فما الذي منعهما عن رفع هذه المظلمة وإعادة الحق إلى نصابه؟!.

الوَصِيُّ - صلوات الله عليه - وقد رواه البخاري ومسلم، ولا يُنكرِه الخصوم، فالحَكَمُ الله، والموعدُ القيامة، كما قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه"(١).

فيا تُرى؛ ما عسى أن تكونَ رَدَّةُ فعلِ المحبِّ لآل البيت عند سماعه لهذه الكلمات المستَفزَّةِ للمشاعر، والدَّاعية للنُّصرَةِ بالغَضَبِ لبنتِ رسول الله ﷺ على ظالميها كما يزعمون؟!.

**المظلمة الثانية: ادعاء مظلومية علي بترك توليته الخلافة:**

ومن المظالم التي تدَّعيها الشيعة على أهل السنة أنَّهم اغتصبوا الإمامة، ومنعوها مستحقيها من أهل البيت، وادعوا أنَّ الأولى بها بعد النبي ﷺ عليُّ بن أبي طالب، ثم أولادُه من بعده(٢).

والإمامة عند الشيعة - ومنهم الزيدية - مَنصِبٌ إلهي خاصٌّ بأهل البيت، لا يجوز التَّعَدِّي عليه من غيرهم، حيث تعتقد الزيدية أنَّ الإمامة بعد النبي ﷺ حقٌّ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه بلا فصل، وأنَّ الإمام بعده الحسن، ثم الحسين، لحديث: (الحَسَنُ والحُسَينُ إمامان قاما أو قَعَدَا، وأَبوهما خَيرٌ مِنهُما)(٣)، وبعدهما تكون لمن قام ودعا من أبنائهما، وكان

---

(١) لوامع الأنوار [٢/ ٩٦].

(٢) تُعَدُّ هذه الدعوى من كبريات الشُّبَه التي يبثُّها الشيعة في الآونة الأخيرة في بلاد صعدة، محاولين بذلك استثارة الأتباع، وجلب تعاطفهم معهم. انظر: التشيع في صعدة - دراسة ميدانية، لعبد الرحمن المجاهد [٦٦].

(٣) الثابت عند أهل السنة: (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة). انظر: سنن الترمذي؛ كتاب: المناقب - باب: مناقب الحسن والحسين [٥/ ٦٦٠-٦٦١]، برقم (٣٧٨١)، وزاد ابن ماجه وغيره: (وأبوهما خير منهما)، انظر: سنن ابن ماجه، المقدمة - باب: في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ [٣٧]، برقم (١١٨)، =

جامعاً لشروطها[(١)].

يقول الإمام الهادي: "وأما الوصية فكلٌّ من قال بإمامة أمير المؤمنين ووصيته، فهو يقول بالوصية، على أنَّ الله عز وجل أوصى بخلقه على لسان النَّبيِّ إلى علي بن أبي طالب والحسن والحسين، وإلى الأخيار من ذرية الحسن والحسين، أوَّلهم علي بن الحسين وآخرهم المهدي، ثم الأئمة فيما بينهم، وذلك أنَّ تَثبيتَ الإمامة عند أهل الحق في هؤلاء الأئمة من الله عز وجل على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله، فمَنْ ثَبَّتَ اللهُ فيه الإمامة، واختارَهُ واصطفاه، وبَيَّنَ فيه صفات الإمام، فهو إمام عندهم مُستَوجِبٌ للإمامة، لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذ يقول: (مَنْ أَمَرَ بالمعروف ونَهَى عَن المنكَر مِنْ ذُرِّيَّتِي فَهُوَ خَلِيفَةُ اللهِ فِي أَرضِهِ، وخَلِيفَةُ كِتَابِهِ، وخَلِيفَةُ رَسُولِهِ)[(٢)]، قال: (مِنْ ذُرِّيَّتِي)، فوَلَدُ الحَسَن والحسين من ذُرِّيَّةِ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم"[(٣)].

ونتيجةً لاعتقاد الزيدية بهذا الحقِّ الإلهي في الإمامة فقد أدَّى ذلك إلى نِقْمَةِ طوائفَ من الزيدية على صحابة النبي ﷺ بسبب إبعادهم لعليٍّ عن

---

= وأما لفظ: (الحسن والحسين إمامان)، فلم أجده في كتب السنن، بل ولا في ما توفر لدي من كتب الموضوعات، وهذا - كما يظهر - من وضع متأخري الشيعة، والله أعلم!.

(١) انظر: العقد الثمين في معرفة رب العالمين، تأليف: الأمير الحسين بن بدر الدين محمد بن أحمد، تحقيق: إسماعيل بن مجد الدين بن محمد المؤيدي، نشر: مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية - صعدة/ اليمن، ١٤٢٣هـ [٤١ - ٤٦].

(٢) لم أجده في كتب السنن ولا الموضوعات.

(٣) مجموع رسائل الإمام الهادي إلى الحق القويم يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم - الرسائل الأصولية، تحقيق: عبد الله بن محمد الشاذلي، (ط٣)، نشر: مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية - صنعاء، ١٤٣٢هـ [٦٠].

منصب الإمامة، وعدمِ نُصرَتِهِ في ذلك، فاعتقدوا أنَّ الخلفاء الراشدين الثلاثة هم أَوَّلُ من أوقعَ الظلم بآل البيت!.

يقول صارم الدين بن الوزير بعد أن ذكر بعض المتعارضين في الإمامة: "وليست المعارضة في الإمامة مقصورة على هؤلاء المذكورين، فإنَّها قد وقعت بين جمٍّ غفير، وخلق كثير ممن يُعَتَدُّ بهم ويُقْطَعُ بفضلهم وصلاحهم، قبل المعارضة وبَعدَها، منهم:

المشايخ الثلاثة رضي الله عنهم، فإنَّهم أوَّلُ من فتح بابَ المعارضة في الخلافة، وارتَضَعَ من الخلاف أَخلافَه[1]، حيث تقدَّموا على الوَصِيِّ عليه السلام، وغَصَبُوه حَقَّهُ، وتَوَلَّوا ما أَمْرُهُ إليه، وأَخَّرُوه وهو الإمام المنصوصُ عليه، كما قيل:

عَلِيٌّ أَمِيرُ المؤمِنينَ المُعَظَّم    تَأَخَّرَ بَعْدَ القَوْمِ وَهُوَ المُقَدَّم"[2]

فانظر إلى قول صارم الدين - مع ترضِّيه على الخلفاء الثلاثة-كيف يُؤَيِّدُ أَنَّهم غَصَبوا عَلِيّاً حَقَّه؛ فكيف بِمَنْ هو أدنى علماً وإنصافاً منه؟!. كيف يكون مَوقِفُهُ من هؤلاء الخلفاء إذا اعتقدَ غَصْبَهُم للخلافة، وظُلْمَهُم عليًّا رضي الله عنه؟!.

بل إنَّ من علماء الزيدية المتأخِّرين مَنْ يَتَّهِمُ أفاضِلَ الصحابة بالتآمُرِ في إزاحة عليٍّ عن مَنصبِ الخلافة، لِيُحِلُّوا مَحِلَّهُ عثمانَ رضي الله عنه بأسلوب لا يَدَعُ لهم في قلوبِ النَّاسِ حُرمَةً فضلاً عن المحَبَّة!.

---

(١) الأَخْلاف: جمع خِلْف بالكسر، وهو الضرع لكل ذات خُفٍّ وظِلْف. انظر: لسان العرب [٢/ ١٢٤١].

(٢) حوار في الإمامة، تأليف: الإمام عز الدين بن الحسن، وَ صارم الدين بن الوزير، وآخرين، جمع وتحقيق: محمد يحيى سالم عزان، نشر: مركز التراث والبحوث اليمني - صنعاء، ١٤٢٤هـ [١٨٧].

يقول المرتضى بن زيد المَحْطَوَري: "وبَيعَةُ عُثمانَ أَشبَهَتِ الوَصِيَّةَ من عُمر، لأَنَّه حَصَرَ أحقيَّةَ الخلافة في سِتَّةٍ، ثم حصرها في نِصفِ السِّتَّة الذين فيهم عبد الرَّحمن بنُ عَوف؛ لِعِلْمِ عمر أنَّ سعدَ بنَ أبي وقاص ابنُ عمِّ عبدالرحمن؛ لأَنَّهُمَا من بَني زُهرَة، وعبدُ الرَّحمن صِهرُ عثمان؛ لأنَّ أمَّ كلثوم بِنتَ عُقبَةَ بن أبي مُعَيط أُختُ عثمان مِن أُمِّه، وهي زوجةُ عبدالرحمن، أمَّا طلحةُ فهو قريب أبي بكر مائلٌ عن علي لما بين بني هاشم وأبي بكر ورَهطِه مِن حَزازَات[1] بِسَبَبِ استئثار أبي بكر بالخلافة دونَ علي؛ فلم يَبْقَ مع علي سِوَى الزبير؛ فعمر - كما ترى - قد فَصَّلَها على قياس عثمان، وقد أجاد عبد الرحمن تمثيلَ الدُّور، وقال لِعَليّ: أبايعُكَ على كتاب الله وسنَّة رسوله وسِيرَةِ الشَّيخين؛ فرَفَضَ عليٌّ هذه الزيادة المبتدعة؛ لِأَنَّ سِيرَتَهما مَهمَا تَكُن عادلةً، فلا يَصِحُّ أن تُوضَعَ بجانب القرآن والسُّنَّة؛ فما على المسلم إلَّا تطبيق القرآن والسنة، وأن يجتهد حسب الوقائع، لكنَّ عثمانَ أَنعَمَ بذلك فبُويعَ، ولكنَّه لم يلتزم بسيرة الشيخين، وكان عدمُ التزامِه سببَ قتلِه. ولم نَسمَع ببيعَةٍ حُرَّة ونَزيهَة مِثلَ بَيعَةِ علي، إذ أقبلَ الناسُ برَغبَةٍ كامِلَة، ورَفَضَ البَيعَةَ إلَّا فِي المسجِد.."[2].

فانظر إلى مدى التَّحَامُل عند (المحطوري) تجاه خَيرِ الناس بعد الأنبياء والمرسلين! فأيُّ حُرمَةٍ تبقى للصحابة عند أتباعه ومُريدية إذا كانوا بهذا الوصف الذي ذكره؟! وما هذا الذي ذكره إلَّا استنباطٌ خاصٌّ به - مِن بُنَيَّاتِ أفكاره - دَفَعَهُ إليه التَّعَصُّبُ المذهبي، واعتقادُ السُّوء بأولئك

---

(١) الحَزازة: وجع في القلب من غيظ ونحوه، ويجمع على حزازات. يقول الشاعر:
وقد يَنْبُتُ المرعى على دِمن الثرى وتبقى حزازاتُ النفوس كما هيا
انظر: لسان العرب، لابن منظور [٢/ ٨٥٦].

(٢) مصباح العلوم في معرفة الحي القيوم - حاشية [٧١ - ٧٢].

الأَخيار، مع العلم بأنَّ مِن أصل مذهب الزيدية تحريمَ سَبِّ الصحابة ﷺ، وهذا التخوين هو من أعظم الطعن فيهم!.

وقد صارت هذه المظلمة من أبجديات الثقافة المدرسيَّة في بلاد الزيدية، حيث تُدَرَّسُ لِلنَّشء منذ الصِّغَر، حتى تُحفَرَ في ذواكِرهم فلا يزيغون عنها.

يقول أحدُ شهود العَيان ممن كانوا يحضرون تعليمَ تلك الثقافة في الإجازات المدرسيَّة الصَّيفيَّة في المراكز الزيدية؛ يقول: "أما طريقة غَرسِ البُغض للصحابة في نفوسنا نحن الصِّغار، وكذلك غيرنا، لأنَّ أغلبَهم عوام، فمن باب أنَّ الصحابة أخذوا الخلافة على علي وغصبوه حقّاً له، وكذا فعلوا مع فاطمة فمنعوها حقَّها من أبيها، وهَلُمَّ جرّاً.. وقد أصبحتُ شيعيّاً محترقاً مُبغِضاً للصحابة كافَّة، سوى علي بن أبي طالب وأهلِ بيته - رضوان الله عليهم - ونَفَرٍ يَسيرٍ كعمارِ بن ياسر، وسَلمَان الفارسي ﷺ كما نشعر ببغضهم بداية بأبي بكر الصديق، حتى كان بعضهم يقول: إنَّه أبو بكر (..)، أو أبو بكر (..)"[(١)].

**المظلمة الثالثة: ادعا مظلومية العترة عموماً:**

هذه المظلمة مُكَمِّلَةٌ للمظلمة الثانية، فإنَّ نظريَّة الحقِّ الإلهي في الإمامة تَستَوجِبُ أن تكونَ الإمامةُ في أولاد علي من بَعدِه، ومِن غير ذلك فإنَّ الأُمَّة تكون قد ظَلَمَتْ وانحرفَتْ.

يقول الإمام الهادي: "وأما الوصية فكلُّ مَن قال بإمامة أمير المؤمنين ﻫ ووصيَّته، فهو يقول بالوصيَّة، على أنَّ الله عز وجل أوصى بخلقه على لِسان

(١) توضيح النبأ عن مؤسس الشيعة عبد الله بن سبأ، تأليف: أبي الحسن علي بن أحمد ابن حسن الرازحي، نشر: دار الآثار - القاهرة، ١٤٢٨هـ [١٢ - ١٣].

النَّبيِّ إلى علي بن أبي طالب والحسن والحسين، وإلى الأخيار من ذريَّة الحسن والحسين، أَوَّلِهم علي بن الحسين وآخِرِهم المهدي، ثم الأئمة فيما بينهم. وذلك أنَّ تثبيت الإمامة عند أهل الحقِّ في هؤلاء الأئمة من الله عز وجل على لِسان رسول الله صلى الله عليه وآله، فمن ثبَّت الله فيه الإمامة، واختاره واصطفاه، وبيَّن فيه صفات الإمام، فهو إمام عندهم مستوجب للإمامة.."[١].

ونتيجةً لهذه العقيدة فقد كَثُرَت خروجاتُ الشيعة على الخلفاء والولاة منذ الحسين بن علي رضي الله عنه، ومن بعده زيد بن علي[٢] رحمه الله، فكانوا يرسلون إلى بعض أهل البيت ويبايعونهم على الخروج على ولاة الأمر، ثم صار الخروج على الولاة علامةً مُمَيِّزَةً لأتباع زيد رحمه الله تعالى.

يقول اليماني: "عن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب قال: لَو نَزلَت من السَّماء رايةٌ لم تُنصَبْ إلَّا في الزيدية"[٣].

ولما كَثُرَ الخروج من آل البيت على الحكام، وكانوا في كثير من الأوقات أقلَّ عدداً وعُدَّة كانت النتيجة المتوقَّعَة هي الهزيمة، وأن يكون مَصيرُ أولئك الخارجين من أهل البيت القَتلَ غالِباً[٤]، فَكَثُرَ لأجل ذلك

---

(١) مجموع رسائل الإمام الهادي [٦٠].

(٢) خروج الحسين بن علي على يزيد بن معاوية كان بدافع من الشيعة؛ وهم إنما دعوه لاعتقادهم بأحقية أهل البيت للإمامة، وأما استجابته لهم فكانت لأجل تغيير منكرات الحكم، وليس لأجل الإقرار بالحق الإلهي كما يزعمون!. وكذا الحال بالنسبة لزيد ابن علي، فقد كان يرى بأن الإمامة جائزة في جميع قريش كما مر معنا!.

(٣) البدر المنير [٢/ ١٤٧].

(٤) سلسلة القتل في آل البيت طويلة جداً، فعلى رأسهم: الحسين بن علي بن أبي طالب، وزيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وابنه يحيى، ومحمد بن عبد الله النفس الزكية، وأخوه إبراهيم، وغيرهم الكثير.

تَوَجُّعُ الزيدية لمقتلِ أئمتهم، وكَثُرَ حَنَقُهُم وغَضَبُهُم على أعدائهم، ومَن يُشتَبَه فيه أَنَّه نَصَرَ عَليهم، أو تَركَ نَصرَهُم.. إلى غير ذلك.

يقول اليماني: "ولا ظُلمَ أَعظَمُ مما جَرى على زيد بن علي وابنه يحيى وأهلِ بَيتِهِ والأئمة مِن بَعدِه، ومَنْ نَظَرَ في الأخبار عَلِمَ أَنَّهم يقاتلون وهم المظلومون، وأيُّ ظلم أعظمُ ممَّن قُتِلَ وصُلِبَ وأُحرِقَ وذُرِيَ[١] في الفرات"[٢].

ولكثرة ما حصل من الفتن، فقد ساءت نظرةُ الزيدية لأهل السُّنَّة، فاعتبرتهم من أعداء أهل البيت، لأنَّ الناس - في نظرهم - فريقان: أهلُ حقٍّ، وأهلُ باطل؛ فأمَّا أهلُ الحقِّ: فيتمثَّلون في الخارجين من أهل البيت وأنصارهم في كل زمان، وأما أهل الباطل: فيتمثَّلون في حكام تلك الأزمنة ومَن نَصرَهم من أهل زمانهم، ومَن ترك نُصرة أهل البيت.

يقول الإمام الهادي: "فليَعلَم كلُّ عالم أو جاهل، أو من دُعِيَ إلى الحق والجهاد فَتَوانى وتشاغل، وكره السَّيف والتَّعب، وتأوَّل على الله التأويلات، وبَسَطَ لنفسه الأمل، وكره السَّيف والقتال، والملاقاةَ للحُتوف والرِّجال، وآثر هواه على طاعة مولاه، فهو عند اللَّطيف الخبير، العالم بسرائر الضمير مِن أشرِّ الأشرار وأخسر الخاسرين.

إنَّ صلاته وصيامه وحَجَّه وقيامَه عند الله بُور، لا يقبل الله منه قليلاً ولا كثيراً، ولا صغيراً ولا كبيراً، وإنَّه ممن قال سبحانه فيه حين يقول: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣﴾ [الغَاشِيَة: ٢-٣]"[٣].

---

(١) يقصد زيد بن علي بن الحسين رحمه الله، فهو الذي فُعِلَ به هذا في خلافة هشام بن عبدالملك بن مروان سنة ١٢٢هـ. تقدم في الباب الأول.

(٢) البدر المنير [٢/ ١٤٧ - ١٤٨].

(٣) مجموع رسائل الإمام الهادي [٥١٢].

وأما اليماني فيجعل الأُمَّةَ كُلَّها محارِبةً لأهل البيت، ويجعلُها في صورة شرِّ الأُمَم بعد أن أخبر الله تعالى أنَّها خيرُ أُمَّة أُخرِجَت للنَّاس، بسبب تركها للخروج مع أئمة أهل البيت وعدم نُصرتها لهم، يقول اليماني رداً على سؤال بشأن الاستثناء في قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰٓ﴾ [الشّورىٰ: ٢٣]: "قلنا: لما عَلِمَ مِن صَنيعِ أُمَّتِهِ إلى أولاده دونَ سائر الأُمَم، فكأن كلَّ أُمَّة تُعَظِّمُ عِترةَ نبيِّها غير هذه الأُمَّة، فإنَّهم حاربوهم وقتلوهم وطردوهم وشرَّدوهم في البلاد، ولذلك قال علي عليه السلام: (يا أيُّها النَّاس: لا يَفتننَّكُم الهوى! يا أيُّها النَّاس: لا تأفِكوا عن الهُدى! يا أيُّها النَّاس: لا تُقاتلوا أهلَ بيت نبيِّكم، فو الله ما سمعت بأُمَّة آمنت بنبيِّها قاتلت أهلَ بيت نَبيِّها غيركم)[(١)].. ومَن نَظَرَ في مَقاتِلهم مِن لَدُن علي بن أبي طالب إلى يومنا هذا عَلِمَ أحوالَهم؛ فهم بين مَقتول ومَحبوس ومَخذول ومَسموم ومَطرود ومَقهور؛ قُتِلَ علي بالسَّيف، وَسُمَّ الحسن، وقُتِلَ الحسين مع نَيِّف وعشرين من أهل بيته وجماعةٍ من شيعته في نِصفِ يَوم، وفُرِّقَ بين رؤوسهم وأبدانهم، وقُتِلَ زيد بن علي وصُلِبَ وأُحرِق، وقُتِلَ يحيى بن زيد وصُلِبَ، وقُتِل النَّفسُ الزكيَّة محمد بن عبد الله، وإبراهيم، ويحيى بن عبدالله وجماعة كثيرة من أولاده، وقُتِلَ موسى بن جعفر وابنُه علي بن موسى الرِّضا عليهما السلام، دَسَّ إليه المأمون السُّمَّ، وتفصيل ذلك مما يحتاج إلى

---

(١) أخرجه محسن بن كرامة الجشمي الإمامي في كتابه: تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبيين، تحقيق ونشر: مؤسسة شمس الضحى [١٣٠].
والذي يقرأ هذا الخبر يظن أن علياً رضي الله عنه قد عاش في المائة الثانية أو الثالثة؛ فإنه لم يُقاتَل أهل البيت في الفترة التي عاش فيها الإمام علي، سوى حربه هو على مخالفيه، ثم إنه رضي الله عنه لم يكن ليستشهد على أحقيته بكونه من أهل البيت، فهو القائل: الحق لا يعرف بالرجال. إلا أن تكون هذه من دعاوى علم الغيب التي يصفه بها الرافضة!.

دفاتر، ومات عيسى بن زيد مُستَتِراً، وكذلك القاسم عليه السلام "[١].

وهذه النِّقْمَة على الأُمَّة بمخالفة أهل البيت يُظهِرها الشيعة هذه الأيام في كثير من مناطق الزيدية في اليمن، من اتِّهام لأهل السُّنَّة بقتل أهل البيت، أو المعاونة في قتلهم؛ فمِمَّا يُشاع في صعدة أنَّ أهل السُّنَّة هم الذين قتلوا الحسين بن علي[٢] رضي الله عنهما، وهذه فرية ليس فيها مرية؛ فإنَّ الشيعة هم من غَدر بالحسين بن علي رضي الله عنهما وأَسلَموه إلى أعدائه[٣]، وأما أهلُ السنة من الصحابة وتابعيهم رضي الله عنهم فقد نَصحوا للحسين بعدم الخروج، لكنَّه لم يستمع لهم[٤]، فكان أمر الله قدراً مقدوراً.

ولكن لما ربطت الزيدية لَقَبَ السنة والجماعة بمعاوية رضي الله عنه وبني أُميَّة، صار كلُّ ما يفعله بنو أُميَّة فعلاً لأهل السنة، لاشتراكهم في اللَّقب، وهذا ظُلمٌ يَجُرُّ بعضُه بعضاً، والله المستعان! .

وعبارات التوجُّع عند الزيدية مَنثورة في كتبهم بكثرة مُفرطة، فلا تكاد تجد مُؤلَّفاً إلَّا وفيه من ذلك التَّوجُّع الشَّيء الكثير، سواء كانوا أئمة أو أتباعاً؛ فالتَّابع يُدلِّل على تبعيَّته بذلك، والأئمة تَستَدرُّ به عَطفَ الرَّعيَّة ليترسخ ولاؤهم لهم، فالكلُّ من ذلك على رجاء!.

يقول أحمد يحيى حابس، وهو من أتباع الإمام القاسم بن محمد وتلميذه: "فيا عَجباً من تمالي الـمُسَوَّد والمسُود من أكثر أهل الوجود على أولاد نبيِّهم، حتى كأنَّهم خرجوا من وراء السَّدِّ المسدود، كما قال قائلهم

(١) البدر المنير [٢/ ١٧٨].

(٢) انظر: التشيع في صعدة - دراسة ميدانية، لعبد الرحمن المجاهد [٦٨].

(٣) راجع غدرات الروافض بأهل البيت من كتاب: الفرق بين الفرق [٢٥ - ٢٦].

(٤) راجع خبر خروج الحسين بن علي من كتاب: البداية والنهاية [١١/ ٥٠٣، وما بعدها].

في هذا المعنى المقصود:

تَمَالَا النَّاسُ كُلُّهُمُ عَلَينَا    كَأَنَّ خُرُوجَنَا مِنْ خَلْفِ رَدْمِ"[١]

ويقول ابن حابس أيضاً: "وكان قد أراد كثير من العباسيِّين إرجاعَ الأمر لِبَني هاشم، لكن مَنَعَهُم حُبُّ الرِّياسَة والشَّغَفُ بالدُّنيا وزخارفها، فآثروا الباطل على الحق، وبلغوا من الظلم ونكاية الذُّريَّة بالقتل والأَسْر مبلغاً عظيماً، سيَّما أبي الدَّوانيق[٢] - لعنه الله - فإنَّه كان اللُّؤم والجور حَشوَ أثوابِه، والغَدرُ والجرأة على الله مُقيمين ببابه؛ وهو أوَّلُ من فرَّق شمل بني هاشم بعد اجتماعه، وهدم مَنار أُلفَتِهم بعد ارتفاعه، ونالَ من العترة الزكيَّة وشيعتهم كلَّ مَنال، وقتل منهم خلقاً كثيراً وجمّاً غفيراً بالسُّيوف والحبوس، والسُّموم وبناء الأساطين على بعضهم وغير ذلك.

وعلى الجملة أنَّه كان عالياً من المسرفين، وتبعه في ذلك جميع أقاربه وعُماله، وكلُّ من وَلِيَ الخلافة بعده من أبنائه وأجناده وأهلِ سواده، فإنَّهم تبعوهم قتلاً وأَسراً وتطريداً، وعذَّبوهم في الحبوس المظلمة عذاباً شديداً حتى كانوا لا يعرفون أوقات الصلوات الخمس إلَّا بفراغ الأوراد ونَكَوْهُم النِّكايَةَ التَّامَّة، وصَرفوا عنهم قلوبَ الخاصَّة والعامَّة.."[٣].

وبعد ما سبق؛ فإنَّه مما لاشكَّ فيه أنَّ ما ورد من كلام الزيدية في مقاتل أهل البيت صحيح في الجملة، لكن لا علاقةَ لأهل السُّنَّة بذلك، ولا

---

(١) مقدمة كتاب المقصد الحسن [٦٨ - ٦٩].

(٢) الدَّوانيق: جمع دَانَق، والدَّانَق: سُدس الدينار، أو سدس الدرهم. انظر: لسان العرب [٢/ ١٤٣٣] .
وقد كان يلقب الخليفة العباسي المنصور بذي الدوانيق لبُخله!.

(٣) مقدمة المقصد الحسن [٢٧ - ٢٨].

يجوز أن يُنسَبَ إليهم شيء منه، وإنَّ ترديد الزيدية لهذه القَصَص وتِكرارَها يَتَسَبَّبُ في إيغار الصُّدور بالباطل ضِدَّ أهل السُّنَّة لسوء الظنِّ الذي تَشَرَّبَهُ أتباعُ المذهب الزيدي تجاهَ أهل السُّنَّة واعتقادُهم - خَطَأً - أنَّ أهلَ السُّنَّة يُبغِضون أهلَ البيت!.

ولِذا فإنَّ الزيدية كبقيَّة فرق الشيعة تعيش في حالةِ عَداء تاريخي مع أهل السُّنَّة، لا يَنفَكُّ إلَّا بِتَرك ادِّعاء المظلمة، والعُدول عن نظرية الحقِّ الإلهي في الإمامة.

وعليه، فإنَّ هذه الدعاوى الثلاث في مجموعها تُعَدُّ سبباً مُعتبراً في تحوُّل الزيدية إلى الرَّفض؛ إذ أنَّ الرَّفض قائم في الأساس على الطعن في الصحابة ﷺ بمن فيهم الخلفاء الراشدين الثلاثة، وهذه الدعاوى (المظالم) المتقدِّمَة مُوَجَّهَةٌ أساساً ضدَّ الصحابة، كما في المظلمة الأولى والثانية، فلما كان الأمر كذلك اعتبرت هذه الدعاوى سبباً في الرَّفض، فهي باب الرَّفض وطريقه، فإنَّك لا تجد رافضياً إلَّا وهو يَدَّعي المظلومية لأهل البيت، والله تعالى أعلم.



## المبحث الثاني

## الغلو في أهل البيت

يعتبر الغلوُّ في أهل البيت هو السبب الثاني من الأسباب المفترضة في تحوّل الزيدية إلى الرَّفض، حيث يوجد في تراث الزيدية العديد من صور الغلو في آل البيت، لا سيما عليٍّ وفاطمة وابنيهما رضي الله عنهم، فيصفونهم بأوصاف ما أنزل الله بها من سلطان، وهذا بدوره ينتقل بالزيدية من التشيُّع المعتدل إلى التشيع الغالي (الرفض)، ومن هذه الصور:

**١) ادعاء العصمة:**

دعوى العصمة من أبرز صور الغلوِّ الزيدي في آل البيت، حيث تعتقد الزيدية عصمةَ أصحاب الكساء رضي الله عنهم، وهم: علي وفاطمة والحسن والحسين، متأوِّلين بذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب: ٣٣][١].

فيعتقدون في هؤلاء الأربعة أنَّهم معصومون بأعيانهم، فلا يصدر عنهم إلَّا حق، وأقوالهم حُجَّةٌ شرعيَّة لا جدال فيها؛ وأمَّا باقي أهل البيت ذريةِ الحسن والحسين فالعصمة في جماعتهم، بمعنى أنَّهم لا يجتمعون على خطأ[٢].

---

(١) انظر: البدر المنير، لليماني [١/ ٩٩].

(٢) يقول محمد بن الحسن بن الإمام القاسم بن محمد في قوله ﷺ: (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً: كتاب الله وعترتي أهل بيتي؛ إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض): "فأخبر صلى الله عليه وآله وسلم أن العترة عليهم السلام لا تفارق الكتاب العزيز إلى يوم القيامة، فدل على عصمة جماعتهم، وعلى أن الإمامة فيهم، بما يفهم من الاستمساك..". سبيل الرشاد [٨٩].

يقول الإمام القاسم بن محمد: "فإن قيل: قد وقعَ من بعضهم ارتكابُ الكبائر، وذلك يستلزم أنَّ الأربعة، أعني: علياً وفاطمة والحسنين عليهم السلام ليس معصوم إلا جماعتهم دون أفرادهم؟.

قلت، وبالله التوفيق: ذلك باطل؛ لأنَّ وقوع المعاصي من غيرهم لا يستلزم وقوعَ المعاصي منهم ضرورة؛ ولأنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم جمعهم تحت الكساء وأشار إليهم كما في الأخبار المتواترة، فلو جُوِّز عدمُ عصمة واحد منهم لم يَجُز أن يُدخِلَه تحت الكساء ويشيرَ إليه؛ لأنَّ المـُخْرَجَ من معنى العموم لا يكون مقصوداً في خطاب العموم البَتَّة، وإنَّما يُقصَدُ به مَن عَداه، ويجعل دليل التخصيص بياناً لذلك، وإلَّا كان بَدَاء[1]، وهو لا يجوز على الله سبحانه، وكل فَرد من الأربعة عليهم السلام قد دخل في معنى الآية بدليل إدخال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهم تحت الكساء، وإشارته إليهم بخلاف غيرهم من أهل التَّمادي على الباطل من أهل الكبائر من أهل البيت عليهم السلام، فإنَّهم غيرُ مقصودين في الآية بدليل وقوع الكبائر منهم وتناول آيات الوعيد لهم، فتأمَّل!"[2].

ويقول أحد متأخري الزيدية في الكلام على (دلالة آية التطهير): "فإنَّ الآية نصٌّ صريح على أنَّه يريد أن يفعل ذلك لهم - يعني التَّطهير - حيث قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب: ٣٣]، فإذا أراد شيئاً من فِعْلِه سبحانه فَعَلَه، إذ هو على كل شيء قدير.

---

(١) البَداء: من العقائد الإمامية الاثني عشرية، وقد تقدم الكلام على هذه العقيدة في الباب الأول، فانظرها هناك.

(٢) مجموع كتب ورسائل الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد [٢٣٦ - ٢٣٧].

فإن قِيل: وما فِعْلُهُ تعالى الذي ذكرت؟ قلت وبالله التوفيق: هو عِصْمَتُه"(١).

ولا شك أنَّ اعتقاد هذه العقيدة له أثر في الدين، فاعتقاد عصمة آل البيت يجعل الصواب في جهتهم دائماً وعند كل نزاع مع غيرهم، كما حدث في قضية فدك(٢)، وكما حدث في دعوى إمامة علي، وكذا حصر الإمامة في أولاد السِّبطين مُحتَجِّين بإجماع أهل البيت(٣).

ويُعَدُّ مصطلح العِصمَة مصطلحاً شائعاً بين الزيدية والإمامية، وهذا بدوره يُسَهِّل للإمامية إمرار المعنى الإمامي على أتباع المذهب الزيدي، مع وجود جزء مُجمَعٍ عليه من معنى المصطلح، وهو عصمة الأربعة أصحاب الكساء، وبالتالي فالوصول للقول بعصمة اثني عشر إماماً يكون أمراً مُتَيَسِّراً سهلاً لتحقُّق اعتقادهم بجزئه، واعتيادهم على مصطلح (العصمة) لغير الأنبياء، وعدم إتقان كثير منهم لمعناها عندهم، فيحصل التحمُّل لعقيدة الرافضة في عصمة الأئمة بسهولة ويسر!.

**٢) القول بأن أهل البيت مخلوقون من نور قبل أن يخلق آدم:**

ومن صور الغلو الزيدي في أهل البيت، قولهم: إنَّ أهل البيت مخلوقون من نور، قبل أن يخلق الله آدم عليه السلام، ويزعمون أنَّ الله جعل ذلك النُّور في أصلاب الأنبياء والصالحين حتى صار هذا النور في صُلب عبد المطلب، فانقسم النور بين عبد الله وأبي طالب، فكان محمد ﷺ، وكان

---

(١) القول المبين في فضائل أهل البيت المطهرين [٥٥ - ٥٦].

(٢) راجع المبحث الأول: (دعوى المظلومية).

(٣) احتج الإمام القاسم بن محمد على إمامة علي بن أبي طالب، والحسن، والحسين رضي الله عنهم بإجماع العترة!. انظر: كتاب الأساس لعقائد الأكياس [١٥٦].

علي، ثم من نورهما جاءت العترة!.

يقول اليماني: "خلق الله محمداً - صلى الله عليه وآله - وخلقَ أهلَ بيته - ذريته وعترته - صلى الله عليهم - من نور خلقه قبل أن يخلق نبيَّه آدم عليه السلام .. وخلق الله سبحانه روح محمد المصطفى وروحَ علي قبل أن يخلق آدم عليه السلام، ثم نقلها إلى حواء عليها السلام، ثم نقلها إلى شِيث ثم إدريس النبي عليه السلام، ثم نقلها كذلك إلى عبد المطلب، ثم قسمها إلى قسمين، فخلق منها عبد الله وأبا طالب، ثم نقل الذي في عبد الله من نور النبي - صلى الله عليه وآله - إلى رحم آمنة بنت وَهب أمِّ النبيِّ صلى الله عليه وآله - وأمُّ عبد الله وأبي طالب واحدة - ثمَّ خلق ذُريَّة محمد من نوره صلى الله عليه وآله ووصيِّه[(١)]؛ فيالَّها من فضيلة ومَزيَّة على غيرهم من هذه الأُمَّة وغيرها ما خلا الأنبياء والملائكة يجب شُكرُها"[(٢)].

وروى العنسي في فضائل أهل الكساء: "عن النبيِّ صلى الله عليه قال: (لما أَمَرَ الله آدم بالخروج من الجنة رفع طَرْفَهُ إلى السماء، فرأى خمسةَ أشباح عن يمين العرش، فقال: إلهي؛ خلقت خلقاً قَبلي؟ فأوحى الله إليه: أَمَا تَنظر إلى هذه الأشباح؟! قال: بلى. قال: فهؤلاء الصَّفوة من نوري، اشتققت أسمائهم من اسمي، فأنا الله المحمود، وهذا محمَّد، وأنا العالي

---

(١) يعني: ومن نور وصيه، فالعترة اجتمع فيهم النور كاملاً، لأنه مجموع النورين!.

(٢) البدر المنير [١/ ١٤٢-١٤٣].

والحديث موضوع، انظر: كتاب الموضوعات، تأليف: أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، نشر: المكتبة السلفية - المدينة المنورة، ١٣٨٦هـ [١/ ٣٤٠]، الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، تأليف: محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، (ط٣)، نشر: المكتب الإسلامي - بيروت، ١٤٠٧هـ [٣٤٢-٣٤٣].

وهذا علي، وأنا الفاطر وهذه فاطمة(١)، وأنا المحسن وهذا الحسن، ولي الأسماء الحسنى، وهذا الحسين(٢)، فقال آدم: فبحقهم اغفر لي!، فأوحى الله إليه قد غفرت لك. وهي الكلمات التي قالها الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البَقَرَة: ٣٧]"(٣).

والملاحظ في هذه الرواية ومثيلاتها - على ظهور وَضعِها - أنَّها تتعارض مع قاعدة الزيدية في قبول الأحاديث، والتي تقضي بعرض الحديث على كتاب الله(٤)، والرواية المذكورة ظاهرة المخالفة لنَصِّ

---

(١) أين الاشتقاق هنا؟ إذا كان الفاطر بمعنى الخالق، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فَاطِر: ١]، والفاطمة: عكس المرضعة، ومنه قوله ﷺ: (إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة، فنِعْمَ المرضعة وبِئسَت الفاطمة!). البخاري، كتاب: الأحكام - باب: من سأل الإمارة وُكِلَ إليها [٩/ ٦٣]، برقم (٧١٤٨).

(٢) هذه القطعة من الحديث ذكرها ابن الجوزي بلفظ مقارب في كتاب الموضوعات، وقال: "هذا وضعه جعفر بن أحمد، وكان رافضياً يضع الحديث". انظر: كتاب الموضوعات [١/ ٣٤٠].

(٣) الإرشاد إلى نجاة العباد [٢١٦-٢١٧].

(٤) يستدلون على هذه القاعدة بحديث: (ألا وإنه سيكذب عليَّ كما كذب على الأنبياء من قبلي؛ فما روي عني فاعرضوه على كتاب الله؛ فما وافقه فهو مني، وأنا قلته، وما خالفه فليس مني ولم أقله). مروي في الرسالة المدنية ضمن مجموع كتب ورسائل الإمام زيد بن علي، تحقيق: محمد يحيى سالم عزَّان، نشر: دار الحكمة اليمانية - صنعاء، ١٤٢٢هـ [٣١٣]، ورواه الإمام الهادي في كتاب بيان معاني السنة ضمن مجموع الإمام الهادي [٤٧٧-٤٧٨]، كما ذكره القاسم بن محمد في المجموع [٣٥].
قال عنه الخطابي: "حديث باطل لا أصل له، وقد حكى زكريا الساجي عن يحيى ابن معين أنه قال: هذا حديث وضعته الزنادقة". انظر: معالم السنن، تأليف: أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، نشر: مطبعة محمد راغب الطباخ - حلب/ سورية، ١٣٥٢هـ [٤/ ٢٩٩].

الكتاب، فإنَّ الله تعالى قد نَصَّ في كتابه الكريم على أنَّ أصل الناس من تراب ثم تناسلوا من النُّطفَة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ﴾ [الحجّ: ٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ۝١٣﴾ [المؤمنون: ١٢-١٣]، ولا يَشك مُسلم في أنَّ الرسول محمداً ﷺ وجميعَ الرُّسُل ﵈ من الإنس؛ وبالتالي فاعتقاد أنَّ النبيَّ محمداً ﷺ خُلِق قبل آدم ينفي إنسانيته؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ﴾ [النِّسَاء: ١]. وما قيل في الرسول يُقالُ في أهل بيته!.

ومن هنا فإنَّ هذه الرواية ضعيفة على وفق منهج الزيدية في التضعيف، والقول بصحتها يدل على تناقض الزيدية، ومثل هذا يقال في الرَّد على رواية اليماني.

### ٣) سلب فضائل الصحابة:

ومن صور الغلو الزيدي في آل البيت؛ سَلبُهم لفضائل الصحابة ﭫ، ونسبتُها إلى أهل البيت؛ ذلك أنَّ نَزعَة الغلو لدى الشيعة لم تُساعدهم في تقبل أي فضيلة تُنسَب إلى أحد من صحابة الرسول ﷺ، لاعتقادهم أنَّ نِسبَة الفضل إلى الصحابة تعني التَّنقُّص من أهل البيت، وأنَّ أولى الناس بكل فضيلة هم أمير المؤمنين - علي بن أبي طالب - وبنوه، وأنَّ كل ما نُسب إلى غيره من الفضل فهو مسروق ومُحرَّف، سبَبُه المؤامرة التي حِيكَت ضد أهل البيت من الحكومات التي تعاقبت على الحكم بعد وفاة النبي ﷺ (١)،

(١) انظر ما رواه المسوري عن هذه المؤامرة المزعومة في: الرسالة المنقذة من الغواية في طرق الرواية، تأليف: أحمد بن سعد الدين المسوري، تحقيق: حمود بن عبد الله الأهنومي، نشر: مكتبة بدر للطباعة والنشر - صنعاء، ١٤١٧هـ [٥١-٥٥].

ولذا فقد عملوا على إعادة ذلك الحق إلى نِصابه - زعموا - فنسبوا الفضائل إلى من يستحقها في نظرهم، فسلبوا الصحابة كلَّ فضيلة نصَّ الدليل عليها، وأعادوا نسبتَها إلى علي رضي الله عنه، أو إلى أهل بيته، وهذا - بلا شك - ظلم سَبَّبَه الغلو!.

وقد دفعت هذه العقيدة بالزيدية إلى الأخذ عن الرَّوافض في باب الفضائل، فقَبِلَت كثيراً مما جاء عنهم في هذا من غير تمحيص، وبالمقابل فقد شَكَّكَت فيما جاء عن أهل السنة في فضائل صحابة النبي ﷺ، وطعنَت في كثير منها!.

لذا؛ فمن المتوقع أن يكون لهذا الفعل أثر بالغ في تسهيل عملية التَّحوُّل نحو الرَّفض، لأنَّ مكانة الصحابة إنَّما تُعلَم من فضائلهم، فإذا حُرِّفت الفضائل ولم تُنسَب إليهم لم يَعُد لهم كبير مكانة عند الناس، سِيَّما إذا أُضيفت إليهم بعضُ الأمور القادحة التي تطعن فيهم، كدعوى غَصْبِ الخلافة، أو ظلم فاطمة رضي الله عنها، وما شابه ذلك؛ فعندها يصير الكلام فيهم قربة إلى الله، والله المستعان!.

والشَّواهد على هذا السلب كثيرة جداً، وإليك بعضاً منها للاستشهاد على ذلك:

**الشاهد الأول**: حديث: (سُدُّوا هذه الأبوابَ إلَّا بابَ عَلي)[1].

---

(١) هذا الحديث ذكره عبد الله بن حمزة. انظر: مجموع رسائل عبد الله بن حمزة - القسم الأول [٤٣٧]، وهو مذكور في الموضوعات لابن الجوزي، وقد ذكر له عدة طرق، ثم قال: "فهذه الأحاديث كلُّها من وضع الرافضة، قابلوا بها الحديث المتفق على صحته في (سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر)". انظر: كتاب الموضوعات [١/ ٣٦٤-٣٦٦].

والحديث الصحيح (المتفق على صحته) هو: (لَا يَبقَيَنَّ في المسجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَاب أبي بَكر)[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وكذلك قوله: (سُدُّوا الأبوابَ كلَّها إلَّا بابَ عَلي)، فإنَّ هذا مما وضعته الشيعة على طريق المقابلة؛ فإنَّ الذي في الصحيح عن أبي سعيد عن النبي ﷺ أنَّه قال في مرضه الذي مات فيه: (إنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ في مَالِهِ وصُحبَتِهِ أبو بَكر، وَلَو كُنتُ مُتَّخِذاً خليلاً غَيرَ رَبِّي لَاتَّخَذتُ أَبَا بَكرٍ خَلِيلاً، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإسلَام ومَوَدَّتُه، لا يَبْقَيَنَّ في المسجِدِ خَوْخَةٌ[٢] إِلَّا سُدَّتْ إِلَّا خَوْخَة أَبي بكر)[٣]"[٤].

**الشاهد الثاني**: حديث: (يَدخُلُ الجنَّةَ مِن أُمَّتِي سَبعونَ أَلفاً لا حِسابَ عَليهِم، ثُمَّ التَفَتَ إلى عَليٍّ فقال: هُمْ شِيعَتُكَ وأَنتَ إِمامُهُم)[٥].

---

(١) رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، واللَّفظ للبخاري. انظر: البخاري؛ كتاب: الصلاة - باب: الخوخة والممر في المسجد [١/ ١٠٠]، رقم الحديث (٤٦٦)، مسلم؛ كتاب: فضائل الصحابة - باب: من فضائل أبي بكر الصديق [٩٧١]، برقم (٢٣٨٢). ولفظ مسلم: (لا تَبقَيَنَّ في المسجد خَوْخَةٌ إلَّا خَوْخَة أبي بكر).

(٢) الخَوْخَة: باب صغير كالنافذة الكبيرة تكون بين بيتين، يُنْصَبُ عليها باب. انظر: لسان العرب [٢/ ١٢٨٤].

(٣) انظر: صحيح البخاري؛ كتاب: مناقب الأنصار - باب: هجرة النبي وأصحابه على المدينة [٥/ ٥٧-٥٨]، برقم (٣٩٠٤)، صحيح مسلم؛ كتاب: فضائل الصحابة - باب: من فضائل أبي بكر الصديق [٩٧١]، برقم (٢٣٨٢).

(٤) منهاج السنة النبوية [٥/ ٣٥ - ٣٦].

(٥) مجموع رسائل الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة (ضمن المجموع المنصوري)، تأليف: الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة، تحقيق: عبد السلام الوجيه، نشر: مؤسسة الإمام زيد بن علي - صنعاء، ١٤٢٢هـ [٢/ ٤٥٤].

والحديث الصَّحيح هو: ما رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس وعِمران بن حُصَين، أنَّ رسول الله ﷺ قال: (يَدخُلُ الجنَّةَ مِن أُمَّتِي سَبعُونَ أَلفاً بِغَيرِ حِسَاب)، قالوا: مَنْ هُم يا رسولَ الله؟ قال: (هُم الَّذِينَ لَا يَستَرقُونَ، ولَا يَتَطَيَّرونَ، ولَا يَكتَوُونَ، وعَلَى رَبِّهم يَتوَكَّلُونَ)[١].

**الشاهد الثالث**: حديث: (النُّجومُ أَمَانٌ لِأهلِ السَّمَاءِ، وَأَهلُ بَيتِي أَمَانٌ لِأَهلِ الأَرضِ، فإذا ذَهَبَتِ النُّجومُ مِنَ السَّمَاءِ أَتَى أَهلَ السَّمَاءِ مَا يُوعَدُونَ، وإِذَا ذَهَبَ أَهلُ بَيتِي مِنَ الأَرضِ، أَتَى أَهلَ الأَرضِ مَا يُوعَدُونَ)[٢].

والحديث الصحيح هو: ما رواه مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: (النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فإذا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّماءَ مَا تُوعَدُ، وأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصحَابي، فإِذَا ذَهَبتُ أَتَى أَصحَابي ما يُوعَدُونَ، وأَصحَابي أَمَنَةٌ لِأُمَّتي فإذا ذَهَبَ أَصحابي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ)[٣].

فيظهر من خلال الشَّواهد السَّابقة أنَّ الزيدية قد نَهجَت سبيلَ الرافضة في سَلبهم لفضائل الصحابة رضي الله عنهم وإلحاقها بأهل البيت، أو بشيعتهم، إيغالاً منهم في توسيع الفجوة بينهم وبين الصحابة رضي الله عنهم، مما يؤدي إلى التقليل من شأن الصحابة والتهوين من خطورة الطعن فيهم، إذ ليس لهم فضائل تُذكر!.

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب: الرقاق - باب: (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) [٨/ ١٠٠]، برقم (٦٤٧٢)، صحيح مسلم - واللَّفظ له - كتاب: الإيمان - باب: الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب [١١٥]، برقم (٢١٦).

(٢) مجموع رسائل الإمام الهادي (الرسائل الأصولية) [٤٩٤ - ٤٩٥]. وقد ذكره الشيخ الألباني في السِّلسلة الضعيفة [١٠/ ٢٣٤]، برقم (٤٦٩٩).

(٣) صحيح مسلم؛ كتاب: فضائل الصحابة - باب: بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه وبقاء أصحابه أمان للأُمَّة [١٠٢٢]، برقم (٢٥٣١).

### ٤) غلو الزيدية في علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

وهذه صورة أخرى من صور الغلو الزيدي في آل البيت رضي الله عنهم، فقد غلت الزيدية كبقية الشيعة في حبِّ الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فظهر هذا الغلو من خلال كثير من المرويات الضعيفة والموضوعة التي راجت لديهم رغم ضعفها الواضح؛ فأوردوا فيه أخباراً كثيرة أرادوا من خلالها أن يرفعوا من منزلته على باقي الصحابة، وما شَعَروا بأنَّهم قد جاوزوا الحدَّ حتى رفعوه فوقَ الأنبياء والمرسلين، وإن لم يُصرِّحوا بهذا، إلَّا أَنَّ أقوالَهم قد دلَّت على ذلك، فلم يَعُد الفرقُ بين الزيدية والإمامية الرافضة تجاهَ علي وآل بيته كبيراً، بل سِتارٌ رقيق يُوشك أن يُهتَك، فَيَصْدُقُ فيهم قولُ القائل: ائتني بزيدي صغير أُخرج لك منه رافضياً كبيراً![1].

وإليك بيان هذه الصورة من الغلو الزيدي في علي بن أبي طالب رضي الله عنه فيما يأتي:

#### أ) روايات غالية في علي رضي الله عنه:

من هذه الروايات:

- حديث: "عليٌّ خَيرُ البَشَرِ فَمَنْ أَبَى فَقَد كَفَرَ"[2].

هذه الرِّواية - زيادة على كونها موضوعة - تثبت صفة لعلي رضي الله عنه

---

(١) مقولة شهيرة قديمة تناقلها العلماء، فقد ذكرها المقبلي رحمه الله في القرن الحادي عشر في كتابه العلم الشامخ، ولم يذكر صاحبها. انظر: العلم الشامخ [٤٦٨-٤٦٩].

(٢) ذكره العنسي في الإرشاد إلى نجاة العباد [٢١٤]، ويحيى بن حمزة في التمهيد [٢/ ٥٩٧].

الحديث: موضوع. انظر: كتاب الموضوعات لابن الجوزي [١/ ٣٤٨-٣٤٩]، الفوائد المجموعة في الأحاديث الضعيفة والموضوعة للشوكاني [٤٣٩].

وحكماً؛ أمَّا الصِّفة: فهي صفة الخيريَّة على البَشر، ولا شك أنَّ من يَفهم معاني الألفاظ العربية يُدرك أنَّ (ال) إذا دخلت على الأسماء أفادت العموم، وبالتالي يصير معنى الجزء الأول من الجملة أنَّ علياً أفضلُ من كل البَشر بما فيهم الأنبياء والرسل!.

وهذا المعنى باطل، لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ۝٦٩﴾ [النِّسَاء: ٦٩]، فجعل درجة النبوة أعلى الدرجات، وهذا أمر لا يشك فيه إنسان سوي صاحب دين فضلاً عن أن يكون مسلماً!.

وأما الحُكم: فهو التَّكفير لمن يأبى تلك الصفة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ؛ وهذا إيغال في الغلو، وإغراءُ بالباطل!.

فإن قال قائل: إنَّه لم يُرَد به العموم المطلق، إنَّما المراد به العموم المخصوص فيما سوى الأنبياء. يقال له: اللَّفظ جاء عامّاً، والأصل أن يدل على عمومه، ثم لو جاز لكم التخصيص بمَن سوى الأنبياء، لجاز لأهل السنة أن يَستثنوا منه، بمعنى: أنَّكم كما استثنيتم الأنبياء، فأهل السنة يستثنون الأنبياء وثلاثة من الصحابة دلَّ الدليل عندهم على استثنائهم، فلم يَعُد في الرواية خصيصةٌ لِعَليٍّ رضي الله عنه !.

فلذا فإنَّ الرواية مفادُها يدل على الغلو في علي رضي الله عنه، والإغراء بالباطل كما تقدم، والله أعلم.

- حديث: "مَنْ أرادَ أنْ يَنظرَ إلى آدمَ في عِلمِهِ وإلى نُوحٍ فِي تَقوَاه، وإلى إبراهيمَ في حِلمِهِ، وإلى مُوسَى في هَيبَتِهِ، وإلى عِيسَى في

عِبادَتِه، فَلْيَنظُر إلى عليٍّ بنِ أبي طالب"(١)

وهذا الحديث بمعنى الأوَّل، فقد جعلوا عليّاً في هذا الخبر صَفوَةَ الخلق، فأعطَوهُ من كل نَبيٍّ خَيرَ ما وُصِفَ به، فكان هو خير البَشر كما مر في الخبر السَّابق، سيَّما إذا علمنا أنَّهم يَدَّعون عصمة علي بن أبي طالب، فعندها يُصبِحُ تفضيله على الأنبياء ظاهراً!.

- حديث: "النَّظَرُ إلى وَجهِ عليٍّ عِبَادَة"(٢).

إنَّ نِسبَة هذه الفضيلة إلى علي رضي الله عنه تُعَد تجاوزاً في الحدِّ، وغلوّاً غيرَ مسموح به؛ فهذا الفضل الذي يزعمونه لم يَرد حتى في النبي ﷺ!.

والعَجيبُ؛ أنَّ الزيدية تُنْكِرُ على أهل السُّنَّة إثباتَهم فضلَ الصُّحبَة بمجرد رؤية النبي ﷺ مع الإيمان، في الوقت الذي يجعلون فيه النظر إلى من هو دونَ النبي ﷺ عبادة، ولا يخفى ما يترتب على العبادة من لزوم الأجر والثواب، وهذا بلا شك من التناقض أولاً، ثم هو من القول على الله بغير علم، والله أعلم.

**ب) ذِكر علي في الملأ الأعلى:**

ومن مرويات الغلو الزيدي في علي بن أبي طالب رضي الله عنه روايات تشير إلى أنَّ علياً مذكور في الملأ الأعلى، حيث أوردوا عدداً من الأحاديث

---

(١) التمهيد [٢/ ٥٩٨]، كما ذكر اليماني مثله في خصائص علي في كتابه: البدر المنير [٢/ ٢٠٧].

والحديث: موضوع. انظر: كتاب الموضوعات لابن الجوزي [١/ ٣٧٠]، والفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني [٤٥٨].

(٢) انظر: الإرشاد إلى نجاة العباد، للعنسي [٢١٤].

الحديث: موضوع. انظر: كتاب الموضوعات لابن الجوزي [١/ ٣٥٨-٣٦١]، الفوائد المجموعة للشوكاني [٤٥٠].

التي تبيِّن مكانة علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الملأ الأعلى وهي مقتبسة من حادثة المعراج، ومن هذه الأحاديث حديثان:

**الأوَّل**: يرويه اليماني عن النبي ﷺ قال: (لما أُسريَ بي إلى السَّماء إذا مَلكٌ قد أَتانِي فقال: يا محمَّد سَلْ مَنْ أرسَلنا مِنْ قَبلِكَ مِن رُسُلِنا عَلى مَا بُعِثوا؟، فقال: مَعاشِرَ الرُّسُل والنَّبيِّين: عَلَى مَا بَعَثَكُم اللهُ قَبلِي؟. قالوا: عَلى ولَايَتِكَ يا مُحَمَّدُ ووُلَايَةِ عَليٍّ بنِ أبي طالِب)[1].

يُريد اليَماني مِن هذا الخبر إظهارَ مكانة عليٍّ وأنَّه قد ذُكِر في الملأ الأعلى، وأنَّ الأنبياء قد بُعِثوا لِتَبشير النَّاس بالنبيِّ الخاتم محمَّد ﷺ، وإمامةِ خليفتِه علي بن أبي طالب رضي الله عنه !.

وهذا من إلحاق الباطل بالحق، فإنَّ اللهَ قد أخذَ الميثاقَ على الأنبياء على أن يؤمنوا بمحمد ﷺ، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عِمرَان: ٨١]، وقد بَشَّروا به فعلاً حتى كان أهلُ الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبنائهم، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [البَقَرَة: ١٤٦]، وهذا حقٌّ. وأمَّا التبشير بولاية علي فهذا أمر زائد على ما ورد في الآية ولا دليل عليه؛ لأنَّ الحديث الذي ذكره اليماني لا يَصحُّ الاحتجاجُ به لأنَّه (موضوع).

---

(١) البدر المنير [٢/ ١٩٩].

الحديث: موضوع. انظر: تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، تأليف: أبي الحسن علي بن محمد بن عراق الكناني، تحقيق: عبد الوهاب عبداللطيف، وعبد الله محمد الصديق، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت [١/ ٣٩٧].

**الثاني**: رَوَى العَنسِيُّ: "أنَّ رسولَ الله ﷺ لما عُرِجَ به إلى السماء رأى رجلاً على صورة علي عليه السلام في السَّماء حتى لم يُغادِر منه شيئاً، ظَنَّهُ عليه السلام علياً، فقال: يا أبا الحسن كيف سبقتنا إلى هذا المكان؟ فقال له جبريل: ليس هذا عليَ بن أبي طالب، هذا ملكٌ على صورته، وإنَّ الملائكة مِن كَثرَةِ ما سمعوا من فضل علي اشتاقوا إليه، فسألوا رَبَّهم أن يكونَ لهم مَن هو على صورته فيَرَونَه"[١].

هذه الفَضيلَة التي تُنسَبُ لِعَليٍّ ولم يَتَجاوَز عُمرُه العشرين حِينَها، ولَـمَّا يتزوج بفاطمة بنتِ رسول الله صلى الله على أبيها ورضي عنها، ولَـمَّا يَرفَعْ في سبيل الله سَيفاً!، فكيف هو الحال بعد أن صارت له الفضائل اللَّاحقة؟![٢].

### جـ) دعوى أنَّ علياً سيِّد الأوصياء:

ومن صور غلو الزيدية في الإمام علي ورفعه فوق مكانته أنَّهم يصفونه بسَيِّد الأوصياء، ويقصدون بالأوصياء: الأنبياء الذين خَلَفوا الرُّسُلَ بوصيَّة منهم، ويمثِّلون بيوشع بن نون. يقول اليماني: "وقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (وهو سَيِّدُ الأَوصِيَاء)[٣]، وأَوصياء الأنبياء عليهم السلام أنبياء، وعليٌّ سيِّدُهم، لأَنَّه وصيُّ سيِّدِ الأنبياء، ولَو زادَت الأنبياءُ بالنبوَّة، لأنَّه لا مانعَ أن يكونَ عليٌّ صلى الله عليه سيِّدُهم من غيرها - أَعني: النبوَّة - لأنَّ

---

(١) الإرشاد إلى نجاة العباد [٥٦٥].
والحديث: لم أجده في كتب أهل السنة!.

(٢) لأن الإسراء كان في مكة في السنة العاشرة من البعثة، وقد أسلم في بداية البعثة ولم يتجاوز العاشرة، وتزوج بفاطمة رضي الله عنها بعد الهجرة، بعد غزوة بدر. وفي المدينة شرع الجهاد في سبيل الله، فكانت بدر أولى الغزوات في السنة الثانية من الهجرة.

(٣) حديث موضوع. انظر: الفوائد المجموعة في الأحاديث الضعيفة والموضوعة [٣٨٣].

الإمامة قدرُها عظيم، ولهذا بَشَّرَ اللهُ إبراهيمَ - صلى الله عليه - بها، فقال: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [البَقَرَة: ١٢٤]، فامتَنَّ بها عليه وجعلها عَهداً له كالنبوَّة، وعلى الجملة فإنَّه لا طريقَ إلى قدر المفاضلة إلَّا الوَحي، وقد ورد في علي عليه السلام من الفضائل والخصائص كثيرٌ يَصعب حصرُها، فلَه عليه السلام خواص فضَّلَه اللهُ بها، إلَّا أنَّها كرامات وليسَت مُعجزات لاختصاص الأنبياء عليهم السلام بالمعجزات، جعلها الله له وخصَّه بها دون الناس، إلَّا من فضَّلَه الله عليه من الأنبياء عليهم السلام، فأكرم الله علياً عليه السلام بتلك الكرامات ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ﴾ [البَقَرَة: ٢٤٧]، ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنعَام: ٥٣].."(١).

هذا يؤكد ما سَبق من غلوِّ الزيدية في علي رضي الله عنه، فقد جعلَه اليماني - مستشهداً بالحديث الذي رواه - أفضلَ من كثير من الأنبياء، فهو سيد طائفة من الأنبياء، وهم: (الأوصياء) بسبب الإمامة، فصارت صفةُ النبوَّة هنا غير مؤثرة في الفضل؛ فماذا بقي حتى يقول بصراحة: الإمامة أفضلُ من النبوَّة، والإمامُ خيرٌ من النبي، ليكون بذلك إمامياً؟!.

كما تروي الزيدية لعلي رضي الله عنه من الكرامات ما هو أشبه بالمعجزات، مما لا يبلغه حتى النبيُّ محمد ﷺ، فقد روى الصَفَّار بسَنده عن أسماءَ بنتِ عُمَيس(٢): "أنَّ علي بن أبي طالب دَفعَ إلى النبيِّ صلى الله عليه- وقد

---

(١) البدر المنير [١/ ٣٥٣].

(٢) صحابيَّة شهيرة، أسلمت قديماً بمكة، وهاجرت الهجرتين مع زوجها جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وبعد أن قُتل جعفر في السنة الثامنة من الهجرة تزوجها أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وظلَّت معه إلى أن مات، ثم تزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وماتت بعده في سنة ٤٠هـ. انظر: صفة الصَّفوة، تأليف: جمال الدين أبي الفرج بن =

أوحي إليه - فجَلَّلَه بثوبه، لم يزل كذلك حتى أدبَرت الشمس، يقول: غابت، فلمَّا سُرِّيَ عن النبي صلى الله عليه رفع رأسَه، فقال: (صَلَّيتَ يا عليُّ العَصرَ؟)، فقال: لا، فقال رسول الله صلى الله عليه: (اللَّهُمَّ ارْدُدْها على عَلِي)، قالت أسماء: فواللهِ لَنَظَرتُ إليها بيضاءَ على هذا الجبل حتى صلَّى، فرأيتُها طلعت حتى صارت وَسَطَ المسجد"[(١)].

وهذا الخبر يحمل في طياته قدراً كبيراً من الغلو، وضَعفُه ظاهر بحسب قاعدتهم في العرض على الكتاب، فإنَّ الشمس إذا طلعت من المغرب فتلك علامة كبرى من علامات الساعة، فلا جدوى في صلاة عليٍّ العصرَ، لأنَّه لا ينفعُ عملٌ بعد هذه العلامة. قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨][(٢)]، وجانب الغلو في الحديث أنَّ النبي ﷺ صلَّى العصرَ يومَ الخندق بعد أن غربت الشمس[(٣)]، ولم يرُدَّها اللهُ عليه كما ردَّها لِعَلِي، فكان عليٌّ

---

= الجوزي، تحقيق: محمود فاخوري، (ط٣)، نشر: دار المعرفة - بيروت، ١٤٠٥هـ [٢/ ٦١]، أُسد الغابة [٧/ ١٢-١٣]، الأعلام [١/ ٣٠٦].

(١) الأربعون في فضائل أمير المؤمنين (أمالي الصفَّار) تأليف: الحسن بن علي الصفار، تحقيق: عبد السلام بن عباس الوجيه، نشر: مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية - صنعاء، ١٤٢٤هـ [٣٧-٣٨]، وأخرجه ابن الجوزي في الموضوعات [١/ ١٥]، والألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، نشر: مكتبة المعارف - الرياض، ١٤١٢هـ [٢/ ٣٩٥-٣٩٦]، برقم (٩٧١).

(٢) انظر تفسير الآية من خلال تفسير ابن كثير [٣/ ٣٧١-٣٧٦].

(٣) روى الترمذي عن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال يوم الأحزاب: (اللَّهُمَّ امْلأ قبورَهم وبيوتَهم ناراً كما شغلونا عن صلاة الوسطى حتى غابت الشمس). قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح قد روي من غير وجه عن علي رضي الله عنه. انظر: سنن الترمذي؛ كتاب: تفسير القرآن - باب: (٣)، ومن تفسير سورة البقرة [٥/ ٢١٧-٢١٨]، رقم الحديث (٢٩٨٤).

بذلك أكرمَ على الله من محمد ﷺ !.

والعجيب؛ أنَّه على الرغم من وضوح الوضع في هذه المرويات إلَّا أنَّه لا يُنقَل عن علمائهم نقد لهذه الروايات، ولا مِن مُحقِّقي كتب الأئمة والعلماء الزيديين، مع مُخالَفتها الظاهرة للنَّصِّ القرآني في كثير من الأحيان، وهذا يدل على تقريرهم لهذه المرويات وتصديقهم لها، والله أعلم!.

**د) غلو العوام في علي:**

ولما كان العلماء يمرِّرون ما ذكر من الفرائد الغالية[1] في علي رضي الله عنه، فقد اقتدت العامَّة بهم، فاخترعوا له عدداً من الخوارق التي يظنون أنَّها تُعلي من شأنه، فنسبوا إليه بعضَ الظواهر في الطبيعة وجعلوها من فعله، وقد ذكر الشيخ محمد الإمام - حفظه الله - بعضاً مما نُسِبَ إلى الإمام علي من هذه الخوارق - عند اليمنيين - في أماكن عديدة من بلاد اليمن لم يصل إليها رضي الله عنه، ولا مَرَّ بها في حياته![2].

**٥) الغلو في قبور أهل البيت:**

وتظهر هذه الصورة من الغلو من خلال المظهرين التاليين:

**الأول: بناء القِباب والمَشاهد على قبور أهل البيت:**

حيث تنتشر على طول بلاد الزيدية العديدُ من القِباب والمشاهد

---

(١) الغالية: أقصد من الغلو، وليس من علوِّ الثمن!.

(٢) انظرها في كتاب: طعون رافضة اليمن في صحابة الرسول المؤتمن ﷺ، للإمام [٨٨ - ٨٩].

ومن تلكم الظواهر: بعض الشقوق الموجودة في بعض الجبال يزعمون أنَّ علياً شقَّها بسيفه!. نفس المصدر.

والمزارات - على مدى عدَّة قرون من الزَّمان - لأئمةٍ وصالحي أهلِ البيت، حيث ارتبط لديهم مفهومُ المحبَّة لآل البيت بمدى ما يقدِّمونه من اهتمام بقبورهم، حتى إنَّ الإمام عبدَ الله بن حمزة قد همَّ بأن ينقل رُفاتَ أخيه إبراهيم من (لَصْف)(١)، لما رأى أنَّهم لم يُعظِّموه بعد موته(٢)!.

ولِكَثرة عدد القِباب والمشاهد في بلاد الزيدية فإنَّه يَصعُب حصرُها في هذا المبحث، فقد أُلِّفَ في تعدادها مؤلفات، منها كتاب بعنوان: (دليل الزائر إلى قبور أئمة أهل البيت الطاهر في اليمن)(٣)؛ ذكر فيه قبور الأئمة(٤) في كل منطقة من المناطق اليمنية التي وجدت فيها هذه القبور، مع تعريف بصيغة دعاء زيارة الأئمة، وإليك تعريفاً ببعض من المشاهد التي ذكرها:

ففي مدينة صَعدة: في مسجدها الجامع المسمَّى (مسجد الهادي)، توجد بداخله خمسُ قِباب، وفي كل قُبَّة عدد من التَّوابيت، وفي كل تابوت عدد من القبور، فمثلاً:

**القبة الأولى:** فيها أربعة توابيت، ففي الأول:

- الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي، مؤسس دولة الزيدية في اليمن (ت: ٢٩٨هـ).

---

(١) منطقة في بلاد اليمن، لم أجد لها بياناً في كتب البلدان التي بين يدي.

(٢) انظر: مجموع مكاتبات الإمام عبد الله بن حمزة، تأليف: الإمام المنصور بالله عبد الله ابن حمزة، تحقيق: عبد السلام عباس الوجيه، نشر: مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية - صنعاء، ١٤٢٩هـ [١٠٦ - ١٠٧].

(٣) ومنها أيضاً: كتاب القبورية، لأحمد بن حسن المعلم.

(٤) لم يقتصر المؤلف على ذكر قبور الأئمة، بل ذكر قبوراً أخرى لأناس من أهل البيت ليسوا أئمة.

- ولده الإمام المرتضى محمد بن يحيى بن الحسين بن القاسم (ت: ٣١٠هـ).
- عمُّ الإمام الهادي: الحسن بن القاسم بن إبراهيم الرسي.

التابوت الثاني: وفيه قبر الإمام الناصر أحمد بن الإمام الهادي (ت: ٣٢٥هـ).

التابوت الثالث: وفيه:

- الإمام المختار، القاسم بن الإمام الناصر، قتل سنة (٣٤٥هـ).
- الإمام المنتصر، محمد بن المختار القاسم بن الناصر (ت: ٣٦٥هـ).
- الإمام المستنصِر بالله، الحسن بن المختار بن الناصر بن الهادي.

التابوت الرابع، وفيه: الإمام المتوكل على الله علي بن الإمام أحمد ابن الإمام القاسم بن محمد (ت: ١١٢١هـ)[(١)].

وهذه القبور مَزورة إلى يومنا هذا، بل هي من أكثر قبور الأئمة تعظيماً في بلاد الزيدية على الإطلاق، لا سيما وفيها قبر الإمام الهادي مؤسِّس الدولة الزيدية في اليمن.

**الثاني: اعتقاد النَّفع والضُّر فيهم:**

بالإضافة إلى بناء القِباب فإنَّ للزيدية اعتقاداً في أولئك المقبورين تحت تلك القِباب، فهم يعتقدون بمزيةٍ لتلك الأماكن على غيرها بحلول البركات فيها، وإجابة الدَّعَوات، ونزول الرَّحَمات. يقول أحدُهم عن قُبَّة الإمام الهادي: "وبداخل تلك القُبَّة أنوارُ النبوَّة لائحَة، وأعلامُ الأئمة بارزة

---

(١) انظر: دليل الزائر إلى قبور أئمة البيت الطاهر في اليمن، تأليف: إبراهيم يحيى الدرسي الحمزي، نشر: المركز المنصوري للدراسات الإسلامية، ١٤٣١هـ [٧٣-٧٨].




واضحة، روضة تَحلُّها الملائكة، وتَهوي إليها الأفئدةُ المؤمنة"[(١)]، ويقول أيضاً: "مَسألةُ التَّبرُّك بآثار الصالحين والتَّمسُّح بالتُّراب من قبورهم لطلب الشِّفاء، أو غير ذلك لا ضيرَ في فعله على الوجه الشرعي.."[(٢)].

وليس هذا بغريب على أتباع المذهب الزيدي، فلقد كان لهم في أئمتهم قدوة، فهذا الإمام عبد الله بن حمزة مجدِّد المذهب الزيدي في القرن السادس وبداية القرن السابع يَحُضُّ أهل لَصْف على تعظيم قبر أخيه إبراهيم بن حمزة المقتول في لَصف سنة اثنتين وستمائة للهجرة، ويُهدِّدهم بأنَّه سينقل رفاتَه إلى مَن يَعرفُ قَدرَه. يقول في رسالته إلى أهل لَصف: "فقد بَلغَنا جفوتُكم للشهيد الذي ثَوَى بين أظهركم، وحَطَّ رَحلَه في أفنيتكم، وجادَ بنفسه دونَ بلادكم.. فهلا - رحمكم الله - استشفيتم بتراب مَصرعه من الأدواء، وسألتُم بتربةِ مَضجَعِه رفعَ الأسواء، واستمطرتم ببركة قبره من رحمة ربِّكم طوالعَ الأَنواء، وعظَّمتُم حالَه كما يُعظَّمُ حالُ الشُّهداء، وأوجبتم من حَقِّه ما ضيَّع الأعداء، وعَمرتم على قبره مَشهداً، وجعلتموه للاستغفار مَثابةً ومقصداً، ونذرتم له النُّذورَ تقرُّباً، وزُرتموه تَوَدُّداً إلى الله سبحانه وإلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وإلينا، وتحبُّباً.. أَلَا فاعلموا - بعد الذي بلغنا عنكم - أنَّا قد قَلينا له جِوارَكم، ورَغِبنا به عن داركم، وعملنا - بعد الخيرة لله سبحانه - على نقله من أوطانكم إلى مَن يَعرِفُ حَقَّه.."[(٣)].

ولقد بلغ الغلو عند الزيدية بقبور أهل البيت أن ابتدعوا لذلك صلوات مخصوصة، أسموها صلاةَ الزيارة، منها ما يكون عند القبور، ومنها ما

(١) دليل الزائر إلى قبور أهل البيت الطاهر في اليمن، لإبراهيم الدرسي [٧٣].
(٢) دليل الزائر [٣٣].
(٣) مجموع مكاتبات الإمام عبد الله بن حمزة [١٠٦ - ١٠٧].

يكون في البُعد لمن لم يتمكَّن من الزيارة، ولها ركوع وسجود. يقول العَنسيّ: "وأمَّا صلاةُ زيارة قبور أهل البيت عليهم السلام عند أَلّا تَتَمَكَّنَ من الوصول إليهم، فروي عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنَّه قال: (إذا بَعُدَت بأحدكم الشُّقَّة ونَأَتْ به الدَّارُ فَلْيُصَلِّ ركعتين، ولْيُومِئ بالسَّلام إلى قبورنا فإنَّ ذلك يَصِلُ إلينا).

وأما صلاة الزيارة عند الاتِّصال، فروي عن الرِّضا عليه السلام أنَّه قال: (مَنْ زارَ قَبرَ أميرِ المؤمنين عليه السلام، فليُصَلِّ عند رأسه سِتَّ ركعات، فإنَّ في قبره عِظامَ آدمَ، وجُثَّة نوح، وأميرَ المؤمنين، فَمَن زارَ أميرَ المؤمنين فقد زارَ نوحاً وآدمَ وأميرَ المؤمنين)"(١).

فأيُّ غلو هذا؟!. وهذه الروايات المنسوبة إلى أهل البيت لا شكَّ أنَّها كذب عليهم، فحاشاهم أن يَدعُوا الناسَ إلى الشِّرك الصُّراح، بل لو صَحَّت نسبتُها إلى أهل البيت لم يكن في ذلك حُجَّة؛ وربُّنا سبحانه وتعالى يقول: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]، ويقول: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل: ٦٢]، ورسول الله ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: (لَعَنَ اللهُ اليهودَ والنصارى اتخذوا قبورَ أنبيائهم مَساجد). قالت عائشة: (فَلَولا ذاك أُبرِزَ قَبرُه، غيرَ أنَّه خَشيَ أن يُتَّخَذَ مَسجِداً)(٢)، وسيأتي مزيدُ

---

(١) الإرشاد إلى نجاة العباد، للعنسي [٤٢٦].

(٢) صحيح البخاري؛ كتاب: الجنائز - باب: ما جاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر [٢/ ١٠٢] برقم (١٣٩٠)، صحيح مسلم؛ كتاب: المساجد - باب: النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها، والنهي عن اتخاذ القبور مساجد [٢١٤]، برقم (٥٢٩).

بيان عند ذكر مظاهر التحوُّل إلى السنة إن شاء الله.

ومما تقدم يُلاحَظ أنَّ غلوّاً ظاهراً أصابَ الزيديةَ في علاقتها بأهل البيت، بداية بِعَليٍّ وفاطمة والحسنين ، وانتهاءً بأئمة أهل البيت وصالحيهم؛ وهذا الغلو قد صحبه تفريط واضح في جانب الصحابة، حتى ظنَّ كثير من عوام الزيدية أنَّ بُغضَ الصحابة والبراءةَ منهم ومن أهل السنة لازم من لوازم المحبَّة لأهل البيت، وأنَّه لا اجتماع بين حبِّ الصحابة وحبِّ الآل، فكان ذلك سبباً من الأسباب التي أدَّت إلى التَّحوّل[1]، والله أعلم.



(١) وانظر: الإمامية والزيدية وجهاً لوجه - نظرة الإمامية الاثني عشرية للزيدية بين عداء الأمس وتقية اليوم، تأليف: محمد الخضر، نشر: دار القدس للطباعة والنشر - صنعاء، ١٤٣٢هـ [٢٢ - ٢٣]، جناية أدعياء الزيدية، للديلمي [٢٠١].

## المبحث الثالث

## تخبط الزيدية في التعامل مع السنة

وهذا هو السَّبب الثالث من أسباب التحوُّل إلى الرَّفض عند الزيدية، وذلك أنَّ تخبُّط الزيدية في التعامل مع السُّنَّة أدَّى إلى خلط مذهبهم بمذهب الرَّافضة، واعتمادِهم على كثير من مرويات الرَّافضة.

وهناك العديد من صور التخبط الزيدي في التعامل مع السنة، لعلَّ الأبرز منها أربع صور:

**الأولى: اتخاذ منهج في قبول المرويات وردِّها غيرِ منهج المحدثين:**

فنتيجة للقصور الملحوظ لدى الزيدية في علم الرِّجال، وعدم معرفة المقبول والمردود من الرواة، لفَّقوا لأنفسهم منهجاً في القبول والرَّد مُتأثرين ببُعدَين رئيسين:

الأوَّل: البُعد العقلي الاعتزالي.

والثاني: البُعد الشيعي.

فأمَّا البُعد الاعتزالي فيُغلِّبُ جانبَ العقل، فلا يقبل ما يَرفضه العقل بزعمهم، فكانوا فيه تبعاً للمعتزلة، وأمَّا البُعد الشِّيعي: فيُغلِّبُ جانبَ العاطفة تجاهَ أهل البيت، مع محاولة الانتصار لهم من معارضيهم، فكانوا فيه تَبَعاً للرافضة، فحصلَ لدى الزيدية تناقضات كثيرة رافقت استخدامَهم لهذين البُعدين، فتنكَّرت لكثيرٍ من السُّنَّة الصحيحة[1]، وصحَّحَت كثيراً من

---

(١) كأحاديث النزول، وأحاديث الرؤية، وغيرها.

المرويات الضعيفة والمكذوبة(١).

فالسُّنَّة عند الزيدية خليط، غير واضحة المعالم؛ فلا هي سُنَّة أهل الحديث، ولا هي سُنَّة الروافض؛ لكنَّها اقتربت في باب الفضائل كثيراً من الرَّوافض، فقد تَتَبَّعَتِ المرويات المشتملة على الغلو في أهل البيت، أو الحطِّ من الصحابة، كما أوضحنا ذلك في المبحث الثاني.

كما اعتمدت الزيدية في قبول الأحاديث وردِّها على بعض القواعد الشَّاذَّة، منها:

١) العَرض على القرآن؛ وذلك أنَّهم يَعرضون الروايات الواردة عن مخالفيهم على القرآن، فما وافق القرآن قَبِلوه، وما خالَفَه ردُّوه، مُستدلين على ذلك بحديث: (أَلَا وإِنَّهُ سَيُكذَبُ عَلَيَّ كما كُذِبَ على الأنبياء مِن قَبلِي، فما رُوِيَ عَنِّي فاعرِضُوه عَلَى كِتابِ الله؛ فَمَا وافَقَهُ فَهُوَ مِنِّي وأنا قُلتُه، وما خَالَفَهُ فَلَيسَ مِنِّي ولم أَقُلْهُ)(٢)، إلَّا أنَّ هذا العَرض كان مشوباً بِعدَّة أمور، منها:

**أولاً**: أنَّ القرآنَ حمَّالٌ ذو وجوه؛ ومعنى هذا: أنَّ العرض يتأثر بعقيدة العارِض - أعني: الذي يَعرِض الرواية على القرآن - فما وافق تأويلَه صحَّحه، وما خالَفَه رَدَّه، فتكون الحقيقة أن يقال: ما وافق عقيدة الزيدية أخذوه وما خالفها رَدُّوه.

---

(١) تقدمت الإشارة إلى بعض المرويات الموضوعة في المبحث السابق.

(٢) ذكره غير واحد من أئمة الزيدية، منهم: الإمام الهادي في كتاب (بيان معاني السنة)، وهو ضمن مجموع الإمام الهادي [٤٧٧-٤٧٨]، والقاسم بن محمد في المجموع [٣٥]، وقد أبطل هذا الخبر أئمة الأثر. قال الخطابي: "حديث باطل لا أصل له، وقد حكى زكريا الساجي عن يحيى بن معين أنه قال: هذا حديث وضعته الزنادقة". معالم السُّنن للخطابي [٤/ ٢٩٩].

وقد أشار إلى هذا العلامَة المقبلي فقال: "وغيرُ الرافضة من الشيعة وهم الزيدية تَذَبذَبُوا كثيراً في هذه المسألة واختبطوا، إذا جاءهم الحديث بما تَهوى أنفسُهم قَبِلُوه حتى عَمَّن يُفَسِّقونَه بالبَغي، مثلاً كما تراه في أول حديث في (الشِّفاء)[1]، وفي سائره، وفي غيره من كتبهم، فإذا جاء الحديث بما لا تهوى أنفسُهم رَدُّوه.."[2].

**ثانياً**: أنَّ من المرويات ما لا يَظهَر تعارضُها مع القرآن، وهي في حقيقتها موضوعة، فيكون الحكم الذي تقتضيه بحسب قاعدتهم أن تُقبَلَ هذه المرويات لموافقتها القرآن وعدم معارضتها له، فتُقبَل كثير من الروايات المكذوبة. والشواهد على ذلك كثيرة، كما في بعض أحاديث الفضائل[3].

٢) العرض على العقل: وكما اعتمدت الزيدية على عَرض المرويات على القرآن، فقد اعتمدت أيضاً على العرض على العقل، فما وافق منها عقولَهم قَبِلوه، وما لم يوافق عقولهم رَدُّوه[4]، فحصل أن اختلفت أنظارُهم

---

(١) قال في (الشفاء): "باب: تعيين المواضع المنهي عن قضاء الحاجة فيها. (خبر): وروي عن النبي ﷺ: (أنه كان إذا أراد البراز لا يراه أحد). رواه المغيرة. (خبر): وروى المغيرة أن النبي ﷺ كان إذا ذهب إلى الغائط، أو قال: خرج من الغائط أبعد وتستر عن العيون، يريد خرج إلى الغائط..)". شفاء الأوام في أحاديث الأحكام للتمييز بين الحلال والحرام، تأليف: الحسين بن بدر الدين، تحقيق ونشر: جمعية علماء اليمن - اليمن، ١٤١٦هـ [١/ ٢٥-٢٦].

(٢) العلم الشامخ [٤٦٨].

(٣) كحديث الطير: "اللهم ائتني بأحب الناس إليك يأكل معي هذا الطير". حديث موضوع. انظر الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني [٤٧٤].

(٤) يقول العلامة الزيدي صلاح فليته: "العقل هو الحجة الأولى الموجودة مع كل مكلف". القول المبين في هداية المسترشدين [٧١].

في القبول والرَّد لغير سَببٍ ظاهر، بل لمجرد الدَّعوى على العقل، أو الذَّوق، فردُّوا أحاديثَ كثيرة صحيحة في السُّنَّة بِحُجَّة مخالفةِ العَقل.

فمثلاً: ردَّ بدرُ الدين الحوثي ما رواه البخاري عن الزُّهري في قصَّة الحديبية عن مروان بن الحكم(١) والمِسْوَر(٢)، عن عروة بن مسعود(٣) أنَّه قال لرسول الله ﷺ: فإنِّي والله لا أرى وجوهاً، وإني لأرى أشواباً من الناس، خليقاً أن يَفرُّوا عنك ويَدَعوك، فقال له أبو بكر: امْصُصْ ببظر

---

(١) مروان بن الحَكَم بن أبي العاص بن أُمَيَّة، رابع خلفاء بني أمية، وأوَّل مَن مَلِكَ من بني الحكم بن أبي العاص. ولد بمكة حوالي سنة ٢هـ، ونشأ في الطائف، ثم سكن المدينة فكان كاتباً لدى الخليفة عثمان ﷺ، وبعد مقتل عثمان خرج مع من خرج إلى البصرة للمطالبة بدمه، فقاتل في موقعة الجمل، ثم في صفِّين، ثم ولي المدينة في خلافة معاوية، ثم كان مع يزيد بن معاوية، ولما تنازل معاوية بن يزيد عن الحُكم دعا لنفسه بالخلافة، ثم صارت في أولاده من بعده. توفي سنة ٦٥هـ. انظر: أُسد الغابة [٥/ ١٣٩-١٤٠]، سير أعلام النبلاء [٣/ ٤٧٦-٤٧٩]، الأعلام [٧/ ٢٠٧].

(٢) المِسْوَر بن مَخْرَمَة بن نَوفَل الزُّهري؛ فقيه من صِغار الصحابة، ولد بمكة سنة٢هـ، ونشأ بالمدينة، وبقي بها إلى أن قُتل عثمان ﷺ، فانتقل إلى مكة واستقر بها إلى أن مات في حصار مكة؛ أصابه حجر منجنيق وهو يصلي في الحِجر، وذلك في سنة ٦٤هـ. انظر: أُسد الغابة [٥/ ١٧٠]، سير أعلام النبلاء [٣/ ٣٩٠-٣٩٤]، الأعلام [٧/ ٢٢٥].

(٣) عروة بن مسعود بن معتب بن مالك الثقفي، صحابي شهير، كان كبيراً في قومه (ثقيف) مُطاعاً لديهم، تأخَّر إسلامُه إلى ما بعد فتح مكة، وكان ممن سعى في صلح الحديبية بين المسلمين وقريش، ولما أسلم استأذن النبي ﷺ أن يرجع إلى قومه ليدعوهم إلى الإسلام، فحذَّره من ذلك، فلما رجع إليهم ودعاهم رماه بعضهم بسهم فقتله، وذلك في سنة ٩هـ. انظر: أُسد الغابة [٤/ ٣٠-٣١]، الإصابة في تمييز الصحابة، تأليف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، تحقيق: علي محمد البجاوي، نشر: دار الجيل - بيروت، ١٤١٢هـ [٤/ ٤٩٢-٤٩٣]، الأعلام [٤/ ٢٢٧].

اللّات، أنحنُ نَفِرُّ عنه؟![1].

قال الحوثي: "وفي هذا نكارة؛ لأنَّ أبا بكر لم يكن هو الحقيق بأن يجيب بهذا الجواب المبدوء بهمزة الإنكار، إنَّما يليق بمن قد عُرفت منه البطولة والثبات في المواطن الشديدة، أما أبو بكر فقد انهزم في خيبر وحُنَين، فلا تليق به المبادرة بهذا الجواب، بل غيره أحقُّ به، لو سلم من ذكر البظر ومَصِّه"[2]!.

والملاحظ من كلام الحوثي أمران:

أولهما: أنَّ الحوثي ضَعَّفَ الرواية - فقط - لعدم استساغته لها عقلياً.

وثانيهما: أنَّه لولَا وجود ذِكرِ (البظر ومصِّه) لنَسَبَها إلى علي رضي الله عنه، لأنَّه بزعمه هو الأولى بهذا القول، وكفى بهذا تخليطاً!.

٣) تصحيح الأئمة: حيث اعتمد الزيدية حُكمَ أئمتهم في قبول الروايات وردِّها[3]، وهذا الاعتماد زاد من خلط الزيدية في قبول المرويات، إذ ليس للزيدية مؤلَّفات في رجال الحديث، ولا في الجرح

(١) جزء من حديث طويل في قصة الحديبية. انظر: صحيح البخاري؛ كتاب: الشروط - باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب، وكتابة الشروط [٣/ ١٩٤]، رقم الحديث (٢٧٣٢).

(٢) الزهري أحاديثه وسيرته، تأليف: بدر الدين الحوثي، نشر: مؤسسة الإمام زيد بن علي - عمَّان، ١٤٢٢هـ [٨١].

(٣) يقول السيد جمال الدين علي بن محمد: "الذي ذهب إليه علماؤنا، وتجري عليه أصولهم، أن في أخبار هذه الكتب - يعني كتب الصحاح -: الصحيح، والمعلول، والمردود، والمقبول، والضابط في ذلك أن ما صحَّحه أئمتنا من ذلك فهو صحيح، وما ردُّوه، أو طعنوا في رواته فهو مردود، لصحة اعتقادهم، وسعة اطلاعهم، وتحريهم في انتقادهم". انظر: الفلك الدَّوَّار، لصارم الدين بن الوزير [٧٢].

والتعديل - كما تقدمت الإشارة إلى ذلك في مبحث سابق[(١)] - فعاد الأمرُ إلى الاستحسان العقلي، فكل إمام له ما يستحسنه، والعقول مختلفة في البشر، فتكثر لديهم المرويات المتناقضة التي بنفس الدرجة من القبول، ولا يجوز تضعيف بعضها؛ لأنَّ مُسَوِّغ قبولها واحد، وهو تصحيح الأئمة، ورد بعضها وإبقاء البعض الآخر يُعَدُّ تحكُّماً لا مبرر له!.

وإنَّ مما ينبغي على الزيدية - وغيرهم - في هذا الباب: التسليم للمتخصِّصين فيه بدلاً من المجازفة في الحكم على المرويات بالطرق السابقة، فإنَّ أهلَ كلِّ فنٍّ أعلم به من غيرهم، وأهلُ الحديث هم أهل هذا الفنِّ، وهم الأولى بأن يُتَّبَعوا فيه[(٢)]، فإنَّ جميع الفرق عالَة على أهل الحديث في باب الرواية.

يقول الشيخ مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن ذكر مجموعة من الأحاديث المكذوبة على آل بيت النبوَّة، وهو ويخاطب أحدَ الزيدية: "فإن قلتَ: هذه الأحاديث التي حكمتم عليها بالوضع قد صَحَّت لنا من طريقنا، قلتُ: إذا كان لكم طريق غير طريقة أهل السُّنَّة والجماعة فحسبُكم قولُ الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النِّسَاء: ١١٥]، ومن أين لكم طُرُق أخرى وأنتم عالَة على المحدثين؟! وإذا كان لكم طُرُق أخرى فهي غيرُ موثوقٍ بها"[(٣)].

---

(١) انظر رد ابن الوزير على المترسل الزيدي: الروض الباسم [١/ ١١٩، وما بعدها].

(٢) انظر رد ابن الوزير على الزيدي في الروض الباسم [١/ ١٠٨ - ١٠٩].

(٣) رياض الجنة في الرد على أعداء السنة، تأليف: مقبل بن هادي الوادعي، (ط٤)، نشر: مكتبة صنعاء الأثرية - صنعاء، ١٤٢٤هـ [٢٣٨].

**الثانية: مشكلة الزيدية في تحديد معنى الصحابي وحكمه:**

تعاني الزيدية من خلط واضح في تحديد معنى الصحابي والحكم المترتِّب على الصُّحبَة، وهذا الخلط أدَّى بهم في الأخير إلى أن يتعاملوا مع رواة الصحابة كما يتعاملون مع الرواة الآخرين، فيخضعونهم للجرح والتعديل كغيرهم، مُتأثرين بمواقفهم العقدية تجاههم، وسيتضح المراد فيما يأتي إن شاء الله تعالى.

**من هو الصحابي؟.**

تُعرِّفُ الزيدية الصحابيَ بأنَّه: من طالت مُجالَستُه للنبيِّ ﷺ متبعاً له(١).

يقول صارم الدين بن الوزير: "أئمتنا والمعتزلة: والصَّحابي: من طالت مجالَستُه للنبيِّ - صلى الله عليه وآله - متبعاً له. ابن زيد: مع الرواية، قيل: ولم يخالفه بعد موته"(٢).

ومعنى هذا: أنَّ شرط الصُّحبَة طولُ المجالسَة، أي أنَّ من طالت مجالسته للنبي ﷺ متبعاً له فهو صحابي، لتحقق الشرط(٣)، ويروى هذا الشرط - أيضاً - عن أهل الأصول(٤)، وأما عدم المخالفة، فهذا شرط

---

(١) انظر: مجموع كتب ورسائل الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد [٥٠].

(٢) الفلك الدوار [٢٠٦].

(٣) ظاهر الشرط أنه شرط وجيه، إلا أنه غير منضبط، فإن طول المجالسة غير منضبط بفترة محددة، كما أنه قد يكون الرجل جليساً لآخر فترةً طويلة، ولا يكون له من الود ما يكون لآخر لم يجالسه إلا فترة يسيرة، لما عنده من حسن خلق وفطنة وقبول، وغير ذلك؛ فكان شرط الرؤية مع الإيمان أضبط في المصطلح، والله أعلم.

(٤) وقريب منه ما نسب إلى سعيد بن المسيب في تعريف الصحابي حيث قال: إنه لا يَعُدُّ صحابياً إلا من أقام مع النبي ﷺ سنة أو سنتين، وغزا معه غزوة أو غزوتين. قال النووي: فإن صحَّ عنه فضعيف، فإن مقتضاه ألا يُعَد جرير البجلي وشِبْهُه صحابياً، =

محتمل لأوجه؛ فإن كان القصد المخالفة بالرِّدَّة والكفر: فهذا صحيح؛ لأنَّه ينفي الصحبة[١]، وإن كان القصد المخالفة التي ليست بكفر، فالصَّواب أنَّها لا تنفي الصُّحبَة، لأن الصحابي ليس بمعصوم، ومن ليس بمعصوم فالخطأ في حقه جائز.

**عدالة الصحابة:**

ويرى أئمة الزيدية أنَّ الغالب على الصَّحابة هو العدالة إلَّا من ظهر منه فِسق، كقتال علي بن أبي طالب، فمن قاتله ولم يَتُبْ فليس بعدل. يقول صارم الدين بن الوزير: "أئمتنا والمعتزلة: وهم عدول إلَّا مَن ظهر فسقُه، كمن قاتل الوصيَّ عليه السلام ولم يَتُب.."[٢].

وهذا يعني: أنَّ المرء قد يكون صحابياً فاسقاً؛ فالسَّلامة من الفسوق ليست شرطاً في الصُّحبَة عند أئمة الزيدية، ولكن يُكتَفى بطول المجالسة، وأنَّ الأصل في جميع الصَّحابة العدالة، إلَّا من ظهر فِسقُه، ثم يذكر مثالاً لمن ظهر فسقُه،كمن قاتل علياً (كمعاوية وعمرو بن العاص وغيرهم). وهذا المثل يدل على أن القائمة ما تزال مفتوحة لأسماء أخرى!.

ومن النَّصين يظهر أنَّ هناك تعنُّتاً من قبل الزيدية في إطلاق الصحبة، فهم أولاً يُشدِّدُون في شرط الصُّحبَة، ثم هم في مواضع أخرى يستثنون في العدالة أشخاصاً ممن ثبت لهم حكمُ الصُّحبَة في مذهبهم، ويتهمونهم

---

= ولا خلاف أنهم صحابة. انظر: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تأليف: جلال الدين السيوطي، تحقيق: أبي قتيبة نظر محمد الفاريابي، (ط٢)، نشر: مكتبة الكوثر - الرياض، ١٤١٥هـ [٢/ ٦٦٩-٦٧٠].

(١) انظر: تدريب الراوي، للسيوطي [٢/ ٦٦٧].

(٢) الفلك الدوار [٢٠٦].

بالفسق!. فما الحكمة من التشديد في إطلاق الصحبة إذاً؟.

لا شك أنَّ الذين شدَّدوا في إطلاق الصُّحبَة من أهل السُّنَّة[١] أرادوا أن يجعلوا لهذا المصطلح شيئاً من الخصوصية[٢]، ومن هذه الخصوصية: العدالة؛ فَمَن دخل في مسمى الصحبة فقد دخل في مسمى العدالة، فلا يُسألُ عنه[٣]، ومَن لم يَدخل في هذا المسمى فقد وجبَ السؤالُ عنه والتأكُّد من حاله للرواية عنه.

لكن الزيدية تشدَّدت في إثبات الصحبة، ثم بعد ذلك تتكلم وتفسِّق وتجرِّح في أعيان ممن ثبت لهم اسم الصحبة؛ فماذا استفاد الذين سموهم صحابة من تسميتهم؟! بل ماذا مَيزَّهم هذا الاسم عن غيرهم؟!.

والذي يظهر - والله أعلم - أنَّهم إنَّما قالوا ما قالوه في هذه المسألة؛ إمَّا متابعة للمعتزلة كباقي متابعاتهم لهم - لكون اهتمامهم بعلوم الحديث مُتأخِراً، والمتابعة للمعتزلة مُتقدِّمَة - وإمَّا لغرض أن يُزيلوا أهميةَ الرؤية في إثبات الصحبة، فيصبح النقد مُتَطَرِّقاً إلى من رأى النبي ﷺ حال إيمانه، فيقلُّ الفارق في نكارة النقد؛ فهذا رأى النبيَّ فترة قصيرة وذاك رآه فترة أطول، وكلاهما غير معصوم، فالنقد لهما سِيَّان!. أضف إلى ذلك:

---

(١) كابن المسيب، كما تقدم.

(٢) وكذلك إدخالهم في أحاديث فضائل الصحابة، كحديث: (لا تَسبُّوا أصحابي..)، وحديث: (وأصحابي أَمَنَة لأهل الأرض فإذا ذهب أصحابي أتى أهل الأرض ما يوعدون..). وغيرها.

(٣) يقول ابن الوزير: "ذكر المحققون أن الكذب على رسول الله ﷺ لم يكن في زمن الصحابة ولا زمن التابعين، لا من برهم ولا من فاجرهم، وإنما كان ذلك أيام بني العباس، ومن نظر فيما رواه أهل المعاصي في هذا وقت القديم عرف صحة قول المحققين". العواصم والقواصم [٢/ ٤٣].

التشكيك في مرويات أهل الحديث الذين يُعدِّلون من رأى النبي ﷺ من المسلمين، من غير تفريق بين من طالت مجالسته ومن قَصُرَت.

وانظر إلى كلام أحد المتأخرين من علماء الزيدية وهو يُبَيِّنُ المقصود بالصحابة الذين أثنى الله عليهم في كتابه؛ وإنَّه ليؤكد حقيقةَ الخَلْط في المصطلح لديهم. يقول العلَّامة الزيدي أحمد لُطْف الدَّيلمي: "هذه آياتُ الثناء هي في الصَّحابة الأخيار من المهاجرين والأنصار، لا في من يريد الكاتب(١) وأمثالُه إدخالَهم فيها من الطُّلَقَاء والأعراب والمنافقين.. وكم مِن آية مُحكَمة تبيِّن اختلاطَ المنافقين بالمؤمنين، فنحن لا نُعدِّل من جرَحَ اللهُ، ولا نجرِّحُ مَن عَدَّلَ الله، وقد هَمَّ قوم منهم أن يلقوا برسول الله من على راحلته في غزوة تَبوك لَولا دَفعُ الله، فقيل: نقتلهم يا رسول الله؟ قال: (لا، أكره أن يقولوا: إنَّ محمداً يُقتِّلُ أصحابَه)(٢)"(٣).

---

(١) يقصد: علي بن أحمد بن ناصر مجمل، له كتاب بعنوان: (القول الجلي في الذب عن مذهب الإمام زيد بن علي)، أراد ابن مجمل أن يبرئ المذهب الزيدي من بعض المخالفات التي لحقت به، لمحاولة تقريبه من السنة، وقد رد عليه أحمد الديلمي بكتاب: (كشف النقاب عن مذهب قرناء الكتاب).

(٢) أخرجه الطبراني (أبو القاسم سليمان بن أحمد) في المعجم الأوسط؛ تحقيق: أبي معاذ طارق بن عوض الله، وَ عبد المحسن ابن إبراهيم الحسيني، نشر: دار الحرمين - القاهرة، ١٤١٥هـ [٨/ ١٠٢]، برقم (٨١٠٠)، وليس فيه (لا)، وأخرجاه في الصحيحين بلفظ: (دعه، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه)، انظر: البخاري؛ كتاب: التفسير - باب: قوله تعالى: (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين) [٦/ ١٥٤]، برقم (٤٩٠٥)، ومسلم؛ كتاب: البر والصلة والآداب - باب: نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً [١٠٤١]، برقم (٢٥٨٤).

(٣) كشف النقاب عن مذهب قرناء الكتاب [٦٠ - ٦١].

فانظر إلى خلط الديلمي!.

فإنَّ مما لا شكَّ فيه أنَّ الصحابةَ ﷺ على درجات، وبعضُهم أفضلُ من بعض، فليس السابق كاللَّاحق! ولكن؛ متى قال أهلُ السُّنَّة: إنَّ المنافقين صحابة وعدول؟!، وقد علم أن أهل الحديث يشترطون في الصحابي أن يرى النبي ﷺ مؤمناً به(١)، وليس منافقاً!.

ثم إنَّ الزيدية في تعريفهم للصحابي قد ذكروا أنَّه مَن طالت مجالسته للنبي ﷺ، فبالتالي حتى الطُّلَقاء (مِن مُسلِمَة الفَتح)، يَصِحُّ أن يقال عنهم صحابة؛ لأنَّه قد طالت مجالسة بعضهم للنبي ﷺ، كمعاوية مثلاً، فإسلامهم كان في السنة الثامنة من الهجرة، وموت النبي ﷺ كان في بداية السنة الحادية عشرة، فتكون مجالستهم تامَّة ويستحقون بها مسمى الصحبة.

ثم إنَّ النبي ﷺ بقوله: (أكرهُ أن يُقال: إنَّ محمداً يُقَتِّلُ أصحابَه)(٢)، واضح أنه لم يقصد الصُّحبَة التي يريدها أهل الحديث، لأنَّ هؤلاء - الذين قَصَدَهُم بقولِه - منافقون كما يعلم الزيدية، فإدخال هؤلاء في مسمى الصُّحبَة التي يقصدها المحدِّثون هو خلط واضح، الهدف منه التقليل من شأن الصحبة، وبالتالي التسويغ لأنفسهم بأن يُفَوِّقوا سِهامَهم نحو من اتصف بها من غير إنكار!.

ثم يقال: إنَّ طولَ المجالسة مع الإيمان لا قيمةَ له عند بعض الزيدية، فيزعمون أنَّ الصُّحبَة لا تصلح لأبي بكر ولا لعمر؛ حيث يقول بدر الدين الحوثي في نقده لأهل الحديث، وكان يتكلَّم في الإمام الذَّهبي: "أَلَا تَرى

---

(١) يقول النووي: "اختلف في حد الصحابي، فالمعروف عند المحدثين أنه كل مسلم رأى رسول الله ﷺ". تدريب الراوي [٢/ ٦٦٧].

(٢) يعني فيما يبدو للناس، وإلا فهم ليسوا صحابة، لعدم إيمانهم في الباطن.

أَنَّهم أَصَّلوا لهم أُصولاً في أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية وسائر من يسمونهم بزعمهم (صحابة)[١]، ثم بَنَوا عليها قبولَ ما وافقها من الحديث، وردَّ ما خالفها، ثم الجرح والتعديل، وعلى ذلك فَقِسْ ولا تَغْتَرّ؛ ولذلك ضعَّفوا عدداً من أهل الحق من أهل البيت وشيعتهم"[٢].

فمن الواضح أنَّ طول المجالسة لم يُفِد في حقِّ الأربعة المذكورين في كلام الحوثي - أبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية - مع أنَّ الثلاثة الخلفاء كانوا من السابقين إلى الإسلام، ومعاوية أسلم في السنة الثامنة، وكان عند النبي ﷺ - مُدَّة - يكتب الوحي!.

ويوضِّح الحوثي ما أراده أكثر بقوله: "ومن مذاهبهم في الصحابة - يقصد الزيدية-: أنَّ فيهم الصالحين، ومنهم من غيَّر وبَدَّل، وفيهم منافقون، فَيُجَرَّحُ مَن ظهر فيه الجارح، ولا يُنَزِّلون منزلةَ المعصومين، ولا يَتَّبِعون فيهم طريقةَ العامَّة الذين يُقَدِّسونَهم على الإطلاق"[٣].

وهنا أسئلة تطرحُ نفسَها:

- مَنْ الذي يُحدِّد الصالحين من الصحابة إذا كانت الفضائلُ قد غُيِّرَت وبُدِّلَت؟!.
- ومَنْ يُحدِّد الذي غَيَّرَ وبَدَّلَ، إذا كان المسلمون قد صاروا فرقاً ولكلٍّ مَتبوعه من الصحابة؟!.
- ومَنْ يُحدِّد المنافقين من الصحابة - وحاشاهم من النفاق - إذا كان الوحي قد انقطع، والمتلقي عن الوحي قد مات؟!.

---

(١) واضح أن الحوثي لم يكن يرى أن المذكورين صحابة!.

(٢) الزهري أحاديثه وسيرته [١٥٠].

(٣) الزيدية في اليمن [١٣].

فياترى! هل يصلح هذا الخلط الزيدي في معنى الصُّحبَة والموقف من الصحابة في تقعيد أصول الرواية، ومعرفة السنن؟!.

**الثالثة: الطعن في حُفَّاظ السنة:**

لقد زادت الزيدية على خلطها في معنى الصُّحبة أمراً آخر، وذلك أنَّها دخلت في عِداء شديد مع حُفَّاظ السُّنَّة من الصَّحابة والتابعين وغيرهم؛ مِن طعن في دينهم، وقدح في صدقهم، وتضعيف لمروياتهم، بل ألقى علماءُ المقلِّدَة منهم في أذهان الأتباع أنَّ كُتُبَ الحديث لا يشتغل بها إلَّا أعداءُ أهل البيت (النواصب). قال الشوكاني ﷺ: "وأمَّا في ديارنا هذه، فقد لَقَّنَهُم من هو مثلُهم في القصور والبُعد عن معرفة الحق ذريعةً إبليسيَّة، ولطيفَةً مَشؤومَة، هي: أنَّ دواوين الإسلام: الصحيحين والسُّنَن الأربع وما يلحق بها من المسندات والمجاميع المشتملة على السُّنَّة إنَّما يشتغل بها ويُكرِّر دَرسَها ويأخذُ منها ما تدعو حاجتَه إليه مَن لم يكن من أتباع أهل البيت، لأنَّ المؤلفين لها لم يكونوا من الشِّيعة، فيدفعون بهذه الذَّريعة الملعونَة جميعَ السُّنَّة المطهَّرة، لأنَّ السُّنَّة الواردة عن رسول الله ﷺ هي ما في تلك المصنَّفات، ولا سُنَّةَ غيرَ ما فيها"[1].

ومن أشد وأَعجَب المواقف الزيدية مِن حُفَّاظ السُّنَن موقفُهُم من الإمام الزُّهري ﷺ تعالى، فقد وَرِثوا عداوَتَه كابِراً عن كابِر، ولم يَمْحُها ما صار له من القبول والشُّهرَة عند حُفَّاظ السُّنَّة على مرِّ العصور!.

**موقف الزيدية من الإمام الزهري:**

لقد كان الزهري (محمد بن مسلم) إمامَ زمانه في الحديث، فكَثُرَ

(١) أدب الطلب ومنتهى الأرب [١٢٣].

الآخذون عنه، فلا تجد كتاباً من كتب السُّنَّة، إلَّا وابن شِهابٍ حاضرٌ فيه وبقوّة، لا سيما مع قوَّة ضبطه، حتى قال بعضهم: إنَّ أصحَّ الأسانيد: الزُّهري عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه[1]. ولكنْ لأسباب سياسية، اتَّخذَت الزيدية موقفاً حادّاً تجاهَ الزهري رَحِمَهُ اللَّهُ، وذلك أنَّ الزهري كانت له علاقةٌ قويَّةٌ بخلفاء بني أُمَيَّة، ومنهم هشام بن عبد الملك، الذي كان العداء بينه وبين زيد بن علي ظاهراً لا يخفى، حتى خرج عليه زيد بن علي فَقُتِلَ وصُلِب، وذلك في سنة ١٢٢هـ، فاعتبرت الزيدية الزهريَّ عدوّاً لها أُسوةً بهشام، فكالَت له التُّهَم، حتى ادعى بعضُهم أنَّه كان حارساً للخَشَبَة التي صُلِبَ عليها زيد بن علي رَحِمَهُ اللَّهُ[2]، فاطَّرَحَت الزيديةُ مروياتِ الزُّهري في الحديث، أو شَكَّكَتْ فيها، حتى كان الأصل عندهم أنَّ رواية الزُّهريِّ ضَعيفة غيرُ مقبولة، لما تقدم ولغيره.

يقول بدر الدين الحوثي: "إنَّ إسقاط رواية الزُّهري لَيسَت لمجرد كُفْرِه أو فِسقه بموالاة جبابرة بني أُمَيَّة، بل لما مرَّ من الأدلَّة الخاصَّة بالعلماء المخاطبين للسُّلطان، الدَّالَّة على أنَّهم مُتَّهمون بِنُصرَة سياسَة الظَّلَمَة وخيانةِ الحقِّ، مَيلاً إلى الدُّنيا واتِّباعاً للهوى، والزُّهري منهم كما تقرَّر في الفصل الثاني.

ولأجل ظهور أنَّه مُبتَدِعٌ في عقائده، داعِيَةٌ إلى بدعته، جارٌّ إليها - كما يدل عليه ما مرَّ في الفصل الأول - ومثله لا ينبغي لطالب الحقِّ أن يَعتَمِدَ

---

(١) مروي عن الإمام أحمد بن حنبل وغيره. انظر: تدريب الراوي [١/ ٧٨].

(٢) نقله القاسم بن محمد عن أحمد بن سليمان وأبي جعفر الهوسمي. انظر مجموع القاسم بن محمد [٤١]، وهو من الكذب الصريح، فإن زيد بن علي قتل في كُنَّاسة الكوفة، وكان ابن شهاب في دمشق، وقد انتقد عليهم ذلك بعض عقلاء الزيدية. انظر: الفلك الدوار، لصارم الدين بن الوزير [٢٢٦].

روايتَه، لأنَّه مُضِلٌ، والله تعالى يقول: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾﴾ [الكهف: ٥١]، فمقتضى الإنصاف هو التَّوقُّف عن قبول روايته حتى يَشهَد بصحَّتِها دليلٌ من القرآن أو غيره.

ولأنَّ مَناكيرَه الكثيرة التي ذكرنا بعضَها في الفَصل الأول تدلُّ على أنَّه مُتَّهَم بالكذب، والمتَّهَمُ بالكذب ليس ثِقَةً في الحديث، سواء قطعنا بجرح عدالته، أم توقَّفنا فيه، فالمقصود هو التحذير منه والتَّوَقُّفُ عن قبول حديثه.."[١].

فانظر إلى التُّهَم التي يَرمِي بها إمامَ الحفَّاظ (الزهري)!، وهذا مِصداقٌ لمن قال: مَن تَكلَّمَ في غير فَنِّه أتى بالعجائب!. والحوثي قد أتى بالعجائب، مما لم يَفْطَن له حُفَّاظُ الدُّنيا ونقادُ الحديث، الذين جعلوا إسنادَ الزُّهري أَصَحَّ الأسانيد، ثم هو يأتي بعد كلِّ هذا الزَّمان يُسقِطُ مَن رفعَ اللهُ!.

ولا أُطيل في الرَّد على الحوثي، فكلامُه في الزُّهري لا قيمةَ له، لأنَّه ليس من أهل الجرح والتعديل الذين يُعتَدُّ بكلامهم، كما أنَّ من العلماء من قد أَحسنَ الدِّفاعَ عن الزهري، وفند الشبه التي أثيرت حوله، كابن الوزير في الرَّوض الباسم، والوادعي في رياض الجنة[٢]، وغيرهم.

ومما سبق فإنَّ تعامُلَ الزيدية مع كبار الحُفَّاظ بهذه الطريقة وإسقاطَهم سيجعلهم يردُّون كثيراً من السُّنَّة الصحيحة، ويأخذون بضدِّها، لاعتبار أنَّ ضدَّ الكاذب صادق، فما ورد عن الزهري من أخبار فيها إنصافٌ للصحابة؛

---

(١) الزهري أحاديثه وسيرته [١١٣ - ١١٤].

(٢) انظر: الروض الباسم لابن الوزير [٢/ ٢٨٤ - ٢٨٥]، رياض الجنة في الرد على أعداء السنة للوادعي [٣٧ - ٣٨].

كما في قضيَّة فَدَك مثلاً، فسوف يقتضي حُكمُهُم على الزهري بأنَّها ضعيفة، موضوعة، مكذوبة.. وهكذا، فإذا جاءت الرواية المضادَّة لها عن الرافضة قُبِلَتْ، وقِسْ على هذا!.

وقد أورد الحوثي - بدر الدين - عدداً من الرِّوايات التي طريقُها الزُّهري في قضيَّة ميراث فاطمة رضي الله عنها، فردَّها جميعاً، والعِلَّةُ في الغالب: اتهامُه للزُّهري(١).

وليس الزهري هو الوحيد الذي طالَه الجرح من الزيدية، فهناك آخرون؛ كابن أبي مُلَيكة(٢)، وعروةَ بنِ الزبير(٣)، وعِكرمةَ مولى ابن عباس(٤)،

---

(١) أورد في كتابه (الزهري أحاديثه وسيرته) أربعة أحاديث متفق عليها عند الشيخين، جميعها تتضمن رواية: (لا نورث ما تركناه صدقة)، فجعل يسقطها واحداً تلو الآخر بتحكُّم عقليٍّ، ودافع عقدي لا يمت إلى الإنصاف بِصِلة!. انظر نقده للأحاديث في الكتاب المذكور [١٩ - ٣٨].

(٢) الإمام الحجة الحافظ، أبو بكر، عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة القرشي. ولد في خلافة علي، وروى عن كثير من صحابة النبي ﷺ، منهم: العبادلة الأربعة، وعائشة وأختها أسماء، وغيرهم رضي الله عنهم، وروى له الستة، وكان عالماً مفتياً صاحبَ حديث وإتقان، معدود في طبقة عطاء بن أبي رباح، وقد ولي القضاء لابن الزبير، والأذان أيضاً. توفي سنة ١١٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء [٥/ ٨٨-٩٠]، تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني [٢/ ٣٧٩].

(٣) عروة بن الزبير بن العوام؛ أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، روى عن عدد من الصحابة منهم: أُمّه أسماء بنت أبي بكر الصديق، وأخوه عبد الله، وخالته أم المؤمنين عائشة، ولازمها وتفقَّه بها، كما روى عن علي بن أبي طالب، وابنيه الحسن والحسين، وأبي هريرة، وجابر بن عبد الله، وغيرهم، وروى له الستة. ولد في خلافة عثمان، وتوفي سنة ٩٣هـ، أو ٩٤هـ. انظر: وفيات الأعيان [٣/ ٢٥٨]، سير أعلام النبلاء [٤/ ٤٢١، وما بعدها].

(٤) أبو عبد الله عكرمة بن عبد الله مولى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما؛ أصله من البربر =

وعِكرمةَ بنِ عمَّار[١]، وحَمَّادِ بنِ سَلَمَة[٢]، إلَّا أَنَّه لأهمية الكلام في الزُّهري وتأثيره على أهل السُّنَّة، فقد اختصوا الزُّهري بمزيد عناية في الرَّد.

يقول بدر الدين الحوثي: "وقد نظرت في حديث بعض القوم فأنكرتُ بعضَه، واتَّهمتُ الرَّاويَ بوَضع بعض الرِّوايات لِنُصرَةِ مذهبٍ يَتَعَصَّبُ له، أو حكومةٍ يتقرَّبُ إليها، منهم: الزُّهري محمد بن مسلم، ويُقال له: ابن شِهَاب.

ومنهم: ابنُ أبي مُلَيكَة، وعُروةُ بنُ الزُّبير، وعِكرِمَةُ مولى ابن عبَّاس، وعكرمةُ بنُ عمَّار، وحمَّادُ بنُ سَلَمَة.

ولما كان الزُّهري إمامَ أهلِ الأُمهات السِّت - التي تُسَمَّى الصِّحَاح - ومَن كان على طريقتِهم، وكان الجرح فيه أمراً عظيماً عندهم، خَصَّصتُ

---

= من أهل المغرب، روى عن مولاه، وعلي بن أبي طالب والحسن بن علي، وأبي هريرة، وابن عمر، وابن عمرو، وغيرهم ﷺ، وروى له الستة، وقال البخاري: ليس أحد من أصحابنا إلا وهو يحتج بعكرمة. توفي بعد سنة ١٠٤هـ. انظر: وفيات الأعيان [٣/ ٢٦٥ - ٢٦٦]، تهذيب التهذيب [٣/ ١٣٤].

(١) الحافظ، الإمام، أبو عمار العجلي، البصري، ثم اليمامي. من حملة الحجة وأوعية الصدق، من صغار التابعين. روى عن عدد من كبار التابعين، منهم: عطاء بن أبي رباح، وطاووس بن كيسان، ونافع مولى ابن عمر، وروى عنه البخاري - تعليقاً - ومسلم والأربعة، وهناك بعض الخلاف في ضبطه، وتوفي سنة ١٥٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء [٧/ ١٣٤، وما بعدها]، تهذيب التهذيب [٣/ ١٣٢-١٣٣].

(٢) أبو سلمة، حماد بن سلمة بن دينار البصري، مولى تميم، سمع ابن أبي مليكة، وروى عن ثابت البناني وقتادة وخاله حميد الطويل، وإسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، وغيرهم، وروى عنه البخاري - تعليقاً - ومسلم والأربعة. ومما يعاب عليه أنه لما كبر ساء حفظه، وإلا فهو من أئمة الدين. توفي سنة ١٦٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء [٧/ ٤٤٤، وما بعدها]، تهذيب التهذيب [١/ ٤٨١-٤٨٣].

هذه الورقات لتحقيق ضَعفِه، واعتَنيتُ فيها بتقرير ذلك في فصلين.."[١].

ولم يكن الحوثي هو الوحيد من الزيدية الذي تَكلَّم في الزُّهري وطعنَ في عدالته، فقد كان متأسِّياً بأئمة زيديين مُتقدمين، كالقاسم بن إبراهيم الرَّسِّي، وأحمدَ بنِ سليمان، وعبدِ الله بن حمزة، والقاسمِ بنِ محمَّد، وغيرهم[٢].

**الرابعة: اعتماد الزيدية على مرويات الرافضة:**

ولما كان ميزان الزيدية في التعامل مع الرواة بالصورة المتقدمة، فلاغَروَ في اعتمادهم على مرويات الضُّعفاء والكذَّابين والمبتدعة، كالرَّوافض وغيرهم[٣]، فإنَّ بعض الزيدية يعتبرون الرافضة أقربَ إليهم من أهل السنة[٤]، بالإضافة إلى التشابه فيما بينهم في طريقة نقد السُّنَّة والتكلُّم على الأحاديث. يقول المقبلي: "وعلى الجملة فهم [يعني: الزيدية] في هذه المسألة عند النقد والتكلُّم على الأحاديث لا شيء، بل أَشبَهُ شيء

---

(١) الزهري أحاديثه وسيرته [١٧ - ١٨].

(٢) انظر: مجموع القاسم بن محمد [٤١]، الزهري أحاديثه وسيرته [١١١].

(٣) يذكر الشيخ مقبل أن كتب الزيدية مقطعة الأسانيد، وإن أسندوا فغالب أسانيدهم تدور على الضعفاء والكاذبين، مثل: أبي خالد عمرو بن خالد الواسطي، وجابر بن يزيد الجعفي، والحسين بن علوان، وعمرو بن شمر، وعبد السلام بن صالح أبي الصلت الهروي، وعلي بن مهدي القاضي، وعامر بن سليمان الطائر، وداود بن سليمان القزويني، والحارث بن عبد الله الهمداني، والحسين بن عبد الله بن ضميرة، وإسحاق بن محمد الأحمر الذي ادعى ألوهية علي، وأبي هارون عمارة بن جوين العبدي، وكادح بن جعفر، وحسين بن عبد الله بن عباس، والأشج بن أبي الدنيا، وهو عثمان بن خطاب. انظر: رياض الجنة في الرد على أعداء السنة [٣٣].

(٤) فقد جعل العلامة الزيدي عبد الله بن زيد العنسي عدلية الإمامية من فرق أهل الحق، إلى جانب الزيدية والمعتزلة. انظر: الإرشاد إلى نجاة العباد، للعنسي [١٨٤].

بالرَّوافض، ويظهر عليهم أحياناً ما يُصَدِّقُ قولَ القائل: ائتني بزيديٍّ صغير أُخرِجْ لك منه رافضيّاً كبيراً "(١).

وقد أدَّى هذا التشابه إلى أن نقَلَت عنهم كثيراً من الروايات المكذوبة والموضوعة. يقول الشيخ محمد بن عبد الله الإمام: "كَذَبَت الرَّافضةُ على آلِ بَيتِ النبوَّة كَذِباً كثيراً، حتَّى إنَّ الكذَّابَ الواحدَ منهم قد يَصِلُ كَذِبُه إلى الآلاف كما حصل من زُرارَةَ بنِ أَعيَن(٢) الزنديق في حقِّ جعفرَ الصَّادق، وقد نشطت الرافضة في نشر أكاذيبها، وانتشر ذلك، وكان لرافضة اليمن الحظُّ الأَوفَر من قبول تلك الأكاذيب، ورافضةُ اليمن لم تتجرَّأ على الكذب على رسول الله وآل بيته وصحابته ابتداء، ولكنَّها قَبِلَتْ ذلك، وما دامَت قد قبلت ذلك فهي داخلة في قول المصطفى ﷺ: (مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الكَاذِبِينَ)(٣)"(٤).

ومن أبرز كتب الرَّافضة التي تَعتَمِدُ عليها الزَّيديَّة: نَهج البَلاغَة للشَّريف الرَّضي(٥)، فإنَّ الزيديَّة تُعَظِّمُ هذا الكتاب تعظيماً زائداً، إذ أنَّها تعتقد صِحةَ

---

(١) العلم الشامخ [٤٦٩].

(٢) قال الذهبي: "زرارة بن أعين، أخو حمران، يترفَّض"، وقد روى عن جعفر الصادق وأبيه الباقر ولم يره، وكان يدّعي أن جعفر الصادق يعلم الغيب!. انظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تأليف: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، نشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٨٢هـ [٢/ ٦٩ - ٧٠].

(٣) أخرجه مسلم وغيره عن سَمُرَة بنِ جُندُب. انظر: مقدمة صحيح مسلم؛ باب: وجوب الرواية عن الثقات وترك الكاذبين [٢١]، الترمذي؛ كتاب: العلم - باب: ما جاء فيمن روى حديثاً وهو يرى أنه كذب [٥/ ٣٦]، برقم (٢٦٦٢)، ابن ماجه عن علي؛ المقدمة - باب: من حدث عن رسول الله ﷺ حديثاً وهو يرى أنه كذب [١٩]، برقم (٣٨).

(٤) طعون رافضة اليمن في صحابة الرسول المؤتمن ﷺ [٤٠].

(٥) الشريف أبو الحسن، محمد بن الحسين بن موسى، الحسيني، الشاعر، =

نِسبَتِهِ إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وقد انتقد عليهم هذا عدد من المنصفين منهم، كالمقبلي[(١)] ويحيى بن الحسين[(٢)]، وكذا بعض المتأخرين؛ حيث يقول أحدهم: "لا يُمكِنُ أن يُنكِرَ زيديٌّ أو يَشُكَّ في أنَّ (نَهجَ البلاغَة) من رواية الشَّريف الرَّضي الرَّافضي، وكلُّ من روى النَّهجَ أَسنَدَهُ إليه، ومِن المعلوم لَدَى كلِّ زَيدِيّ أنَّ الشَّريفَ الرَّضي من الإماميَّة الرَّافضة.."[(٣)].

ومع كل هذا النقد إلَّا أنَّ الزيدية تُصِرُّ على نِسبَةِ النَّهج إلى أمير المؤمنين رضي الله عنه تصديقاً للرافضة في ذلك. يقول أحمد لُطف الدَّيلمي رداً على الكلام المتقدِّم: "أقول: كتاب نَهج البَلاغَة هو عندَ الزيديَّة وغيرهم من فرق الأُمَّة المحمَّديَّة لأمير المؤمنين وسَيِّدِ البُلَغَاء والمتكلِّمين رَغمَ أُنُوفِ النَّواصِب، فقد تَلَقَّتْهُ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم بالقبول إلَّا مَن لَا يُعتَدُّ بخِلَافِهِم مِنَ النَّواصِب"[(٤)]!.

وحَسبُكَ بهذا سَبباً في قبولهم لما فيه من المرويات التي فيها تَعَدٍّ على الصحابة، أو غلوٌّ في أهل البيت؛ وهاك بعضاً من مرويات النَّهج متبوعة بشيء من التعليق:

---

= صاحب (الديوان)، له نظم في الذروة حتى قيل: هو أشعر الطالبيين. ولي نقابة الطالبيين بعد أبيه، مولده ببغداد سنة ٣٥٩هـ، ووفاته بها سنة ٤٠٦هـ وله سبع وأربعون سنة. من مؤلفاته: (معاني القُرآن)، و(المجازات النبوية). انظر: سير أعلام النبلاء [١٧/ ٢٨٦]، شذرات الذهب [٥/ ٤٣-٤٦]، الأعلام [٦/ ٩٩].

(١) انظر: العلم الشامخ [٥٥٦].

(٢) انظر: الإيضاح لما خفا من الاتفاق على تعظيم صحابة المصطفى [٢٤٢].

(٣) القول الجلي في الذب عن مذهب الإمام زيد بن علي [٧١].

(٤) كشف النقاب عن مذهب قرناء الكتاب [٧٤].

- عن أمير المؤمنين قال: "انظروا أهلَ بيت نبيِّكم فالزموا سَمْتَهُم[(١)]، واتبعوا أَثَرَهُم، فَلَنْ يُخرجوكم من هُدى، ولن يعيدوكم في ردى، فإن لَبَدُوا فالْبَدُوا[(٢)]، وإن نَهضُوا فانهَضُوا، ولا تسبقوهم فتَضِلُّوا، ولا تَتَأَخَّروا عنهم فَتَهلكوا"[(٣)].

هذا مما تستدل به الزيدية على عصمة آل البيت، ووجوب نُصرَة الخارج منهم، الدَّاعي للإمامة، ولزوم رأيهم.

- وعن أمير المؤمنين قال: "أين الذين زعموا أنَّهم الرَّاسخون في العلم دُوْنَنَا كَذِباً وبَغياً علينا؛ أن رفعنا اللهُ ووَضَعَهم، وأعطانا وحَرَمَهم، وأدخَلَنا وأَخرَجَهم؟!! بِنا يُستَعْطى الهُدَى، ويُستَجْلى العَمَى.

إنَّ الأئمة من قريش، غُرِسوا في هذا البَطن من هاشم، لا تَصلُحُ على سِواهم، ولا تَصلُحُ الولاةُ مِن غيرهم"[(٤)].

وهذا الخبر يدل على نظرية الحق الإلهي في الإمامة، وأنَّها حق من الله لأهل البيت دون غيرهم، وهذا ينفي مشروعيَّة إمامة الذين تقدَّموا علياً من الصحابة رضي الله عنهم .

- ويروون من كلام علي رضي الله عنه للنبي ﷺ - بعد دفن فاطمة رضي الله عنها - أنَّه قال:

---

(١) السَّمْت: له معنيان؛ أَحدهما: حُسْن الهيئة والمنْظَر في الدين وهيئة أَهل الخير. وثانيهما: الطريق؛ يقال: الْزَمْ هذا السَّمْت. انظر: المُغرِب في ترتيب المُعرِب، للمطرِّزي [١/ ٤١٣]، لسان العرب، لابن منظور [٢/ ١٤١٣].

(٢) لَبَدوا: أقاموا. انظر: تهذيب اللغة، للأزهري [١٤/ ٩١]، المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية [٨١٢].

(٣) نهج البلاغة مع شرحه، بشرح الشيخ محمد عبده، تحقيق: فاتن محمد خليل اللَّبون، نشر: مؤسسة التاريخ العربي - بيروت [١٦٥].

(٤) نهج البلاغة مع شرحه [٢٢٨].

" .. فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، فلقد استُرجِعَت الوَديعَة، وأُخِذَت الرَّهينَة، أمَّا حُزني فَسَرْمَد، وأمَّا لَيلي فَمُسَهَّد[١] إلى أن يَختَارَ اللهُ لِي دَارَكَ التي أَنتَ بها مُقيم، وسَتُنْبِئُكَ ابنتُك بتَضَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَى هَضْمِها[٢]، فأَحْفِها[٣] السُّؤَالَ، واستَخبِرها الحالَ.. "[٤].

يستدل بمثل هذه الرواية على مظلومية فاطمة ﵂، وأنَّ الصحابة قد تعدَّوا على حُرمَة رسول الله ﷺ بحرمانها حقَّها.

والمرويات في النَّهج، وفي غير النَّهج - مما يُثيرُ الكوامِنَ - كثيرة يمكن أن تكون سبباً في إحداث تَحوُّل لدى الزيدية إلى الرَّفض بشكل عام، أو بالتَّحوُّل إلى الرَّفض الاثني عَشريّ بصورة خاصَّة إذا ما تَمَّ الاعتمادُ على مرويات الاثني عشرية في كتبها الخاصَّة، كما هو حاصل عند جماعات من الزيدية هذه الأيام!.

ونتيجة لما تقدم، فإنَّه يظهرُ صحةُ اعتبار سَبَبيَّة الخَلطِ في التَّعامُلِ مع السُّنَّة في إحداث التَّحَوُّلِ إلى الرَّفضِ عند طوائفَ من الزيديَّة، والله أعلم.



---

(١) مُسَهَّد: السُّهد، نقيض النوم، وهو السَّهَر. انظر: تهذيب اللغة [٦/ ٧٣]، لسان العرب [٣/ ٢١٣٢].

(٢) هَضْمُها: ظُلْمُها. انظر: لسان العرب [٦/ ٤٦٧٢]، المُغرِب في ترتيب المُعرِب [٢/ ٣٨٦].

(٣) أحْفِها: أكْثِر عليها، وألِح بشدة. انظر: تهذيب اللغة [٥/ ١٦٧]، لسان العرب [٢/ ٩٣٥].

(٤) نهج البلاغة مع الشرح، شرح الشيخ محمد عبده [٣٤٦].

## المبحث الرابع

### التلقي عن الرافضة

وهو السَّبَبُ الرَّابع من أسباب التَّحوُّل إلى الرَّفض، والمقصود بالتَّلقي عن الرَّافضة: اعتماد الزيدية على الرَّافضة كمصدر للمعلومة بشكل عام، سواء من خلال الكتب، أو من خلال المدرِّسين، أو غير ذلك مما يمكن أن يكون فيه الرَّافضةُ مصدراً في تلقي الزيدية.

وقد ذكر الباحثون في الزيدية(١) أنَّ الرَّفض قد انتعش في بلاد الزيدية في كثير من فترات التاريخ نتيجة لمؤثرات خارجية مصدرُها الرَّافضة، فظهر أثرُ هذا الانتعاش من خلال عدد من ثورات العامة، وكذا من خلال شيوع بعض عقائد الرَّافضة في تلك الفترات، فلم تكن أبوابُ زيدية اليمن يوماً مُوصَدَةً أمامَ الشِّيعَة الإماميَّة، فطالما استضافَت بلادُهم أعداداً منهم على مَرِّ التاريخ، فمُنذ القرونِ الأولى؛ بل مُنذُ السَّنوات الأولى لقيام دولة الزيديَّة ووفودُ الأعاجم - الفرس - لا تتوقَّف عن اليمن، سواء كانوا جنوداً مُناصرين(٢)، أم كانوا دُعاةً أو مُدرِّسين(٣).

---

(١) منهم: الدكتور أحمد الدغشي في الظاهرة الحوثية، انظر: الحوثيون، الظاهرة الحوثية دراسة منهجية شاملة، تأليف: د. أحمد محمد الدغشي، (ط٢)، نشر: مكتبة خالد بن الوليد - صنعاء، ٢٠٠٩م [٨٩ - ٩٠]، وعبد الله السريحي، في مقدمة تحقيق أدب الطلب [٦٢]، وعبد الرحمن المعلمي، في مقدمة تحقيق الإيضاح لما خفا [٤٠، وما بعدها].

(٢) ذكر الشيخ محمد الإمام عدداً من الأشخاص الذين ناصروا الإمام الهادي في إقامة دولته، ومنهم عدد من الطبريين، ثم قال: وغالب الطبريين مبتلون بالرفض. انظر: رافضة اليمن على مر الزمن [٤٦٠ - ٤٦٢].

(٣) منهم: أحمد بن موسى الطبري، الذي يسميه صارم الدين بن الوزير إمام الشيعة =

ونتيجة لهذا التواصل تسرَّبَت الكثير من عقائد وطقوس الرَّافضة إلى بلاد الزيدية، سواء عن طريق كتبهم، أو عن طريق المعلمين، أو غير ذلك.

ولا يزال هذا التَّواصل مستمراً إلى أيامنا هذه، إلَّا أنَّه قد استجدت صور جديدة للتواصل في هذه الأيام؛ كالتواصل من خلال الابتعاث إلى بلاد الرَّافضة، أو من خلال السِّفارات الرَّافضية الموجودة داخل اليمن، أو غير ذلك من صور التَّواصل، التي ساهمت في حصول التَّلقي الزيدي عن الرَّافضة، وفيما يأتي بيان لأهم صور التَّلقي الزيدي عن الرَّافضة.

**أولاً: كتب الرافضة:**

كثيراً ما تتسرَّب كتبُ الرَّافضة الإمامية إلى داخل بلاد الزيدية، وقد أشار بعضُ المؤرخين إلى بعضٍ من كتب الرَّوافض التي دخلت إلى اليمن في فترات قديمة.

فعلى سبيل المثال: ذكر العلامة الزيدي عبد الإله بن علي الوزير في تاريخه ضمن أحداث سنة (١٠٨٨هـ)، وصول كتاب (الزُّبدَة) للعلامة الإمامي بهاء الدين العاملي(١) إلى صنعاء، وقال: "وتناقلته أيدي الباحثين، واختلفت العناية به على قدر العقائد، والكتاب من التحقيق في أصول الإمامية بمحل رفيع"(٢).

---

= في زمانه. يقول صارم الدين: "وحكى إمام الشيعة في زمانه، ومحيي المذهب الشريف في أوانه، أحمد بن موسى الطبري في كتابه: (المنير)..". الفلك الدوار [٩٧].

(١) تقدمت ترجمته ص [١٩٤].

(٢) تاريخ اليمن خلال القرن الحادي عشر الهجري والمسمى: (طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى)، تأليف: عبد الإله بن علي الوزير، تحقيق: محمد عبد الرحيم جازم، نشر: دار المسيرة - بيروت، ١٤٠٥هـ [٣٥٤].

ومنها: كتاب نَهج البلاغة للشَّريف الرضي[١]، وكتاب المصابيح لأبي العبَّاس الحسني[٢]، الذي أَلَّفه حال كونه رافضياً إمامياً ثم صار زيدياً بعد ذلك[٣].

وأمَّا في هذا العصر، فقد شَهِدَت السَّنوات الأخيرة انفتاحاً زيدياً تجاه كتب الإمامية الرَّافضة، وذلك من خلال سياسة الانفتاح التي انتهجها تنظيم الشَّباب المؤمن[٤] تجاه الرَّافضة، وظهر ذلك من خلال دخول أعداد كبيرة من كتب الإماميَّة إلى اليمن، وتدريس بعضها في مدارس التَّنظيم، وتوزيع بعضها مجاناً، أو بالبيع بأثمان زهيدة في بعض مكتبات الزيدية[٥].

وقد تَمكَّنَ أحد الباحثين اليمنيين من خلال بحث ميداني أن يَرصُد عدداً من هذه الكتب التي وُزِّعَتْ - خلال فترة بحثه - في بلاد الزيدية مجاناً، وكذا بعض الكتب التي تُدرَّس بشكل سِرِّي في مراكز التنظيم، وإليك بيانها في الجدول الآتي:

---

(١) تقدم الكلام على هذا الكتاب وترجمة صاحب الكتاب في المبحث السابق.

(٢) أحمد بن إبراهيم بن الحسن، الحسني. عالم زيدي متفنن، درس على الناصر الأطروش، وأخذ عنه من أئمة الزيدية: المؤيد بالله الهاروني، وأخوه أبو طالب. توفي بجرجان سنة ٣٥٣هـ. من مؤلفاته: (المصابيح)، و(شرح المنتخب). انظر: مطلع البدور ومجمع البحور، لابن أبي الرجال [١/ ٢٣٩-٢٤٠]، أعلام المؤلفين الزيدية، للوجيه [٧٨-٧٩].

(٣) انظر: القول الجلي في الذب عن مذهب الإمام زيد بن علي [٧٢].

(٤) نشأ هذا التنظيم في بداية تسعينات القرن العشرين الميلادي، لغرض المحافظة على المذهب الزيدي - بداية - ثم ما لبث أن تحول إلى تنظيم مسلح مع مطلع القرن الواحد والعشرين، وسيأتي الكلام على هذا التنظيم بشكل مفصل في المبحث الخامس إن شاء الله.

(٥) انظر: التشيع في صعدة - دراسة ميدانية، لعبد الرحمن المجاهد [٤١، وما بعدها].

**قائمة بأسماء الكتب التي توزَّع مجاناً في مناطق الزيدية[1]:**

| م | اسم الكتاب | المؤلف | دار النشر | رقم الطبعة وتاريخها | ملاحظات |
|---|---|---|---|---|---|
| ١ | المهدي المنتظر في الفكر الإسلامي | مكتبة الإمام الشيرازي العالمية | مكتبة الإمام الشيرازي العالمية - بيروت | لا يوجد | هدية مجانية |
| ٢ | الغدير في الكتاب العزيز | من كتاب الغدير للأميني | مكتبة الإمام الشيرازي العالمية - بيروت | لا يوجد | هدية مجانية |
| ٣ | الدليل العقلي على إمامة علي | علي الحسيني الميلاني | مكتبة الإمام الشيرازي العالمية - بيروت | لا يوجد | هدية مجانية |
| ٤ | القرآن في مدرسة آل البيت | هاشم الموسوي | مكتبة الإمام الشيرازي العالمية - بيروت | لا يوجد | هدية مجانية |
| ٥ | رؤية الله في ضوء الكتاب والسنة والعقل الصحيح | جعفر السُّبحاني | مكتبة الإمام الشيرازي العالمية - بيروت | لا يوجد | هدية مجانية |
| ٦ | البَداء في ضوء الكتاب والسنة | محاضرات لجعفر السُّبحاني | مكتبة الإمام الشيرازي العالمية - بيروت | لا يوجد | هدية مجانية |
| ٧ | التقيَّة في الفكر الإسلامي | مكتبة الإمام الشيرازي | مكتبة الإمام الشيرازي العالمية - بيروت | لا يوجد | هدية مجانية |
| ٨ | الرَّجعة أو العودة إلى الحياة الدنيا بعد الموت | مكتبة الإمام الشيرازي | مكتبة الإمام الشيرازي العالمية - بيروت | لا يوجد | هدية مجانية |

(١) عن: التشيع في صعدة - دراسة ميدانية، لعبد الرحمن المجاهد [٤٩ - ٥٠].

| ٩ | التَّوَسُّل مفهومه وأقسامه وحكمه في الشريعة الإسلامية الغراء | جعفر السُّبحاني | مكتبة الإمام الشيرازي العالمية - بيروت | لا يوجد | هدية مجانية |
|---|---|---|---|---|---|
| ١٠ | البدعة مفهومها وحدودها | مركز الرسالة | مكتبة الإمام الشيرازي العالمية - بيروت | لا يوجد | هدية مجانية |
| ١١ | منع تدوين الحديث | علي الشهرستاني | مركز الأبحاث العقائدية بمكتبة الإمام الشيرازي العالمية | لا يوجد | هدية مجانية |
| ١٢ | آداب الأسرة في الإسلام | مركز الرسالة | مكتبة الإمام الشيرازي العالمية - بيروت | لا يوجد | هدية مجانية |
| ١٣ | علِّموا أولادكم حبَّ محمد وآل محمد | فاضل الفراتي | مؤسسة الفكر الإسلامي ببيروت، وهيئة محمد الأمين | الرابعة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م | إهداء مكتبة الإمام الشيرازي العالمية |
| ١٤ | نص الغدير في الكتاب والسنة والشعر (ملخص من موسوعة الغدير للأميني) | مركز الكوثر الثقافي الإسلامي، صنعاء - التحرير | مركز الكوثر الثقافي الإسلامي، صنعاء - التحرير | لا يوجد | |
| ١٥ | الأربعون حديثاً الحسينيَّة | دار الزهراء | دار الزهراء | لا يوجد | كُتيب صغير |

وقد لوحظ أنَّ الشيء البارز في هذه الكتب التي تُوَزَّعُ بشكل هدايا مجانية، تَشَبُّعُها بأفكار اثني عشرية عتيقة، استطاع شيعة إيران تسويقها لدى

قادة الشَّباب المؤمن ابتداءً، كعقائد[١]: البَداء، والرَّجعَة، والتَّقيَّة، والمهدي المنتظر، وولاية علي.. إلخ[٢].

وأما الكتب المتداولة بشكل سِرِّي فقد ذكر منها[٣]:

- ثم اهتديت للتيجاني.
- تأمُّلات في الصحيحين.
- ولاية الفقيه.
- أسرار الحكومة الإسلامية.
- زواج المتعة.
- التُّحفَة الشيعيَّة.

وقد أثارت هذه الكتب اشمئزاز علماء أهل السنة في اليمن، فحذَّروا منها، وأبانوا للناس ما تحويه من الشَّر المستطير.

يقول الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله وهو يتكلم عن شيعة اليمن: "لكن شيعة اليمن أتوا بشيء ما كان أغناهم عنه، ألا وهو كتب الإيرانيين، فقد فتحوا الباب على مصراعيه، والله المستعان!"[٤].

ويقول الدكتور عبد الوهاب الديلمي: "الكتب التي يتم تَداولها سِرّاً وجهراً مما يَفِدُ على الزيدية من الرافضة، لا تجد فيها سوى التَّعبِئَةَ ضد الصحابة والسَّلف الصالح، ولا تُعَلِّمُ سِوى السِّبابِ واللَّعن والشَّتائم،

---

(١) تقدم التعريف بهذه العقائد - مفصَّلاً - في الباب الأول، فانظرها هناك.

(٢) انظر: التشيع في صعدة - دراسة ميدانية، لعبد الرحمن المجاهد [٥١].

(٣) انظر: التشيع في صعدة - دراسة ميدانية [٤٨]، ولم يورد الباحث أسماء مؤلفي هذه الكتب - سوى التيجاني - أو بيانات أخرى عنها.

(٤) المصارعة، تأليف: مقبل بن هادي الوادعي، نشر: مكتبة الإمام مالك، ١٤١٣هـ [٣٣٧].

وتغرس الحِقدَ والكراهيَّة والبَغضاء لكلٍّ من ليس على شاكلة الرَّافضة، والبحث عن العثرات والزَّلَّات التي لا يَسلم منها البَشر، والبناء عليها، وجعلها الأساس في سلوك من يُظهرون العداء لهم، وليس فيها ما يَحمِلُ على سلامة الصَّدر، والدَّعوة إلى المحبَّة الإيمانية.."(١).

ويقول الشيخ محمد الإمام: "وينبغي أن يُعلم أنَّ هذه الكتب تشتمل على كل ضلال الرَّافضة، فهي كفيلة بأن تقلب أهل اليمن رأساً على عقب، وهي غالباً توزَّع مجاناً، وهي مطبوعة بطباعات عصرية فاخرة، وتوزَّع بكميات كبيرة، وبعض الأحايين يأتون بها إلى مساجد السُّنَّة ويضعونها فيها بطريقة خفيَّة، لا يدري الناس من أين جاءت! وكثيراً ما تكون عناوينها من جنس عناوين كتب السُّنَّة، فصار الخوف على أهل السُّنَّة منها كالخوف على غيرهم، أَلَا فليستيقظ النائمون، ويَحذر الغافلون، ولْيُنَفِّرْ ولْيُحَذِّرْ منها العارفون، ويَكشف عوارَها العلماء النابغون"(٢).

ولعلَّ من أبرز الكتب الإمامية تأثيراً في الزيدية في الوقت الحاضر ذلك الكتاب الذي أَلَّفه: علي الكوراني العاملي(٣) الإمامي، تحت عنوان: (عصر الظهور)، والذي تكلَّم فيه عن العلامات الدَّالة على ظهور المهدي المنتظر، وذكر من هذه العلامات ثورة اليماني؛ وهي ثورة إسلامية شيعية

---

(١) جناية أدعياء الزيدية على الزيدية [١٩٤].

(٢) رافضة اليمن على مر الزمن [٥١٠-٥١١].

(٣) علي محمد قاسم كوراني العاملي، عالم وداعية إمامي، مولده ببلدة ياطر بجبل عامل بلبنان، سنة ١٩٤٤م. دَرَس بجبل عامل والنجف، ثم استقر بعد الثورة الإيرانية في مدينة قم الإيرانية، له العديد من الأعمال التأليفية والدعوية. من مؤلفاته: (معجم أحاديث الإمام المهدي)، و(تدوين القرآن)، و(آيات الغدير). انظر سيرته الذاتية على موقعه، متاح على الرابط التالي: http://www.alameli.net
تاريخ الدخول: ٢٧/ ١١/ ٢٠١٣م.

في اليمن تسبق ظهور المهدي وتُمَهِّدُ لظهوره، وذكر أنَّ قائدها يماني واسمه: (حسن أو حسين)، وأنَّها أَهدى الرَّايات في عصر الظهور على الإطلاق وعاصمتها صنعاء(١)، وذكر أنَّ اليماني يخرج من قرية اسمها (كَرْعَة)، وهي قرية في منطقة بني خولان قرب صعدة(٢)، وقد ذُكِر هذا في التقرير الأمني الذي قدَّمَه وزير الداخلية اليَمني اللِّواء رشاد العليمي إلى أعضاء مجلس النواب، والذي ذكر فيه بأنَّ الحوثي قام بتوزيع الكتاب المذكور لمؤلِّفه: علي الكوراني العاملي، كما ذكر التقرير نفسُه أنَّ الأجهزة الأمنية ضبطت مع بعض أتباع الحوثي من أبناء صعدة وثيقةَ مبايعة الحوثي على أنَّه الإمام والمهدي المنتظر(٣).

لقد ظنَّ الحوثي - متأثراً بذلك الكتاب الإمامي - أنَّه هو المقصود، أو كأن المؤلِّفَ أراد أن يدفع بأمثال الحوثي إلى المواجهة من خلال هذا التَّضليل، فقد استخدم الخُبثَ الرَّافضي، فأراد أن يُموِّه في الاسم (حسن أو حسين)، حتى إذا فشل في ثورته، قالوا ليس هو المقصود بالرِّواية!. وقد كان من أمر حسين الحوثي ما يعلمه الجميع من خروجه على الحكومة اليمنية، ودخوله معها في حروب طاحنة حتى قُتل.

كما استعان علماء الزيدية بكتب الإمامية في الحكم على رواة السنة، فإنَّ الزيدية لما كانت فقيرةً في هذا الباب وأرادوا تفنيد روايات أهل السُّنَّة، لم يجدوا أمامهم إلَّا كتب الرَّافضة، فأخذوا عنهم.

يقول الشيخ مقبل الوادعي - وهو يتحدَّث عن ردود الزيدية عليه-:

---

(١) انظر: عصر الظهور، تأليف: علي الكوراني العاملي، ط١٧ - ١٤٢٧هـ [١١٧].

(٢) انظر: عصر الظهور [١١٨].

(٣) انظر: الحوثيون في اليمن بين السياسة والواقع، لعائدة العلي [٦٥].

"القسم الثاني [يعني من ردود الزيدية عليه]: تضعيف لأحاديث ثابتة، نقلوا هذا من (كشف الارتياب) لمحسن الأمين الرَّافضي[١]، ونعوذ بالله من الهوى؛ بالأمس الزيدية تُضَلِّلُ الرَّافضة، واليوم يوافقونهم على محاربة السُّنَّة، وينقلون جرحَ جبال الحفظ من كتب الرَّوافض، أما يستحي ذلكم الرَّافضي أن يُضَعِّفَ حديثاً لأنَّ فيه وكيعَ بن الجراح[٢]، وسفيانَ الثَّوري[٣]، وغير هذا كثير!. وهو يحاول أن يُصَحِّحَ حديثاً من طريق عَطيَّةَ العُوفي[٤]. وأهل صعدة ينقلون هذا عن الرَّوافض، ويزعمون أنَّهم زيدية، بل يزعمون أنَّهم حُماةُ المذهب الزيدي! "[٥].

وقد ترافق دخول الكتب الإمامية إلى اليمن في العصر الراهن مع المشروع الإيراني في تصدير الثورة، فكان الكتاب هو الوسيلة الأولى التي

---

(١) تقدمت ترجمته ص [٢٠٤].

(٢) أبو سفيان، وكيع بن الجراح بن مُليح الرؤاسي؛ من حُفَّاظ الحديث الأثبات. قال أحمد بن حنبل: ما رأيت أوعى للعلم ولا أحفظ من وكيع!. وكان زاهداً، يصوم الدهر، أراد الرشيد أن يوليه قضاء الكوفة فامتنع. مولده بالكوفة سنة ١٢٩هـ، ووفاته بفَيد راجعاً من الحج سنة ١٩٧هـ. من مؤلفاته: (تفسير القرآن)، و(السنن)، و(المعرفة والتاريخ). انظر: صفة الصفوة، لابن الجوزي [٣/ ١٧٠-١٧٢]، تذكرة الحفاظ، للذهبي [١/ ٢٢٣-٢٢٥]، الأعلام، للزركلي [٨/ ١١٧].

(٣) تقدمت ترجمته ص [١٣٤].

(٤) أبو الحسن، عطية بن سعد بن جنادة العوفي، القيسي، الكوفي. من رجال الحديث الشيعة. ضعَّفه جمع من أهل العلم. خرج مع ابن الأشعث، فضربه عامل الكوفة بأمر من الحجَّاج ٤٠٠ سوط وحلق رأسه ولحيته، فلجأ إلى فارس، واستقر بخراسان بقية أيام الحجَّاج، فلما ولي العراق عمر بن هبيرة أذن له في القدوم فعاد إلى الكوفة، وتوفي بها سنة ١١١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء [٥/ ٣٢٥-٣٢٦]، تهذيب التهذيب [٣/ ١١٤]، الأعلام [٤/ ٢٣٧].

(٥) رياض الجنة في الرد على أعداء السنة [٦].

يستطيعون من خلالها نشرَ ثورتهم إلى العالم، والأقربون أولى بالمعروف!، فكانت الزيدية لقُربها من الإمامية - بجامع التَّشيُّع - أولى بهذا المعروف الذي تسديه إيران إلى العالم!.

وعلى الرغم من تحذيرات العلماء المستمرَّة من هذه الكتب الإمامية التي غزت مناطق الزيدية، ومخاطر انتشارها على عقيدة اليمنيين، إلَّا أنَّ تحذيراتهم كانت تلقى آذاناً صُمّاً، بل سوءَ ظنٍّ بهم، وأنَّ الحامل على ذلك إنَّما هو الخلاف العقدي بين السُّنَّة والإماميَّة. وكيف لا يكون منهم ذلك وعلاقة الزيدية بكتب الإمامية قديمة، مع دعوى الانفتاح التي يتباهون بها، والجنوح الواضح لدى الفرقتين نحو الفكر المعتزلي!.

يقول بدر الدين الحوثي رداً على تحذيرات الشيخ مقبل الوادعي من كتب الرافضة: "وقد غضب مقبل من كتب الشيعة وزعم أنَّ فيها الكفر البَواح، وهذا تبرير منه لغضبه، والحقيقة أنَّ غضبه من كتب الإمامية، وسمَّاها الإيرانية؛ لأنَّها تخالف مذهبَه"[(١)].

إذن فالحوثي لم يكن يمانع من دخول كتب الإمامية إلى بلاد الزيدية، كما أنَّه لا يرى بأنَّ فيها كفراً بواحاً كما هو رأي الشيخ مقبل فيما ردَّ عليه!، وهذا أمر مُهِم سنتطرق إليه في المبحث القادم - إن شاء الله - عند الكلام على دور الحوثيين في تحوُّل الزيديَّة إلى الرَّفض.

كما دخلت إلى بلاد الزيدية كتب أخرى مَشبوهة، تَتَحَدَّثُ عن الفتن التي دارت بين الصحابة ﭫ، وخاصة بعد مقتل عثمان ﭬ، ككتب جُرْجي زيدان[(٢)].

---

(١) كشف التغرير، للسيد بدر الدين الحوثي، عن (نسخة إلكترونية على طريقة المكتبة الشاملة مفرَّغ عن شريط كاسيت بواسطة محمد يحيى سالم عزَّان) [١٨].

(٢) انظر: التشيع في صعدة - دراسة ميدانية، للمجاهد [٦٧].

والملاحظ أنَّه على الرغم من الكمية الكبيرة من الكتب الإمامية التي تَسَرَّبَت إلى اليمن، فإنَّها لم تصل إلَّا إلى أَيدي أبناء المذهب الزيدي، مما يؤكد وجودَ الأرض الخِصبَة، والتَّهيؤ المسبق لدى الزيدية للنظر في هذه الكتب، وإمكانيةَ تقبُّلِها، ولوجود الأصول المشتركة الدَّافِعة إلى تقبُّل الأخيرة، وهذا ما أكَّده أحد الباحثين بقوله: "كما تسربت على اليمن أطنان من الكتب الاثني عشرية الخرافيَّة، ولم تَصِل إلَّا إلى يد أبناء المذهب الزيدي، وهذه واحدة من المسائل الشَّائكة التي تحفر في بنية الزيدية، أمَّا غيرهم من أبناء السُّنَّة فليسوا في أيِّ وقت مَجالَ طمع الفكر الاثني عشري؛ لأنَّهم أَبعدُ ما يكونون عن التأثر بمثله، اللَّهمَّ إلَّا أنَ يكون فيهم أصحابُ استجابة سلاليَّة يَبحثون عن مَجد السُّلطة، وبناءِ شوامخ سُلاليَّة تُفرِّقُ المسلمين بين سَيِّد، وقاض، وقبيلي، ومُزَيِّن، على غِرار التفريق بين السَّلف والخَلَف، وتوزيعهم ذات اليَمين وذات الشِّمال"[1].

**ثانياً: المُدرِّسون الرَّافضة:**

وهذه هي الصورة الثانية من صور التَّلقي الزيدي عن الرَّافضة، فكما أنَّ الكتاب مصدر في التلقي كذلك فقد كان للمدرسين الرَّافضة دورٌ لا يَقِلُّ أهمية وتأثيراً على الزيدية من الكتاب، وتاريخ الزيدية شاهد على كثرة وفادة الإمامية عليهم، فقد كانت الزيدية ولازالت لا تمانع من وفادة الرَّافضة عليهم، ولا أن يكون فيها مُدرِّسون منهم، بل لقد بالغت الزيدية في التَّلطُّف بمن وفد إليهم من الإمامية، فكانوا إذا وفد عليهم الرَّجل من الإمامية (هَشُّوا إليه وأجهشوا، وعَشْعَشُوا وانتعشوا)[2]، على العكس تماماً

---

(١) الحرب في صعدة - الجزء الثاني - خلفية الفكر الحوثي ومؤشر الاتجاه، تأليف: عبد الله الصنعاني، نشر: دار الأمل - القاهرة، ١٤٢٧هـ [٢٠٤ - ٢٠٥].

(٢) اقتباس من العلم الشامخ [١٦٣].

من وفادة السُّنِّي!.

يقول المقبلي رَحِمَهُ اللَّهُ - وهو يَسْأَلُ خطيباً زيدياً عن هذه الملاحظة-: "أَرَاكُم يَفِدُ على هذه الدولة المباركة الرَّجلُ من الإمامية، فكأنَّما وفَدَ عليكم مَلَك؛ ومن أصولهم البراءةُ منكم ومن سائر الفرق الإسلامية المنكرين للنَّصِّ على أئمتهم؛ لأَنَّهم أنكروا ما عُلِمَ من الدِّين ضرورة بزعمهم، وأنَّ أئمتكم منذ زيد بن علي إلى يومنا هذا رؤساء الضَّلال والكفر - صانهم الله تعالى - ويُسَمُّون من خالفَهم كافراً أو منافقاً!. وإذا جاءكم الرَّجل من أهل المذاهب الأربعة، فكأنَّما رأيتم شيطاناً؛ ومِن أصولهم وأُمهات المسائل عندهم أن لا يُكَفَّرَ أحدٌ من أهل القبلة؛ فأخبرني ما هذا؟. فما وجد من الجواب إلَّا أن قال: الإماميَّة لم يشتغلوا بنا ولا بأذيَّتنا، وهؤلاء يرموننا بالابتداع. فقلت: أيُّهما أعظم: الرَّميُ بالبدعة مع الشَّهادة لكم بالإسلام، أم الرَّميُ بالكفر واستحلال دمائكم وسَبي نسائكم وأبنائكم، واغتنامُ أموالكم؟، فأُلجِمَ"(١).

وهذا الموقف الزيدي يدل على تسامح لا محدود مع الإمامية، سَهَّلَ لهم أن يُسَرِّبوا أفكارَهم ومعتقداتهم بين أبناء الزيدية، والتاريخ والواقع يشهدان بهذا، فقد كان تتابع وصول دعاة الرَّفض من بلاد العجم (فارس) من الأسباب التي أدَّت إلى انتشار الرَّفض في بلاد الزيدية، فكانوا يَصِلُون إلى اليمن بدعاوى عِدَّة، كالتَّطبيب والسِّياحة وغير ذلك(٢).

وهكذا طَمِعَ الرَّافِضَةُ في الزيديَّة، فكانوا يَتَوالَون على بلادهم باستمرار، وأَحدثوا فيهم العديد من الفِتن التي كادت تُودِي بحياة بعض

---

(١) العلم الشامخ [١٦٣].

(٢) للمزيد انظر: الإيضاح لما خفا من الاتفاق على تعظيم صحابة المصطفى، ليحيى بن الحسين [٤٢].

أئمة العلم، كالذي حدث للإمام المـُحدِّث محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني من مؤامرة الرَّوافض عليه ومحاولة قتله!.

وكان من أبرز المدرسين الروافض في البلاد الزيدية رجل من العجم يدعى: السيد يوسف العجمي، الذي أحدث في صنعاء فتنة عظيمة، ونشر فيها من الرَّفض ما قصَّ علينا الإمام الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال: "فاقرة في الدِّين، قاصمةٌ لظهور المتقين، ومُصِيبَةٌ في الإسلام لم يطمع في وقوعها إبليسُ اللَّعين، ومَكيدَةٌ في الإسلام أُسِّسَتْ بآراء جماعةٍ من الأَفدَام[1]، وهي ظهورُ الرَّفض وسَبُّ العشرة المشهود لهم بالجنَّة على لسان الرَّسول الأمين ﷺ وعلى آله الطاهرين، حاشا علياً أميرَ المؤمنين، فإنَّه مُصانٌ عن ألسُن الطاعنين.

وسَبَبُه أنَّه وصلَ رجلٌ من العَجَم إلى صنعاء اليمن فارّاً - على زعمه - من طِهماسِب[2]، يتسمى بالسيد يوسف، وَفَدَ إلى صنعاء في أوائل سنة ١١٦٠هـ على مُضي أربعةِ أشهر منها، وله معرفةٌ في علم الميزان على ما خَبِرناه، كمعرفة غيره ممن مارَسَ ذلك الفنَّ من أبناء الزَّمان، وادَّعى أنَّ له في علم الهيئة معرفة، وهو علم لا نَعرِفُه، فلا نُصدِقُه ولا نُكَذِّبُه.. وله في النَّحو والبيان مثلُ أي مَن له في هَذين الفنين معرفة من الأعيان.

---

(١) الفَدْم من الناس: العَييُّ عن الحجة والكلام مع ثقل ورخاوة وقلة فهم، والجمع: فِدام، والأنثى فَدْمَة، والجمع فُدْم. انظر: لسان العرب [٥/ ٣٣٦٥]، والذي في المتن (أفدام) فيه زيادة همزة في أوله، ولعلها زادت أثناء الطبع.

(٢) الشاه طهماسب مِيرزا ابن الشاه حسين الصَّفوي. من آخر ملوك الدولة الصفوية، حيث تولى الحكم ما بين عامي ١١٣٥هـ، و١١٤٥هـ، في الوقت الذي كانت تتعرض فيه البلاد الصفوية لهجمات الأفغان والتي أدت في الأخير إلى سقوط الدولة نهائياً سنة ١١٤٩هـ. انظر: تاريخ الدولة الصفوية، لمحمد طقوش [٢٣٤، وما بعدها].

فاتفق له قبول عند بعض مَن يَتَّصِلُ بالخليفة المنصور، فَصَوَّرَ له أنَّ هذا من العلماء في المعقول والمأثور.

وهذا العَجمي لا يَدَّعي لنفسه مَعرفةَ سُنَّةٍ ولا كتاب، بل لا يُقيم سُورةً من القرآن بلسانه، ولكن هذا الذي صَوَّرَ للخليفة رجلٌ من أهل التقصير، لا يَعرِفُ من العلوم قَبيلاً مِن دَبير[١]، فأمره الخليفة أن يُملي نَهجَ البلاغة وشرحَه لابن أبي الحديد على الكرسي في الجامع الكبير، وأمر له بالشَّمع تُسرَج، وبالشَّوَش[٢] من أصحاب الدولة يحضرون بحضوره، وحضر من غَوغاء الناس وجهلتهم أُمَمٌ كثيرة، فأملى من ذلك شيئاً يُصَحِّفُ بعضَ ألفاظه؛ وكان همُّه إلقاء مذهب الرافضة إلى الأذهان، ودَسَّ شيئاً من كُفريات الفلاسفة، وسَرَد كذبات على الصحابة من أكاذيب الرَّافضة فيما جرى على أهل البيت - علي وفاطمة عليهما السلام - منهم.

وما زال كلَّ ليلة يَسرد من هذا حتى ذَكرَ أنَّه حَرَّفَ القرآنَ بعضُ الصحابة، فَسَبَّ الصحابةَ العامَّةُ من النَّاس، ولَعَنوا أعيانَ أصحاب رسول الله ﷺ مِثلَ العشرة المشهود لهم بالجنَّة، إلَّا علياً عليه السلام وغيرهم، وأتى بكلِّ قبيح؛ من قوله: إنَّه غَلِطَ جبريل عليه السلام بالرسالة، وأنَّها كانت إلى علي بن أبي طالب عليه السلام !.

وحاصله؛ أنَّه لم يَبْقَ مذهبٌ من مذاهب العَجَم إلَّا دَسَّه في ذلك.."[٣].

---

(١) قال ابن فارس: "والقَبيل: ما أقبَلَتْ به المرأةُ من غَزْلها حين تَفتِله، والدَّبير: ما أدبرَتْ به. وذلك معنَى قولهم: (ما يَعْرِف قبيلاً من دَبِير)". معجم مقاييس اللغة [٥/ ٥١ - ٥٢].

(٢) الشَّوَش: جمع شاوش، وهم العسكر، وهذا معروف في لغة أهل اليمن إلى الآن.

(٣) ديوان الصنعاني [٤٥١ - ٤٥٢].

وأما التآمُر على قتل الإمام الصنعاني، فذلك أنَّ هذا العجمي قد حرَّضَ العوام بعد إحدى الجمع، إذ لم يذكر الصنعاني الأئمة الذين اعتادوا ذكرَهم بعد الخطبة، فاتَّهمَه بتغيير مذهب أهل البيت، فكاد الناسُ أن يُوقعوا بالصنعاني لَولا دفعُ الله!. ولذلك فقد أمر الإمام بسجن الصنعاني وآخَرين من آل الإمام، كما أمر بطرد العَجَمي من اليمن بعد هذه الحادثة من بعد أن أظهر في صنعاءَ الفَساد(١).

وهكذا في عصرنا لا تزال هذه الصورة موجودة ومؤثرة في نشر الرفض في بلاد الزيدية من خلال وفود المدرسين - المنتمين إلى مذهب الإماميَّة - لا سيما العراقيين - إلى اليمن، ومن خلال عملهم في التدريس يقومون بِبَثِّ أفكارهم لدى الطلاب في المدارس وفي الجامعات(٢).

فقد استقبل اليمن عدداً كبيراً من المدرسين العراقيين قبولاً حسناً - نظراً للأزمة التي تعيشها العراق كونَهم إخوةٌ يجب استيعابهم - ولم يجدوا غضاضة في أن يُدَرِّسَ العراقي في أيِّ مدرسة، أو كلية، أو جامعة في اليمن، فدخلوا في مختلف المؤسسات التربوية الحكومية والأهلية، وفي مدارس البنين والبنات الثانوية، ولا يزالون نِسبَة كبيرة في الجامعات والكليَّات(٣).

وكان أوَّل ظهور لبعض بَصماتهم المذهبيَّة في العام ٢٠٠٢م، حيث ظهرت شكاوى من قِبَل أهالي طالبات يَدرُسنَ في مدرسة (٧يوليو) - في

---

(١) انظر - بتصرف-: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني [٢/ ٦٨٧].
(٢) انظر: رافضة اليمن على مر الزمن، لمحمد الإمام [٤٦٣].
(٣) انظر - بتصرف يسير-: الحرب في صعدة - خلفية الفكر الحوثي ومؤشر الاتجاه، لعبد الله الصنعاني [٢٩].

أمانة العاصمة - سببُها ترويجُ مدرسين شيعة للمذهب الاثني عشري فيها، ورفعوا شكواهم المفتوحة ووجهوها إلى أكثرَ من جهة مسؤولة(١).

**ثالثاً: سفارات الرَّافضة:**

وهي من الصور الحديثة في نشر الرَّفض في البلاد المختلفة، حيث تُعَدُّ السِّفارة حلقةَ وصل بين بلدها والبلد الـمُضيف، وتستطيع السِّفارة أن تعمل في البلد الـمُضيف بكل حريَّة وعلى أعلى المستويات.

وفي اليمن كان للسفارات الرافضية - لاسيما سفارة إيران - دور كبير في العمل على نشر الفكر الرَّافضي فيه، من خلال العديد من النشاطات التي تقوم بها، كالتنسيق مع الحكومة اليمنية لإرسال مجاميع من الطلاب اليمنيين للدِّراسة في إيران، أو العمل على إدخال كميات كبيرة من كتب الرافضة إلى اليمن - كما مر معنا قريباً - أو غير ذلك.

وقد ذكر بعضُ المراقبين خطورة هذه السِّفارات في نشر الرَّفض في اليمن، من خلال الاستخدام السَّيئ للحصانة الممنوحة لها. يقول الشيخ محمد بن عبد الله الإمام: "قدوم السُّفراء من إيران، وهؤلاء في عصرنا هم سِرُّ انتشار الرَّفض من جديد بتوسع كبير، لأنَّ السفارات عندها حصانة دولية، فعن طريقها يتم التواصل في إدخال الكتب الإيرانية والعراقية إلى اليمن، ووفود الرافضة إلى هذه البلاد، وعن طريقها تَتِمُّ المطالبة للحكومة اليمنية بما يُريده رافضة اليمن مما لا يتفقِ مع الإسلام، ناهيك عن تسهيل السفارة للطلاب اليمنيين الدَّارسين في إيران.

وأدهَى من هذا وأَمَرُّ استقطابُ صِغار السِّن من أبناء سِنِّ العاشرة

---

(١) انظر: الحرب في صعدة [٢٩]، وانظر نص رسالة الأهالي في نفس الكتاب [٣٠ - ٣٢].

والحادية والثانية عشرة للدراسة في مدارس خليجيَّة تتبع رافضة إيران، وأظنُّ أنَّ السَّفارة الإيرانية إن لم تكن أنشَط سفارة في نشر الرَّفض، فهي من أنشط السفارات في نشر معتقداتها الباطلة"[١].

ويقول أيضاً: "ومن عظيم كيد الرَّافضة في اليمن أن جنَّدوا بعضاً منهم لأخذ الأبناء الصِّغار الذين سِنُّهُم لا يتجاوز الثانيةَ عشرة إلى مدارس رافضيَّة في البحرين وغيرها - كما نشرت هذا الخبر بعض الصُّحف اليمنية - بدعوى أنَّهم أيتام وليسوا كذلك!، وأيضاً لا يجوز تَسليمُهم للرَّافضة ولو كانوا أيتاماً، وقد ذهب عدد ليس بالقليل من بعض قبائل خولان[٢].

وللرافضة في هذا مَكرٌ خَبيث بهؤلاء الأطفال، فهم يأخذون الطفل ولا يقبلون معه كبيراً من أقاربه، ويشترطون أن يبقى عندهم سنتين بحيث لا يرجع زائراً إلى اليمن إلَّا بعد سنتين، ويشترطون أن يستمر في الدراسة عندهم حتى ينتهي، ويلتزمون له بمرتب إماراتي، وقد أخبرنا بعضُ من رأى من هؤلاء الأطفال حين رجوعهم إلى اليمن، فإذا بهم على طريقة الرَّفض حذوَ القُذَّةِ بالقُذَّة"[٣].

ولم يقتصر الأمر على ذهاب الطلاب إلى بلاد الرَّافضة لتلقي علومهم، بل قد ذهب عدد من قيادات التثقيف الزيدي ومشايخهم إلى هناك، وأقاموا فيها مُدَّة، والتقوا بعدد من علماء الإمامية هناك، فتوطَّدَت العلاقة بينهم، مما سَهَّل إمكانيةَ التعاون فيما بينهم من غير نكير.

---

(١) رافضة اليمن على مر الزمن [٤٦٣].

(٢) خولان: من القبائل اليمنية الكبرى، وهي ثلاثة أقسام: خولان صنعاء، وخولان صعدة، وخولان قضاعة. انظر: معجم المدن والقبائل اليمنية [١٤٧].

(٣) طعون رافضة اليمن في صحابة الرسول المؤتمن [٦١].

يقول الدكتور عبد الوهاب الدَّيلمي: "إنَّ ذهابَ عدد من رموز الشِّيعة في صَعدة وغيرها، وإرسالَ أعداد كبيرة من الطلاب إلى إيران للدراسة، وتبادل الرسائل والاستفادة من الدَّعم المادي والمعنوي، واستقدام الخبراء من لبنان والعراق، وكَثرةَ الكتب الوافدة من إيران، كلُّ هذا وغيره من أكبر الأدلَّة على ما وصل إليه دُعاة الرَّفض في اليمن من القناعة بالارتماء في أحضان الرَّافضة والتَّنكُّر للمذهب الزَّيدي"(١).

ومما سبق نخلص إلى القول بأنَّ التَّلقي عن الرَّافضة الإماميَّة من خلال الصور، أو الوسائل المذكورة - كتب الرافضة، ودعاة الرافضة، وسفارات الرافضة - كان سبباً مؤثراً في تحوُّل من تحوَّل من الزيدية إلى الرَّفض، ولعلَّه يَظلُّ سبباً في المستقبل ما لم تتدارك الحكومة اليمنية الأمرَ، وتستشعر الخطرَ الإماميَّ المحدِقَ بأهل اليمن.



---

(١) جناية أدعياء الزيدية على الزيدية [١٩٣].

# المبحث الخامس

## تأثير الظاهرة الحوثية

وهذا هو السَّبب الخامس من أسباب التَّحوُّل العقدي الزيدي إلى الرَّفض، فقد كان للظاهرة الحوثية تأثير كبير في تحوُّل قطاع واسع من أتباع المذهب الزيدي إلى الرَّفض في العقدين الأخيرين، وذلك أنَّ الحركة الحوثية بمكوناتها[(١)] قد عملت بجهد مُتوازٍ في التَّوطئة لدخول الفكر الرافضي الاثني عشري إلى اليمن من خلال مُخَطَّط مُحكَم تعاونت فيه مكونات الظاهرة مجتمعة سواء علموا بذلك أم جهلوا[(٢)].

**لمحة موجزة عن نشأة الظاهرة الحوثية:**

إنَّ الظاهرة الحوثية، وإن كانت قد برزت للسَّطح في مطلع القرن الواحد والعشرين الميلادي، من خلال ما عرف بحركة التَّمرد الحوثية بقيادة حسين بدر الدين الحوثي، وما دار بينها وبين الحكومة اليمنية من حروب على مدى ست سنوات تقريباً في جولات مُتفرِّقة على طول تلك الفترة، إلَّا أنَّها تعود في نشأتها إلى عقود سابقة، نتيجة لأسباب مختلفة؛ فالظاهرة الحوثية هي امتداد لما عُرِف في فترة التسعينات من القرن العشرين بتنظيم الشباب المؤمن، والذي كان هو الآخر امتداداً لمنتدى الشَّباب المؤمن،

---

(١) هناك ثلاث مكونات أساسية للظاهرة الحوثية، وهي: ١ - المرشد (بدر الدين الحوثي) ٢ - القائد (حسين بدر الدين) ٣ - الأتباع (تنظيم الشباب المؤمن). وسيأتي ذكرها مفصلاً قريباً.

(٢) انظر رأي الباحثين في مركز الجزيرة للدراسات والبحوث من خلال كتاب: الحوثية في اليمن في ظل التحولات الدولية، الصفحات [٥٥] و[٩٤] و[٩٥].

وقبله اتحاد الشَّباب، في سلسلة من التطوُّر تأثرت بتغيرات سياسية حدثت في اليمن أثناء نشاط تلك المسمَّيات.

- ففي العام ١٩٨٦م تمَّ إنشاء (إتحاد الشَّباب) بواسطة العلَّامة الزيدي صلاح فَلِيتَه[(١)].
- وفي العام ١٩٨٨م تجدَّد النَّشاط الزيدي بواسطة بعض الرموز التي عادت إلى اليمن من المملكة العربية السُّعودية، كان من أبرزهم العلامة الزيدي مجدُ الدين المؤيدي، والعلامة الزيدي بدر الدين الحوثي.
- وفي العام ١٩٩٠م تحوَّلت هذه الأنشطة إلى مشروع سياسي بعد قيام الوحدة اليمنية وإقرار مبدأ التعدُّدية الحزبيَّة، حيث أُعلن عن قيام ما يزيد عن ستِّين حزباً سياسياً تمثِّل كافة الأطياف السِّياسية اليمنية، كان من بينها حزبان شيعيَّان انظوى تحتَهما كثير من الشَّباب الزيدي، وهما: حزبُ الحق، وحزبُ إتحاد القوى الشعبيَّة اليمنية[(٢)].
- وفي العام ١٩٩٠م تم العمل لتأسيس منتدى الشَّباب المؤمن، على يد محمد يحيى سالم عزَّان، ومحمد بدر الدين الحوثي وآخرين،

---

(١) صلاح بن أحمد عبد الله فَليته؛ عالم زيدي. بنى مدرسة بجانب بيته في صعدة وتخرج على يديه عدد من الطلاب في المذهب الزيدي. مولده بمنطقة رازح بمحافظة صعدة سنة ١٣٥٥هـ، ووفاته سنة ١٤٢٩هـ. من مؤلفاته: (القول المبين في الرد على المتطرفين)، و(القول الحق)، و(العقيدة الأصولية). انظر: أعلام المؤلفين الزيدية [٤٩٦]، موسوعة الأعلام، د. عبد الولي الشميري، متاح على الرابط:
(http://www.al-aalam.com)
تاريخ الدخول: ٢٦/ ١١/ ٢٠١٣م.

(٢) انظر: الحوثية في اليمن الأطماع المذهبية في ظل التحولات الدولية، مركز الجزيرة للدراسات [١١١ - ١١٢].

واستمرت مرحلة التأسيس حتى العام ١٩٩٤م، ثم كانت فترة الازدهار للمنتدى مابين عامي (١٩٩٤ - ١٩٩٦م)[١]، وبعدها حدث انشقاق في صفوف هذا المنتدى، سيطر بموجبه حسين بدر الدين الحوثي على المنتدى، ومعه عبد الله عيضة الرُّزامي، وعبد الرحيم الحمران، بالإضافة إلى محمد بدر الدين الحوثي[٢].

- كما ظهرت بوادر انشقاق لعناصر من قيادات الشباب المؤمن عن حزب الحق، وازداد خلافهم مع قيادة الحزب، لاسيَّما أثناء حرب عام ١٩٩٤م، حيث كان لتلك العناصر موقف داعم للانفصال، وقامت ببعض أعمال الشَّغَب والتَّخريب في مديرية مرَّان بمحافظة صعدة خرجت على إثرها حملة عسكرية إلى المنطقة، وفرَّ بدر الدين الحوثي (الأب) مع أولاده إلى إيران.
- وبعد عام عاد النشاط من جديد على إثر عودة الحوثي وأولاده من إيران تحت مسمَّى (منتدى الشباب المؤمن)، واستمر حتى عام ١٩٩٧م[٣].
- وفي العام ١٩٩٧م تم تحويل الاسم من مدلوله الثقافي الفكري كمنتدى إلى المدلول السِّياسي، حيث أصبح (تنظيم الشباب المؤمن)، وتَفرَّغ له حسين بدر الدين عازفاً عن الترشُّح في مجلس النواب، تاركاً المقعد الذي كان يشغله لأخيه يحيى بدر الدين الحوثي، فيما برز والده بدر الدين الحوثي كمرجعيَّة عليا للتنظيم[٤].

---

(١) بحسب إفادة محمد عزان. انظر: الحوثية في اليمن الأطماع المذهبية في ظل التحولات الدولية [١١٣].

(٢) انظر: الحوثيون في اليمن بين السياسة والواقع، لعائدة العلي [٥٤].

(٣) انظر: التوجهات الإيرانية في المنطقة العربية، لمرشد الزهيري [٩٥ - ٩٧].

(٤) انظر: الحوثيون في اليمن بين السياسة والواقع [٥٤].

- استمر التنظيم في نشاطه في صفوف الشباب حتى قيامه بالتمرُّد عام ٢٠٠٤م، حيث تمكن خلال تلك الفترة من استقطاب الكثير من العناصر في محافظة صعدة، وبعض المحافظات الأخرى عن طريق الأنشطة الثقافية والمراكز والمخيمات التي رافقها القيام بالتدريبات العسكرية وشراء الأسلحة وتخزينها(١).

وبعد هذه اللَّمحة الموجزة لنشأة الحركة الحوثية يحسُن ذكر تعريف للظاهرة الحوثية، حيث عرفها بعضهم بأنَّها: "تلك الحركة، أو ذلك المنتدى، أو التنظيم الفكري التربوي (المدرسي) الذي أعلن عن نفسه في العام ١٩٩٠م باسم (الشَّباب المؤمن) كإطار تربوي وثقافي في البداية، إذ اقتصر نشاطه في ذلك الحين على تربية الشباب وتأهيلهم بدراسة بعض علوم الشريعة مع الأنشطة المصاحبة، وفق رؤية مذهبية غالبة، ثم ما لبث أن انتقل - بسبب بعض العوامل - إلى تنظيم مسلَّح عسكري، بدءً من منتصف العام ٢٠٠٤م، بحيث صار (الحوثيون) عنواناً له"(٢).

ومن التعريف يتَّضح أنَّ التسميات الثلاث جميعها لمسمّى واحد، فالحركة الحوثية: هي تنظيم الشَّباب المؤمن، وهي منتدى الشَّباب المؤمن، وإنَّما اختلفت التَّسميات باختلاف المرحلة التي عمل فيها ذلك المسمى.

والسُّؤال: ماهي الأسباب التي دفعت إلى تأسيس منتدى الشَّباب المؤمن، والذي صار فيما بعد تنظيم الشباب المؤمن والحركة الحوثية؟.

لم تكن الأسباب التي دفعت إلى تأسيس هذا المنتدى مُعلَنة على الملأ منذ اللَّحظة الأولى للتأسيس، ولكنَّهم اكتفوا بذكر الأهداف المرجوَّة من

---

(١) انظر: التوجهات الإيرانية في المنطقة العربية [٩٧].

(٢) الحوثيون، الظاهرة الحوثية دراسة منهجية شاملة، لأحمد الدغشي [١٦].

تأسيس هذا المنتدى، فقد ذكر العلامة الزيدي محمد عزَّان - الأمين العام لمنتدى الشباب المؤمن - خمسةَ أهداف لإنشاء المنتدى، وهي[(١)]:

١- تعليم الشَّباب العلم الشريف بمختلف فنونه.

٢- تنمية ورعاية المواهب الإبداعية لدى الشباب في شتى المجالات.

٣- إعداد الدَّاعية إلى الله ثقافياً وأخلاقياً وروحياً وسلوكياً بما يمكنه من نشر الوعي والفضيلة.

٤- تعريف الطالب بإخوانه من الشباب وتنمية أواصر الأخوَّة الإيمانيَّة.

٥- ترسيخ الوحدة بين المسلمين، والبُعد عما يُثير الخلاف ويُمزِّقُ الأمَّة.

هذه هي أهداف المنتدى، كما ذكرها أمين عام المنتدى، وهي أهداف نبيلة كما يظهر، إلَّا أنَّها على نُبلها في الظاهر فإنَّها محصورة في إطار المذهب الزيدي، ولا تتجاوزه إلى غيره، فكل هدف مقيَّد بأتباع المذهب الزيدي، وبالتالي فإنَّه يشير إشارة خفيَّة غير مباشرة إلى الأسباب التي أدَّت إلى تأسيس هذا المنتدى، والتي أفصح عنها قادة المنتدى فيما بعد، فمن هذه الأسباب[(٢)]:

١) التصدِّي للمَدِّ السُّنِّي الذي بات يُهدِّد بقاء المذهب الزيدي، وبالذَّات بعد إنشاء مركز دمَّاج السَّلفي من قبل أحد أبناء الزيدية - الشيخ مقبل الوادعي - وتوافد الآلاف إليه من جميع محافظات اليمن، بل ومن خارج اليمن، فأرادوا التَّصدي له بمدٍّ زيدي

---

(١) راجع حوار صحيفة ٢٦ سبتمبر مع محمد يحيى سالم عزان بتاريخ ١٥مارس ٢٠٠٧م، ص١٧، العدد: (١٣١٢).

(٢) ذكر الدكتور أحمد الدغشي ثلاثة أسباب لنشأة منتدى الشباب المؤمن، وهي تصب في هذين السببين. انظر: الظاهرة الحوثية [٣٣ - ٣٤].

مماثل، من خلال نشر المذهب بين أوساط الزيدية، وتأهيل الدُّعاة لأجل ذلك، وفي هذا يقول محمد بدر الدين الحوثي: "كانت نشأة المنتدى استجابة للواقع الذي كان يعيشه شباب الزيدية من جهل وضياع، خصوصاً أنَّ الدعوة الوهابية في صعدة في أَوَجِّ نشاطها"(١).

٢) محاولة رصِّ صفوف الزيدية من خلال النشاطات الثقافية التي يقوم بها المنتدى للتعارف بين شباب الزيدية، والاستعداد للثورة القادمة التي ستكون سبباً في إعادة الإمامة الضائعة، كما كانت سبباً في تمكين الشِّيعة في إيران وإقامة دولتهم، فقد كان الزيدية من أكثر الناس افتتاناً بثورة إيران منذ قيامها(٢)، لذا فقد كان مما يتم تدريسه في اتحاد الشَّباب في الثمانينات مادة عن الثورة الإيرانية ومبادئها، يقوم بتدريسها (محمد بدر الدين الحوثي)(٣).

وعليه، فإن الانتقال من مرحلة التنظيم الثقافي إلى مرحلة التنظيم المسلح لم يكن سوى مسألة وقت وإمكانيات، وقد كان.

---

(١) الحوثية في اليمن الأطماع المذهبية في ظل التحولات الدولية [١٤٧].
وانظر ما قاله يحيى الحوثي في حوار مع صحيفة الشرق الأوسط، العدد: (٩٦٣٧)، بتاريخ: ١٧/ ٤/ ٢٠٠٥م.

(٢) ذكر العميد (الزيدي) عبد الله العليبي - عضو المكتب السياسي للتنظيم الوحدوي الشعبي الناصري ورئيس أحزاب اللقاء المشترك بمحافظة صنعاء - أنه (إمامي المذهب)، وأنه كان من بين الذين اقتنعوا في مطلع الثمانينات بالثورة الإسلامية الإيرانية، وأنه أعلن في عام ١٩٨٣م بعد تسلله إلى السفارة الإيرانية مبايعته للإمام الخميني. انظر: الحوثية في اليمن الأطماع المذهبية في ظل التحولات الدولية، مركز الجزيرة للدراسات [١٠٠].

(٣) الحوثيون في اليمن بين السياسة والواقع، لعائدة العلي [٥٣].

**ما حقيقة الحركة الحوثية؟**

هذا السؤال لطالما شغل الباحثين في هذه الظاهرة، فكثيراً ما يخوضون في هذه المسألة، فمنهم من يحكم على الحوثيَّيْن - الأب والابن - وأتباعهم بأنَّهم جعفرية اثنا عشرية(١)، ومنهم من يحكم عليهم بأنَّهم زيدية جارودية(٢).. إلخ.

وأيّاً كان الصواب من هذين القولين فإنَّ الشيء الذي يتفق عليه الجميع أنَّ هذه الظاهرة قد تبعها انتشار كبير للمذهب الرافضي الاثني عشري بين أوساط الزيدية(٣)، ولذا يمكن القول أنَّ مكونات الظاهرة الحوثية الثلاثة قد عملت جميعها على نشر المذهب الرافضي الاثني عشري وفق مخطَّط رافضي محكم، علموا بذلك أم جهلوا، فإنَّ العبرة بالنتائج(٤).

**مكونات الظاهرة الحوثية:**

تتكون الظاهرة الحوثية - كما تقدمت الإشارة سابقاً - من ثلاث مكونات أساسية، وهي:

المكوِّن الأول: المرشد (بدر الدين الحوثي).

---

(١) انظر: ماذا تعرف عن الحوثيين، تأليف: علي الصادق، ١٤٣١هـ [١٠١]، التشيع في صعدة - أفكار الشباب المؤمن في الميزان، للمجاهد [١٨١].

(٢) انظر: الظاهرة الحوثية، لأحمد الدغشي [٢٠٩].

(٣) يقول حسن بن علي العماد - وهو طالب يمني مقيم في إيران تحول إلى المذهب الجعفري-: "الحرية العقائدية والفكرية التي عشناها من التسعينات إلى ٢٠٠٤م لم يسبق لها مثيل في اليمن، وهي المرحلة الحقيقية التي نستطيع أن نقول: إن وجود الاثني عشرية بدأ منها". الحوثية في اليمن الأطماع المذهبية في ظل التحولات الدولية [١٠٠].

(٤) انظر رأي الباحثين في مركز الجزيرة للدراسات والبحوث من خلال: الحوثية في اليمن في ظل التحولات الدولية [٥٥]و [٩٤]و [٩٥].

المكوِّن الثاني: القائد والدَّاعية (حسين بدر الدين الحوثي).

المكوِّن الثالث: تنظيم الشباب المؤمن، ومراكزه.

وفيما يأتي سوف يتضح كيف عملت هذه المكونات الثلاثة على نشر الرفض في بلاد الزيدية من خلال التفصيل الآتي في كل مكون، وبالله المستعان.

**المكوِّن الأول: المُرشد(بدر الدين الحوثي):**

لقد عمل بدر الدين الحوثي منذ سنين طويلة على إرساء قاعدة التَّقارب بين الزيدية والإماميَّة الجعفرية الاثني عشرية، فألَّف في ذلك عدداً من الكتب التي حَشَاها بتلك الأفكار، كان منها كتاب بعنوان: (الزيدية في اليمن)، وكَتَبَ على غلافه أسفل العنوان: (وهو كُتَيِّب يُبَيِّنُ فيه أصلُ زيدية اليمن وأصولها والتَّقارب بينها وبين الإمامية الجعفرية - بل الاتفاق بينهم في الأصول المهمَّة).

وقد ذكر فيه عدداً من النصوص عن آل البيت من أئمة الزيدية يستدل بها على هذا التقارب، ثم أيَّد ذلك بنصوص أخرى من كتب الإمامية، كالكافي وغيره لإثبات التقارب بين الفرقتين(١).

كما استند الحوثي في هذا التقارب على اتفاق الفرقتين في مسائل العدل والتوحيد، وهذه هي أهم الأصول التي تقوم عليها عقيدة الزيدية والإمامية المعاصرة، بالإضافة إلى عقيدتهم في الإمامة(٢).

---

(١) قال الحوثي: "وهذه جملة من النصوص يلتقي في معناها الزيدية والإمامية أو بعضهم ويتقاربون". الزيدية في اليمن [١٤].

(٢) انظر: الزيدية في اليمن، للحوثي [١٤، وما بعدها].

كما أَلَّف الحوثي كتاباً آخر بعنوان: (مَنْ هم الرافضة؟)؛ برَّأ فيه الإمامية الجعفرية من تهمة الرَّفض، وألصقها بطائفة أخرى وهم القرامطة[١]، وجعل شرط الرَّفض الاتصاف بأحد عشر صفة، منها[٢]:

١- أن الرافضة بايعوا زيد بن علي ثم نكثوا.

٢- أنهم يرفضون الجهاد مع الأخيار من أهل البيت.

٣- أنهم يقلدون في دينهم ويتبعون أهوائهم، وغيرها.

وعليه، فمن سلم من صفات الرفض جميعها أو بعضها فليس برافضي، وإنَّما الرَّافضي من اتصف بها جميعاً، وحتى من سَبَّ الصحابة بما فيهم أبو بكر وعمر، فلا يَثبُت له هذا الاسم في رأيه إذا لم تجتمع فيه الصفات كاملة!.

يقول بدر الدين الحوثي: "فأمَّا مَن سَبَّ أبا بكر وعمر، فلا يَثبُتُ له هذا الاسم بالوضع الأصلي، وإن اصطلح على ذلك شيعة الشيخين، فهو اصطلاح حادث لا يحكم عليه، ولو فُرض أنَّ الرَّافضة الذين رفضوا زيداً كانوا يشتمون أبا بكر وعمر؛ لأنَّ اسم الرَّفض إنَّما هو لأولئك أهل الخصال الذَّميمَة الإحدى عشر، لا مَن شاركهم في خصلة من خصالهم"[٣].

ثم إنَّ الحوثي مع تقريبه للإمامية، قد شنَّ - في الوقت نفسه - الهجوم على أهل السُّنَّة بعدد من المؤلفات، منها؛ كتاب: (تحرير الأفكار عن تقليد

---

(١) انظر: من هم الرافضة، تأليف: بدر الدين بن أمير الدين الحوثي، نشر: مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية - صنعاء، ١٤٢٣هـ [٢٥ - ٢٦].

(٢) انظر: من هم الرافضة [٢٣ - ٢٦].

(٣) من هم الرافضة [٢٦].

الأشرار)، وكتاب: (الزُّهري أحاديثه وسيرته)، وكتاب: (الإيجاز في الرد على فتاوى الحجاز)، وغيرها من الكتب والرسائل[١]. فعمل في الاتجاهين معاً؛ يُقارب من جهة الإماميَّة ويُباعد من جهة أهل السُّنَّة.

وقد اعترف الحوثي بتأليفه ضد أهل السنة في حوار له مع جريدة الوسط:

- (الوسط): السَّلفيون الآن يزداد تواجدهم، وكان مركزهم في صعدة. كيف تنظر إليهم؟.
- (الحوثي): لقد رديت[٢] عليهم وألَّفت ضدَّهم كتباً، ورأيي أنَّهم قاموا ضد الزيدية ودعوا الناس إلى التوحيد باسم أنَّهم مشركون، ورديت عليهم"[٣].

إذن فالحوثي يعترف بأنَّه كان يرد على السلفيين بحجَّة أنَّهم قاموا ضد الزيدية ودعوا إلى التوحيد، وهذه الدعوة (دعوة التوحيد) في نظر الحوثي كانت تَستَحقُّ الرَّد، لأنَّها تعني اتهام الزيدية بأنَّهم مشركون!.

ولا غروَ، فقد وجد الحوثي لأفكاره رواجاً بين كثير من الزيدية، لا سيَّما المنتسبين إلى منتدى الشباب المؤمن، فقد كان المرشد الأعلى لهم، ولم يكن أحد من علماء الزيدية ليجرؤ على الرد على آراء الحوثي، لأنَّه مجتهد، وكلُّ مجتهد مُصيب، والمجتهد يجب عليه أن يعمل بما وصل إليه اجتهاده، ولا يجوز له أن يُقلِّد، أضف إلى ذلك حالة الانبهار الزيدية بالإمامية بعد ثورتهم، وادعاء الزيدية بأنَّ الإمامية لم تكن لتنتصر لولا

---

(١) انظر: الزهري أحاديثه وسيرته، لبدر الدين الحوثي [١٣ - ١٤].

(٢) الصواب: رَدَدْت، ولكن هكذا وَرَدَت عن الصحيفة.

(٣) حوار مع جريدة (الوسط)بتاريخ: ١٦ مارس ٢٠٠٥م. نقلاً عن: الحوثيون في اليمن بين السياسة والواقع [٢٢٦].

أخذهم بمبدأ الزيدية في الخروج على الظَّلَمة.

يقول محمد بن إبراهيم المرتضى - أحد كبار الزيدية المعاصرين-: "وأمَّا حبُّ الزيديين للخُميني وتأييدهم له، فهو نابع من أنَّ الثورة في وجه الطغاة شيء عظيم نُحبُّ صاحبَه، ونقدِّرُه ونُجِلُّه لعمله هذا بعيداً، أو بغض النظر عن معتقداته ومبادئه، ولأنَّ الخميني ترك القيود التي يقيِّدها المذهب من التقيَّة والخنوع، وانطلق يُفجِّر ثورة كبرى بالخروج على الظلمة، وهذا المبدأ هو رأس مذهب الزيدية، وما نجحت الثورة الإيرانية إلَّا بهذا المبدأ"[١].

وهذه مجرد تبريرات يلقيها الزيدية ليبرروا ما حصل لهم من سقوط في حُفرة الرَّافضة الإمامية، فقد أحكمت قبضتها عليهم، ولم يعد لهم من الأمر شيء!.

هذا وقد تابع الحوثي في تأصيلاته هذه بعضُ علماء الزيدية كالدَّيلمي أحمد بن لُطْف[٢]، الذي حاول أن يُخفِّف التُّهمَة عن الإمامية ويُلحقها بأهل السُّنَّة في عدد من المواضع من مؤلفاته[٣]. يقول الديلمي: "فأنت

(١) عن كتاب: ماذا تعرف عن الحوثيين، لعلي الصادق [٥٧].

(٢) له عدد من المؤلفات في الرد على أهل السنة، والدفع عن الإمامية، منها كتاب: الزيدية بين محب غال ومبغض قال، وكتاب: كشف النقاب عن مذهب قرناء الكتاب.

(٣) انظر: الزيدية بين محب غال ومبغض قال، لأحمد لطف الديلمي [٧٧]،
ومن الآراء التي يراها الديلمي في الكتاب:
- يعتبر أن أهل السنة أولى بالرفض من الإمامية. انظر: [٢٦].
- يرى أن أهل السنة أخطر على الزيدية من الإمامية. انظر: [٢٦ - ٢٧].
- يرى أن عداء الإمامية للزيدية كلامي فقط، وأما العداء الحقيقي فهو عداء أهل السنة. انظر: [٢٣].

ترى أنَّ الرَّفض عند عامَّة أهل البيت هو رفض إمامتهم[(١)]؛ لأنَّ بين الصِّفة - وهي الرفض - وبين الامتناع تناسباً قوياً، وليس معنى الرافضة أنَّهم طلبوا من زيد بن علي عليه السلام البراءة من الشيخين كما يزعم الكاتب وأضرابه، فتأمل!"[(٢)].

ويقول في التقارب بينهم وبين الإمامية: "وأمَّا مسألة الاثني عَشر إماماً وإن كنا معشر الزيدية لا نقول بحصر الإمامة فيهم، إلَّا أنَّ لهم حديثاً في (صحيح مسلم)[(٣)]، ونحن - معشر الزيدية - نقول بإمامة الاثني عشر، ونوجبُ ولائهم وطاعتهم[(٤)] ومحبَّتهم، ونمنع من حصرها فيهم لعدم صحة دليل الحصر"[(٥)].

إذاً فالمسألة اجتهادية قابلة للأخذ والرَّد، ولا يصح أن تكون سبباً للمفاصلة بينهم، فتأمل!.

---

(١) يقول الشيخ محمد الإمام: "اعلم أن مفهوم الرفض الذي عند الهادوية غير مفهوم الرفض الذي عند المسلمين، فالرفض عند الهادوية هو رفض إمامة زيد بن علي، ورفض إمامة ذرية الحسين بن علي، فحكم الهادوية على الرافضة الاثني عشرية بالرفض هو من أجل هذا، لا من أجل أنها سبت الصحابة، وغلت في القرابة، فسب الصحابة ليس رفضاً عند الهادوية..". رافضة اليمن على مر الزمن [٦٧١].

(٢) كشف النقاب عن مذهب قرناء الكتاب [٦٤].

(٣) يقصد حديث: (لا يَزَالُ أَمرُ النَّاس ماضياً ما وَلِيَهُم اثنا عشرَ رجلاً.. كُلُّهُم من قُرَيش). رواه مسلم عن جابر بن سمرة؛ كتاب: الإمارة - باب: الناس تبع لقريش والخلافة في قريش [٧٦٠]، رقم الحديث (١٨٢١).

(٤) كيف يتم العمل بهذا الواجب - طاعة الأئمة الاثني عشر - إذا كان الإمام الحادي عشر قد مات في منتصف القرن الثالث الهجري!، فهذا بلا شك سيعطي شرعية للأخذ بما جاء عن الشيعة عنهم لتتم الطاعة!.

(٥) الزيدية بين محب غال ومبغض قال [٧١].

وأما عن أسباب هذه القناعات لدى الحوثي، فالذي يظهر - والله أعلم - أن من أبرز أسبابها ما يلي:

١) الخلفية الجارودية التي تتلمذ عليها بدر الدين الحوثي، فقد أشار كثير من الباحثين إلى أنَّ بدر الدين كان زيدياً جارودياً[(١)]، بل إنَّ الظاهرة الحوثية في جملتها تنتمي إلى المدرسة الزيدية (الجارودية)، وهي المتسمة بالالتقاء مع المدرسة الإمامية الاثني عشرية في جانب النيل من كبار الصحابة، وفي مقدمتهم الخلفاء الراشدون المتقدمون على علي بن أبي طالب ﵃ جميعاً[(٢)].

٢) العلاقة الشخصية القويَّة التي كانت تربط أسرة الحوثي بقادة الثورة في إيران، وخصوصاً بعد إقامتهم فيها أثناء وبعد حرب صيف ١٩٩٤م[(٣)]، وكذا علاقته الشخصية ببعض رموز الرافضة الإمامية؛ كحسن الصفّار زعيم الروافض في المملكة العربية السعودية[(٤)].

وبناء على ما تقدم من دعوى التقارب بين الفرقتين، فإنَّه سيكون من الأمور المباحة أن ينظر الزيدية في علوم الإمامية، ويتم تبادل كتبهم ومؤلفاتهم دون أي حرج، بل واعتناق المذهب الجعفري لمن أراد، لا سيما مع دعوى الانفتاح التي تبناها قادة الشباب المؤمن.

**المكوِّن الثاني: القائد و الداعية(حسين بدر الدين الحوثي):**

وكما أنَّ بدر الدين الحوثي قد عمل على تقريب الإمامية من الزيدية،

---

(١) انظر: التشيع في صعدة - أفكار الشباب المؤمن في الميزان، لعبد الرحمن المجاهد [٧٨].

(٢) انظر: الظاهرة الحوثية، للدغشي [٢٠٧].

(٣) انظر: الحوثيون في اليمن بين السياسة والواقع، لعائدة العلي [١٧٩].

(٤) انظر: التشيع في صعدة - أفكار الشباب المؤمن في الميزان، للمجاهد [٧٨].

فقد عمل الابن حسين على المباعدة بين الشباب المؤمن والزيدية، وأرسل على المذهب سيلاً من الانتقادات التي تُنفِّر الأتباع عنه، وتجعله عُرضة للشك فيه، وبالمقابل فقد بالغ في الإطراء بمذهب الإمامية، ورموز الإمامية في العالم الإسلامي ودولتهم وثورتهم ومنجزاتهم.

وفي الوقت نفسه فقد استطاع الحوثي حسين بدر الدين أن يُربي أتباعه على طاعته طاعة عمياء، حتى اشتهر عنهم القول لأعضاء لجنة الحوار: (لا نتراجع حتى يأذن لنا سيدي حسين)، أو نحو ذلك، حتى بعد مقتل حسين الحوثي، لتشكيكهم في مقتله(١).

وقد امتاز حسين الحوثي - على الرغم من ضعفه العلمي الملحوظ - بشخصية جماهيرية تَعبويَّة سياسية قادرة على جذب المستمعين بخطاب هادئ غير متشنِّج، وبأسلوب سَلِس جذَّاب يستطيع من خلاله تسويق قنابل عقائدية موقوته دون أن يشعر المتلقي بخطر هذا النوع من التعبئة(٢).

ولا ريب، فقد كان حسين الحوثي يمثل حلقة مهمة في ذلك المخطط الهادف إلى إدخال المذهب الجعفري إلى اليمن على وفق أدوار موزَّعة، كان حسين الحوثي هو اللَّاعب الأبرز فيها، وذلك من خلال ثلاث مهام أساسية:

**الأولى: نقد المذهب الزيدي:**

وهذه هي المهمَّة الأولى التي أُنيطَت بحسين الحوثي لتيسير دخول المذهب الجعفري اليمن، فقد ترك حسين الحوثي كثيراً من المذكرات المملوءة بنقد المذهب الزيدي من خلال نقد أهم العلوم التي يعتمد عليها

---

(١) انظر: الظاهرة الحوثية، للدغشي [٦٦].

(٢) انظر: التشيع في صعدة - أفكار الشباب المؤمن في الميزان [١٥٨].

الزيدية، كعلم الكلام، وعلم أصول الفقه، وغيرها، مُعلِّلاً ذلك بأنَّ هذه العلوم مصدرها أهل السُّنَّة!.

يقول حسين الحوثي[١]: "بصراحة أقول: هذه الزيدية لا يُتوقَّع أن تَنهض إلَّا إذا نظرنا نظرة موضوعية لِنُصَحِّحَ ثقافتَنا، فما كان قد وصل إلينا عن طريق السُّنِّيَّة، وما كان في الواقع هو من تراث السُّنيَّة، (أصول الفقه) هو سُنِّي، ليس صحيحاً أنَّه من علم أهل البيت، دخل إلى أهل البيت، ودخل إلى الزيدية وتلقَّفوه، (علم الكلام) جاء من عند المعتزلة، والمعتزلة سُنيَّة، (كتب الترغيب والترهيب) كثير منها، ومنطق الترغيب والترهيب، كثير منه من عند السُّنية، هذه علوم جاءتنا من عند فئة ضالَّة فأضلتنا فعلاً، ونحن نشهد على أنفسنا بالضلال، هل نستطيع أن نشهد على واقعنا أنَّه واقع صحيح؟ وعلى أنَّنا بالشكل المطلوب في أنَّنا نؤدي ما أوجب الله علينا وما طلب منا وما يريد منا؟ لا. ما السبب في ذلك؟ هل أنَّ الدنيا هكذا؟!.."[٢].

ويقول أيضاً: "أنا شخصياً أعتقد أنَّ من أسوأ ما ضربنا[٣] وأبعدنا عن كتاب الله وأبعدنا عن دين الله، وعن النظرة الصحيحة للحياة وللدين، وأبعدنا عن الله سبحانه وتعالى هو: (علم أصول الفقه)؛ بصراحة أقولها: إنَّ (فن أصول الفقه) هو من أسوأ الفنون"[٤].

---

(١) ملحوظة: هذه النصوص مفرَّغة من أشرطة محاضرات لحسين الحوثي، ألقاها على أتباعه في مناسبات مختلفة، وقد كانت بلهجة عامية في أغلبها، وكتبت كما قيلت!.

(٢) دروس من هدي القرآن، ملزمة: مسئولية طلاب العلوم الدينية، ألقاها: حسين بدر الدين الحوثي، بتاريخ: ٩/ ٣/ ٢٠٠٢م - صعدة [١٣].

(٣) لعل المراد: أضرَّ بنا.

(٤) ملزمة: مسؤولية طلاب العلوم الدينية [١٢].

ونتيجة لهذا النَّقد، تحرَّك علماء الزيدية ضد حسين الحوثي، فأصدرت المرجعيات الأساسية في المذهب الزيدي بياناً ردَّت فيه على ما وصفته بضلالات حسين الحوثي، مُحذِّرة أتباع المذهب من خطورة متابعة المذكور على تلك الضلالات، ومما جاء فيه(١):

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

## بيان من علماء الزيدية

(هذا بلاغ للناس ولينذروا به)

إلى كافَّة أبناء المذهب الزيدي وغيرهم من أبناء الأُمَّة الإسلامية وفقنا الله وإيَّاكم لأمر الله: في قوله جل جلاله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عِمرَان: ١٨٧]، ولقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [البَقَرَة: ١٥٩]، ولقوله ﷺ: (مَن انتَهَر صاحبَ بِدعَة مَلأَ اللهُ قلبَه أمناً وإيماناً)(٢)، ولقوله ﷺ: (إذا ظَهَرت البِدَعُ ولم يُظهِر العالمُ عِلمَهُ، فعَليهِ لَعنَةُ اللهِ والملائكةِ والنَّاسِ أَجمعين)(٣).

---

(١) انظر نص البيان: الحرب في صعدة - الجزء الثاني، لعبد الله الصنعاني [٨٥ - ٨٧].

(٢) أخرجه القضاعي في مُسند الشهاب. انظر: مسند الشهاب، تأليف: أبي عبد الله محمد بن سلامة، تحقيق: حمدي عبد المجيد السَّلفي، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ [١/ ٣١٨-٣١٩]، رقم الحديث (٥٣٧)، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات بلفظ: (مَنْ أَعرَضَ عن صاحب بِدعةٍ بوجهه بُغضاً له في الله مَلَأَ اللهُ قلبَه أمناً وإيماناً، ومَنِ انتَهَرَ صاحبَ بِدعَةٍ أَمَّنَهُ اللهُ يَومَ الفَزَعِ الأَكبَر..). انظر: الموضوعات [١/ ٢٧٠].

(٣) أخرجه جلال الدين السيوطي في الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، (ط٢)، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢٥هـ [١/ ٥٢]، رقم الحديث (٧٥١)، بلفظ: (إذا ظهرت البدع، ولعن آخر هذه الأمة أولها، فمن كان عنده علم فلينشره فإن =

ولِمَا ظهرَ في الملازم التي يقوم بنشرها وتوزيعها "حسين بدر الدين" وأتباعُه، والتي يُصرِّحُ فيها بالتحذير من قراءة كتب أئمة العترة، وكتب علماء الأُمَّة عموماً، وعلى وجه الخصوص كتب أصول الدِّين وأصولِ الفقه، وإليكم بعض نصوصه، من ذلك: [وذكر البيان عدداً من النصوص الدالة على مرادهم، كالتي تقدمت في المبحث، ثم قال البيان] .. وغير ذلك من الأقوال التي تُصرِّح بتضليل أئمة أهل البيت من لَدُن أمير المؤمنين علي عليه السلام ومروراً بأئمة أهل البيت، وإلى عصرنا هذا، والتي يَتَهَجَّمُ فيها على علماء الإسلام عموماً، وعلى علماء الزيدية خصوصاً..

فبناء على ما تقدم رأى علماء الزيدية التاليةُ أسماؤهم، التحذيرَ من ضلالات المذكور وأتباعه، وعدمَ الاغترار بأقواله وأفعاله التي لا تَمُتُّ إلى أهالي البيت وإلى المذهب الزيدي بِصِلَة، وأنه لا يجوز الإصغاءُ إلى تلك البدع والضَّلالات، ولا التأييدُ لها، ولا الرِّضا بها، ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المَائدة: ٥١]، وهذا براءة للذِّمَّة، وتخلُّص أمامَ الله من واجب التبليغ..

والله الموفق..

١- حمود عبَّاس المؤيد
٢- أحمد الشَّامي
٣- محمد محمد المنصور
٤- صلاح بن أحمد فليته
٥- حسن محمد زيد
٦- إسماعيل عبد الكريم شرف الدين
٧- محمد علي العَجري
٨- حسن أحمد أبو علي
٩- محمد حسن الحمزي
١٠- محمد حسن عبد الله الهادي.

---

= كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل الله على محمد)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة [٤/ ١٤]، برقم (١٥٠٦).

وبناء على ما تقدم: إذا لم يكن غرض حسين الحوثي التوطئة للمذهب الإمامي، فما مصلحة حسين الحوثي في التشنيع على هذه العلوم، التي سار عليها الزيدية مئات السِّنين؟ ثم يقال: من أين للزيدية بكتب لأهل البيت خالصة لهم، وليس فيها أثر أهل السُّنَّة؟!.

إنَّ عجز حسين الحوثي عن إدراك هذه العلوم جعله يُقلِّلُ من قيمتها، لِيُبْطِلَ شرطيتَها فيمن يتولَّى الإمامة؛ إذ لا يصح أن يكون قائداً يَدعو إلى إمامة نفسه، ولا تقوم به شروطها، فأراد أن يَنسِفَها، حتى لا يُطالبَ بها، ثم إنَّه إذا أسقط تلك العلوم بدعوى أنَّها ليست من علوم أهل البيت، فلن يجد سوى علوم الرافضة الإمامية لتحِلَّ مَحِلَّها، باعتبارها علوم أهل البيت[1].

ومع هذا الذي صدر عن القائد الحوثي تجاه المذهب الزيدي وأصول المذهب الزيدي، فقد كان هو وأبوه يُنكران كونَهما داعيتين إلى المذهب الجعفري الإمامي، بل يؤكدان بقائَهما على المذهب الزيدي، ففي حوار للحوثي الأب مع بعض الصُّحف اليمنية في العام ٢٠٠٥م - بعد مقتل حسين - ذكر هذا وأكَّده، وإليك الشاهد مما جاء في الحوار[2]:

- (السائل): المسألة الآن هي مسألة سياسية، وإلَّا فإنَّ السِّيستاني المرجع الشيعي الأكبر في العراق يَقِفُ إلى جانب أمريكا؟.
- (الحوثي): مالَنا ولهم، طريقة الزيدية مختلفة عن طريقة السِّيستاني الجعفرية.

---

(١) انظر: الحرب في صعدة - الجزء الثاني، لعبد الله الصنعاني [٧٨].

(٢) حوار مع جريدة (الوسط)بتاريخ: ١٦ مارس ٢٠٠٥م. نقلاً عن: الحوثيون في اليمن بين السياسة والواقع [٢٢٥].

- (السائل): ولكن حسين قيل أنَّه قد تَبنَّى هذا المذهب؟.
- (الحوثي): غير صحيح، هذه دعاية كاذبة مثلها مثل ما قالوا أنَّه ادَّعى النبوَّة والإمامة، كلُّه كذب .

إنَّ تكذيب الحوثي لجعفريتهما يدل على الأقل أنَّهما قد عملا تحت مِظلَّة المذهب الزيدي، وذلك لا شك أنفعُ في قبول دعوتهما!.

وعلى كل حال فلا يَهمُّنا هنا إثبات جعفريتهما من عدمها، إنَّما المقصود إثبات تَسبُّبِهما في تحوُّل غيرهما من الزيدية(١)، مع القطع بكونِهما رافضةً بالمعنى العام، والله أعلم.

**الثانية: تعظيم دولة الرفض ورموزه:**

وهذه هي المهمة الثانية التي أُنيطَت بحسين الحوثي، فقد بالغ كثيراً في مدحه لدولة الرَّفض وأحزابه في العالم الإسلامي، كما لم يَنسَ بالمقابل التَّعريضَ بأهل السُّنَّة والاستخفافَ بهم والتقليلَ من شأنهم، يقول حسين الحوثي: "إنَّ حزبَ الله المذكورين في القرآن ليسوا هؤلاء المسلمين السُّنَّة.. بدليل أنَّهم ليسوا هم الغالبون(٢) في مواجهة اليهود وأمريكا والنَّصارى.. بل إنَّ حزب الله مفهوم قرآني يقتصر على الشيعة، بدليل أنَّ (حزب الله) هزم أمريكا، لأنَّه (شيعي)، وبدليل أنَّ واحدة فقط من بين ٥٨

---

(١) يقول مجموعة من الباحثين في مركز الجزيرة للدراسات والبحوث - صنعاء: "وإذا كان حسين الحوثي وعائلته وإخوانه وعلماء الزيدية عموماً لم يتحولوا إلى إمامية من خلال هذه الأطروحات، لكنهم فتحوا باب توزيع الكتيبات والمنشورات والأشرطة والشعارات والطقوس والمظاهر الإمامية، بحيث تأثر عدد من أتباعهم بها وتولدت في اليمن بذرة اثني عشرية آخذة في النمو". الحوثية في اليمن الأطماع السياسية في ظل التحولات الدولية [٩٥].

(٢) المناسب أن تكون (الغالبين)، لأنَّها خبر ليس.

دولة إسلامية هزمت أمريكا، وهذه الدولة هي إيران.. أي الدولة الشيعية الوحيدة في العالم(١).. وبالتالي فالقرآن صريح في البلاغ بأنَّ الأُمَّة الإسلامية لا تنتصر ولن تنتصر ولا يصلح لها حال إلَّا (بالشيعة)، وتحت قيادة أبناء علي. لن تنتصر الأُمَّة ولن تتحسَّن أحوالها بالديمقراطية والانتخاب وبناس يأتون من الشارع ويتولَّون القيادة"(٢).

ومن عناصر هذه المهمَّة المبالغة والإطراء لرموز الرَّفض في العالم، وعلى رأسهم الخميني، وحسن نصر الله، والحطُّ من قيمة أهل السُّنَّة وإن كانوا من أهل البيت، لأنَّهم ليسوا شيعة، وغيرُ جديرين بنصر الله. يقول حسين الحوثي: "فهناك من أهل البيت كمَلِكِ المغرب وملكِ الأُردُنّ سَلَّموا القيادة لإسرائيل، لكنَّهم من أولياء الطرف الآخر [يعني طرف أبي بكر وعمر (من أهل السنة)]، أمَّا أولياء الإمام علي صلوات الله عليهم، فنحن رأينا في هذا الزمن ما يشهد لما عمله الرسول في خيبر، ومما يشهد الآيات التي نقرؤها فيما بعد فيمن هي الطائفة، وما مواصفات من يمكن أن يقهر اليهود، رأينا الإمام الخميني كيف هزم الغرب! كيف أرعبهم! كيف أربكهم! ورأينا حزب الله، رأينا قائداً من أبناء رسول الله ﷺ حسن نصر الله كيف أربك إسرائيل!"(٣).

ويقول أيضاً: "إنَّ كلَّ من وقفوا ضد الثورة الإسلامية في إيران في أيام الإمام الخميني رأيناهم دولة بعد دولة يذوقون وبال ما عملوا.. الإمام الخميني كان إماماً عادلاً، كان إماماً تقيّاً، والإمام العادل لا تُرد دعوته،

---

(١) هذه المحاضرة كانت في العام ٢٠٠٢م قبل قيام دولة الشيعة في العراق.

(٢) نقلاً عن: ماذا تعرف عن الحوثيين [٥١].

(٣) دروس من هدي القرآن الكريم، ملزمة: يوم القدس العالمي (١)، حسين بدر الدين الحوثي، ٢٨/ ٩/ ١٤٢٢هـ - صعدة [١٣ - ١٤].

كما ورد في الحديث، من المتوقع أنَّ الرئيس اليمني، وأنَّ الجيش اليمني لا بد أن يناله عقوبة ما عمل"(١).

ويقول: "الإمام الخميني عندما جاء وهو رجل من هذا النوع (يقيم الصلاة)، رجل كماله كمالاً دينياً، كمالاً على وفق هدى الله سبحانه وتعالى، ما الذي حصل في إيران؟.. وتحت قيادة هذا الرجل الديني الذي يفهم الدين أيضاً، وليس رجل دين ممن يفهم الدين فهماً قاصراً بعيداً عن الحياة، ما الذي عمله خلال سنوات محدودة؟ أربعين ألف كيلومتر من الخطوط في فترة قصيرة مقابل أربعة عشر ألف كيلو في زمن الشاه، وهكذا في بقية الشؤون.."(٢).

وبأكثر صراحة يُبيِّنُ حسين الحوثي في ختام درسه الأول في سورة المائدة رأيَه في تَميُّز الإمامية على غيرها، فيقول: "لِيَكن الشيعة الجديرون بأن يكونوا هم الغالبون، إذا كان الشيعة الإمامية كما نراهم الآن، أليسوا هم متميزون من بين العرب جميعاً بموقفهم العالي بين العرب؟ أليسوا هم رافعين رؤوسهم من بين العرب في إيران وفي جنوب لبنان؟"(٣).

إذاً فماذا بعد؟؛ إذا كانت الإمامية هي المتميزة والمستحقَّة لنصر الله - وقد كان بحسب رأي الحوثي - وفيها أعلامُ الهدى، كالخميني - الذي

---

(١) دروس من هدي القرآن الكريم، ملزمة: خطر دخول أمريكا اليمن، حسين بدر الدين الحوثي، ٣/٢/ ٢٠٠٢م - صعدة [١ - ٢]، يقصد بسبب مشاركتهم للعراق في حربها ضد وإيران.

(٢) دروس من هدي القرآن الكريم، ملزمة: دروس من سورة المائدة - الدرس الثاني، حسين بدر الدين الحوثي، ١٤/ ١/ ٢٠٠٢م - صعدة [١٠].

(٣) دروس من هدي القرآن، ملزمة: سورة المائدة - الدرس الأول، حسين بدر الدين الحوثي، ١٣/ ١/ ٢٠٠٢م - صعدة [١٧].

كماله كمال ديني! - وحسن نصر الله، وهم جميعاً من الشيعة..إلخ!. ماذا بعد أيُّها المتلقي؟![1].

إنَّ ما تَقَدَّمَ من النصوص يدل دلالة واضحة على أنَّ حسين الحوثي كان مفتوناً بدولة الرَّافضة (إيران)، وبكلِّ ما له صلةٌ بها، على أساس دُنيوي بحت، إلَّا أنَّه كان يربط بين الدنيا والدين، بمعنى أنَّ هذه الدنيا التي عندهم لم تأتِ إلَّا لكونهم أهلَ الحق (لأنَّهم شيعة)، وهذا هو السِّر في الفتنة!.

وَلْيَعْلَمْ مُرِيدُ الحقِّ أنَّ الحقَّ لا يُقاس بما عند الناس من الدُّنيا، وإلَّا لكان اليهود والنصارى هم أهل الحق بهذا المقياس، فما عند إيران لا يساوي شيئاً مما عندهم من الدنيا، والله المستعان!.

**الثالثة: تنفير أتباعه عن أهل السنة:**

تقدم في النصوص السابقة شيء من تنفير حسين الحوثي عن أهل السنة، دولاً وأفراداً، إلَّا أنَّه قد كان يتعمَّد التنفير عن أهل السنة وبغضهم، بإلقاء التُّهم عليهم، ونبزهم بما يجعلهم مُبْغَضين لدى أتباعه، فكان يَغرس كراهية أهل السُّنَّة بيده في صدور أتباعه، فإنَّ المهمَّة ليست التنفير عن المذهب الزيدي فحسب، ولكن أيضاً لابد من تأمين الطريق للسالك إلى الجعفرية من أن يُخْتَطَفَ من قبل أعدائه أهل السنة، فيتهمهم باتهامات هم منها براء، ولكنَّه الحقد المذهبي الذي وقَرَ في قلبه أولاً وآخراً[2]. يقول

---

(١) تبدو هذه النصوص وكأنها ضوء أخضر من الحوثي لأتباعه بأنه لا بأس أن تكونوا إمامية اثني عشرية!.

(٢) أما أولاً: فبكونه زيدياً جارودياً، وأما ثانياً: فبما تأثر به من عقائد وسلوكيات الإمامية.

حسين الحوثي: "الإرهابيون الحقيقيون هم الوهابيون، يوم كانوا يفرِّقون كلمة الناس، يوم كانوا ينطلقون داخل هذا المسجد وتلك القرية وهذه المدرسة وذلك المعهد، ليثيروا في أوساط الناس العداوة والبغضاء ضد بعضهم بعضاً، ويثقفوا أبناء المسلمين بالعقائد الباطلة التي جعلت الأُمَّة ضحية طول تاريخها، وأصبحت اليوم بسببها تحت أقدام اليهود والنصارى، هم إرهابيون فعلاً عندما كانوا يعملون هذه الأعمال ضدنا نحن أبناء الإسلام"[(١)].

ويُوغِلُ حسين الحوثي في زَرع البغضاء لأهل السنة لدى أتباعه إلى درجة البغض بالمظهر، فيقول باستفهام إنكاري لأتباعه: "هل منكم من رأى مطوَّعاً ينشدُّ إليه قلبه ويرتاح له؟! بل عندما تراه ترى ظلمة، ترى جفوة، ترى قسوة، ترى غِلظة، ترى جفاء، أحياناً أرى فعلاً مطوعاً وأرى شخصاً آخر بدون ذقن، ويبدو لي هذا إنساناً دمثاً لطيفاً عليه سيما هدوء ورزانة ولين، ترى أنك قريباً له، وأنه طبيعي بالنسبة لك، وذلك المطوع تراه مظلماً في شكله، في كلامه، في حركاته.."[(٢)].

واضح أنَّ حسين الحوثي يقصد بقوله: (مطوَّع) يعني: رجل ملتزم من أهل السنة له لحية.. وقد نفى حسين الحوثي أن يكون في الملتزمين بالسنة أحد يَنشَدُّ إليه القلب، وهذه مبالغة في الخصومة، بل قد وَصَفَهم بأوصاف لو وَصَفَ كافراً أو ذِمِّيّاً ما بلغها؛ والحقُّ: أنَّ هذه (الظلمة، والجفوة، والقسوة، والغلظة، والجفاء) التي يراها في أهل اللِّحى مَنبعُها هو وليس

---

(١) دروس من هدي القرآن، ملزمة: الصرخة في وجه المستكبرين، حسين بدر الدين الحوثي، ١٧/ ١/ ٢٠٠٢م - صعدة [٧].

(٢) دروس من هدي القرآن، ملزمة: سورة المائدة - الدرس الثاني، حسين بدر الدين الحوثي، ١٤/ ١/ ٢٠٠٢م - صعدة [٧].

ذواتهم، والدليل أنَّنا لا نشاركه هذا الرَّأي، فلو كان الوَصف بهذا الوضوح لشاركناه فيه، وهو قد عَمَّم بهذه الأوصاف كل من له لحية، ولو كانت الأوصاف السابقة تابعة للِّحى لكان غير أهل السنة مشاركاً لهم في هذه الأوصاف، وقد كان أبوه بدر الدين مُلْتَحياً!.

ومما يؤيد كونَ مكونات الظاهرة الحوثية الثلاث تمشي على وفق خطة مسبقة: أنَّه على الرغم من أن الحوثي الأب كان عالماً من علماء الزيدية، وعلى الرَّغم من تجاوز ابنه في نقد المذهب الزيدي، وبراءة العلماء وتحذيرهم من ضلالاته، إلَّا أنَّه ظل يؤيده ويوافقه على آراءه إلى آخر لحظاته، وحتى بعد مماته، ويَتبيَّن هذا من خلال الحوار التالي:

- (السائل): ولكنَّ عدداً من علماء الزيدية أَفتَوا بتجاوز حسين للمذهب الزيدي وزيغه عنه، ومِن هؤلاء أحمد الشَّامي.
- (الحوثي): دعوته موجودة في الملازم ويمكن قراءتها، وهي أيضاً في أشرطة يمكن سماعها والاطلاع على أنَّ الإنسان يستخدم العقل في هذا الاطلاع.
- (السَّائل): أنت هل اطلعت عليها؟.
- (الحوثي): نعم، سمعتها وقرأتها.
- (السَّائل): إذاً كيف تُفسِّر موقف علماء الزيدية حينما أفتوا بضلاله؟.
- (الحوثي): هم تابعون للدولة، ربَّما لأنَّهم يخافون منها[(١)] .

وجاء أيضاً في الحوار:

- (السَّائل): اطلعتُ على بعض ملازم حسين، وكان فيها نوع من

---

(١) حوار مع جريدة (الوسط) اليمنية، حاوره رئيس التحرير جمال عامر، بتاريخ: ١٦ مارس ٢٠٠٥م. نقلاً عن: الحوثيون في اليمن بين السياسة والواقع [٢٢٤].

الغلو، وقد حدث ما حدث، إلَّا أنَّ ما يؤخذ عليك أنَّك لم تنصح حسين ولا السُّلطة لتهدئة الأمور، وكأنَّك كنت على الحياد؟.

- (الحوثي): لا، لا، لم أكُن محايداً، كنت مع الولد حسين(١).

إذاً فالحوثي الأب كان موافقاً لكل ما صدر من ابنه من آراء مُعادية للمذهب الزيدي ولأهل السنة، وكذا للحكومة اليمنية، وما حصل منه من إطراء للجعفرية ورموزها، وترجم ذلك - أيضاً - من خلال قيادته للمعارك بعد مقتل ابنه حسين منذ العام ٢٠٠٤م إلى أن مات هو الآخر(٢).

ولم تنتهِ مهمَّة حسين الحوثي بمقتله، فلا يزال دوره شاغلاً بعد وفاته من خلال مواصلة أتباعه للمهمَّة التي بدأها وانتقال القيادة إلى أخيه عبدالملك بدر الدين الحوثي، الذي يعمل جاهداً على إتمام ما بدأه أخوه القائد حسين بدر الدين.

ولا تزال أفكار حسين الحوثي تنتشر في البلاد الزيدية من خلال ملازمه التي مازالت تحظى بأهميَّة كبيرة لدى أتباعه، وتُوَزَّعُ بصورة لافتة عبر ما يعرف بملازم السيد حسين بدر الدين الحوثي(٣).

**المكوّن الثالث: تنظيم الشباب المؤمن، ومراكزه:**

والمقصود بالتنظيم كل من سوى المرشد والقائد (الأب والابن)، فقد عمل التنظيم بشكل متكامل مع المكونين الأُوْلَيَيْن، إذ أنَّ التنظيم بما فيه من

---

(١) حوار مع جريدة (الوسط) اليمنية، حاوره رئيس التحرير جمال عامر، بتاريخ: ١٦ مارس ٢٠٠٥م. نقلاً عن: الحوثيون في اليمن بين السياسة والواقع [٢٢٦].

(٢) توفي بدر الدين الحوثي في: ٢٥/ ١١/ ٢٠١٠م.

(٣) انظر: مستقبل الحركة الحوثية وسبل التعايش، تأليف: أ.د. أحمد محمد الدغشي، نشر: مكتبة خالد بن الوليد - صنعاء، ١٤٣٣هـ [١٢٣].

مراكز علميَّة، ومدرِّسين وقيادات وأعضاء ومناهج، كان وسطاً ملائماً لنشر الرَّفض بصورة عامَّة والإمامي بصورة خاصَّة، فمن خلال هذا الوسط نشر حسين دعوته، ومن خلال تأصيلات المرشد (الأب) تسربت كتب الإمامية إلى مراكز التنظيم بكميات مَهولة.

فمنذ العام ١٩٩٧م تفرَّغ الحوثي حسين بن بدر الدين للقيام بقيادة تنظيم الشباب المؤمن بعد أن تغيَّرت التسمية من المدلول الثقافي إلى المدلول السِّياسي، فعمل على توسيع نشاطه خارج محافظة صعدة(١)، ليؤسِّس مراكز مماثلة لمركزه في عدَّة محافظات، منها: صنعاء، وعَمران، وحَجَّة، وذَمار، والمحويت، فأرسل إليها بعض الطلبة المقرَّبين مع مجموعة من الأساتذة العراقيين الاثني عشرية الذين توافدوا على اليمن بعد حرب الخليج الثانية والحصار الذي فرضته الأمم المتَّحدة على العراق(٢).

وخلال سنوات قليلة صار للتنظيم انتشار كبير، فقد بلغ عدد الطلاب في مراكزه - بحسب بعض المصادر الصحفية - حوالي ثمانية عشر ألف طالب في أكثر من سبع وستين حلقة تدريس ومَدرسَة، تجاوزت صعدة إلى قرابة تسع محافظات يمنية، بل وصلت إلى دول خليجية منها قطر..(٣).

---

(١) يلاحظ في المنتمين للتنظيم في فترة التأسيس أن غالبيتهم ينتمون للأسر الهاشمية وللمذهب الزيدي والقبائل والوجاهات الاجتماعية في صعدة. انظر: ماذا تعرف عن الحوثيين [١٦].

(٢) انظر: ماذا تعرف عن الحوثيين، لعلي الصادق [١٦].

(٣) انظر: الحوثيون الظاهرة الحوثية، للدغشي [٢٨ - ٢٩]، قراءة في الجذور الفكرية والدلالات التربوية للحوثية، دكتور أحمد الدغشي، ورقة قدمها من خلال منتدى الشيخ الأحمر، بتاريخ: ١٢/ ١٠/ ٢٠٠٩م، متاح على الرابط التالي: http://www.alahmar.net
تاريخ الدخول: ٢٧/ ١١/ ٢٠١٣م.

وفي أثناء هذه الحركة التعليمية للتنظيم برزت إلى السطح الكثير من التجاوزات والمخالفات من قبل القائمين على مناهج التعليم في التنظيم، فقد أُقرَّت العديد من المقررات المخالفة لما عليه الزيدية، كما عمل التنظيم على نشر مبادئ وعقائد الشيعة الاثني عشرية(١)، مما دفع بعلماء الزيدية إلى التحذير من أولئك القائمين على التنظيم، فكانت الاستجابة منهم أولاً، فأعلنوا توبتهم من مخالفاتهم للمذهب، والوعد بعدم العَود، وأصدروا في توبتهم بيانا هذا نَصُّه(٢): "

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نحن الموقعين أدناه، قد اعترفنا بما وقع من البعض منا من مخالفات تخالف عقائد الزيدية، ومخالفتنا في الأعمال، وبما وقع منا من مخالفات لمولانا العلَّامة الحُجَّة: مجد الدين بن محمد المؤيَّدي حفظه الله تعالى، ونلتزم أَلَّا نعود إلى مخالفة مولانا والمشاقَّة بينه وبين غيره، ونُعلن رجوعَنا عن ذلك كلِّه، وتوبتَنا إلى الله سبحانه وتعالى، والتزامَنا بعدم التدريس في تلك المؤلفات، والتقيُّد بالمنهج الذي تُقرِّرُه الهيئة من كتب التدريس والمدرسين، والتزامَنا بما وجَّه به المولى العلَّامة الحُجَّة: مجد الدين بن محمد المؤيدي - حفظه الله تعالى - ونحن مُحكِّمون له، ومُمتثلون لما رآه، ونعاهدُ الله على ألَّا نَعود إلى ذلك، والله على ما نقول وكيل.

**محرم ١٤١٧هـ.**

ولكنَّ هذه التوبة لم تدم طويلاً، فسرعان ما نقضوا العهد، وخالفوا

---

(١) راجع: التوجهات الإيرانية في المنطقة العربية وأثرها على الأمن القومي، لمرشد الزهيري [٩٧].

(٢) التشيع في صعدة - أفكار الشباب المؤمن في الميزان [١٦٩].

الوعد، وعادوا لما نُهوا عنه، فأصدر علماء الزيدية فتوى بالبراءة من هؤلاء، والتحذير منهم، وهذا نَصُّ الفتوى[١]:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ربِّ العالمين وصلى الله على محمد وآله وسلم وبعد:

فقد اطلعنا على الرسالة التي يُصدرها محمد يحيى سالم عزَّان، حيث أصدر رسالة في أول شهر صفر فيها إساءة إلى كبار العلماء، وإلى قبائل همدان بن زيد، وخولان بن عامر، وتحملنا وكضمنا الغيظ، ثم أصدر رسالة أخرى ونشر فيها الكلام الواضح بالتعريض بالعلماء، وأنَّه صدر منع مؤلفاتهم بغير موجب، وتحريض الشباب بما لا ينبغي ولا يجوز، وبذلك فقد نَقضوا العهود التي عاهدوها، وتوبَتَهم على رؤوس الأشهاد، وقد اعترفوا بما صدر منهم من المخالفات لكتب الزيدية، الأمر الذي أوجب علينا أن نمنع من تدريس تلك الكتب المخالفة، ويعلمُ الله أننا لم نمنع منها إلَّا ما اشتملت عليه من الفساد، ولا يجوز الركون عليها حتى في التدريس، وإنا نعلن هذا للجميع أنَّ أعظم مَن يقوم بالمخالفات ونقض العهود: محمد يحيى سالم عزَّان، وعبد الكريم جَدبان. ومَن خرج عمَّا تقرَّر في المناهج الصحيحة فليس منَّا، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة: ٥١]، والله ولي التوفيق.

**٢ربيع الأول ١٤١٧هـ**

ثم عَقَّب في رأس الفتوى العلامة مجد الدين المؤيدي بقوله: "الحمد لله وحدَه.

---

(١) التشيع في صعدة - أفكار الشباب المؤمن في الميزان [١٧٠ - ١٧١].

ما ذَكَرَ العلماء - أبقاهم الله - هو الواقع، ولم نَزَل نعالجهم سنين عديدة، وكانوا كما قال الله تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝١٠٠﴾ [البقرة: ١٠٠]، وانطبق عليهم قوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ۝ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ۝١٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ۝١١﴾ [البقرة: ٩-١١].. إلى آخر الآيات، وهذا إلى إخواننا المؤمنين لئلا يغتروا بضلالاتهم وجهالاتهم، والله ولي التوفيق.

مجد الدِّين بن محمد بن منصور المؤيدي - غفر الله لهم - وحُرِّر بتاريخه: ٢ربيع الأول ١٤١٧هـ

وقد استمرت مراكز التنظيم في نشر العلم - على الطريقة الحوثية - في مناطق الزيدية، ومنها العاصمة صنعاء، "وصدرت الكتب والتسجيلات، وأقيمت اللقاءات ضمن حركة متناهية تتضمن النقد الحاد للمذهب الزيدي، والهجوم على رموزه، وتدريس المذهب الجعفري، والترويج له ولأفكاره وشخوصه وهيئاته، علماً أنَّ بعض من وقعوا تحت تأثير هذه الحملة يؤرخون العام ١٩٩٧م، كعام للانتقال الفعلي من الهادوية الجارودية إلى الجعفرية الاثني عشرية"(١).

وقد كانت مراكز التنظيم بمثابة مراكز ضِرار، حيث سعت إلى نشر الفكر الاثني عشري الجعفري في مناطق الزيدية بِحُجَّة المحافظة على المذهب الزيدي، مُدَّعية في الوقت نفسه أنَّ الاثني عشرية هي أهدى سبيلاً من الشيعة الزيدية، كما يزعمون أنَّ الاثني عشر إماماً هم مصداق ما جاء

---

(١) الحوثية في اليمن بين السياسة والواقع، لعائدة العلي [٦١ - ٦٢].

في الأحاديث النبوية، وفي ذلك شبهة غاية في المكر[١].

والذي يتتبع ظاهرة الخروج من المذهب الزيدي إلى (الاثني عشري) سيجد في الطريق كتباً أُلِّفَت ومواقعَ على شبكة الإنترنت خُصِّصت للتَّهجُّم على الزيدية، ولكن من أبنائها الذين غادروها وتنكروا لها، وعادوا يصوِّبون نحوها سهامَهم المسمومة[٢].

وفي العام ٢٠٠٤م اندلعت أولى المواجهات المسلحة بين الحوثيين والحكومة اليمنية، واستمرت على مدى سنوات في جولات متقطِّعة، وخلال هذه الجولات اتضحت كثير من الأمور التي لم تكن واضحة من قبل، فقد تبيَّن مدى العلاقة القويَّة التي كانت تربط الحوثيين بالدولة الجعفريَّة في إيران، وكذا علاقتهم بحزب الله اللبناني، وشيعة العراق.

فأما إيران: فقد وجدت ضالَّتها في تلك العناصر - أعني: تنظيم الشباب المؤمن - لتنفيذ مخطَّطاتها في المنطقة، لاسيما في ظل التَّقارب الفكري بينهما، وبالمقابل، فقد استغلَّت تلك العناصرُ علاقتَها بإيران للحصول على الدَّعم بِحُجَّة الوقوف أمامَ المدِّ السَّلفي في اليمن[٣].

وقد تنبَّه المراقبون إلى علاقة إيران بالشباب المؤمن منذ زمن بعيد، إلَّا أنَّ الحكومة اليمنية لم تحسم القضية من البداية[٤].

ويظهر عُمقُ العلاقة الإيرانية الحوثية من خلال الآتي:

---

(١) انظر: الحرب في صعدة - الجزء الثاني، لعبد الله الصنعاني [٢٠٤].

(٢) انظر: الحرب في صعدة - الجزء الثاني [١٩٨].

(٣) انظر: التوجهات الإيرانية في المنطقة العربية، لمرشد الزهيري [٩٧].

(٤) انظر ما قاله الشيخ مقبل الوادعي في اتهام إيران بإنشاء الشباب المؤمن في كتابه: صعقة الزلزال [٢/ ٤٨٨].

١) الدَّعم الإعلامي الإيراني الواضح، وبخاصَّة من جانب وسائل الإعلام المحسوبة على تيار مُرشد الثورة، وكذلك الآلة الإعلامية لـ (حزب الله) في لبنان، فقد كشفت دراسة عن أنَّ قناة العالم الإيرانية بثَّت سبعاً وأربعين برنامجاً عن الحوثيين في سبعة أشهر..

٢) تجمَّع مئاتٌ من علماء الدِّين الإيرانيين أمام السّفارة اليمنية في طهران إبَّان الجولة الثالثة من الحرب بين الحكومة اليمنية والحوثيين في أواخر ٢٠٠٥م، للتعبير عن احتجاجهم، مطالبين بطرد السَّفير اليمني من طهران، وتغيير اسم الشارع الذي فيه السّفارة إلى اسم الحوثي.

٣) العثور على كميات من الأسلحة إيرانية الصُّنع لدى المتمردين الحوثيين، أثناء المعارك[١].

٤) الدَّعم المادي المقدَّم للحوثيين من قبل السّفارة الإيرانية في صنعاء[٢].

٥) كثرة البيانات الصادرة عن مراجع الشيعة الإمامية في نصرة الحركة الحوثية أثناء حربها مع الحكومة اليمنية[٣].

ولا ننسى رسائل الاستغاثة التي توالَت من قبل شيعة اليمن إلى شيعة العالم بما فيهم شيعة إيران، ومن هذه الرسائل: رسالة استغاثة من عصام العماد - شيعي يمني - إلى رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية أحمد نجاد[٤].

---

(١) انظر - مختصراً-: الحوثيون في اليمن بين السياسة والواقع، لعائدة العلي [١٧٩-١٨١].

(٢) انظر: التشيع في صعدة - دراسة ميدانية، لعبد الرحمن المجاهد [١٨٤].

(٣) انظر هذه البيانات من خلال كتاب: ماذا تعرف عن الحوثيين، لعلي الصادق [١٠٥ - ١١٢].

(٤) انظر نص الرسالة: ماذا تعرف عن الحوثيين [١٢٣ - ١٢٧].

وأما العلاقة مع رافضة العراق؛ فقد تجلَّت من خلال إنشاء مكتب للحوثيين في النَّجَف، من غير أن تأذن الحكومة اليمنية بهذا، فقد أكَّدَت النائبة العراقية جنان العبيدي أنَّ الحوثيين لديهم مكتباً فعلاً في النَّجف، مضيفة في تصريحات لقناة (الشرقية) العراقية: إنَّ على اليمن أن يتفهَّم وجود مكتب للحوثيين في النَّجَف عاصمة الشيعة في العالم، وأوضحت أنَّ هذا المكتب ينظِّم شؤون زيارات الحوثيين إلى العَتَبات المقدَّسة في العراق، وليس له دور آخر(١).

وأياً كان دور هذا المكتب، فإنَّ هذه العلاقة التي تَمَّت بين الحوثيين وشيعة العراق كانت سريعة، فهي تنتمي إلى فترة ما بعد حكم الشيعة للعراق، أي: (بعد ٢٠٠٣م)، وقبل إعلان التَّمرُّد الحوثي على الحكومة اليمنية في العام ٢٠٠٤م، وهذا يدل على تفاهم مُسبق، واتفاق سابق فيما بين الحوثيين وشيعة العراق!.

ومما يوضح العلاقة كذلك: البيان الصادر عن الحوزة العلمية في النَّجف الأشرف أثناء الحرب بين الحوثيين والحكومة اليمنية، والذي أدانت فيه الحوزةُ الحكومةَ اليمنية(٢).

وأما شيعة لبنان، ممثلة بحزب الله، فقد كانت العلاقة معه علاقةً ميدانية، حيث شارك حزب الله بعدد من جنوده في حرب الحوثيين مع الحكومة اليمنية، وقُتِلَ منهم العشرات في المعارك التي دارت وقتها، فقد نشرت مجلة الشِّراع اللبنانية في عددها (١٤٠٦) بأنَّ عدد قتلى حزب الله الذين سقطوا في اليمن خلال مشاركتهم الحوثيين في القتال ضد السلطات

---

(١) انظر: ماذا تعرف عن الحوثيين [٦٨]

(٢) انظر نص البيان: ماذا تعرف عن الحوثيين [١١٩ - ١٢١].

اليمنية والجيش السُّعودي بلغ العشرات، حيث يتم نقل جثثهم إلى القاعدة العسكرية الإيرانية في إريتريا ثم يُنقَلون في نعوش إلى مطار دمشق في طائرة إيرانية ليَمُرُّوا إلى لبنان ليُدفنوا في قُراهم(١)، كما كان لوسائل حزب الله الإعلامية اهتمام ملحوظ في تغطية الأحداث أثناء التمرُّد أسوة بمثيلاتها الإيرانية(٢).

هذا ومما ينبغي الإشارة إليه أخيراً أنَّ مُسمَّى تنظيم الشَّباب المؤمن لم يَعد موجوداً بصورته المؤسسية التي كان عليها أيام حسين الحوثي، إلَّا أنَّ الفِكر ما يزال قائماً، وما زالت أفكار حسين الحوثي تنتشر بين أوساط الزيدية من خلال محاضراته التي فرَّغها بعض أتباعه في ملازم، وصارت توزَّع بأعداد هائلة.

ومن خلال ما تقدم تحسُن الإشارة إلى عدد من النتائج المستخلصة من هذا المبحث:

**الأولى**: إنَّ الظاهرة الحوثية بمكوناتها الثلاثة قد عملت مُجتمعَة على إدخال المذهب الاثني عشري إلى بلاد الزيدية واليمن، من خلال تقريب المرشد، ونقد القائد، وتطبيق التنظيم، أي: من خلال إباحة كتب الجعفرية، وتدريسها، وجلب مدرسيها.

**الثانية**: إنَّ ملَّة الرفض واحدة، وهم وإن اختلفوا في ظاهرهم، إلَّا أنَّ هناك كثيراً من الأمور التي تجمعهم، لعلَّ أهمَّها: حقدهم على صحابة النبي ﷺ، وكذا بُغضُهم لأهل السُّنة، إذ كان ذلك من أهم الدَّوافع في توجُّه رافضة اليمن نحو إيران.

---

(١) ماذا تعرف عن الحوثيين [٦٣].

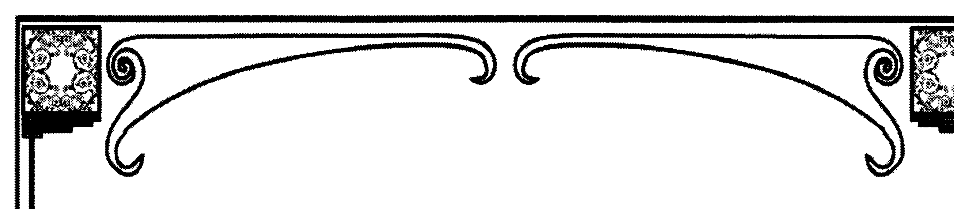
(٢) انظر: الحوثيون في اليمن بين السياسة والواقع، لعائدة العلي [١٨٠].

**الثالثة**: على الرَّغم من حصول التَّحوُّل لدى طائفة من زيدية اليمن إلى المذهب الجعفري، إلَّا أنَّهم لم يمتلكوا الجرأة في إعلان تَحوُّلهم، لاسيما من أتباع الحوثي[1]!.

**الرابعة**: واقع الزيدية الحالي يُنذر بتحوُّل كُلِّي لزيدية اليمن إلى المذهب الجعفري الاثني عشري، كما حصل لزيدية الجيل والديلم، وذلك أنَّ علمائهم قد خَفَتَ صوتهم في الآونة الأخيرة بسبب السَّيطرة الحوثية على مناطقهم، وانتشار البدع الرافضية بحرية هناك.



(١) هناك أعداد من الزيدية غير الحوثيين أعلنوا بوضوح تحولهم عن المذهب الزيدي إلى المذهب الجعفري، منهم: مبخوت كرشان، وعصام العماد، وغيرهم. وسيأتي مزيد بيان في الباب القادم.



# الباب الثالث

## مظاهر التحول العقدي عند زيدية اليمن وآثاره

ويشتمل على ثلاثة فصول:

- **الفصل الأول:** مظاهر التحول العقدي إلى السنة عند زيدية اليمن.
- **الفصل الثاني:** مظاهر التحول العقدي إلى الرفض عند زيدية اليمن.
- **الفصل الثالث:** آثار التحول العقدي عند زيدية اليمن.

# الفصل الأول

## مظاهر التحول العقدي إلى السنة عند زيدية اليمن

وفيه خمسة مباحث:

- ❖ المبحث الأول: نماذج من الذين تحولوا إلى السنة.
- ❖ المبحث الثاني: مخالفة أصول المذهب الزيدي.
- ❖ المبحث الثالث: مخالفة المشهور من المذهب الزيدي.
- ❖ المبحث الرابع: تقرير مذهب السلف (أهل السنة والجماعة).
- ❖ المبحث الخامس: نقد مذهب المتكلمين عموماً والزيديين خصوصاً.

## المبحث الأول

### نماذج من الذين تحوَّلوا إلى السنة

إنَّ من أبرز مظاهر التَّحَوُّل الزيدي إلى السُّنَّة كثرة المتحوّلين منهم إلى السُّنَّة، والشواهد على هذه الكثرة متوفرة ولله الحمد، وفي هذا المبحث يتم التعرف على عدد من الشخصيات الزيدية التي ظهر تحوُّلها إلى السُّنَّة، لتكون شاهداً على التحول ومظهراً من مظاهره، ولَعَلِّي أبدأ بأكثرهم شهرة في ذلك؛ ابن الوزير، والمقبلي، وابن الأمير، والشوكاني، فقد كانوا القدوة لمن جاء بعدهم من أهل الإنصاف، فطالما دعوا الناس إلى التزام الدَّليل، وعدم الالتفات في دينهم إلى القال والقيل، مع التعظيم الكامل لما جاء عن الرسول ﷺ، وتقديم ما جاء عن السَّلف الصالح على آرائهم وما ورثوه من آراء مذهبية.

وإنَّ قضية علوِّ مرتبة هؤلاء الأعلام على غيرهم ممن تحول إلى السنة من زيدية اليمن وأثرهم فيهم لا جدال فيها، فقد تجاوز أثرهم ودَرك فضلهم حدود اليمن، فعكف أهل السُّنَّة على مؤلفاتهم، واهتموا بها تَعَلُّماً وتعليماً، وهذا من أقوى الأدلة على تَسَنُّنِ هؤلاء، بل صيرورتُهم في المكان الذي يشار إليه بالبنان.

ولما كان الأمر كذلك، كان التعريف بهم قبل غيرهم أولى، والبدء بهم أَنسب.

**١) محمد بن إبراهيم الوزير(٧٧٥- ٨٤٠هـ):**

هو محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضَّل بن المنصور بن محمد بن العَفيف بن مفضَّل بن الحجَّاج بن علي بن يحيى بن القاسم بن الإمام الدَّاعي يوسف بن الإمام المنصور بالله يحيى بن الناصر أحمد بن

الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، الشهير بابن الوزير[١].

ولد بهجرة الظهراوين من شَظَب[٢] سنة خمس وسبعين وسبعمائة[٣]، وطلب العلم على كبار علماء الزيدية آنذاك، من أمثال[٤]: أخيه الهادي بن إبراهيم الوزير[٥]، ومحمد بن حمزة بن مُظفَّر[٦]، وعبد الله بن الحسن بن عطية الدَّوَّاري[٧]، وعلي بن عبد الله بن أبي الخير[٨]، وعلي بن محمد بن

---

(١) انظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني [٢/ ٦٣٦].

(٢) شَظَب: جبل كبير يقع شمال غرب صنعاء، ويبعد عنها بحوالي ١٠٠ كيلومتر، وعليه تقع قرية الظهراوين. انظر: البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي، للأكوع [١٥٥]، وكذا: هجر العلم ومعاقله في اليمن، له [٣/ ١٣٤٠].

(٣) انظر: البدر الطالع [٢/ ٦٣٦].

(٤) انظر: مطلع البدور ومجمع البحور، لأحمد بن صالح بن أبي الرجال [٤/ ١٥٧- ١٥٨]، البدر الطالع [٢/ ٦٣٧].

(٥) الهادي بن إبراهيم بن علي بن المرتضى..، عالم زيدي، مولده في شَظَب سنة ٧٥٨هـ، ووفاته في ذمار سنة ٨٢٢هـ. من مؤلفاته: (الأجوبة المذهبة على المسائل المهذبة)، و(تراجم آل الوزير)، و(التفصيل في التفضيل). انظر: طبقات الزيدية الكبرى [٢/ ١١٨١-١١٨٥]، مطلع البدور ومجمع البحور [٤/ ٤٦٢-٤٦٦]، الأعلام [١٠٦٩-١٠٧٢].

(٦) القاضي عز الدين محمد بن حمزة بن المظفر، عالم زيدي له مؤلفات. توفي بصعدة سنة ٧٩٦هـ. من مؤلفاته: (البرهان)، و(المنهاج)، و(شرح الطاهرية). انظر: طبقات الزيدية الكبرى [٢/ ٩٦٥-٩٦٧]، مطلع البدور [٤/ ٢٩٠-٢٩٢].

(٧) عبد الله بن الحسن بن عطية الدواري، عالم زيدي في الأصول والفروع، مولده سنة ٧١٥هـ، ووفاته سنة ٨٠٠هـ بصعدة. من مؤلفاته: (شرح على الجوهرة)، و(الديباج النظير)، و(شريدة القناص). انظر: طبقات الزيدية الكبرى [١/ ٥٨٩-٥٩٤]، مطلع البدور ومجمع البحور، لابن أبي الرجال [٣/ ٧٦-٨٠].

(٨) جمال الدين، علي بن عبد الله بن أحمد بن أبي الخير الصايدي، عالم زيدي =

أبي القاسم(١).

ولما شرح الله صدره لعلوم السُّنَّة ارتحل عن بلده، فأخذها عن علماء أكابر من أهل السنة، منهم(٢):

- محمد بن عبد الله بن ظهيرة(٣).
- والشيخ نفيس الدين العلوي(٤).

ويُعَدُّ ابن الوزير من أعلم علماء اليمن على الإطلاق، فقد أَتقَن العلوم العقلية والنقلية جميعاً، فكان قدوةَ العلماء والمتعلمين في زمانه وبعد زمانه ممن أراد الإنصاف، والتَّمسُّك بصحيح الشريعة، فكلٌّ عالة على مؤلفاته.

---

= في الأصول والفروع، توفي سنة ٧٩٣هـ من مؤلفاته: (الدرة الفاخرة)، و(عقد اللآل في العشر الخصال للتزود للمآل). انظر: طبقات الزيدية الكبرى، لإبراهيم بن القاسم [٢/ ٧٦١-٧٦٥]، أعلام المؤلفين الزيدية، للوجيه [٦٩٢-٦٩٤].

(١) تقدمت ترجمته انظر: ص [٢٦٦].

(٢) انظر: البدر الطالع [٢/ ٦٣٧].

(٣) محمد بن عبد الله بن ظهيرة بن أحمد بن عطية بن ظهيرة، القرشي، المخزومي، الشافعي. عالم مبرز في فنون العلم إلى جانب الرواية حتى لقب بعالم الحجاز؛ مولده بمكة سنة ٧٥١هـ، وتوفي بها سنة ٨١٧هـ من مؤلفاته: (قواعد الإعراب لابن هشام)، و(شرح قطع متفرقة من الحاوي الصغير)، و(أجوبة عن مسائل). انظر: إنباء الغُمر بأبناء العُمر، تأليف: ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. حسن حبشي، نشر: لجنة إحياء التراث الإسلامي - القاهرة، ١٤١٩هـ [٣/ ٤٥ - ٤٦]، البدر الطالع [٢/ ٧٤٩]، معجم المؤلفين [٣/ ٤٤٤].

(٤) سليمان بن إبراهيم بن عمر العكِّيّ، الزبيدي، الحنفي، يُعرف بنفيس الدين العلوي نسبة إلى شيخه علي بن راشد. بَرَع في علم الحديث وصار شيخ المحدثين في بلاد اليمن، مولده سنة ٧٤٥هـ، ووفاته سنة ٨٢٥هـ من مؤلفاته: (كتاب الأربعين) في الحديث، و(إرشاد السالكين) في التصوف. انظر: إنباء الغمر بأبناء العمر [٧/ ٤٧٤]، البدر الطالع [١/ ٣٠٥]، معجم المؤلفين [١/ ٧٨٢].

يقول الشوكاني رحمه الله: "ولو قُلتُ إنَّ اليمن لم يُنْجِب مِثلَه لم أُبْعِد عن الصَّواب، وفي هذا الوصف ما لا يحتاج معه إلى غيره.."[١].

وقد كان ابن الوزير رحمه الله زيدياً باعتبار النَّشأة، إلَّا أنَّه ترك التقليد واتبع الدليل، ولم يلتفت إلى المذهب من قريب ولا بعيد.

ومما يدل على زيديته أنَّك لا تجد كتاباً في تراجم الزيدية إلَّا وتجد ابن الوزير حاضراً فيه، ولم يرد في زيدية ابن الوزير السابقة تشكيك من أحد، بل على العكس، فقد شكَّك كثير من علماء الزيدية في تحوُّل ابن الوزير عن المذهب الزيدي، وادعوا أنَّه لم يخالف أهل البيت في الأصول، وإنَّما خالفهم في الفروع فقط، والمخالفة في الفروع مُتاحة لكل مجتهد، لأنَّ كل مجتهد مصيبٌ عندهم، واستدلوا على ذلك ببعض أبيات الشعر، وهو قوله:

دِينِي كأَهْلِ البَيتِ دِيناً قَيِّماً ... مُتَنَزِّهاً عَن كُلِّ مُعتَقَدٍ رَدِيّ
لَكِنَّنِي أَرضَى العَتِيقَ وأَحتَمِي ... مِنْ كُلِّ قَولٍ حَادِثٍ مُتَجَدِّدِ
إِنَّ السَّلَامَةَ فِي العَتِيقِ وَإِنَّهُ ... كالشَّمسِ وَاضِحَةً لِعَينِ المهتَدِي[٢]

وليس في هذه الأبيات دلالة على مرادهم في عدم تحوله، فعلاوة على كونها غيرَ ظاهرة في الدلالة على مرادهم، فهي تحتمل معاني غير ما يريدون، فقد يقصد بأهل البيت المتقدمين من الصحابة والتابعين[٣]، كما

(١) البدر الطالع [٢/ ٦٤٧].

(٢) انظر: الفروق الواضحة البهية بين الفرق الإمامية وبين الفرقة الزيدية، للكبسي [٩٥]. وانظر ما قاله ابن أبي الرجال في ذلك في مطلع البدور [٤/ ١٤٦، وما بعدها].

(٣) تقدم الكلام على حقيقة هذا الانتساب إلى أهل البيت في أسباب التحول إلى السنة (بعث تراث أهل البيت).

يحتمل أن يكون قالها مداراة أو تقيَّة[١].

وفوق هذا وذاك، فإنَّ كتب ابن الوزير ومؤلفاته في متناول الجميع، ومنها يُعرَف تحوّله على الحقيقة، فإنَّه لا يجوز أن يُختَزلَ علمُ ابن الوزير في مجموعة أبيات من الشِّعر!.

هذا بالإضافة إلى وجود أبيات من الشِّعْر تدل على تحوُّل ابن الوزير عن المذهب الزيدي، من ذلك ما جاء عن أخيه الهادي بن إبراهيم الوزير في لَومِه على تحوُّله، ودعوته إيَّاه لمراجعة المذهب. يقول الهادي معاتباً أخاه محمداً[٢]:

مَـالِـي أَرَاكَ وَأَنـتَ صَـفْـوَةُ سَـادَةٍ ... طابَتْ شَمَائلُهُم لِطِيبِ المَـحْتِدِ
تَمْتازُ عَنهُمْ فِي مآخِذِ عِلْمِهِمْ ... وَهُمُ الَّذِينَ عُلُومُهُمْ تَرْوِي الصَّدِي
أَخَذُوا مَبَانِيَ عِلـمِـهِمْ وأُصُولَهُ ... عَنْ أَهْلِـهِمْ مِنْ سَيِّدٍ عَنْ سَيِّدِ
سَـنَـدٌ عَـنِ الآبَـاءِ والْأَجـدَادِ فِـي ... أَحـكَامِـهِمْ وَفُنُـونِـهِـمْ والـمـفْرد

ولابن الوزير عدد من المؤلفات التي تُبيِّن مكانتَه العلميَّة، ورسوخَه في علوم السنة وغيرها، والتي كان لها الأثر الكبير في نشر الإنصاف لدى طائفة من الزيدية، وترك التَّعصُّب للأسلاف، والتقيد بالدليل، فمن هذه المؤلفات[٣]: (العَواصِم والقَواصِم في الذَّبِّ عن سُنَّة أبي القاسم)،

---

(١) هذا رأي القاضي إسماعيل الأكوع رحمه الله. انظر تفصيله في كتابه: الإمام محمد بن إبراهيم الوزير وكتابه العواصم والقواصم، تأليف: إسماعيل بن علي الأكوع، نشر: دار ابن حزم - بيروت، ١٤١٨هـ [١٠٠ - ١٠١].

(٢) انظر: إقامة الدليل على ضعف أدلة تكفير التأويل [١٤٣].

(٣) انظر: مطلع البدور ومجمع البحور، لابن أبي الرجال [٤/ ١٥٠ - ١٥٤]، البدر الطالع، للشوكاني [٢/ ٦٤٥].

و(تَرجيح أَساليب القُرآن عَلى أَساليب اليُونان)، و(البُرهَان القاطِع في مَعرفة الصَّانِع وجميع ما جاءت به الشَّرائع)، و(تَنقيح الأَنظار في علوم الآثار)، و(إِيثار الحقِّ على الخلق)، و(الأَمر بالعُزلَة في آخِر الزَّمان)، و(قبول البُشرى في تَيسير اليُسرى)، و(نَصر الأَعيان على شَرِّ العُميان)، و(التُّحفَة الصَّفيَّة في شرح الأبيات الصُّوفيَّة)، و(تَحرير الكلام في مسألة الرُّؤيَة وتجويدُه، وذكرُ ما دار بين المعتزلة والأشعريَّة وتَقييدُه).

ولما ظهرت مخالفة ابن الوزير لما عليه الزيدية وموافقته لأهل السُّنَّة، وتأليفه في نصرتها فرح به علماء السُّنَّة من أهل اليمن، فأرسل إليه الإمام العلامة شرف الدين، إسماعيل بن أبي بكر المقري الشافعي(١) رسالةً جاء فيها: "سَمِعَ الدُّعاءَ إلى الفَلاحِ فَوَثَب، وقَلَبَ اللهُ قَلْبَهُ إلى الحقِّ فانقَلَب، مِنْ غَيرِ تَرهِيبٍ استَفَزَّه، ولَا تَرغِيبٍ هَزَّه، ولَا مُحاسَدَةٍ اعتَرَتْهُ، ولا مُناظَرَةٍ غَيَّرَتْهُ، بَلْ تَوفِيقٌ مِنَ اللهِ إِلهيٌّ، وإِلهامٌ سَمَاوِيٌّ، سَهَّلَ عليه مُفَارَقَةَ العادَة، ومَا نَشَأَ عليه بَدْءً وإِعادَة، وإِنَّ أَمْراً هَذا أَوَّلُه، فَعَوَاقِبُهُ عن النَّجَاحِ مُسْفِرَة، وقَصداً هَذا مُبتَدَؤه فَمَغارِسُهُ مُثْمِرَة.

وَإِنِّـي لَأَرجُـو اللهَ حَـتَّـى كَـأَنَّـنِـي ... أَرَى بِجَمِيلِ الظَّنِّ مَا اللهُ صَانِعُ"(٢)

وقد لاحظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ مَيلَ ابنِ الوزير إلى السُّنَّة قديماً وهو لا يزال شابّاً، فقد أشار إلى ذلك في ترجمة أخيه الهادي بن إبراهيم الوزير، فقال

---

(١) إسماعيل بن أبي بكر بن عبد الله، الشرجي، الزبيدي. عالم مبرِّز في عدة فنون، واشتهر في النظم والنثر، ولد سنة ٧٥٥هـ، وتوفي بزبيد سنة ٨٣٧هـ. من مؤلفاته: (عنوان الشرف الوافي في الفقه والنحو والتاريخ والعروض والقوافي)، و(ديوان شعر)، و(الإرشاد). انظر: إنباء الغمر [٨/ ٣٠٩]، البدر الطالع [١/ ١٧٤-١٧٧]، الأعلام [١/ ٣١٠-٣١١].

(٢) الإمام ابن الوزير وكتابه العواصم والقواصم، لإسماعيل الأكوع [٧٦].

ابن حجر: "وله أخ يُقال له محمد بن إبراهيم، مُقْبِلٌ على الاشتغال بالحديث، شَديدُ الميل إلى السُّنَّة بخلاف أهل بيته"(١).

كما اعترف بعض مؤرخي الزيدية على استحياء بمخالفة ابن الوزير لما عليه مذهبهم، فقال عبد السَّلام الوجيه: "وخَرج في بعض اجتهاداته عن مذهب أئمة أهل البيت، وألَّف ردّاً على بعض مشايخه(٢)، وكتب كتابات أثارت الجدل، ورُدَّ عليه في أغلبها، وأورد من الاعتراضات والمباحث ما يدل على حفظ ومعرفة واطلاع كبير، لولا دافعُ الحماس والجدل والاندفاع الذي يحسُّ به القارئ من خلال اطلاعه على كتبه، فيُشعره أنَّ الهدف الانتصار للرأي(٣)، وقد أطنب في وصفه المعاصرون وبعضُ المتأثرين بالحشويَّة(٤)، وأوغَلَ في قدحه المتقدِّمون من كبار أئمتنا وعلمائنا، وردوا عليه، ولَقَّبَه الإمام شرف الدِّين(٥) بإمام الحشويَّة.."(٦).

وأما صاحب (طبقات الزيدية الكبرى)(٧)، فقد أطال في ترجمته، وأطنب في الثناء عليه، وذكر مشايخه وإجازاته، ولم يَقدح فيه بشيء(٨).

---

(١) إنباء الغمر بأبناء العمر [٧/ ٣٧٢].

(٢) يقصد: جمال الدين علي بن محمد بن أبي القاسم.

(٣) انظر تحامل الوجيه على ابن الوزير! لم يجد له من الحجة لرد كتب ابن الوزير سوى هذه التهمة الباهتة التي يستطيع أن يقولها كل مُخالِف لمُخالِفه، فأين الإنصاف أيها الزيدي؟.

(٤) يقصد بالحشوية أهل السنة، وهكذا الزيدية يسمون أهل السنة حشوية، وسيتضح قريباً من كلامه.

(٥) تقدمت ترجمته ص [٢٥٣].

(٦) أعلام المؤلفين الزيدية [٨٢٥ - ٨٢٦].

(٧) هو إبراهيم بن القاسم بن المؤيد بالله محمد، المتوفى بعد سنة ١١٤٠هـ. انظر ترجمته في البدر الطالع [١/ ٥٣].

(٨) راجع: طبقات الزيدية الكبرى، لإبراهيم بن القاسم [٢/ ٨٩٦ - ٩٠٢].

وكذلك فعل صاحب (مَطلَع البدور ومَجمَع البُحور)[1]، فقد أشاد بابن الوزير وتَمسَّك به عالماً زيدياً، نافياً أن يكون ابن الوزير قد تحوَّل عن المذهب الزيدي[2].

ومما سبق تتضح مكانةُ ابن الوزير لدى أتباع المذهب الزيدي، كما تَتَحقَّقُ زيديتة قبل تحوُّله إلى السُّنَّة، وأما إثبات سُنِّيَتِه، فذاك أمر يتضح من خلال كتبه وما ورد فيها من أقوال تخالف المذهب الزيدي، أو تقرِّر مذهب السَّلف، مذهب أهل السُّنَّة والجماعة، وسيتضح ذلك في موضعه.

وقد كانت وفاة ابن الوزير رَحِمَهُ اللهُ بمرض الطاعون سنة أربعين وثمان مائة للهجرة، بعد أن انتشرت علوم الحديث والسُّنَّة في بلاد الزيدية بما لم يعرف من قبل[3].

**٢) صالح بن مهدي المَقْبلي(١٠٤٧- ١١٠٨هـ):**

هو صالح بن مهدي بن علي بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن عبد الله بن سليمان بن أسعد بن منصور، الـمَقْبَلي، الصنعاني، المكِّي[4].

مولده في قرية الـمَقْبل من أعمال بلاد كوكبان سنة سبع وأربعين وألف للهجرة، وأخذ العلم عن علماء بلده، ثم انتقل إلى صنعاء وأخذ عن علمائها، وبرَع في جميع علوم الكتاب والسُّنَّة وغيرها، وجرت بينه وبين علماء صنعاء مناظرات أوجبت المنافرة معهم، لما فيه من الحِدَّة والتصميم

---

(١) أحمد بن صالح بن أبي الرجال، المتوفى سنة ١٠٩٢هـ. انظر ترجمته في البدر الطالع [١/ ٨٩-٩١].

(٢) راجع: مطلع البدور ومجمع البحور [٤/ ١٣٨-١٤٠].

(٣) انظر: البدر الطالع [٢/ ٦٤٦، ٦٤٧].

(٤) انظر: البدر الطالع [١/ ٣٢٧].

على ما تقتضيه الأدلة، وعدم الالتفات إلى التقليد، فلمَّا اتسعت الهوَّة بينهم ارتحل إلى مكة واستقر بها حتى مات في سنة ثمانٍ ومائة وألف للهجرة(١).

تتلمذ المقبلي رَحِمَهُ اللَّهُ على عدد من علماء اليمن من الزيدية، أبرزهم(٢): محمد بن إبراهيم بن الـمُفَضَّل(٣)، ومهدي بن عبد الهادي الحَسُوسَة(٤)، والحسن بن أحمد بن صالح اليوسفي الحَيْمي(٥)، والإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم بن محمد(٦).

---

(١) انظر: البدر الطالع [١/ ٣٢٨].

(٢) انظر ترجمة المقبلي في مقدمة كتابه العلم الشامخ [٦ - ٨]، البدر الطالع [١/ ٣٢٧].

(٣) عز الدين، محمد بن إبراهيم بن المفضل بن إبراهيم الحسني. عالم زيدي شهير، مولده سنة ١٠٢٢هـ، ووفاته سنة ١٠٨٥هـ بشبام. من مؤلفاته: (نظم ورقات الجويني)، و(أصول الفقه)، و(الأصول الذهبية في السيرة المتوكلية). انظر: طبقات الزيدية الكبرى [٢/ ٩٠٣ - ٩٠٧]، مطلع البدور ومجمع البحور [٤/ ١٦٤ - ١٦٦]، معجم المؤلفين [٣/ ٤١].

(٤) القاضي العلامة، المهدي بن عبد الهادي بن أحمد الحَسُوسَة، الثلائي، عالم زيدي شهير، من حفاظ المذهب، وفاته سنة ١١٠٠هـ. انظر: طبقات الزيدية الكبرى [٢/ ١١٥٤-١١٥٥].

(٥) القاضي العلامة، الحسن بن أحمد بن صالح اليوسفي الحيمي. عالم محقق في الفقه، من أعيان الدولة الزيدية المؤيدية المحمدية، مولده سنة ١٠١٨هـ، ووفاته سنة ١٠٧١هـ. من مؤلفاته: (الإلمام) في الحديث، و(طرف الأخبار من نتائج الأسفار). انظر: طبقات الزيدية الكبرى [١/ ٢٩١-٢٩٢]، مطلع البدور [٢/ ١٣ - ٢٥]، معجم المؤلفين [١/ ٥٣٦].

(٦) الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم بن محمد.. من أئمة الزيدية العلماء. مولده بشهارة سنة ١٠١٩هـ. دعا لنفسه بعد أخيه المؤيد بالله محمد بن القاسم سنة ١٠٥٤هـ، وتوفي سنة ١٠٨٧هـ. من مؤلفاته: (العقيدة الصحيحة والدين النصيحة)، و(شفاء الصدور من داء البهت والزور)، و(المسائل المرتضاة فيما يعتمده القضاة). انظر: البدر الطالع [١/ ١٧٨ - ١٨٢]، أعلام المؤلفين الزيدية [٢٥١ - ٢٥٤].

وفي مكَّة أخذ عن الشيخ المحدِّث إبراهيم بن حسن الكوراني[(١)].

وللمقبلي رَحِمَهُ اللَّهُ مؤلَّفات عديدة، مقبولة كُلُّها عند العلماء، مَحبوبَة إليهم يتنافسون فيها ويحتجُّون بترجيحاته[(٢)]، فمن هذه المؤلفات: كتاب (المنار)، وهو حاشية على كتاب البحر الزَّخَّار، للإمام المهدي، و(العلم الشَّامخ في تفضيل الحقِّ على الآباء والمشايخ)، و(نجاح الطالب على مختصر ابن الحاجب)، و(الإتحاف لطلبة الكشَّاف)، وهو كتاب في نقد كشاف الزَّمخشري، و(الأرواح النَّوافخ)، رد فيه على من انتقد العلم الشامخ، و(الأبحاث المُسَدَّدَة في فنون مُتَعَدِّدة)[(٣)].

والمقبلي زيدي باعتبار النَّشأة، دَلَّ على ذلك كلامُه[(٤)]، وتتلمذه على علماء المذهب الزيدي، بالإضافة إلى ترجمته في كتب تراجم الزيدية، ولم يذكر أحد خلاف هذا، إلَّا أنَّه بعد أن تَبَحَّر في العلوم لم يلتزم مذهب الزيدية وتَبِعَ الدليل بحسب اجتهاده، بل قد ذكر يحيى بن الحسين بن القاسم أنَّ المقبلي - بعد أن انتشر الرَّفض وزاد، وعظم خلافه مع أتباع

---

(١) إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الكوراني، الكردي. إمام كبير، مجتهد، محدث. مولده ببلاد شهران من جبال الكرد سنة ١٠٢٥هـ. رحل إلى الحرمين واستوطنهما، وتوفي بالمدينة سنة ١١٠١هـ. من مؤلفاته: (منتخب كنز العمال في سنن الأقوال)، و(مختصر شرح شواهد الرضي للبغدادي). انظر: سلك الدُّرَر في أعيان القرن الثاني عشر، تأليف: أبي الفضل محمد خليل المرادي، (ط٣)، نشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت، ١٤٠٨هـ[١/ ٥-٦]، البدر الطالع [١/ ٤٢-٤٣]، معجم المؤلفين [٣/ ٢٧].

(٢) مقتبس من كلام الشوكاني، بتصرف يسير، انظر: البدر الطالع [١/ ٣٢٨].

(٣) انظر: البدر الطالع [١/ ٣٢٩].

(٤) يقول المقبلي: "أول ما طلبت في بلدي [يعني: العلم] سمعت في أول (الأزهار) من فقه الزيدية، قوله: التقليد في المسائل الفرعية العملية الظنية جائز..". العلم الشامخ [٥٤٨].

المذهب الهادوي - باع أملاكه، ورحل بأولاده إلى مكة واستقرَّ بها، ودخل في مذهب الإمام الشافعي، وترك المذهب الهادوي الزيدي(١).

والظاهر من مؤلفات المقبلي رحمه الله أنَّه لم يكن يلتزم مذهباً بعينه بعد أن بَلَغَ مرتبة الاجتهاد، ولكنَّه كان يتَّبع ما صحَّ لديه من الأدلَّة، في الوقت الذي كان فيه مُعجباً بالشَّافعي ومذهبه غاية الإعجاب، فقد صرَّح بهذا في مواضع من كتبه. قال في (العلم الشامخ): "وأمَّا إنَّ العلماء ورثة الأنبياء، فَوَرَثَةُ الأنبياء هم الذين حفظوا ما جاء به الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامُه، وليس النَّقم عليهم؛ أمَّا المقتصرون على ذلك فمطلقاً، وهم الذين يُرى نَيلُ غُبارِ نعالهم شرفاً، ولا يخفاك مَن هم إن كنت موفقاً!"(٢)، ثم فسَّر مقالته هذه في كتابه: (الأرواح النَّوافخ)، فقال: "قوله: (لا يَخفَاكَ مَن هُم)، فإذا ذكروا فَحَيَّ هلا بالشَّافعي، فهو الذي يَثلَجُ الصدرُ للتمثيل به في هذا المقام، ولا يَغضب إلَّا مَن لا ينبغي معه الكلام!. وهو مُنَزَّهٌ عمَّا تعزو إليه الأشاعرةُ من المتمذهبين له في الفروع؛ وكم كُذِب على رسول الله ﷺ، فكيف الشَّافعي؟!"(٣)، ثم قال: "ولذا ينبغي أن يُنهَى من أراد التَّمذهب للشافعي اليوم، مع أنَّ مذهبه في الفروع إن لم يكن أحسنَ المذاهب في الجملة، فهو من أحسنها لا أَقَلّ.."(٤).

ومن هنا لعلَّ العلامة يحيى بن الحسين نَسبَه إلى الشافعية لكثرة إعجابه بالشافعي ومذهبه!.

---

(١) انظر: بهجة الزمن، ليحيى بن الحسين [٢/ ٧٠٠].

(٢) العلم الشامخ [٣٥٨].

(٣) الأرواح النوافخ ذيل كتاب العلم الشامخ [٣٥٨].

(٤) الأرواح النوافخ [٣٥٩]. وأما نَهي المقبلي عن التَّمذهب بمذهب الشافعي فذلك أنَّه قد اختلطت به آراء الأشاعرة، وليس لقدح في الشافعي ومذهبه!.

وعلى الرغم من احتفاظ مؤرخي الزيدية بنسبة المقبلي إلى المذهب الزيدي، إلَّا أنَّ بعضهم لا يُخفِي مَيْلَه إلى السُّنَّة ومخالفتَه للمذهب، ويعترفون بتأثُّره بمذهب أهل السُّنَّة والجماعة(١).

**٣) محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني (١٠٩٩- ١١٨٢هـ):**

هو محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد بن علي بن حِفظ الدِّين بن شَرَف الدِّين بن صلاح بن الحسن بن المهدي بن محمد بن إدريس بن علي ابن محمد بن أحمد بن يحيى بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن الحسن بن عبد الرَّحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم (٢).

مولده بكُحْلان(٣) سنة تسع وتسعين وألف للهجرة، ثم انتقل إلى صنعاء مع والده سنة سبعٍ ومائة وألف، فأخذ عن علمائها، أمثال(٤): السَّيد العلامة زيد بن محمد بن الحسن(٥)، والسيد العلامة صلاح بن حسين الأخفش(٦)، والسيد العلامة عبد الله بن علي الوزير(٧).

---

(١) انظر ما قاله عبد السلام الوجيه في كتابه: أعلام المؤلفين الزيدية [٤٩١ - ٤٩٢].

(٢) البدر الطالع [٢/ ٦٨٦].

(٣) كُحْلان: ويدعى كُحْلان عَفَّار، وهي بلد تقع في سفح حصن كحلان من جهة الشرق، وتبعد عن صنعاء بنحو ٩٠ كيلو متراً غرباً بشمال منها. انظر: البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي [٢٢٢]، هجر العلم ومعاقله [٤/ ١٨٠٨].

(٤) انظر: البدر الطالع [٢/ ٦٨٧].

(٥) العلامة زيد بن محمد بن الحسن. عالم زيدي صاحب مؤلفات. مولده سنة ١٠٧٥هـ، ووفاته سنة ١١٢٣هـ. من مؤلفاته: (أجوبة مسائل بعض علماء صعدة)، و(القسطاس في الرد على النبراس)، و(المجاز إلى حقيقة الإيجاز). انظر: طبقات الزيدية الكبرى [١/ ٤٥٦-٤٥٩]، أعلام المؤلفين الزيدية [٤٤٧ - ٤٤٨].

(٦) تقدمت ترجمته ص [٧٢].

(٧) العلامة عبد الله بن علي الوزير. عالم، ومؤرخ زيدي. مولده سنة ١٠٧٤هـ، =

ولما حُبِّبَ إليه دراسة السُّنَّة رحل في طلبها إلى الحرمين الشريفين، فأخذ عن كبار علمائها هناك، أمثال: محمد بن عبد الهادي السِّندي(١).

والصنعاني كابن الوزير - رحمهم الله - كان زيدياً من بيت الإمامة، ونشأ على المذهب الزيدي، فحفظ علومَه وفنونَه، حتى إذا بلغ مرتبة الاجتهاد ترك التقليد واتَّبَع الدليل بحسب ما يترجَّح له، من خلال النظر في الكتاب وصحيح السُّنَّة، مع تَلَمُّس آثار السَّلف الصالح من الصحابة والتابعين ﷺ.

ومما يدل على زيدية الإمام الصنعاني السَّابقة لِتَسَنُّنِه حِفظُه لمذاهب أهل البيت من الزيدية، فقد صرَّح بذلك في أكثر من مناسبة، فممَّا قاله رداً على القضاة من بني العَنسي لما أشاعوا تغييره لمذهب أهل البيت(٢):

أُولَـئِكَ آبَـائِي إِذَا كُـنْـتَ جَـاهِـلاً ... وَنَـحـنُ بَـنُـوهُـمْ سَـيِّـداً بَـعْـدَ سَـيِّـدِ
وَرِثْـنَـاهُـمُ عِـلْـمـاً وَزُهـداً وَسُـؤْدَداً ... وَسَلْ مَنْ تَشَا يا جَاهِلاً أَصْلَ مَحتِدِي
وَرِثْـتُ عُـلُـومَ الآلِ طُـرّاً وبَـعْـدَهُـمْ ... حَفِظْتُ - بِحَمْدِ اللهِ - سُنَّةَ أَحمَدِ

---

= ووفاته سنة ١١٤٧هـ من مؤلفاته: (ديوان شعر كبير)، (إرسال الذؤابة على مسألة الصحابة)، و(طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى) في التاريخ. انظر: طبقات الزيدية الكبرى [٢/ ٦٢٠-٦٢٤]، البدر الطالع [١/ ٤٢٨ - ٤٣٠]، أعلام المؤلفين [٢/ ٢٦٠].

(١) أبو الحسن، نور الدين محمد بن عبد الهادي السِّندي. فقيه حنفي، عالم بالحديث والتفسير والعربية، مولده بتته (قرية من بلاد السند) ونشأ بها، ثم ارتحل من بلده وأخذ عن جملة من الشيوخ، ودرَّس بالحرم النبوي، وتوفي بالمدينة سنة ١١٣٨هـ له عدد من الحواشي النفيسة، منها: (حاشية على صحيح البخاري)، و(حاشية على صحيح مسلم)، و(حاشية على سنن أبي داود). انظر: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر [٤/ ٦٦]، الأعلام [٦/ ٢٥٣].

(٢) ديوان الصنعاني [١٤٨].

وَدَرَّسْتُ في الْعِلْمَينِ أَعلامَ عَصرِنا فَكُلٌّ تَلامِيذِي فَسَلْ وَتَنَشَّدِ

وقد ترجم له الأستاذ عبد السلام الوجيه في أعلام المؤلفين الزيدية، ومما قال في ترجمته: "وتفرَّد بالرئاسة في صنعاء، وخالفَ في بعض المسائل مُتأثراً بكتب أهل السُّنَّة، وابتعد عن كتب أهل البيت، وجَرَت الخصومات بينه وبين أهل عصره.."[(١)].

ولما اتُّهم ابنُ الأمير بمخالفة أهل البيت أنكر عليهم هذه التُّهمَة، وردَّ عليهم قولَهم، بكون الاختلاف بين أهل العلم مِن أهل البيت سائغٌ مُمكِن، فقد اختلفوا قديماً، ولم يكن ذلك قادحاً في أحد منهم، يقول الصَّنعاني[(٢)]:

وقُلْتُمْ بِأَنَّ ابْنَ الأَمِيرِ مُحَمَّداً يُخالِفُ أَهْلَ البَيْتِ مِنْ غَيرِ مُسْعِدِ
وَلَيسَ اختِلافُ الآلِ فِي العِلْمِ ضَائِراً وَلَا هُوَ عَيبٌ عِندَ كُلِّ مُوَحِّدِ
فَقَد خَالَفَ الهادِي بَنُوهُ مُحَمَّدٌ وأَحمَدُ وَانظُرْ كُتْبَهُمْ وَتَفَقَّدِ
وخَالَفَهُ المنصُورُ والنَّاصِرُ الَّذِي يأمل سقياً للإمام المجدِّد[(٣)]
وكَمْ مِنْ خِلافٍ بَينَ صِنوَينِ قَد جَرَى أَبِي طالِبٍ ثُمَّ الإمامِ المُؤَيَّدِ

توفي الإمام الصَّنعاني رَحِمَهُ اللهُ في الثالث عشر من شهر شعبان سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف للهجرة[(٤)].

وقد خلَّفَ الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ مؤلفات كثيرة جداً، فمن مؤلفاته: (سُبُلُ السَّلام شَرح بُلوغ المرام للحافظ ابن حجر)، و(تَطهير الاعتقاد عن أَدران

---

(١) أعلام المؤلفين الزيدية [٨٦٣].
(٢) ديوان الصنعاني [١٥١ - ١٥٢].
(٣) هذا الشطر من البيت لم يتضح لي معناه، ولعلَّ فيه تصحيف، والله أعلم!.
(٤) انظر: البدر الطالع [٢/ ٦٩١].

الإلحاد)، و(إرشاد النُّقَّاد إلى تَيسير الاجتهاد)، و(إسْبال المطر شَرح قَصَب السُّكَّر بِنَظم نُخبَة الفِكَر للحافظ ابن حجر في علم مصطلح الأثر)، و(إقامَة الدَّليل على ضَعفِ أدلَّة التَّكفير بالتأويل)، و(الأنفَاس الرَّحمانيَّة اليمنيَّة في أبحاث الإفاضة المدنيَّة)، و(إيقاظ الفِكرَة لمراجَعَة الفِطرَة)، و(تَوضيح الأفكار على تَنقِيح الأنظار للإمام محمد بن إبراهيم الوزير في علم الحديث والآثار)، و(ثَمرَات النَّظَر في علم الأَثَر)، و(جَمع الشَّتيت في شرح أَبياتِ التَّثبيت)(١).

### ٤) محمد بن علي الشوكاني (١١٧٣- ١٢٥٠هـ):

هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن صلاح بن إبراهيم بن محمد بن العَفيف.. الشَّوكاني، ثم الصَّنعاني(٢).

مَولده بهِجرة شَوكان(٣) سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف من الهجرة الشَّريفة، ونَشأ في كَنَف والده بصنعاء، وفيها مُبتَدأ طلَبه للعلم، فحفظ في بدايات طلبه للعلم العديد من المتون المعتمدَة عند الزيدية، وفي مقدمتها كتاب: (الأزهار) في فقه الزيدية(٤)، ثم قرأ على أبيه في شرح الأزهار

---

(١) للمزيد، انظر: هجر العلم ومعاقله في اليمن [٤/ ١٨٥٥ - ١٨٥٧]، الصنعاني وكتابه توضيح الأفكار [٣٢ - ٣٩].

(٢) ذكر الشوكاني نَسَبَه كاملاً - إلى آدم عليه السلام - عند ترجمته لأبيه، انظر: البدر الطالع [٥١٨/٢، وما بعدها].

(٣) شَوْكان: قرية في بني سَحام من خولان العالية، تقع شرق صنعاء، وتبعد عنها بحوالي ١٥ كيلو متراً. انظر: البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي [١٣٥ وَ ١٥٩]، هجر العلم ومعاقله في اليمن [٤/ ٢٢٤٩].

(٤) انظر: البدر الطالع [٧٦٨/٢]. قال الشوكاني: "كان أول بحث طالعته، بحث كون الفرجين من أعضاء الوضوء في الأزهار وشرحه..". أدب الطلب ومنتهى الأرب [٨٨].

وعلى عدد من مشايخ الزيدية في صنعاء(١).

كما أخذ الحديث وعلومه على عدد من علماء صنعاء من تلاميذ ابن الأمير رَحِمَهُ اللَّهُ، أمثال: السَّيد العلَّامة علي بن إبراهيم بن أحمد عامر(٢)، والسَّيد العلَّامة عبد القادر بن أحمد(٣)، والسَّيد العلَّامة الحسن بن إسماعيل الـمَغْرَبي(٤).

وقد اقتصر الشَّوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ في طلبه للعلم على علماء صنعاء، ولم يَتَمَكَّن من الرحلة، لعدم الإذن من والديه بذلك(٥).

وقبل أن يُتِمَّ الثلاثين من عمره كان قد حاز علوم الاجتهاد، فترك التقليد واجتهد رأيَه اجتهاداً مطلقاً، غيرَ مُقيَّدٍ بمذهب معين، إلَّا بنصوص الكتاب والسُّنَّة، ثم ابتلي بعد ذلك بمنصب القضاء الأكبر في صنعاء، وهو دون الأربعين من عمره(٦).

---

(١) من مشائخه: العلامة أحمد بن عامر الحَدائي، والعلامة أحمد بن محمد الحرازي، والعلامة القاسم بن يحيى الخولاني. انظر: البدر الطالع [٢/ ٧٦٩ - ٧٧١].

(٢) العلَّامة علي بن إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن أحمد عامر الحسني. عالم محقق في العلوم - وإن كان لم يشتغل بالتأليف - مولده بشُهارة سنة ١١٤٣ه، وقيل ١١٤٠هـ، ووفاته سنة ١٢٠٧هـ. انظر: البدر الطالع [١/ ٤٥٦ - ٤٦٠]، نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر، تأليف: محمد بن محمد زبارة، نشر: المطبعة السلفية - القاهرة، ١٣٥٠هـ [٢/ ١٠٦ - ١١٠].

(٣) انظر ترجمته ص [٤٤٩].

(٤) الحسن بن إسماعيل بن الحسين بن محمد المغربي. عالم مبرِّز في عدة فنون، والمغرَبي: (نسبة إلى مغارب صنعاء)، مولده سنة ١١٤٠هـ، وكان متبعاً لطريقة السلف الصالح في جميع شؤونه، توفي سنة ١٢٠٨هـ. انظر: البدر الطالع [١/ ٢٣١ - ٢٣٣]، نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر [١/ ٣١٩ - ٣٢٠].

(٥) ذكر ذلك في البدر الطالع [٢/ ٧٧١].

(٦) انظر: البدر الطالع [٢/ ٧٧٦، ٧٧٧].

وكان الشَّوكاني رحمه الله قد نَشأ نشأةً زيديَّة، إلَّا أنَّه ترك التقليد والتقيُّد بمذهب الزيدية، واتَّبَع الدَّليل مُعتَمداً على كتاب الله وما صَحَّ من سُنَّة رسول الله ﷺ وما جاء عن السَّلَف الصَّالح رضي الله عنهم.

ولم يَختلِف الباحثون في كون الشوكاني كان زيدياً(١)، بل على العكس فإنَّ الخلاف في بقاء الشَّوكاني على المذهب الزيدي بعد اجتهاده، وهذا رأي يميل إليه البعض؛ مُحتجِّين بكون المذهب الزيدي يَسمَح بالاجتهاد(٢).

كما استدلوا على ذلك بإثباته الوِصاية لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقد ألَّف في ذلك رسالة بعنوان: (العُقد الثَّمين في إثبات وصاية أمير المؤمنين)، استدل فيها بجملة من الأحاديث الواردة في كتب أهل السُّنة الدَّالَّة على أنَّ علياً رضي الله عنه وصيُّ رسول الله ﷺ، ثم قال: "والواجب علينا الإيمان بأنَّه عليه السلام وصيُّ رسول الله ﷺ، ولا يَلزمنا التَّعرُّضَ للتفاصيل المُوصَى بها، فقد ثَبَتَ أنَّه أَمَرَه بقتال النَّاكثين والقاسطين والمارقين، وعَيَّن له علاماتهم وأودَعَهُ جُمَلاً من العلوم، وأَمَرَهُ بأمور خاصَّة كما سَلَف.."(٣).

ولاشَكَّ أنَّ الإمام الشَّوكاني قد ألَّف هذه الرِّسالة قبل أن يشتدَّ عُودُه

---

(١) راجع ما قاله الدكتور عبد الله نومسوك في: منهج الشوكاني في العقيدة [٤١]، [١١٨]، وما قاله الدكتور عبد الغني الشَّرجي في كتابه: الإمام الشوكاني حياته وفكره [٢٨٧]، وكذا ما قاله محمد حسن حلّاق - حقَّق كثيراً من كتب الشوكاني - في مقدمة تحقيق البدر الطالع [١/١٣ - ١٤].

(٢) انظر: الإمام الشوكاني حياته وفكره، تأليف: د. عبد الغني قاسم غالب الشرجي، نشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٩٨٨م [٢٨٧].

(٣) العُقد الثمين في إثبات وصاية أمير المؤمنين، تأليف: محمد بن علي الشوكاني، نشر: إدارة الطباعة المنيرية - القاهرة، ١٣٤٨هـ [٩].

في علم السُّنَّة، فقد أَلَّفها سنة ١٢٠٥هـ[(١)]، ومُعظم الأحاديث التي استدلَّ بها في إثبات وصاية علي رضي الله عنه أوردها في كتابه: (الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة)؛ مثل حديث أنس، وفيه: أنَّ علياً خاتمُ الوصيين وقائدُ الغُرِّ المحَجَّلين[(٢)]، وحديث سلمان الفارسي: "وَصِيِّي ووَارِثي، ويَقضي دَينِي، ويُنجِزُ مَوعِدِي عليُّ بن أبي طالب"[(٣)].

والظاهر - والله أعلم - أنَّ الشَّوكاني قد تراجع عن هذا الرَّأي في اعتقاد وصاية علي رضي الله عنه، فهذه الرِّسالة منقوضة بما أودع منها في كتابه في الموضوعات، وليس هناك ما يدل على بقائه على هذا الرَّأي، فإنَّه لا يذكر لفظ الوَصيِّ في كتبه، أو في أشعاره، بحسب ما تَيَسَّر من كتبه!.

والشَّوكاني رحمه الله يُعَدُّ من أبرز العلماء المنصفين الذين تحوَّلوا إلى السُّنَّة، فقد فتح الله على يديه الخيرَ الكثير في نشر سُنَّة النبي ﷺ، ساعده في ذلك أمور تميَّز بها عن سابقيه؛ فقد وجد الشَّوكاني تَرِكَةً لا بأس بها عن العلماء المنصفين المتقدِّمين، كانت بمثابة الأساس الذي بَنَى عليه، فلم يكن بِدعاً في دعوته، بل كان يُمثِّل امتداداً لمن تقدَّمه من المنصفين، فإنَّ له سلفاً أفاضلَ قريبٌ عهدهم لدى الزيدية، فتلامذة ابن الأمير كانوا متوافرين على زمن الشوكاني، بالإضافة إلى ذكائه وتوسُّعه في العلوم وبلوغه درجةَ الاجتهاد في سِنٍّ مبكرة، كما أنَّ تَوَلِّيَه منصبَ القضاء ولفترة طويلة جعله

---

(١) انظر: العقد الثمين [١٠]. كان عمره حينها ٢٨ عاماً، وأما كتاب الفوائد المجموعة فكان من آخر ما أَلَّفه، فقد انتهى من تأليفه قُبيل موته، في سنة ١٢٤٨هـ. انظر: آخر كتاب الفوائد المجموعة [٦٢٧].

(٢) انظر: الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، للشوكاني [٤٦١].

(٣) انظر: الفوائد المجموعة [٤٦٠].

مُهابَ الجانب، يستطيع تبليغ دعوته بسهولة، بالإضافة إلى أنَّ تأثر أفراد من بيت الإمام بالسُّنَّة والميلَ إليها، كان عوناً له في نشر دعوته وقِلَّة المعارضين له.

وبمقابل الخير الذي تمَّ على يديه، فقد كَثُرَ أعداؤه الذين نقموا عليه طريقتَه السَّلفيَّة، وخروجَه عن المألوف من مذهب الزيدية، واعتبروا طريقتَه نقضاً لمذهب أهل البيت.

قال الوَجيه: "نشأ في المدرسة الزيدية بصنعاء.. دَخَلَ في خلاف وخصومة فكريَّة مع علماء عصره بسبب آرائه التي خالف بها مذهب آل البيت تأثُّراً بابن تيمية وابن عبد الوهاب، وردودهم عليه، وانقسمَ النَّاسُ فيه بين مادِح وقادِح.."[(١)].

توفي الإمام الشَّوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ بصنعاء في جمادى الآخرة سنة خمسين ومائتين وألف من هجرة النَّبي ﷺ[(٢)].

وللشَّوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ الكثير من المؤلفات التي تَدُلُّ على سِعة علمه وإنصافه في فنون عِدَّة؛ في التفسير، والحديث، والفقه، وأصول الفقه، والعقيدة، وغيرها، وإليك بعضاً من مؤلفاته[(٣)]: (فَتح القدير الجامع بين فَنَّي الرِّواية والدِّراية من علم التَّفسير)، و(نَيل الأَوطار شَرح مُنتَقَى الأَخبار)، و(الفَوائد المجموعَة في الأَحاديث الموضوعَة)، و(إرشاد الفُحُول إلى تحقيق الحقِّ مِن علم الأُصول)، و(السَّيل الجرَّار المتدفِّق على حدائق الأَزهار)،

---

(١) أعلام المؤلفين الزيدية [٩٥٨ - ٩٥٩].

(٢) انظر: نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر، لمحمد زبارة [٢/ ٣٠٢].

(٣) للمزيد، انظر: البدر الطالع [٢/ ٧٧٢ - ٧٧٦].

و(الدُّرَر البَهيَّة)، و(الدَّرَاري المضيَّة شَرح الدُّرَر البَهيَّة)، و(حاشية شِفاءِ الأَوام)، و(الدُّر النَّضيد في إخلاص كلمة التَّوحيد)، و(القول المفيد في حكم التَّقليد)، و(أَدَب الطَّلَب ومُنتَهَى الأَرَب)، و(إِرشاد الغَبي إلى مَذهب أَهلِ البَيت في صَحبِ النَّبي).

ومما ينبغي الإشارة إليه هنا أنَّ الأئمة الأربعة المتقدِّمَ ذكرُهم - ابن الوزير، والمقبلي، والصنعاني، والشوكاني - لما كان تَحوُّلُهم ظاهراً جليّاً عن المذهب، لم يكن الزيدية يعتمدون على مؤلفاتهم في التعرف على المذهب لا بتعادها عنه ومخالفتها له[1]. يقول بدر الدين الحوثي: "أمَّا كُتُب الشَّوكاني، فلا تُعتَبَر من كتب الزيدية، فلا يُستَدَلُّ بها على مذهبهم لمن أراد معرفتَه، لا هي ولا كُتُب المقبلي، ولا كُتُب ابن الأمير، ولا كُتُب محمد بن إبراهيم الوزير"[2].

ولما كانوا بهذه المنزلَة، وكان تَحوُّلهم بهذا الظهور فقد أَطَلتُ في التَّعريف بهم، فهم أساس الظاهرة، ومُؤلفاتُهم زادُها، وهم قدوة المنصفين في بلاد الزيدية، بل إنَّ تحوُّلَهم بمفردهم يُعدُّ ظاهرةً مُتكامِلةَ المعالم، لما لَهم من علو مَكانة بين أبناء الزيديَّة، وكَثرَةِ أتباع، وشُهرةِ مؤلفات!.

---

(١) هذا صحيح، فإن كتبهم لا تدل على المذهب ولا تُعلِّم المذهب، ولا علاقة لها بالمذهب الزيدي، بل في بعضها النقد للمذهب، كما يظهر في العواصم والقواصم لابن الوزير، أو العلم الشامخ للمقبلي، أو تطهير الاعتقاد للصنعاني، أو السيل الجرار للشوكاني.

(٢) مفتاح أسانيد الزيدية، تأليف: بدر الدين بن أمير الدين الحوثي، نشر: مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية - صنعاء، ١٤٢٣هـ [٣٢].

### ٥) عبد القادر الكوكباني (١١٣٥- ١٢٠٧هـ)[١]:

وهو عبد القادر بن أحمد بن عبد القادر بن النَّاصر بن (عبد الرَّب)[٢] ابن علي بن شمس الدِّين بن الإمام شَرف الدِّين بن شمس الدِّين بن الإمام المهدي أحمد بن يحيى[٣]، الهادوي، الحسني، الكوكباني، الصَّنعاني، شيخُ الإمام الشَّوكاني، وأَجَلُّ تلاميذ الإمام الصَّنعاني[٤].

مولده بِكَوكَبان[٥] سنة خمس وثلاثين ومائة وألف للهجرة، ونشأ بها وتتلمذ على علمائها، ثم رحل إلى صنعاء فأخذ عن علمائها[٦]، ومن أجَلِّهم الإمام محمد بن إسماعيل الأمير، فقد صَحِبَه سبعَ سنين، كما رَحَل إلى الحرمين وبقي هناك نحو عامين، فأخذ عن علمائها، من أمثال: محمد حَياة السِّندي[٧]، وغيره، ثم عاد إلى بلده، فاستَوطَنَ كوكبان ونشر فيها

---

(١) انظر ترجمته: البدر الطالع [١/ ٣٩٩ - ٤٠٦]، نيل الوطر، لمحمد زبارة [٢/ ٤٤ - ٥٣]، الأعلام [٤/ ٣٧]، هجر العلم ومعاقله في اليمن، للأكوع [٤/ ١٨٩١ - ١٨٩٣]، مصابيح اليمن ممَّن تجرَّد للحق واقتفى السُّنَن، إعداد ونشر: مركز الحقيقة للدراسات والبحوث - صنعاء، ١٤٣٠هـ [٦١ - ٦٦].

(٢) في أعلام المؤلفين الزيدية: (عبد الله). انظر: [٥٥٢].

(٣) انظر تكملة نسبه إلى علي بن أبي طالب: البدر الطالع [١/ ١٥٠].

(٤) انظر: البدر الطالع [١/ ٣٩٩-٤٠٠].

(٥) تقدم التعريف به قريباً.

(٦) من مشايخه: السيد هاشم بن يحيى الشامي، والعلامة حسن الشَّبيبي، وحسين بن عبد الله دُلامة. انظر: مصابيح اليمن ممن تجرد للحق واقتفى السنن [٦١].

(٧) محمد حياة بن إبراهيم السندي. عالم بالحديث، مولده بالسند. رحل في طلب العلم واستقر بالمدينة النبوية إلى أن مات سنة ١١٦٣هـ. من مؤلفاته: (شرح الترغيب والترهيب للمنذري)، و(تحفة الأنام في العمل بحديث النبي عليه الصلاة والسلام)، و(إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد). انظر: سلك الدُّرَر، للمرادي [٤/ ٣٤]، الأعلام، للزركلي [٦/ ١١١]، معجم المؤلفين، لرضا كحالة [٣/ ٢٧١].

علوم السُّنَّة(١).

ولما مات الإمام الصَّنعاني رحمه الله أقرَّ له الجميع بالتفرُّد في العلم، وتسابقوا في الأخذ عنه، لاسيما عند انتقاله إلى صنعاء في السَّنوات العَشر الأخيرة من عمره. قال الشَّوكاني: "ثم لما أراد الله إحياء علوم الحديث، بل وسائر العلوم بصنعاء جَرَت بينه وبين أمير كَوكَبان - السَّيد إبراهيم بن محمد بن الحسين - مُناكَدَة، فأظهر أنَّه يريد الخروج من كوكبان إلى وادي ضَهْر(٢) للتنزُّه به أيام الخريف، فأذن له السَّيد إبراهيم، فخرج واستقرَّ أياماً بوادي ضَهْر، وما زالَ يُرسِلُ لأهله ولكتبه، ولجميع ما يحتاج إليه، ثم كتب إلى الوزير الخطير العلامة الحسن بن علي حَنَش(٣) المتقدم ذكره، بأنَّه يريد الانتقال إلى صنعاء، فرفع القضيَّة إلى خليفة العصر - حفظه الله - فأذن بذلك وأنزله بدار الفَرَج من بير العَزَب(٤)، فسَكَنَ فيها، ووفد إليه أكابر علماء صنعاء، وأخذ عنه جماعةٌ من أعيانهم.. وأخذت عنه في علوم عدَّة، فقرأت عليه في صحيح مسلم من أوَّلِه إلى آخره بلا فَوت.."(٥).

ويُقِرُّ الشَّوكاني بأنَّ السَّيد عبد القادر الكَوكَباني هو أَجَلُّ من أخذ عنه العلم من مشايخه، حيث يقول: "ولم آخذ عن أحد يساويه في مجموع

---

(١) انظر: نيل الوطر، لمحمد زبارة [٢/ ٤٥ - ٤٦]، هجر العلم، لإسماعيل الأكوع [٤/ ١٨٩١].

(٢) ضَهْر: وادٍ مشهور شمال غرب صنعاء على مسافة خمسة عشر كيلو متراً. انظر: البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي، للأكوع - حاشية [١٧٥].

(٣) كان الوزير المذكور مائلاً إلى السنَّة، متظهِّراً بها. انظر: البدر الطالع [٢/ ٨٩٩].

(٤) بير العَزَب: أحد أحياء مدينة صنعاء، ذات حدائق جميلة، كانت في الغرب من المدينة، وأما اليوم فهي في وسطها. انظر: معجم المدن والقبائل اليمنية، للمقحفي [٦٣].

(٥) البدر الطالع [١/ ٤٠١].

علومه، ولم يَكن بالدِّيار اليمنيَّة في آخر مُدَّتِه له نَظير"(١).

والعلَّامة الكَوكَباني يُعَدُّ زيديّاً باعتبار النَّسَب والمولد والنَّشأة، فهو رحمه الله من بيت الإمامة(٢)، ومولده ونشأته في كَوكَبان من بلاد الزيدية، وترجمتُه في مؤلفات الزيدية محفوظة(٣)، كما تَرجَمَ له في الأعلام بوصفه عالماً زيدياً، بقوله: "مُحدِّثٌ، مجتهد، من علماء الزيدية باليمن"(٤).

إلَّا أنَّه رحمه الله بعد أن تَوَسَّعَ في العلوم وترسَّخ في علم السُّنَّة، ترك التقليد ولم يَتقيَّد بمذهب الزيدية، ولكنَّه اتبع طريقة المحدثين في اتباع ما صَحَّ من الأدلَّة، وقد وصفه الشَّوكاني بـ: "الإمام المحدِّث الحافظ المسنِد المجتهد المطلق.."(٥). وهذه الأوصاف لا تجتمع في غير سُنِّي كما هو ظاهر الكلام!.

وقد كانت وفاته رحمه الله بصنعاء في الخامس من شهر ربيع الأول سنة سبع ومائتين وألف للهجرة(٦).

ولم يكن الكَوكَباني رحمه الله مُكثراً من التأليف، مع توفر القدرة على ذلك(٧)، ولَعَلَّ هذا من الأسباب التي جعلته مغموراً بين العلماء غيرَ معروف لدى كثير من النَّاس، إلَّا أنَّ له بعضَ الحواشي والرَّسائل، منها: (رسالة في الآل المذكورين في الصَّلاة)، و(رسالة في الجمع بين

---

(١) البدر الطالع [١/ ٤٠٣].
(٢) انظر اسمه في بداية الترجمة، تجد فيه عدداً من الأئمة الزيديين.
(٣) انظر ترجمته في أعلام المؤلفين الزيدية [٥٥٢-٥٥٤].
(٤) الزركلي [٤/ ٣٧].
(٥) البدر الطالع [١/ ٤٠٠ - ٤٠١].
(٦) انظر: البدر الطالع [١/ ٤٠٦].
(٧) ذكر هذا تلميذه الشوكاني، انظر: البدر الطالع [١/ ٤٠٤].

الصَّلاتين)، و(رسالة في صيام يوم الشَّكِّ)، و(رسالة في إيضاح قُصور المخلوق الضَّعيف عن إدراك حِكمَة الخالق اللَّطيف)، و(حاشية على ضَوء النَّهار)، ولم تكمُل، و(حاشية على الجلالين)(١).

**٦) عبد الله بن محمد بن إسماعيل الأمير(١١٦٠- ١٢٤٢هـ):**

هو عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن صلاح الأمير، الحسني، الصَّنعاني(٢).

مولده بصنعاء سنة ستين ومائة وألف للهجرة، ووفاته بالرَّوضة - من أعمال صنعاء - سنة اثنتين وأربعين ومائتين للهجرة(٣).

نشأ بصنعاء، وأخذ عن علمائها(٤)، كما أخذ عن والده محمد بن إسماعيل الأمير، فبلغ في العلم مرتبة عالية، وصفه المؤرخ محمد زبارة(٥) بقوله: "فَخر الزَّمَن، علَّامة اليمن، الحافظ الكبير، المجتهد الخطير.."(٦).

---

(١) للمزيد، انظر: مصابيح اليمن ممن تجرَّد للحق واقتفى السنن [٦٤ - ٦٥].

(٢) تقدم باقي نسبه قريباً عند ترجمة والده.

(٣) انظر: الأعلام [٤/ ١٣١].

(٤) من مشايخه: العلامة عبد القادر الكوكباني، والعلامة عبد الخالق المزجاجي، والعلامة لطف الباري الورد، والعلامة إسماعيل بن هادي المفتي، والعلامة قاسم الكبسي، وغيرهم. انظر: مصابيح اليمن - مركز الحقيقة [٧١].

(٥) محمد بن محمد بن يحيى بن عبد الله زبارة، عالم ومؤرخ يمني زيدي، كان يميل للسنة، وساهم في نشر كثير من كتب مجتهدي اليمن الذين تحولوا إلى السنة. مولده سنة ١٣٠١هـ، ووفاته سنة ١٣٨٠هـ. من مؤلفاته: (أئمة اليمن)، و(نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر)، و(نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف). انظر: هجر العلم ومعاقله في اليمن [٢/ ٥٨٨ - ٦٠٢]، أعلام المؤلفين الزيدية [٩٨٩-٩٩٢].

(٦) نيل الوطر [٢/ ٩٧].

وقد وَرِثَ عبد الله رَحِمَهُ اللهُ الإنصافَ عن والده، وتأثَّر به، فإنَّه لما بَرزَ في العلوم لم يتقيَّد بمذهب، ولكنَّه اجتهد رأيَه مُتَّبِعاً ما صَحَّ من الأدلَّة.

قال الشَّوكاني: "وبرَعَ في النَّحو والصَّرف والمعاني والبَيان والأُصول والحديث والتَّفسير، وهو أحد علماء العصر المفيدين، العاملين بالأدلَّة، الرَّاغبين عن التَّقليد.. "(١).

وقال القاضي إسماعيل الأكوع: "سَلكَ مسلكَ والده في الأخذ بالدليل وتركِ التقليد"(٢).

كما ذكره الوجيه في أعلام المؤلفين الزيدية، بقوله: "اشتغل بالحديث وفنونه، وتدارسَ مع والده بعضَ مؤلفاته، وتأثَّر بتيار المعتمدين على كتب الحديث عن غير أهل البيت.. "(٣).

ومما سبق يَتضح أنَّ السَّيد العلَّامة عبد الله بن محمد بن الأمير كان عالماً من علماء الزيدية الذين تَحوَّلوا إلى السُّنَّة متقيدين بما صح من الدليل تاركين للتقليد.

ولعل قائلاً يقول: إنَّه قد نشأ على السُّنَّة بسبب أبيه، فلم يكن زيدياً!. وهذا الرأي يكون صواباً إذا كان ابن الأمير - الأب - قد دَعا النَّاسَ إلى التقليد؛ لكن لم يُعرَف عن ابن الأمير أنَّه كان يدعو الناس إلى تقليد نفسه، بل إلى اتباع الدَّليل.

فابنه عبد الله نشأ نشأةَ أبناء عصره - مع رعاية والده - ودرسَ العلوم على علماء بلده، فلما اجتهد اختار لنفسه عن علم، فاختارَ اتباعَ الأَدلَّة،

---

(١) البدر الطالع [١/ ٤٣٦].

(٢) هجر العلم [٤/ ١٨٥٨].

(٣) أعلام المؤلفين الزيدية [٦١٢].

والله أعلم.

ولابن الأمير عدد من المؤلفات، منها[١]: (تلخيص المغني لأهل الأثر)، و(نَظم عُمدة الأحكام)، و(نَظم بُلوغ المرام)، و(رياض الرَّبيع في علم المعاني والبَيان والبَديع).

**٧) إبراهيم بن عبد القادر الكَوكَباني (١١٦٩- ١٢٢٣هـ):**

هو إبراهيم بن عبد القادر بن أحمد بن عبد القادر الكَوكَباني[٢].

مولده بصنعاء سنة تسع وستين ومائة وألف للهجرة، ونشأ بكوكبان - بلد أبيه - وأخذ عن علمائها، ثم انتقل مع أبيه إلى صنعاء واستقرَّ بها وتولَّى بعض أعمال الدولة[٣].

وقد وَرِثَ السَّيد إبراهيم الإنصافَ عن أبيه، فلم يُقلِّد في دينه الرِّجال، ولم يتقيَّد بمذهب الزيدية، ولكنه كان يتبع الدَّليل، ويعمل بالكتاب والسُّنَّة.

قال الشوكاني: "والمترجم له عافاه الله لا يَتقيَّد بمذهب، ولا يُقلِّد في شيء من أمور دينه، بل يعمل بنصوص الكتاب والسُّنَّة ويجتهد رأيَه، وهو أهل لذلك.."[٤].

والكَوكَباني - الابن - يُعَدُّ أيضاً زيدياً باعتبار النَّسَب والنشأة كأبيه، وقد تولى أعمالاً للإمام، ولاشكَّ أنَّ الأعمال في دولة الإمام كانت مُقتصرة على الزيدية، كما أنَّ المؤرِّخين يذكرونه بكونه زيدياً، فذكره في الأعلام

(١) انظر: مصابيح اليمن ممن تجرد للحق واقتفى السنن [٧٣].

(٢) تقدمت تتمَّة اسمه في ترجمة أبيه (عبد القادر الكوكباني).

(٣) انظر: نيل الوطر، لمحمد زبارة [١/ ١١].

(٤) البدر الطالع [١/٤٨ - ٤٩].

بقوله: "فقيه زيدي"[1].

كما ترجم له عبد السَّلام الوَجيه في أعلام المؤلفين الزيدية، ثم قال: "قلت: ويُعَدُّ من المتأثِّرين بتيار التَّسَنُّن، الذين مالوا عن كتب أهل البيت في الحديث، واعتمدوا في اجتهاداتهم على غيرها"[2].

والشَّاهد من كلام الوَجيه أنَّ إبراهيم الكَوكَباني كان زيدياً مَعدوداً في الزيدية، وإلَّا لم يذكره في أعلام المؤلفين الزيدية، كما يستفاد مَيلُه عن مذهب الزيدية إلى مذهب أهل الحديث، وهذا قد أشار إليه غيره، حيث يقول القاضي إسماعيل الأكوع: "كان - كوالده - عاملاً بكتاب الله وسنة رسوله، تاركاً للتقليد"[3].

ومما يدل على تحوُّل السيد إبراهيم الكوكباني إلى السُّنَّة وتَمسُّكِه بها ودعوتِه إليها هذه الأبيات، التي يقول فيها رحمه الله[4]:

وَمَا جَاءَ مِنْ عِلْمٍ يُخالِفُ مَا أَتَى ... عَنِ اللهِ مِنْ أَصْلِ الشَّرِيعَةِ والفَرعِ
فَذَاكَ ضَلالٌ لَيسَ يَرضَاهُ غَيرُ مَنْ ... يَرَى أَنَّهُ يَسْتَبْدِلُ الضُّرَّ بالنَّفْعِ
وَعِلمٌ أَتَى مِنْ غَيرِ مِشْكَاةِ أَحمَدٍ ... فأَصحَابُهُ فِي ظُلْمَةِ الجَهْلِ بالقَطْعِ
فَقِسْهُ إِذَا اختَرنَا القِيَاسَ طَرِيقَةً ... بِزائِفِ فَلْسٍ وَجْهُهُ عَدَمُ النَّفعِ
وَمَا كُلُّ قَولٍ صَادِرٌ عَنْ إِصَابَةٍ ... فَيَسْلَمُ عَنْ إِيرَادِ نَقْضٍ وَعَنْ مَنْعِ
فَخُذْ مِنْهُ واتْرُكْ بِالظُّنُونِ كَثِيرَهُ ... ومَا كُلُّ قَوْسٍ صادق السَّهْمِ بالوَقْعِ
فَلا عِلْمَ إِلَّا مَا أَتانَا عَن الَّذِي ... أَتَى رَحمَةً مُهدٍ إلى السُّنَنِ الشَّرْعِ

(١) الأعلام [١/ ٤٨].

(٢) أعلام المؤلفين الزيدية [٥٢].

(٣) هجر العلم [٤/ ١٨٩٦].

(٤) هجر العلم [٤/ ١٨٩٦ - ١٨٩٧].

والسَّيد إبراهيم الكوكباني مُقِلٌّ من التأليف كوالده، وله مؤلفات صغيرة، عبارة عن رسائل علميَّة، منها[(١)]: (إبانَة المقال في حكم التَّأديب بالمال)، و(إنباه الأَنباه في حُكم الطَّلاق المعلَّق بـ"إِن شَاء الله")، و(حاشيَة على ضَوء النَّهَار)، و(رسالة في شَأنِ البَانيان).

**٨) محمد بن علي العمراني (١١٩٤- ١٢٦٤هـ):**

محمد بن علي بن حسين بن صالح بن شائع العَمْراني[(٢)]، الصَّنعاني.

مولده في صنعاء سنة أربع وتسعين ومائة وألف للهجرة، ووفاته بزبيد[(٣)] سنة أربع وستين ومائتين وألف[(٤)].

نشأ العَمرَاني رَحِمَهُ اللَّهُ في صنعاء وتتلمذ على علمائها، وعلى رأسهم: الإمام محمد بن علي الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ، إلى جانب علماء آخرين من علماء صنعاء، من أمثال[(٥)]: الحسن بن يحيى الكِبْسي[(٦)]، والسيد إبراهيم بن

---

(١) للمزيد، انظر: مصابيح اليمن ممن تجرد للحق واقتفى السنن [٩ - ١٠].

(٢) العَمْراني: نسبة إلى مدينة عَمْران، وذلك أن أباه وُلد في عمران، ثم انتقل منها إلى صنعاء واستقر هناك. انظر: القاضي العمراني حياته الدعوية والعلمية، للأغبري [١٤٢].

(٣) زَبِيد: مدينة عامرة مشهورة في تهامة اليمن، كانت تسمى قديماً بالحُصَيْب، ثم غلب عليها اسم الوادي الذي بنيت عليه. انظر: معجم المدن والقبائل اليمنية، للمقحفي [١٨٩]، البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي للأكوع [١٢٩].

(٤) انظر: نيل الوطر، لمحمد زبارة [٢/ ٢٨٩].

(٥) انظر: مصابيح اليمن - مركز الحقيقة [٨٨].

(٦) الحسن بن يحيى بن أحمد بن علي، الحمزي، الكبسي. عالم مجتهد محقق، من أعيان عصره. مولده بالكبس سنة ١١٦٧هـ، ونشأ بصنعاء. توفي سنة ١٢٣٨هـ. من مؤلفاته: (إثبات التحرير في تعاطي التكفير)، و(إجالة النظر في بيع الغبن والغرر). انظر: البدر الطالع [١/ ٢٤٧ - ٢٤٩]، نيل الوطر [١/ ٢٥٨ - ٢٦٤]، أعلام المؤلفين الزيدية [٣٥٤-٣٥٥].

عبد القادر الكوكباني، والقاضي عبد الله بن محمد مُشْحِم(١).

وقد مالَ العَمرَاني رَحِمَهُ اللهُ إلى دراسة السُّنَّة النبوية، فسمع على الشَّوكاني الأمهات السِّت، واشتغل بعلم الرِّجال حتى فاق فيه الأقران، وصار الحَكَمَ فيه في حلقات الشَّوكاني(٢).

يقول الشَّوكاني: "وقد سَمِع عَليَّ غالبَ الأُمهات السِّت .. وكَثُرَ اشتغالُه بعلم الحديث ورجالِه حتى صار الآن من أعظم رجال هذا الشَّأن"(٣).

كما وصفه المؤرِّخون بصفات تؤكد مكانتَه في علوم السُّنَّة، حيث يقول تلميذه، الحسن بن أحمد عاكِش الضَّمدي(٤): "وأمَّا علمُ الحديث فهو إمامُ محرابه، والذي لا يَلِزُّ(٥) به قَرين من أهل زمنه وأترابه، فهو يَستحضِر رجال الكتب السِّتَّة بحيث لا يخفى عليه من أحوالهم خافية، تعديلاً

---

(١) القاضي، عبد الله بن محمد بن أحمد بن جار الله مشحم الصعدي. عالم زيدي، مولده تقريباً سنة ١١٦٠هـ. نشأ بصنعاء، وبرع في عدة فنون، ووفاته سنة ١٢٢٣هـ. انظر: البدر الطالع [١/ ٤٣٥]، نيل الوطر [٢/ ٩٥ - ٩٦].

(٢) انظر: حدائق الزهر في ذكر الأشياخ أعيان الدهر، تأليف: الحسن بن أحمد عاكش الضمدي، تحقيق: د. إسماعيل بن محمد البشري، ١٤١٣هـ [١٠٤].

(٣) البدر الطالع [٢/ ٧٦٣].

(٤) الحسن بن أحمد بن عبد الله بن عبد العزيز الضَّمدي، التهامي؛ مؤرخ، وعلامة. ولد في ضَمد بتهامة سنة ١٢٢١هـ، وتوفي بمدينة أبي عريش سنة ١٢٨٩هـ. من مؤلفاته: (الدِّيباج الخسرواني في ذكر أعيان المخلاف السُّليماني)، و(عقود الدُّرر في تراجم رجال القرن الثالث عشر)، و(حدائق الزهر). انظر: نيل الوطر [١/ ٣١٤ - ٣١٨]، الأعلام [٢/ ١٨٢ - ١٨٣].

(٥) لَزَّ: قال ابن فارس: "اللام والزاء أصلٌ صحيح يدلُّ على ملازمة ومُلاصَقة. يقال: لُزَّ به، إذا لَصِق به لَزّاً ولَزَازاً. ولازَزْتُه: لاصقته". معجم مقايس اللغة [٥/ ٢٠٤].

وتجريحاً، مع هِمَّةٍ سامية للاطلاع على العِلَل المتناهية، غايةُ الأمر أنَّه ناظر القدماء في هذا الفن، وبَلغ رُتبةً في الحفظ يَقْصُر عنها أهلُ الزَّمن.. "(١).

كما وصفه المؤرخ محمد زبارة بقوله: "الحافظ، الضابط، النَّاقد، المحدِّث الكبير"(٢)، ووصفه في الأعلام بقوله: "عالم بالحديث"(٣).

وهذه الشُّغلَةُ الكاملة بالحديث وعلومه تدل على مَزيد إنصاف واتباعٍ للأدلَّة مع ترك التقليد وعدم التقيُّد بالمذهب الزيدي، مع التَّحرِّي الكاملَ للسُّنَّة.

يقول تلميذه الضَّمدي: "وكان أوَّلَ ما عرفته بصنعاء، وهو يُنَفِّرُ عن العمل بالرَّأي، ويَحُثُّ على الاشتغال بالحديث، ويَميلُ إلى العمل بظاهر الحديث، ولا يتقيَّد بمذهب.. "(٤).

وللعَمرَاني رَحِمَهُ اللَّهُ عدد من المؤلفات أكثرها في الحديث، فمن مؤلفاته: (عُجالة ذوي الحاجة في شرح سُنَن ابن ماجَه)، و(فِقه الحديث)، و(عُجالة النَّظَر في مسألة القَضاء والقَدَر)، و(التَّعريف بما في التَّهذيب من قَويٍّ وضَعيف)، و(نَظم مَتن الغاية والتَّقريب)، و(إتحاف النَّبيه في تاريخ دولة القاسم وبَنيه)، و(السُّلوك السَّنية لتَسميط الدُّرَر البَهيَّة في المسائل الفِقهيَّة)(٥).

---

(١) حدائق الزهر [١٠٣].

(٢) نيل الوطر [٢/ ٢٨٩].

(٣) الزركلي [٦/ ٢٩٨].

(٤) حدائق الزهر [١١٢].

(٥) انظر: مصابيح اليمن [٩٠].

**٩) أحمد بن عبد الله الجنداري (١٢٧٩- ١٣٣٧هـ):**

أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محسن القُحَيطا، المعروف بالجِنْدَاري(١).

ولد بصنعاء سنة تسع وسبعين ومائتين وألف للهجرة، ونشأ بها وأخذ عن علمائها من الزيدية، واشتغل في بداية أمره بالتجارة إلى جانب الاشتغال بالعلم، فلم يكن متفرِّغاً للعلم، فكان ملتزماً بالمذهب الهادوي التزاماً كاملاً إلى أن شرح الله صدره لدراسة السُّنَّة والعمل بها، فانقلب حالُه وحَسُنَ عَمَلُه - نحسبه كذلك - فقد نشر الله على يديه علوم السُّنَّة، وأخذ عنه الكثير من العلماء الأفاضل، وتأثر به بعض أئمة اليمن وأبنائهم في زمانه(٢).

قال الأكوع: "كان في بداية أمره ملتزماً التزاماً كاملاً بالمذهب الزيدي الهادوي، فكان لا يحضر صلاة الجمعة لعدم وجود إمام في صنعاء، لأنَّها كانت بِيَد الدولة العثمانية، وقد أخبرني القاضي إسماعيل بن أحمد الجرافي أنَّ رجلاً خرج من الجامع بعد صلاة الجمعة، فوجد المترجم له مارّاً

---

(١) قال الأكوع: "الجنداري: مأخوذة من (الجُنْد آري)، أي: الجند السامي، أو النظامي، وقد جاءه هذا اللقب من خاله العلامة الضرير الشيخ محمد بن يحيى الجنداري". هجر العلم (حاشية) [٣/ ١٤٧٦].

(٢) من تلاميذه: العباس بن أحمد بن إبراهيم، والقاسم بن حسين أبو طالب، وعبد الكريم بن أحمد الطير، وعبد الرحمن بن حسين الشامي ويحيى بن محمد لطف، وإمام اليمن يحيى بن محمد حميد الدين، وكذا سيف الإسلام محمد بن الإمام الهادي الملقب بأبي نيب. انظر: نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر، تأليف: محمد بن محمد يحيى زبارة، تحقيق: القاضي عبد الله بن عبد الكريم الجرافي، نشر: مكتبة الإرشاد - صنعاء، ١٤٣١هـ [١/ ١٠٢]، هجر العلم ومعاقله في اليمن، للأكوع [٣/ ١٤٧٧ - ١٤٧٨]، مصابيح اليمن ممن تجرد للحق واقتفى السنن [١٥].

بالقرب من الجامع - وهو يعرف أنَّه لا يُصلِّي صلاة الجمعة - فقال له بما معناه: هؤلاء - وأشار إلى جموع المصلين - الذين يخرجون من الجامع سيدخلون النَّار لأنَّهم صلوا صلاة الجمعة!!، وأنت وحدك ستدخل الجنَّة لأنَّك لم تُصَلِّ معهم، لاعتقادك بعدم وجوبها إلَّا في ظل حكم إمام فقط؟!. فوقر هذا الكلام في نفسه، وبدأ يُراجع مُعتقَدَه.. فأخذ منذ ذلك الحين بالانقطاع إلى علوم السُّنَّة، فحقَّق ودقَّق، واجتهد ورجَّح، وقرَّر وانتقد وألَّف، وعمل بما صَحَّ لديه من أدلتها، وترك التَّعويل على المذهب وأقوال الرجال، وانتهت إليه في آخر أعوامه الرئاسة في علوم السُّنَّة ومعرفة علل الحديث ورجاله، وأحوال رواته في الاعتقاد والصدق والأمانة والجرح والتعديل ومعرفة الوفيات، وترك التعويل على التَّمذهُب والقيل والقال، وقد انتفع به عدد كثير ممن وفَّقهم الله إلى سلوك هذه المحجَّة الواضحة.."[1].

ومما سبق يتضح أنَّ الجنداري رَحِمَهُ اللَّهُ كان زيدياً هادوياً، إلَّا أنَّه بعد أن تعلَّم السُّنَّة وتبحَّر فيها ترك التقليد واتبع الدليل، ودعا إلى الإنصاف وعدم التعويل على ما لا دليل عليه، والعودة بالعقل إلى الفطرة التي فطر الله الناس عليها[2]. يقول الجنداري في قصيدة طويلة يُبيِّن فيها طريق النَّجاة[3]:

أَيُّهَا الطَّالِبُو النَّجَاةِ هَلُمُّوا ... إِنَّ عِلْمَ النَّجَاةِ عِلْمٌ أَهَمُّ
اطْلُبُوا الحَقَّ حَيْثُ كَانَ تَفُوزُوا ... لَا تَمِيلُوا فِي جَانِبٍ فَهُوَ ظُلْمُ
مِنْ بَعِيدٍ أَو صَاحِبٍ أَو قَرِيبٍ ... أَو عَدُوٍّ فَإِنَّ ذَلِكَ حَتْمُ
إِنَّ حُبَّ الأَسْلَافِ يُعْمِي عَنِ الحَـ ... ـقِّ كَمَا قَالَ الـمُصْطَفَى وَيَصُمُّ

(١) هجر العلم ومعاقله في اليمن [٣/ ١٤٧٧].
(٢) انظر: نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر، لمحمد بن محمد زبارة [١/ ١٠٣].
(٣) انظر الأبيات بتمامها في هجر العلم [٣/ ١٤٧٨ - ١٤٨٠].

وفيها:

صَـاحِ إِنْ صَـحَّ قَـوْلُ طـه بِـنَـقْـلٍ فَـدَعِ الـنَّـاسَ إِنْ يَـكُـنْ لَـكَ فَـهْـمُ
وأُصُـولُ الـكَـلَامِ قَـدْ حَـازَهُ الْـقُـر آنُ فَـهُـوَ الـشِّـفَـا لِـمَـنْ فِـيـهِ سَـقْـمُ
أَفْضَلُ العِلْمِ فِي التَّفَكُّرِ بالعَقْـ لِ فَـلا تَـعْـدُوهُ إِذَا أَنـتَ شَـهْـمُ
إِنَّ لِـلـعَـقْـلِ فِـطْـرةً يَـعـرِفُ الـلَّـ ـهَ عَلَى القُربِ إِنْ يَكُنْ لَكَ هَمُّ

وفيها:

لَيسَ غَيرُ الدَّلِيلِ يَشفِي سَقِيماً فاطلُبِ الحَقَّ إِنْ يَكُنْ لَكَ فَهْمُ

وكانت وفاة الجنداري رحمه الله سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وألف للهجرة[(١)].

وقد ترجم له الوجيه في أعلام المؤلِّفين الزيدية، وحاول تفنيد القول بتحوُّله إلى السُّنَّة من خلال الاستشهاد ببعض مؤلفاته التي أَلَّفَها حال كونه زيدياً هادوياً، فإنَّ للجنداري العديد من المؤلفات، منها ما أَلَّفه في شبابه حال كونه هادوياً، ومنها ما أَلَّفَه بعد تحوُّله إلى السُّنَّة، فمن مؤلفاته: (إظهار النِّفاق من أهل النَّصب والشِّقاق)[(٢)]، و(سِمط الجُمان في شرح ناصِحَة الإخوان[(٣)]، و(روض الفؤاد في مثالب ابن آكلة الأكباد)[(٤)]،

(١) انظر: هجر العلم ومعاقله في اليمن، للأكوع [٣/ ١٤٨١].

(٢) قال الأكوع: "هذا الكتاب أَلَّفه في شبابه، وكان ما يزال جارودياً قبل رجوعه إلى الحق والعمل بالكتاب والسنة". هجر العلم (حاشية) [٣/ ١٤٨١].

(٣) ذكر الأكوع أنَّ الجنداري ندم على تأليفه هذا الكتاب، وود لو أنه فَقَد أحد أولاده وأنه لم يؤلفه! سمع هذا من ابن أخت الجنداري. انظر: هجر العلم (حاشية) [٣/ ١٤٨١].

(٤) ابن آكلة الأكباد: يقصد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، لأنَّ أُمَّهُ هند بنت عتبة أمرت وحشي بشق صدر حمزة بن عبد المطلب بعد أن قتله، وحاولت أكل كبده، =

و(شرح أسماء الله الحسنى)، و(إبانة الشَّناعة في النَّهي عن تفريق صلاة الجماعة)، و(الأبحاث السَّديدة في شرح الأبيات الفريدة في تلخيص العقيدة)، و(إتحاف الإخوان بذكر الدُّعاة من قرناء القرآن)، و(أربعة وثلاثون حديثاً في معرفة أوقات الصلوات)(١).

**١٠) يحيى شاكر(١٣٠٥- ١٣٧٠هـ):**

يحيى بن محمد بن لُطْف بن محمد شاكر(٢).

إمام مُبرِّز في علوم الحديث والتفسير، مُشارك مشاركة قوية في غيرها، كاللُّغة والبَيان، والأصول(٣).

مولده بعِلْمَان(٤)، سنة خمس وثلاثمائة وألف للهجرة، ووفاته وهو في طريقه إلى مكة للحج سنة سبعين وثلاثمائة وألف للهجرة(٥).

طلبَ العلمَ بداية على جَدِّه لُطْف بن محمد شاكر(٦)، ثم بدأ يختلط

---

= فلم تستسغها! وهذا من التنابز بالألقاب، والقدح بأمور الجاهلية التي برأ الله منها أهل الإسلام، فهند: أسلمت بعد ذلك وحسن إسلامها، والإسلام يَجَبُّ ما قبله، ولكن لعل هذا مما ألفه عندما كان زيدياً!.

(١) للمزيد، انظر: هجر العلم، للأكوع [٣/ ١٤٨١ - ١٤٨٢]، مصابيح اليمن - مركز الحقيقة [١٧ - ١٨].

(٢) هجر العلم ومعاقله في اليمن [٤/ ٢٠٨٨].

(٣) انظر: هجر العلم [٤/ ٢٠٨٨].

(٤) انظر: هجر العلم ومعاقله في اليمن، للأكوع [٣/ ١٤٥٥].
عِلْمان: "قرية عامرة من بني نَوف في الجبل الغربي من الأهنوم، ازدهرت بالعلم في مطلع المائة الهجرية الرابعة عشرة". هجر العلم [٣/ ١٤٥٣].

(٥) انظر: نزهة النظر، لمحمد زبارة [٢/ ٦٨٨، ٦٨٩]، هجر العلم [٤/ ٢٠٩٢].

(٦) لُطْف بن محمد شاكر. عالم زيدي مبرِّز في علوم العربية وغيرها، مولده بصنعاء سنة ١٢٤٠هـ، ثم انتقل منها واستقر في عِلمان من بلاد الأهنوم، وبها توفي سنة ١٣٣٣هـ. انظر: نزهة النظر [١/ ٥٣٠]، هجر العلم [٣/ ١٤٥٤ - ١٤٥٥].

بالجنداري ويأخذ عنه، فغضب جدُّه لذلك، وخيَّره بين الدِّراسة لديه، أو الاقتصار على الجنداري، فاستخار الله، فاختار له البقاء لدى الجنداري، فبقي عنده وزوَّجه ابنته، فأخذ عنه علوم السُّنَّة، واجتهد في الطلب حتى صار مجتهداً مطلقاً(١)، فنبذ التقليد ودعا إلى العمل بالكتاب والسُّنَّة، كما كانت له مواقف قوية في إنكار المنكر، كشركيات القبور؛ من بناء عليها ونذور، وبدع العبادات؛ كترك سُنَن الصلاة، والجمع بين الصلوات من غير عذر، وبدع الأذان، وغيرها، فلاقى من أجل ذلك المشاق من قِبل إمام اليمن في حينه - يحيى بن محمد حميد الدين - ومن علماء المقلدة، كما عمل ﵀ على نشر السُّنَّة وإعلانها على الملأ بقدر استطاعته، غيرَ عابئ بما يصنعه المقلّدة(٢)، كما انتقد ﵀ المذهب الزيدي بعدد من المؤلفات التي بيَّن فيها مخالفاتهم للكتاب والسُّنَّة؛ فمن مؤلفاته(٣): (إرشاد الغَبي إلى صلاة النَّبي ﷺ)، و(الانتصار للصلاة وأوقاتها والتَّحريض على الإتيان بها على أحسن صفاتها)، و(التحذير لأهل الإيمان عن التَّفسيق والتَّكفير بلا برهان)، و(تَنبيه ذوي الحِجَى في التَّفريق بين الرَّجاء والإرجاء)، و(الكَلِم الرَّجُوم لِعِلم النُّجوم)، و(الكَلِم المتَمَّم في وجوب الرَّفع والضَّم).

**١١) مُقبل بن هادي الوادعي: (ت: ١٤٢٢هـ):**

الشَّيخ العلَّامة المُحَدِّث، أبو عبد الرَّحمن مُقْبِل بن هادي بن مُقبِل بن قائدة(٤)

---

(١) انظر: هجر العلم ومعاقله في اليمن [٤/ ٢٠٨٨].

(٢) انظر: هجر العلم ومعاقله في اليمن [٤/ ٢٠٨٨ - ٢٠٩٤].

(٣) للمزيد، انظر: نزهة النظر [٢/ ٦٨٩]، هجر العلم [٤/ ٢٠٩٢ - ٢٠٩٤]، مصابيح اليمن ممن تجرد للحق واقتفى السنن [١٢٤ - ١٢٥].

(٤) قائدة: اسم رجل.

الوادِعي الهَمَداني[١].

مولده رَحِمَهُ اللَّهُ بقرية دَمَّاج[٢] بمحافظة صعدة من بلاد اليمن، حوالي سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة وألف من هجرة النَّبي ﷺ[٣].

بدأ حياته العلمية كباقي الزَّيدية في تلك الفترة، فقد بدأ من المكتب فتعلَّم فيه الكتابة والقراءة وما إلى ذلك، ثم بعد انتهائه من الدِّراسة في المكتب أراد الدراسة في جامع الإمام الهادي بصعدة، فلم يُساعَد على ذلك، فاغترب في بلاد الحرمين للعمل، وهناك كان يستمع إلى المواعظ، فسأل بعضَ الوُعَّاظ أن يَدُلَّه على بعض الكتب لقراءتها، فَدَلَّه على بعضها، كصحيح البخاري، وبلوغ المرام، ورياض الصالحين، وفتح المجيد وغيرها، فقرأها وتأثَّر بما فيها، فلمَّا عاد إلى بلده كان يُنكر عليهم مخالفاتهم للتوحيد؛ مِن ذَبحٍ لغير الله، وبناءٍ للقباب على الأموات، وغيرها، فبَلَغ الشِّيعةَ ذلك، فأنكروا عليه؛ فقائل يقول منهم: مَنْ بَدَّلَ دينَه فاقتلوه، وآخرُ يُرسل إلى الشيخ أقربائَه ويقول: إن لم تَمنعوه فسَنَسْجُنَهُ، ثم

---

(١) نبذة مختصرة من نصائح والدي العلامة مقبل بن هادي الوادعي وسيرته العطرة، تأليف: أم عبد الله بنت الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، نشر: دار الآثار - صنعاء، ١٤٢٣هـ [١٨].

(٢) دمأَّج: قرية في محافظة صعدة، تبعد عن مركز المحافظة بحوالي ٩ كيلو مترات، وأما مدينة صعدة، فهي تقع في شمال صنعاء، وتبعد عنها بحوالي ٢٢٠ كيلو متراً. انظر: البلدان اليمانية (حاشية) [١٦٣]، الإبهاج بترجمة العلامة المحدث أبي عبدالرحمن مقبل بن هادي الوادعي ودار الحديث بدماج [١٦].

(٣) انظر: الإبهاج بترجمة العلامة المحدث أبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي ودار الحديث بدماج، تأليف: أبي إبراهيم حميد بن قائد بن علي العُتمي، نشر: دار شرقين - صنعاء، ١٤٢٢هـ [١٢]، موسوعة الأعلام، د. عبد الولي الشميري، متاح على الرابط: www.al-aalam.com تاريخ الدخول: ١٢/ ١٢/ ٢٠١٣م.

قرَّروا أن يُدخلوه جامعَ الهادي، من أجل الدراسة عندهم، لإزالة الشُّبهات التي عَلِقَتْ بقلبه، زعموا![(١)].

ذهب الشيخ رحمه الله للدراسة في جامع الهادي، فدرس لديهم عدداً من كتب الزيدية في العقيدة والفقه، فمن كتب العقيدة: كتاب العُقد الثمين، وكتاب الثلاثين مسألة، وشرحها، لأحمد يحيى حابس.. كما دَرَسَ في متن الأزهار في فقه الزيدية، وكتب أخرى في الفرائض واللُّغَة والنَّحو، وغيرها[(٢)].

وبعد الثورة اليمنية - **١٣٨٢هـ** - خرج الشيخ مع من خرج من أبناء صَعدة إلى نَجران، ومَكَثَ فيه عامين لازمَ فيها العلَّامة الزيدي مجدَّ الدِّين المؤيدي[(٣)] واستفاد منه، لاسيما في اللُّغَة العربية، وبعدها انتقل إلى الرِّياض ثم إلى مكَّة، فطلب العلم هناك، من خلال دراسته في معهد الحرم المكي ولسبع سنوات، ثم انتقل إلى المدينة المنوَّرة فدرس في الجامعة الإسلامية، ثم التحق فيها ببرنامج الماجستير تخصص علوم حديث، وفي المدينة أخذ عن كبار علماء أهل السنة، كالعلَّامة الألباني، والشَّيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، وغيرهم رحم الله الجميع[(٤)].

وفي مطلع القرن الخامس عشر الهجري عاد الشَّيخ مقبل إلى بلده دَمَّاج، وبدأ يدعو إلى السُّنَّة عن علم لا عن تقليد كما في المرة الأولى،

---

(١) راجع: ترجمة الشيخ مقبل لنفسه من خلال شريط كاسيت (غير مؤرّخ) بصوت الشيخ، وانظر: الإبهاج [٣٥-٣٦].

(٢) يراجع: ترجمة الشيخ مقبل لنفسه من خلال شريط كاسيت (غير مؤرّخ) بصوت الشيخ، وانظر: الإبهاج [٣٦].

(٣) تقدمت ترجمته ص [٣١٦].

(٤) انظر: الإبهاج، لحميد العتمي [٣٦-٤٠] مختصراً.

فألَّبَ عليه المقلِّدَة في بلده، فلاقى من المتاعب والمشاق الشيء الكثير، وهو مستمر في دعوته لا يَصُدُّه عن ذلك صاد، ولا يَرُدُّه عنه راد!.

وبعد أن اجتمع لديه عدد لا بأس به من طلبة العلم أَسَّسَ مركزَه الشَّهير في دَمَّاج، المعروف بدار الحديث، فتوافد إليه الطلاب من كل حَدب وصَوب، وصار قِبلَةً لمن أراد علم السُّنَّة من طلاب العلم من داخل اليمن وخارجه(١).

وقد تميَّز الشيخ رحمه الله خلال دعوته بميزات كثيرة، لَعَلَّ أبرزها صَدْعُه بالحقِّ وعدمُ المحاباة، والتزامُه بالدَّليل، فكثيراً ما كان يُكرِّر قولَه على طلابه: "إذا ظهر لي الحق في مسألة قُلتُ به، ولو لم يبقَ معي في دَمَّاج أحد!"(٢).

وقد أثنى عليه كثير من علماء الدَّعوة السَّلفيَّة منهم: الشيخ العلَّامة المحدِّث محمد ناصر الدِّين الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، وسماحة الشيخ العلَّامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز (ت: ١٤٢٠هـ)، والشيخ العلَّامة محمد بن صالح بن عثيمين (ت: ١٤٢١هـ)، وغيرهم رَحِم اَلله الجميع(٣).

وكانت وفاته رحمه الله في آخر ربيع الثاني من سنة اثنتين وعشرين وأربع مائة وألف من الهجرة(٤).

وللشيخ مقبل رحمه الله العديد من المؤلفات، منها(٥): (كتاب الشَّفاعة)،

---

(١) يقدَّر عدد طلاب الشيخ في دار الحديث آخر أيامه مابين الألفين إلى ثلاثة آلاف طالب، بالإضافة إلى الأسر التي استقرت في دماج لطلب العلم، وهي سبعمائة أسرة تقريباً بما فيها من رجال ونساء وأولاد. انظر: الإبهاج [٤٣].

(٢) الإبهاج [٢٢].

(٣) انظر ثناء العلماء على الشيخ من خلال كتاب: الإبهاج، لحميد العتمي [١٦٠ - ١٦٨]، نبذة من نصائح والدي وسيرته لأم عبد الله الوادعية [٤٦].

(٤) انظر: الإبهاج [٢١٣].

(٥) لمعرفة المزيد من مؤلفات الشيخ انظر: الإبهاج [٥٦ - ٦٠].

و(الجامع الصحيح في القدر)، و(رياض الجنَّة في الرَّد على أعداء السُّنَّة)، و(الطليعة في الرَّد على غلاة الشيعة)، و(صعقة الزلزال لِنَسف أباطيل أهل الرَّفض والاعتزال)، و(الصحيح المسند من دلائل النُّبوَّة)، و(الـمَخرج من الفتنة)، و(الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين).

**١٢) محمد بن إسماعيل العَمراني(١٣٤٠هـ -..):**

القاضي العلَّامة أبو عبد الرحمن محمد بن إسماعيل بن محمد بن محمد بن علي بن حسين بن صالح بن شائع العَمراني، الصَّنعاني(١).

مولده بصنعاء سنة أربعين وثلاثمائة وألف للهجرة(٢)، ونشأته بها، فدَرَس في عدد من مدارسها، فجوَّد القرآن، وحفظ عدداً من المختصرات في العلوم، وأخذ فيها العلم على عدد من علماء المذهب الزيدي(٣).

وبعد أن حَذقَ العلوم تأثَّر القاضي بعلماء اليمن المنصفين وسار على طريقتهم، فنبذ التقليد واقتفى السُّنَن، ودرَّس في أمهات الحديث وأفتى، ونفع الله به نفعاً عظيماً. يقول العَمراني: "وممن كان لهم الأثر الأكبر في حياتي العلمية علماء اليمن المتأخرين، وهم الخمسة الأبطال الذين أعلنوا

---

(١) انظر: نزهة النظر برجال القرن الرابع عشر [٢/٥٤٩]، القاضي العلامة العمراني حياته العلمية والدعوية [١٤١].

(٢) انظر: المصدرين السابقين والصفحة.

(٣) منهم: القاضي العلامة عبد الله عبد الكريم الجرافي (ت: ١٣٨٧هـ)، والقاضي العلامة عبد الله بن عبد الرحمن بن حميد (ت: ١٣٩١هـ)، والقاضي العلامة حسن ابن علي المغربي (ت: ١٤١٠هـ). انظر: السيرة الذاتية للقاضي العمراني على موقع منبر علماء اليمن على الرابط: http://olamaa-yemen.net
وكذا من خلال كتاب: القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني حياته العلمية والدعوية [١٧٥].

الاجتهاد المطلق في العصور المتأخرة، التي ساد فيها الجمود وعمَّ التقليد في سائر الأقطار الإسلامية: الوزير، الجلال(١)، المقبلي، الأمير، الشَّوكاني، ولا سيما الأخير منهم، فمؤلفاته الحُرَّة وقلمه السيَّال، وشجاعته الفكرية، واجتهاده المطلق كان لها الأثر العظيم في مجرى حياتي العلمية "(٢).

وقد أشاد أهل العلم بمكانة العلَّامة العمراني في علوم السنة واهتمامه بنشرها، وجهوده في الدعوة إليها. يقول الدكتور حسن الأهدل: "شيخنا القاضي محمد بن إسماعيل العَمراني عالم جليل، اشتغل بالسُّنَّة كثيراً، واهتم بها كثيراً من حيث الصِّحة والضَّعف، وهو يميل إلى كتب الحديث، وقد درَّس الأمهات كُلَّها، وله اهتمام بالغ بما جمعه المعاصرون، وهو في نظري إمام من أئمة المسلمين ليس له نظير في القطر اليماني، أو في البيئة الزيدية، ذلك أنَّه شارك في الانفتاح على أهل السُّنَّة من هذه البيئة المغلقة على نفسها "(٣).

وفي كلام الدكتور الأهدل دلالة على نشأة القاضي العَمراني الزيدية،

---

(١) الجلال: الحسن بن أحمد بن محمد الحسني، العلوي. فقيه، ومُفسِّر؛ كان زيدي المذهب، ثم تحرَّر واجتهد اجتهاداً مطلقاً. مولده بهجرة رغافة - بين الحجاز وصعدة - سنة ١٠١٤هـ، ثم استوطن الجُراف من صنعاء، وتوفي به سنة ١٠٨٤هـ. من مؤلفاته: (تكملة الكَشف على الكشَّاف)، و(شرح الفصول)، و(ضوء النَّهار المشرق على صفحات الأزهار). انظر: البدر الطالع [١/ ٢٢٥-٢٢٦]، الأعلام [٢/ ١٨٢].

(٢) القاضي العمراني حياته العلمية والدعوية، للأغبري [١٩١].

(٣) القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني حياته العلمية والدعوية [٢٦٧]، وانظر ثناء علماء آخرين عليه في نفس المصدر [٢٦٤-٢٦٧]، وكذا ثناء العلَّامة أحمد بن محمد زَبارة (مفتي اليمن سابقاً) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في: نزهة النظر برجال القرن الرابع عشر [٢/ ٥٤٩-٥٥٠].

وكذا تَسنُّنِه من خلال انفتاحه على كتب أهل السُّنَّة، ولا يزال الزيدية يحتفظون بِنِسبَة العَمراني إليهم من خلال كتب التراجم، فقد ذكره الأستاذ عبد السَّلام الوجيه ضمن أعلام المؤلفين الزيدية، وذكر تأثره بالشَّوكاني وابن الأمير[(١)].

وللعَمراني - حفظه الله - عدد من الكتب والرسائل - مع كونه مقلّاً في التأليف - فمن مؤلفاته: (كتاب في القضاء)، و(رسالة في الزيدية في اليمن)، و(رسالة في الرَّد على مقالة حول صحيح البخاري)، و(رسالة في المنع من صوم يوم الشَّك)، و(رسالة في نقد لمؤلفين في الفقه الزيدي لعدم اهتمامهم بصحَّة الأحاديث في كتبهم)، وغيرها من الرسائل والبحوث العلمية[(٢)].

والشيخ - حفظه الله - ما يزال باذلاً وُسعَه في تعليم الناس الخير، والحَثِّ على اتباع السُّنَّة، واقتفاء الدليل، أطال الله عمره في طاعته، ونفعَ بعلمه!.



---

(١) انظر: أعلام المؤلفين الزيدية [٨٧٣ - ٨٧٤].

(٢) انظر: القاضي العمراني حياته العلمية والدعوية [٢٤٩ - ٢٦٠].

## المبحث الثاني

## مخالفة أصول المذهب الزيدي

وهذا مظهر مهم من مظاهر التحول عن المذهب الزيدي، والمقصود بأصول المذهب الزيدي: الأصول العقدية التي لا يَسَعُ الزيديَّ المخالفةُ فيها، وهي تتلخَّص في أصول العدل والتوحيد، أو بمعنى آخر أصول الاعتزال، بالإضافة إلى الإمامة، فإنَّ المخالفة فيها تُعَدُّ خروجاً عن المذهب الزيدي، وقد ظهرت هذه المخالفة من خلال ما يأتي:

**أولاً: مخالفة الزيدية في أصل التوحيد:**

خالف المتحوّلون المذهبَ الزيدي في جُل مسائل التوحيد التي يتفرَّد بها المتكلِّمون، فخالفوهم - مثلاً - في طريقة إثبات الصانع، وفي باب الصفات وغيرها من المسائل الكلامية.

**١) مخالفة الزيدية في طريقة إثبات الصانع:**

ففي طريقة إثبات الصانع، خالف المتحوّلون من الزيدية طريقة المتكلمين التي يعتمد عليها الزيدية في إثبات الصانع، وهي ما يُعرف بطريقة الأكوان[١]، وسلكوا في الإثبات طرقاً سلفية لم تُعهد عند الزيدية،

---

(١) هذه الطريقة تعتمد سلسلة من المقدمات العقلية التي يتوصلون بها إلى إثبات وجود الله، وإثبات مستحقات الذات الإلهية، وما يجوز وما لا يجوز في ذلك. يقول ابن الوزير: " ومن أشهر ما لهم في ذلك - يعني المتكلمين - خمس قواعد؛ أحدها: أن الجسمية أمر ثبوتي مشترك بين الأجسام زائد عليها، وثانيها: تماثل الأجسام وجواهرها، وثالثها: أن كون المتحيز في المكان أمر ثبوتي زائد عليه لا وصفٌ عدمي، وسواء كان حركة أو سكوناً أو اجتماعاً أو افتراقاً، ويسمونه =

كطريق الفطرة، وطريق الأنفس، وطريق الآفاق، وطريق المعجزات[١].

وقد أبرز ابن الوزير رَحِمَهُ اللَّهُ هذه الطرق في بعض مؤلفاته، كـ (إيثار الحق على الخلق)، وكذا في كتابه: (البرهان القاطع في إثبات الصانع)، وتبعه في هذا آخرون، كالشَّوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ، والذي نصر ما ذهب إليه ابن الوزير في طريقة إثبات الصانع سبحانه وتعالى، فسلك رَحِمَهُ اللَّهُ في الاستدلال على وجود الله طريقين على الإجمال:

**الطريق الأوَّل:** طريق الفطرة السَّليمة والميثاق المعقود بين الناس وبين بارئهم.

**والطريق الثاني:** النظر والاستدلال بالآيات، وهذه الآيات: إما أن تتعلق بالكون وما فيه من مخلوقات، أو ما يسمى بدلائل الآفاق، وإما تتعلق بالإنسان نفسه، أو ما يسمى بدلائل الأنفس[٢].

كما أوضح ابن الوزير رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّ معرفة الله لا تجب عقلاً كما يزعم المتكلمون، ولا العلم بصدق الأنبياء، وأنَّ ذلك لم يثبت إلَّا سمعاً، فقال:

---

= دليل الأكوان. ورابعها: قياس واجب الوجود عز وجل على ممكن الوجود في أشياء كثيرة مثل قول الملاحدة نفاة الأسماء الحسنى: أن كونه تعالى على صفة دون أخرى يقتضي أن يجري مجرى الممكنات الحادثات التي تحتاج في مثل ذلك إلى تخصيص مخصص.. وخامسها: أن كل موجود في الخلاء العدمي حتى الظلمة والنور فانه جسم أو حال فيه، محتاج إليه.. وخالفهم في القواعد الخمس كلها جميع أهل الآثار وسلفهم من الصحابة والتابعين". إيثار الحق على الخلق [١١٣].

(١) انظر: ابن الوزير وآراؤه الاعتقادية، لعلي الحربي [١٣٤].

(٢) انظر: منهج الإمام الشوكاني في العقيدة، لعبد الله نومسوك [١٦٢، وما بعدها]، وكذا: الإمام الشوكاني وآراؤه الاعتقادية في الإلهيات بين السلف والزيدية، الباحث: سعيد إبراهيم سيد أحمد، رسالة ماجستير - جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - مكة المكرمة، ١٤٠٦هـ [١٢٥ - ١٢٦].

"واعلم أنَّ العقل لا يُوجب العلمَ بصدق الأنبياء؛ بل لو خُلِّيْنا والقضيةَ العقلية لكان ظنُّ صدقهم يكفينا في حُسن العمل بما جاءوا به من الشرائع، لكن جاء الأنبياء بأنَّه يجب الجزم على صدقهم، فوجب ذلك سمعاً، وكذلك معرفة الله تعالى لا تَجب عقلاً، ولا دليلَ للمعتزلة على وجوبها عقلاً، لكنَّها واجبةٌ سمعاً"[١].

ويقول الدكتور عبد الوهاب الدَّيلمي[٢]: "جميع الحقوق الواجبة لله سبحانه، من توحيده، وعبادته، وكمال معرفته، والإيمان بالغيب، والإيمان بالبعث والجزاء، وغير ذلك، لا سبيل إلى معرفته ما لم يَتلقَّ الإنسان ما يُعرِّفه بكل ذلك من الوحي الإلهي، الذي أرسل الله به رسله، وأنزل به كُتبَه"[٣].

ولا يخفى أنَّ القول بأنَّ معرفة الله تعالى لا تجب عقلاً قولٌ له ما بعده، وذلك أنَّ معرفة الله تعالى يتعلَّق بها أمور الذَّات والصفات، وقد كَثُرَ خوضُ المتكلِّمين في باب المعرفة بسبب إيجابها عقلاً، فَكَثُرَ الخلط

---

(١) البرهان القاطع في إثبات الصانع وجميع ما جاءت به الشرائع، تأليف: محمد بن إبراهيم الوزير، تحقيق: مصطفى عبد الكريم الخطيب، نشر: دار المأمون للتراث - دمشق، ١٤٠٩هـ [٨٠].

(٢) الدكتور عبد الوهاب بن لطف بن زيد.. الديلمي، الحسني، العلوي. مولده بمدينة ذمار باليمن سنة ١٣٥٨هـ. نشأ نشأة زيدية، ثم تحرَّر من قيود المذهب ودخل مذهب أهل السنة. من مؤلفاته: (منهج العقيدة في الكتاب والسنة)، و(ضوابط الفتوى في ضوء الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح)، و(جناية أدعياء الزيدية على الزيدية). انظر ترجمته على موقع: (منبر علماء اليمن) متاح على الرابط التالي: http:// olamaa-yemen.net

(٣) منهج العقيدة في الكتاب والسنة، تأليف: عبد الوهاب لطف الديلمي، (ط٥)، نشر: مكتبة خالد بن الوليد - صنعاء، ١٤٣٣هـ [٨٢].

والتحريف في ذلك، وتَرْكُ القول بوجوب المعرفة عقلاً سَيَحُدُّ من هذا الخوض لعدم المُلجئ إليه، وهو الإيجاب العقلي، وبذا سيتوقف الطالب للمعرفة على النَّص الشرعي في إثبات ما يجوز وما لا يجوز في حق الله تعالى سواء أكان مما يتعلَّق بالذات أو بالصفات، أو غير ذلك من المسائل الكلامية، والله أعلم.

**٢) مخالفة الزيدية في باب الصفات:**

وهذه من أعظم المخالفات التي ظهرت لدى المتحوّلين ودَعوا إليها، ونَدَّدوا بطريقة المتكلمين فيها.. وقد أرجأت الكلام عن هذه المخالفة إلى المبحث الثالث عند الكلام على تقرير مذاهب السَّلف عند المتحوّلين، فلَعَلَّهُ أَنْسَبُ، والله أعلم!.

**ثانياً: مخالفة الزيدية في أصل العدل:**

سبق أن تعرَّفنا في الباب الأول على عقيدة العدل عند الزيدية، وتعرَّفنا على مذهبهم في أفعال العباد، وفي القدرة والاستطاعة، وكذا الإرادة من الله تعالى، وهنا نتعرف - إن شاء الله - على أقوال المتحولين في هذه المسائل لِيَتَبَيَّن مدى التحول الذي حصل لديهم بالمقارنة مع ما تقدَّم في موضعه.

**١) المخالفة في أفعال العباد:**

تُعَدُّ هذه المسألة من المسائل التي سَبَّبَت الفُرقة في هذه الأمة، فانقسم الناس بها إلى فرق، فمنهم القدرية ومنهم الجبرية، ومنهم وسط، وهم أهل السُّنَّة.

فالقدرية: يزعمون أنَّ أفعال العباد ليست مخلوقةً لله، وإنَّما العباد هم الذين يخلقون أفعالهم[١]، لاعتقادهم أنَّ القول بأنَّ أفعال العباد خلق لله

(١) انظر: القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة، ومذاهب الناس فيه، تأليف: =

يتعارض مع أصل العدل الذي يقولون به، فإنَّه - بزعمهم - إذا خَلقَ الله المعصية في العبد، فمن الظلم أن يُعاقبه عليها!.

وأما الجبرية فقالوا: إنَّ العباد مجبورون على أعمالهم، لا قدرةَ لهم ولا إرادةَ ولا اختيار، واللهُ وحده هو خالق أفعال العباد، وأعمالهم إنَّما تُنسب إليهم مجازاً(١).

وأما الوسط، وهم أهل السُّنَّة(٢)، فقالوا: "العباد فاعلون حقيقة، والله خالق أفعالهم، والعبد هو المؤمن والكافر، والبَرُّ والفاجر، والمصلِّي والصائم؛ وللعباد قدرة على أعمالهم، ولهم إرادة، والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم"(٣).

وقد خالف المنصفون من الزيدية ما عليه الزيدية والمعتزلة في أفعال العباد، فهذا ابن الوزير يُقرِّر قولَ الجويني(٤) رحمه الله، ويميل إليه، تاركاً قول الزيدية والمعتزلة، فقال: "وهذه الوجوه تُرَجِّحُ للسُّنِّي قولَ الإمام المتفق على إمامته لفظاً ومعنى، أبي المعالي الجويني، أحد أئمة أهل السُّنَّة، فإنه

---

= الدكتور: عبد الرحمن بن صالح المحمود، (ط٢)، نشر: دار الوطن - الرياض، ١٤١٨هـ [٣٠٥].

(١) القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه [٣٠٢].

(٢) مذهب الأشاعرة أيضاً يُعد وسطاً بين القولين الأولين، إلا أن الأشاعرة لم يستقروا على قول واحد، ولكن تفاوتت أقوالهم، حتى أثبت بعضهم قدرة لا تأثير لها، ومنهم من مال إلى قول أهل السنة. انظر: القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة [٣٠٨، وما بعدها].

(٣) مجموع الفتاوى - ابن تيمية [٣/ ٩٩].

(٤) كان الجويني - رحمه الله يقول أولاً بقول الأشاعرة في أفعال العباد، إلا أنه مال بعد ذلك إلى قول أهل السنة، وهو القول الذي رجَّحه ابن الوزير رحمه الله. انظر: القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة [٣٨١، وما بعدها].

اختار أنَّ فعلَ العبد أَثَرُ قُدْرَتِه بمشيئة الله تعالى، لتمكينه وسابقِ تقديره وتيسيره بالدَّواعي المقرونة بالحكمة والعدل، كما هو مُحقَّق في موضعه من هذا الكتاب، ومما قلت في ذلك:

تَنَكَّبْ عن طريقِ الجَبْرِ واحذَرْ غَـوَائلَ مُـبْـدَعـاتِ الإعـتِـزالِ
وَسِرْ وَسَطاً طَريقاً مُستَقيماً كَمَا سَارَ الإمامُ أَبو المعَالي
رِضاً عِندَ التَّفَرُّقِ غَدَا إماماً بِأَفعَالِ العِبَادِ غيرَ غَالي "(١)

وقد قرَّر الشَّوكاني رحمه الله ما ذهب إليه ابن الوزير مخالفاً لما عليه الزيدية في أفعال العباد، فقال: "فهو سبحانه خالق كل شيء وربُّه ومليكه، لا خالقَ غيرُه ولا ربَّ سواه؛ ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وكل ما في الوجود من حركة وسكون بقضائه وقدره، ومشيئته وقدرته وإرادته وخلقه، وهو سبحانه أمر بطاعته وطاعة رسوله، ونهى عن الشرك بالله سبحانه"(٢).

ويقول الدكتور عبد الوهاب الديلمي: "الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان، فلا يُقبَل للعبد إيمانٌ بدونه، وهو: أن يؤمن العبد بأنَّ كلَّ شيء في الكون لا يكون ولا يحدث إلَّا بقضاء الله تعالى وقدره؛ وهذه القضية زلَّت فيها كثير من الأقدام، لعدم اهتدائها إلى وجه الحق فيها"(٣).

وقال أيضاً: "ليس معنى القضاء والقدر من الله الإجبار والقهر للعبد على فعل ما قضاه الله وقدَّره، وإنَّما معناه: الإخبار بأنَّ الله تعالى علم بمقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها، ثم كتبها في اللَّوح المحفوظ، ثم

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم [٧/ ١٩٣ - ١٩٤].
(٢) قَطر الولي على حديث الولي، للشوكاني [٢٨٣].
(٣) منهج العقيدة في الكتاب والسنة [١٣٦].

أوجد ما سبق في علمه أنَّه كائن، وهذه هي مراحل القدر الثلاث:

١-العلم ٢ - ثم الكتابة ٣ - ثم الإيجاد

فكل مُحدَث صادر عن علمه وقدرته وإرادته"(١).

**٢) المخالفة في معنى القدرة والاستطاعة:**

وأما فيما يتعلق بالقدرة والاستطاعة، فقد خالف الإمام الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما عليه الزيدية في مسألة القدرة والاستطاعة - حيث تثبت الزيديةُ قدرة متقدمة على الفعل - مقرِّراً مذهب أهل السنة، فقسَّم القدرة إلى: قدرة متقدمة، وقدرة مقارنة؛ الأولى: شرط في التكليف، والأخرى: شرط في وقوع الفعل متابعاً في ذلك لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ. يقول الصَّنعاني: "وإنَّما هذا القول - وهو تقسيم القدرة إلى مقارنة ومتقدمة - شيء أتى به ابن تيمية في مؤلفاته، ولفظه في منهاج السنة - بعد ذكر كلام الطائفتين من الأشعرية والمعتزلة-: (والصَّواب الذي عليه أئمة الفقه والسُّنَّة: أنَّ القدرة نوعان: نوع مصحِّح للفعل يمكن معه الفعل والتَّرك، وهذه هي التي يتعلَّق بها الأمر والنَّهي، فهذه تحصل للمطيع والعاصي، وتكون قبل الفعل، وهذه تبقى إلى حين الفعل.. وأمر الله لعباده مشروط بهذه الطاقة، فلا يُكلِّف الله مَن ليست معه هذه الطاقة.. لكن هذه الاستطاعة مع بقائها إلى حين الفعل لا تكفي في وجود الفعل، فلو كانت كافية لكان التَّارك كالفاعل، بل لابد من إحداث إعانة أخرى تقارن هذه، مثل جعل الفاعل مريداً، فإنَّ الفعل لا يتم إلَّا بقدرة وإرادة، والاستطاعة المقارنة للفعل يدخل فيها الإرادة الجازمة، بخلاف المشروطة في التكليف، فإنَّه لا يُشترط فيها الإرادة، والله تعالى يأمر بالفعل من لا يريده، لكن لا يأمر به من لو أراده لعجز عنه،

(١) منهج العقيدة في الكتاب والسنة [١٣٩].

وهذا الفرقان هو فصل الخطاب في هذا الباب)[(١)] "[(٢)]، ثم قال الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ: "إذا عرفت هذا التحقيق فهو الذي أشار إليه الشيخ - دامت إفادته[(٣)] - ونِسبَه إلى الطَّحاوي، وقد أوضحه ابن تيمية غايةَ الإيضاح، وصيَّر المسألة لما ذكر كفلق الصُّبح!.. "[(٤)].

### ٣) المخالفة في معنى الإرادة:

كما خالف المتحوّلون ما ذهبت إليه الزيدية والمعتزلة في معنى الإرادة لله تعالى، فقالوا بإطلاق القدرة لله تعالى وأنَّه يفعل ما يريد.

يقول ابن الوزير رَحِمَهُ اللَّهُ: "البحث الثاني: في معرفة ما ورد في السَّمع مما يتعلق بالإرادة ويُظَن فيه أنَّه مُتعارض، وبيان أنَّه غير مُتعارض، وأنَّ اتباعه أحوط، وهو نوعان:

**النوع الأول**: وردت النصوص المعلومة بالضرورة من كتاب الله تعالى أنَّه يَكره المعاصي ولا يُحبُّها، وذلك واضح. قال تعالى بعد ذكر كثير منها: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا ۝٣٨﴾ [الإسرَاء: ٣٨]، وقال: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ۝٢٠٥﴾ [البَقَرَة: ٢٠٥].. فهذا النوع من السَّمع معلوم، وقد قال به أهل الأثر، وجماهير أهل النَّظر، واتفقت عليه الأشعرية والمعتزلة.

**النَّوع الثاني**: ما ورد من التَّمدُّح بكمال قدرة الله تعالى على هداية العُصاة خصوصاً، وعلى كل شيء عموماً، والتَّمدُّح بنفوذ إرادته، كقوله

---

(١) منهاج السنة النبوية [٣/ ٤٧ - ٥٠].

(٢) الأنفاس الرحمانية اليمنية في أبحاث الإفاضة المدنية [٣٣٨ - ٣٤٠].

(٣) يقصد شيخَه: ابن عبد الهادي السندي، صاحب كتاب (الإفاضة المدنية)، وقد جعل الصنعاني كتابه: (الأنفاس الرحمانية) شرحاً لكتابه هذا.

(٤) الأنفاس الرحمانية [٣٤٠ - ٣٤١].

تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْ﴾ [الأنعام: ١٠٧]، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١٣٧]، ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الأنعام: ١٤٩]، وما شاء الله كان وجوداً وعدماً، وهو المعلوم من القرآن .. وقد أوضحتُ الوجه في امتناع تأويلهم لهذه الآيات بمشيئة القَسْر والإلجاء في كتاب العواصم، وهو لا يخفى على النَّبيه إن شاء الله، والعقل يَعضُد السَّمع في قدرة الله تعالى على ذلك كما أوضحته هنالك"[(١)].

ويرى الصَّنعاني - خلافاً للمعتزلة والزيدية، وموافقاً لأهل السُّنَّة - أنَّ الإرادة لا تَستلزم الرِّضا والمحبَّة، بل بينهما فرق، واستدل بكلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ على أنَّ الإرادة في كتاب الله نوعان[(٢)]:

الأولى: إرادة تتعلَّق بالأمر، والثانية: إرادة تتعلَّق بالخلق؛ فإرادة الخلق: هي الإرادة الكونيَّة القدريَّة، وأما إرادة الأمر: فهي الإرادة الشَّرعيَّة، وهي المتضمِّنة للمحبَّة والرِّضا[(٣)].

وهذا - أيضاً - ما قرَّره الشَّوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: "فما خلقه الله سبحانه وقدَّره وقضاه فهو يُريده، وإن كان لا يأمر به ولا يُحبُّه ولا يَرضاه، ولا يُثيب أصحابَه، ولا يجعلهم من أوليائه.

وما أَمَر به وشَرَعَه وأَحَبَّه رَضِيَه وأَحَبَّ فاعليه، وأثابهم وأكرمهم عليه، فهو الذي يُحِبُّه ويرضاه ويُثيب فاعلَه عليه، فالإرادة الكونيَّة والأمر الكوني:

---

(١) إيثار الحق على الخلق [٢٢٨ - ٢٢٩].

(٢) ذكر ذلك شيخ الإسلام في عدد من المواضع، انظر - مثلاً -: منهاج السنة النبوية [٣/ ١٥٦]، [٧/ ٧٢].

(٣) مسائل الاعتقاد عند الأمير الصنعاني محمد بن إسماعيل، إعداد: عبد الله محمد المطيري، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم - القاهرة، ١٤٢٢هـ [١٩٢].

وهي مَشيئته لما خلقَه من جميع مخلوقاته إِنسِهم وجِنِّهم، مسلمِهم وكافرِهم، حيوانِهم وجمادِهم، ضارِّهم ونافعِهم.

والإرادة الدِّينيَّة، والأَمر الدِّيني: هي محبَّته المتناولة لجميع ما أمر به وجعله شرعاً وديناً، فهذه مختصَّة بالإيمان والعمل الصَّالح.."[1].

**٤) المخالفة في معنى الإضلال:**

كما خالف المتحوّلون من الزَّيديَّة في معنى الإضلال الذي تقول به الزَّيديَّة، فإنَّ الزيديَّة يقولون: إنَّ الإضلال من الله لعباده مجاز، وأمَّا الحقيقة فغير مُرادَة من الله تعالى، لأنَّ ذلك من الظلم الذي تَنزَّه الله عنه، فذهب أهل الإنصاف إلى اعتماد المعنى الظاهر من الإضلال، فالله يُضِلُّ مَن يشاء ممَّن يستحق الضَّلال كما أنَّه يَهدي مَن يشاء.

يقول الصَّنعاني: "فإنَّه تعالى لا يُضل إلَّا مَن يستحق الضَّلال - وهو مَن أَبَى قَبولَ الهداية - كثمود الذين هداهم فاستَحبُّوا العَمَى على الهدى، وقد قَصَر عزَّ وجلَّ إضلالَه بأنَّه لا يكون إلَّا للفاسقين في قوله: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [البقرة: ٢٦]، وهم الذين صُرفوا عن اتباع الهدى الذي قامت به الأدلَّة؛ فإضلالهم عدل منه، لأنَّه عقوبة على ذنب، كما قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [الأنعام: ١١٠]، فَعَلَّلَ عزَّ وجلَّ التَّقليبَ بعدم إيمانهم أوَّلَ مَرَّة، أي: أَوَّلَ ما جاءتهم الرُّسُل وأقامت عليهم أَدلَّة المعجزات، وعكس ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [محمَّد: ١٧]، فإنَّهم لما قبلوا الهداية زادَهم

---

(١) انظر: قطر الولي على حديث الولي [٢٨٥].

تعالى هُدى[١].

وإذا عرفت من ذلك أنَّه لا يُضِلُّ إلَّا عدلاً.. عرفت أنَّ كلَّ آية أُطلِقَت في القرآن نحو: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ [الرّعد: ٢٧]، فالمراد بالمطلق المقيد، أي: الفاسقين، كما هو صريح الحصر في قوله: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٢٦﴾ [البَقَرَة: ٢٦]"[٢].

ويقول الشَّوكاني في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ۝٢٧﴾ [الرّعد: ٢٧]، قال: " ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ [الرّعد: ٢٧]، أَمرَه الله سبحانه أن يُجيبَ عليهم بهذا، وهو أنَّ الضَّلال بمشيئة الله سبحانه؛ مَن شاء أن يُضِلَّه ضَلَّ كما ضَلَّ هؤلاء القائلون: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ

---

(١) ترى الزيدية أن هداية الله هي هداية البيان فقط، فرد الصنعاني ذلك المعنى وفصل في معنى الهداية، وذكر أن الهداية أربعة أنواع؛ النوع الأول: الهداية العامة لكل حيوان وجماد، لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾ [طه: ٥٠]. والنوع الثاني: هداية البيان والدلالة والتعريف لنجدي الخير والشر، وهذه الهداية قد مَنَّ الله بها على جميع عباده؛ منهم من قبلها ومنهم من امتنع من قبولها فخاب، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٧﴾ [فُصّلَت: ١٧]. والنوع الثالث: هداية الإلهام والتوفيق، وهذه تستلزم الاهتداء، وهو المراد من قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٥٦﴾ [القَصَص: ٥٦]. والنوع الرابع: وهي الهداية إلى الجنة كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾ [يُونس: ٩]، وفي حق أهل النار بهذا المعنى، وهو الوصول إليها، قال تعالى: ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ۝٢٣﴾ [الصَّافات: ٢٣]. انظر: جمع الشتيت في شرح أبيات التثبيت، تأليف: محمد بن إسماعيل الصنعاني، تصحيح: حسن محمد المشَّاط، نشر: مطابع دار الثقافة - مكة، ١٣٨١هـ [٣٠ - ٣٢].

(٢) الأنفاس الرحمانية [٤٢٠ - ٤٢١]، وبمعناه ما قرَّره الدكتور عبد الوهاب الديلمي في: منهج العقيدة في الكتاب والسنة [١٤٤ - ١٤٦].

عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ [الرّعد: ٧].."[(١)].

**ثالثاً: مخالفة الزيدية في الوعد والوعيد:**

وتَتَمَثَّل هذه المخالفة في المسائل التالية:

**١) القول في عصاة الموحدين:**

تعتقد الزيدية - كما هي عقيدة المعتزلة - أنَّ فاعل الكبيرة خالد في النَّار، وأنَّ مَن دخل النَّار لا يخرج منها أبداً[(٢)].

وأمَّا المتحوّلون منهم فقد خالفوهم في ذلك، فقالوا: إنَّ فاعل الكبيرة - من الموحدين - تحت مشيئة الله؛ إن شاء عذَّبَه وإن شاء غفر له، وأمَّا الخلود في النَّار فليس لأهل التَّوحيد، وأنَّه يخرج من النَّار مَن في قلبه مثقال ذرة مِن إيمان، وأثبتوا الشَّفاعة لأهل الكبائر من أمَّة محمد ﷺ.

يقول الصَّنعاني: "ثبت في الأخبار بالتواتر عند من له بالسُّنَّة النَّبويَّة اختبار، أنَّه يخرج من النَّار مَن كان في قلبه مثقالُ ذرَّة مِن إيمان.."[(٣)].

وفي تفصيل ما تقدم يقول المقبلي: "ثُمَّ اعلم أنَّ الله - سبحانه - قَسَّمَ المعاصي في كتابه العزيز ثلاثة أقسام، وتمييز كل قسم بالحكم الذي أخبر الله سبحانه أنَّه يفعل بصاحب ذلك القسم؛ فقسمٌ هو الشِّرك الذي هو أكبر الكبائر، ولا يُغفر إلَّا بالتَّوبة منه، وقسمٌ هو الكبائر غير الشَّرك، وصاحبها داخل تحت المشيئة، ودليل هذين القسمين وخصوصيتهما قوله تعالى: ﴿إِنَّ

---

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تأليف: محمد بن علي الشوكاني، اعتنى به وراجع أصوله: يوسف الغُوش، (ط٤)، نشر: دار المعرفة - بيروت، ١٤٢٨هـ [٧٣٠].

(٢) تقدم الكلام عليه في الباب الأول عند التعريف بعقائد الزيدية.

(٣) جمع الشتيت في شرح أبيات التثبيت [١٥].

﴿ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّسَاء: ٤٨]، والقسم الثالث: الصَّغائر، وحكمها: أنَّ الله يغفرها البتَّة إذا انفردت عن الكبائر، ودليل هذا القسم وحكمه، قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النِّسَاء: ٣١].."[(١)].

وأمَّا في إثبات الشَّفاعة للمسلمين عموماً، فيقول المقبلي: "وأطلق الله سبحانه جواز المغفرة منه سبحانه فيما عدا الشِّرك بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ...﴾ [النِّسَاء: ٤٨]، وتواترت الأحاديث النبويَّة تواتراً يفيد اليقين بمعنى ذلك، وبوقوع الشَّفاعة لكلِّ مسلم.."[(٢)].

وقال الشَّوكاني: "ولا خلاف بين المسلمين أنَّ المشرك إذا مات على شِركه لم يكن من أهل المغفرة التي تَفَضَّل الله بها على غير أهل الشِّرك حسبما تقتضيه مشيئته، وأمَّا غير أهل الشِّرك من عُصاة المسلمين فداخلون تحت المشيئة، يَغفر لمن يشاء ويُعذِّب مَن يشاء"[(٣)].

### ٢) القول في الثواب:

ومما خالف فيه المنصفون في هذا الأصل تَركُ القول بوجوب الثَّواب على الله تعالى لأهل الإيمان، فقرَّروا أنَّ الجنَّة إنَّما تُنال برحمة الله لا بالعمل. يقول المقبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: " وحاصله أنَّ الثَّواب برحمة الله لا بالعمل، بالأحاديث الجمَّة[(٤)]، وهو مُقتضى أنَّ وَجْهَ العبادة ليس الثَّواب،

---

(١) العلم الشامخ [١٤١].

(٢) الأبحاث المسددة في فنون متعددة، تأليف: صالح بن مهدي المقبلي، تحقيق: الوليد ابن عبد الرحمن سعيد الربيعي، نشر: مكتبة الجيل الجديد - صنعاء، ١٤٢٨هـ [٣٣٨]، وانظر: العلم الشامخ [١٥٢-١٥٤].

(٣) فتح القدير [٣٠٥].

(٤) منها: قوله ﷺ: "لن يُدْخِلَ أحداً عَمَلُه الجنَّةَ. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟! =

لكن لـمَّا ناسب تخصيص الرَّحمة بالمحسنين وقربها منهم سُمِّي جزاءً وأجراً، وأخبر الله سبحانه بفعله ذلك المناسب، وهذا لا يقتضي وجوبه، وإن كان لابد منه..

وحاصل الحاصل: أنَّ ترتيب الثَّواب على العمل من نحو ترتيب الحكم على الوصف المناسب، وهو إنَّما يلزم الحكم على المتَّصف به من حيث إنَّه مُتَّصِفٌ به، ولا يلزم من الاتِّصاف به كونُه مُقتضياً تامّاً إلَّا بحسب الظاهر، وقد جاءت الأدلَّة السَّمعيَّة مُصرِّحة أنَّه لا يدخل أحدٌ الجنَّةَ إلَّا برحمة الله تعالى، وأيضاً كَثرة المحبِطات وكَثرة النِّعَم وعُمومها؛ فهي معارضةٌ لذلك المقتضى لو تَمَّ.."[1].

**رابعاً: مخالفة الزيدية في أصل الإمامة:**

سبق في الباب الأوَّل التعرف على عقيدة الزيدية في الإمامة، وكذا شروط الإمام، والطريق المعتبر في تولِّي الإمامة عندهم، وهنا سيتم التعرف على حصول المخالفةُ في هذا الأصل الذي قَلَّ مَن يَجرؤ على التَّكلُّم فيه ممَّن هو تحت ولاية أئمة الزيدية!.

ولما كان الأمر كذلك، فقد شَحَّتْ كتبُ المنصفين من الكلام في هذه المسألة، إلَّا أنَّ إمام زمانه، وشيخَ أَوانه؛ شيخ الإسلام الشوكاني رحمه الله قد أعلن مخالفته للمذهب الزيدي صريحاً في هذه المسألة، وذكر الحق فيها، في كتابه الرَّائع: (السِّيل الجرَّار المتدفِّق على حدائق الأزهار)، وإليك بعضاً مما جاء في ذلك من المخالفات.

---

= قال: لا، ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة..". رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة؛ كتاب: المرضى - باب: تمني المريض الموت [٧/ ١٢١]، رقم الحديث: (٥٦٧٣).

(١) العلم الشامخ [١٢٢ - ١٢٣].

### ١) المخالفة في شروط الإمامة:

لم يَشترط الشَّوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ النَّسَبَ الفاطميَّ فيمن يكون إماماً، مخالفاً لما عليه الزيدية، ومقرِّراً لما ذهب إليه أهل السُّنَّة والجماعة في اشتراط القُرَشيَّة فقط.

يقول الشَّوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: "قوله[١]: (علويّ فاطميّ)[٢]؛ أقول: العَلويُّ الفاطِمِيُّ هو خيرة الخيرة من قريش، وأعلاها شرفاً وبيتاً، ولا يَنفي ذلك صحَّتَها في سائر بطون قريش كما تدل عليه الأحاديث المصرِّحَة بأنَّ (الأئمة مِن قُرَيش)[٣]، وهي كثيرة جداً، وإن لم تكن في الصَّحيحين؛ بل عددها في كل مرتبة من الصَّحابة والتَّابعين وتابعيهم ومَن بعدهم زيادة على عدد التواتر، والمتواتر قطعي، ويُؤيِّد ذلك ما ثبت في الصَّحيحين وغيرهما من طُرُق أنَّ: (النَّاسُ تَبَعٌ لقُرَيش في الشَّرِّ والخير)[٤]"[٥].

---

(١) يعني صاحب الأزهار، أحمد بن يحيى المرتضى (ت: ٨٤٠هـ).

(٢) الأزهار في فقه الأئمة الأطهار، تأليف: أحمد بن يحيى المرتضى، نشر: مكتبة الإرشاد - صنعاء، ١٤٢٨هـ [٣١٣].

(٣) انظر - مثلاً-: سُنَنَ النَّسائي؛ كتاب: القضاء، باب: ١٢ [٥/ ٤٠٥]، برقم (٥٩٠٩)، مسند أحمد [١٩/ ٣١٨]، برقم (١٢٣٠٧)، معجم الطبراني الأوسط [٤/ ٢٦]، برقم (٣٥٢١).،

(٤) رواه مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله؛ كتاب: الإمارة - باب: النَّاس تبع لقريش والخلافة في قريش [٧٦٠]، برقم (١٨١٩). ورواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً بلفظ: " النَّاس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم"؛ كتاب: المناقب - باب: قول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى..) [٤/ ١٧٨]، برقم (٣٤٩٥)، ومثله في صحيح مسلم عن أبي هريرة، كتاب: الإمارة - باب: الناس تبع لقريش والخلافة في قريش [٧٦٠]، برقم (١٨١٨).

(٥) السَّيل الجرَّار المتدفق على حدائق الأزهار، تأليف: محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت [٤/ ٤٧٤ - ٤٧٥].

## ٢) المخالفة في طريقة تولِّي الإمامة:

كما خالف الشَّوكاني رَحِمَهُ اللهُ المذهب الزيدي في طريقة تولِّي الإمامة، ونَصَرَ ما عليه أهلُ السُّنَّة والجماعة، بل أقرَّ ما رآه أبو بكر وعمر في تولية الإمامة لمن بعدهم، وهذا من أوضح الأدلة على تكذيبه لدعاوى الشِّيعَة في النَّصِّ على إمامة عليٍّ وابنيه رَضِيَ اللهُ عَنْهُم.

يقول الشَّوكاني: "قوله: (وطريقها الدَّعوة)[1]؛ أقول: طريقُها؛ أن يجتمع جماعة من أهل الحَلِّ والعَقد فيعقدون له البيعة، ويقبل ذلك سواء تَقَدَّمَ منه الطلب لذلك أم لا، لكنَّه إذا تقدَّم منه الطلب فقد وقع النَّهي الثابت عنه ﷺ عن طلب الإمارة، فإذا بويع بعد هذا الطلب انعقدت ولايته وإن أثم بالطلب، هكذا ينبغي أن يُقال على مقتضى ما تدل عليه السُّنَّة المطهَّرة، ومن طريقها أن يَعهد الخليفة الأوَّل إلى الخليفة الآخر، كما وقع من أبي بكر لعمر، ولم يُنكر ذلك الصحابة، ومن طُرُقها أيضاً: أن يَنُصَّ الإمام الأوَّل على واحد من جماعة يَتوالون عليه ويبايعونه كما فعل عمر إلى أولئك النَّفر من الصحابة، ولم يُنكر ذلك عليه؛ والحاصل أنَّ المعتبر هو وقوع البَيعَة له من أهل الحلِّ والعَقد؛ فإنَّها هي الأمر الذي يجب بَعدَه الطاعة، ويَثبُت به الولاية، وتَحرُم معه المخالفة، وقد قامت على ذلك الأدلَّة وثَبتَت به الحُجَّة"[2].

## ٣) تحريم الخروج على الإمام المسلم:

هذه المسألة تتعلَّق بأصل الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر عند العدلية، ولِتَعَلُّقِها بمسألة الإمامة ذُكِرت هنا، حيث تُوجب الزيدية الخروج

---

(١) كتاب الأزهار في فقه الأئمة الأطهار، لأحمد المرتضى [٣١٤].

(٢) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار [٥/ ٤٨٠ - ٤٨١].

على الإمام الجائر، وإن كان من المسلمين، بل زادوا: وإن عدل، مالم يكن من أهل البيت، فإنَّه يجب الخروج عليه، وإعادة الحقِّ إلى أهله!.

وقد خالف الشَّوكاني هذا الأصل الزيدي وقال بتحريم الخروج على الأئمة المسلمين، وإن ظلموا، ما دام أنَّهم على الإسلام ولم يُظهروا الكفرَ البَواح.

يقول رحمه الله: "قوله: (لم يتقدَّمْه مُجاب)[1]، أقول: وجه هذا أنَّه إذا تَقَدَّمَه مَن أجابه النَّاس وبايعوه، فالثَّاني باغٍ خارجٌ على الإمام، وقد قدَّمنا أنَّها قد تواترت الأحاديث في النَّهي عن الخروج على الأئمة ما لم يظهر منهم الكفر البَوَاح، أو يَتركوا الصَّلاة، فإذا لم يظهر من الإمام الأول أحدُ الأمرين لم يَجُز الخروجُ عليه، وإن بَلَغَ في الظلم أيَّ مَبلَغ، لكنَّه يَجب أَمرُه بالمعروف ونَهيُه عن المنكر بحسب الاستطاعة، وتَجِبُ طاعتُه إلَّا في معصية الله سبحانه. وقد ثبت في الصَّحيح عنه ﷺ الأمرُ بقتل الإمام الآخر الذي جاء يُنازع الإمامَ الأَوَّل[2]، وكفى بهذا زاجراً وواعظاً!"[3].

وبهذا يكون الشَّوكاني رحمه الله تعالى قد خالف الزيدية في أصل الإمامة بحذافيره، ولم يَبقَ له بهم تَعَلُّق بهذا الأصل، والله أعلم!.

ولم تتوقف مخالفة المنصفين من الزيدية للمذهب الزيدي عند أصول المذهب، بل تَعَدَّت إلى كثير من المسائل التي اشتهر بها المذهب الزيدي بشكل خاص والعدلي بشكل عام، وإليك بيان ذلك في المبحث التالي.

---

(١) كتاب الأزهار [٣١٤].

(٢) عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما". أخرجه مسلم في صحيحه؛ كتاب: الإمارة - باب: إذا بويع لخليفتين [٧٧٤]، برقم (١٨٥٣).

(٣) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار [٤/ ٤٨٠].

## المبحث الثالث

## مخالفة المشهور من المذهب الزيدي

**أولاً: مخالفة مشهور المذهب تجاه الصحابة:**

لا تقتصر مسألة الصَّحابة على قضية التَّرضِّي عنهم فحسب، ولكن هناك مسائل أخرى لا تَقلُّ أهمية عنها؛ كالاقتداء بهم، وترك الخوض فيما شَجَر بينهم، والدِّفاع عنهم، وغير ذلك.

والزيدية، وإن كانت تُحرِّم سبَّ الأصحاب، إلَّا أنَّها لا تُوجب الاقتداء بهم، ولا تُحرِّم الخوضَ فيما شجر بينهم؛ وكلُّ هذا بلا شك أمر غير مقبول، فإنَّه ذريعة إلى الوقوع في الصحابة، بل هو نوع من الحطِّ في قدر الصحابة ﷺ.

وقد كان للمتحولين من الزيدية موقف مشكور من هذه الأمور، فلم يتابعوا الزيدية فيها، بل كانوا على خلاف ذلك، وإليك إيضاحه.

**١) الاقتداء بسُنَّة الخلفاء الرَّاشدين:**

لم يكن مشهوراً لدى الزيدية الاقتداء بسُنَّة الخلفاء الراشدين ﷺ - وإن كان من أصول طائفة من الزيدية الترضِّي عن الصحابة - فهم لا يستنون بسنة أبي بكر ولا عمر، فالزيدية كباقي فرق الشيعة تحصر الاقتداء في آل بيت النبي ﷺ، باعتبارهم (قرناء الكتاب)[1]، إلَّا أنَّ المتحوّلين من الزيدية

---

(١) متأولين لقوله ﷺ: "يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا؛ كتاب الله وعترتي أهلَ بيتي". رواه الترمذي وحسنه عن جابر بن عبد الله، وصححه الألباني. انظر: سنن الترمذي، كتاب: المناقب - باب: في مناقب أهل النبي ﷺ [٥/ ٦٦٢]، برقم (٣٧٨٦)، السلسلة الصحيحة [٤/ ٣٥٥]، برقم (١٧٦١).

كسروا الحاجز الذي صنعه السَّابقون منهم حول المذهب، وأزالوا الوَحشَة مع مذاهب السَّلف الصالح من الخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين، فأخذوا بسُنَّتهم واقتفوا أثرهم كما فعل أهل السُّنَّة.

يقول الشوكاني مجيباً على من سأله عن الاقتداء بسُنَّة الخلفاء الراشدين: "والجواب: أنَّ ما سَنَّه الخلفاء الراشدون من بعده، فالأخذ به ليس إلَّا لأمره ﷺ بالأخذ به، فالعمل بما سَنُّوه، والاقتداء بما فعلوه هو لأمره صلى الله عليه وعلى آله لنا بالعمل بسُنَّة الخلفاء الرَّاشدين، والاقتداء بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ولم يأمرنا بالاستنان بسُنَّة عالم من علماء الأُمَّة، ولا أَرشَدَنا إلى الاقتداءِ بما يراه مجتهد من المجتهدين.

فالحاصل: أَنَّا لم نأخذ بسُنَّة الخلفاء، ولا اقتدينا بأبي بكر وعمر إلَّا امتثالاً لقوله صلى الله عليه وآله: (عَلَيكُم بِسُنَّتي وَسُنَّةِ الخُلفاء الرَّاشِدِين المهديِّين مِن بَعدِي)(١).. فإنَّ رسولَ الله - صلى الله عليه وآله - إنَّما خَصَّ الخلفاء الرَّاشدين وجعل سُنَّتَهم كسُنَّته في اتباعها، لأمر يختصُّ بهم ولا يتعدَّاهم إلى غيرهم، ولو كان الإلحاق بالخلفاء الرَّاشدين سائغاً لكان إلحاق المشاركين لهم في الصُّحبة والعلم مُقدَّماً على مَن لم يشاركهم في مَزِيَّة من المزايا؛ بل النِّسبَة بينه وبينهم كالنِّسبة بين الثَّرى والثُّريا.

فلولا أنَّ هذه المزيَّة خاصَّة بهم مقصورة عليهم لم يخصُّهم بها

---

(١) رواه الترمذي وغيره عن العرباض بن سارية رضي الله عنه. انظر: سنن الترمذي؛ كتاب: العلم - باب: ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع [٥/ ٤٤]، برقم (٢٦٧٦)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، سنن ابن ماجه؛ المقدمة - باب: اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين [٢٠]، برقم (٤٢)، والحديث صحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة [٦/ ٥٢٦]، برقم (٢٧٣٥).

رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله - دون سائر الصَّحابة.. "[١].

**٢) الدِّفاع عن عثمان رضي الله عنه:**

تقدَّم في المباحث الأولى أنَّ فرق الزيدية قد أجمعت على تخطئة عثمان رضي الله عنه، بل منهم مَن بلغ به الحال إلى تكفيره - والعياذ بالله - ومنهم دون ذلك[٢]، وأما تبرئة عثمان أو الاعتراف بفضلة أو الدفاع عنه، فهذا مما لا يُتصوَّر عند مُتشيِّع، إلَّا أن هذا هو ما كان عليه أهل الإنصاف الذين عرفوا الحق وتواضعوا له، حيث أعطوا هذا الخليفة ما يستحقُّه من الإجلال، وأَخْلَوا ساحته من كل مَقال، فهذا ابن الوزير رحمه الله يصدع بقولة الحق، ويُبرِّئه مما قيل فيه من الطعن والتُّهمة، فقال: "وقد كان عثمان شفيقاً رحيماً، وقد فعل مثل هذا في حياة رسول الله - صلى الله عليه وآله - فلم يُنكِر عليه ذلك؛ وذلك أنَّه شَفَعَ يوم الفتح في أخيه من الرِّضاعة عبد الله بن سعد بن أبي سَرح[٣]، بعد أن أمر النَّبي صلى الله عليه وآله بقتله.. وأمَّا صِلة عثمان للحَكَم[٤] ولغيره من قرابته بالأموال الكثيرة، فلا

---

(١) القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد، ضمن الرسائل السلفية [٩١].

(٢) السليمانية قالت بكفر عثمان رضي الله عنه، وأما البترية فتوقفت فيه وفي قتلته!.

(٣) ابن أبي سرح: صحابي، وهو أخٌ لعثمان من الرضاعة، أسلم قديماً وكتب الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم، ولكنه ارتدَّ ولَحِق بالمشركين، فأهدر النبي صلى الله عليه وسلم دَمَه، ثم عاد مسلماً بعد ذلك واستوهبه عثمان من النبي صلى الله عليه وسلم، وحسن إسلامه. شارك في فتوح إفريقية، وولَّاه عثمان على مصر سنة ٢٥هـ، واستمر فيها إلى أن قتل عثمان، فترك مصر ولحق بعسقلان واعتزل الفتنة إلى أن مات فجأة وهو يصلي، في خلافة علي رضي الله عنه. انظر: سير أعلام النبلاء [٣/ ٣٣-٣٥]، الأعلام [٤/ ٨٨-٨٩].

(٤) الحَكَم بن أبي العاص بن أمية، عمُّ عثمان بن عفان رضي الله عنه، من مُسلمة الفتح، وبعد إسلامه سكن المدينة، فظهرت منه أمور أغضبت النبي صلى الله عليه وسلم فنفاه إلى الطائف، وظل هناك حتى خلافة عثمان رضي الله عنه، فأرجعه إلى المدينة، وتوفي في أواخر خلافة =

شكَّ أنَّه ابتلي بقرابة سوء، فكان يتألَّفُهم، وله حُجَّة واضحة في فعل رسول الله - صلى الله عليه وآله - يوم حُنَين، وإعطائه المنافقين دون المؤمنين، فإنَّ مائة ناقة لواحد من المنافقين في زمانه عليه السلام أكثر مما أعطاهم عثمان بالنَّظر إلى زمانه، فإنَّ الأموال في زمانه كانت قد كثُرت كثرة عظيمة.."[1].

**٣) ترك الخوض فيما شجر بين الصحابة:**

ومن مخالفة المتحولين لمذاهب الزيدية الدَّعوة إلى ترك الخوض فيما شجر بين الصحابة من الفتن، فإنَّ الشِّيعة أكثرُ الفرق خوضاً في ذلك، ولم تَسلم منه الزيدية، وإن كان في الإمامية أكثر، فكثيراً ما يستغلون الأحداث التاريخية في تهييج العواطف وإثارة الحميَّة لأهل البيت لتحقيق أمور آنية بذكر أمور ماضية، مما حصل لهم من نزاع مع الصحابة أو مع غيرهم، فيوغروا صدور أتباعهم على خير القرون، بِحُجَّة الزيادة من محبَّة أهل البيت.

سُئل الشوكاني رحمه الله عن مذهب أهل الحق في شأن ما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم، فقال: "إن كان السَّائل طالباً للنَّجاة، مستفهماً عن أقرب الأقوال إلى مطابقة مراد مولاه - كما يُشعِر بذلك تصرُّفُه في سؤاله - فلْيَدَعِ الاشتغالَ بهذا الأمر، ويترك المرور في هذا المضيق الذي تاهت فيه الأفكار، وتحيَّرت عنده أفكار أهل الأنظار؛ فإنَّ هؤلاء الذين تبحث عن حوادثهم، وتتطلَّع لمعرفة ما شجر بينهم قد صاروا تحت أطباق الثَّرى،

---

= عثمان، (وله أدنى نصيب من الصحبة). انظر: أسد الغابة [٢/ ٤٨-٤٩]، سير أعلام النبلاء [٢/ ١٠٧ - ١٠٨].

(١) الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم [١/ ٢٠٩ - ٢١٠].

ولقوا ربَّهم في المائة الأولى من البعثة، وها نحن الآن في المائة الثالثة عشر، فما لنا والاشتغال بهذا الشَّأن الذي لا يعنينا؟!، و(مِن حُسنِ إسلامِ المرء تَركُه ما لا يَعنيه)[١].

وأيُّ فائدة لنا في الدُّخول في الأمور التي فيها رِيبَة، وقد أُرْشِدْنا إلى أن ندع ما يَريبُنا إلى ما لا يَريبُنا[٢]، ويكفينا من تلك القلاقل والزلازل أن نعتقد أنَّهم خير القرون وأفضل الناس؛ الذين لم تَصحَّ توبتُه بُغاة، وأنَّه المحق وهم المبطلون[٣]، وما زاد على هذا المقدار فهو من الفضول الذي يشتغل به من لا يُبالي بدينه.."[٤].

**ثانياً: المخالفة في بعض أمور الغيب:**

**١) المخالفة في معنى الميزان:**

خالف المنصفون من الزيدية ما اشتهر في المذهب من القول بالمجاز في بعض أمور الآخرة - كالميزان والصِّراط وغيرها - ونفي حقيقتها[٥]،

---

(١) حديث شريف، أخرجه الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة مرفوعاً وصحَّحه الألباني. انظر: سنن الترمذي، كتاب: الزهد - باب: ١١ [٤/ ٥٥٨]، برقم (٢٣١٧)؛ سنن ابن ماجه، كتاب: الفتن - باب: كَفّ اللسان في الفتنة [٦٥٦]، برقم (٣٩٧٦).

(٢) يقول ﷺ: "دَعْ ما يَريبُك إلى ما لا يَريبُك". رواه الترمذي والنسائي وغيرهما عن الحسن بن علي مرفوعاً، وقال الترمذي حديث حسن صحيح. انظر: سنن الترمذي، كتاب: صفة القيامة - باب (٦٠) [٤/٦٦٨]، برقم (٢٥١٨)، سنن النسائي؛ كتاب الأشربة - باب: الحث على ترك الشبهات [٥/ ١١٧]، برقم (٥٢٠١)، والحديث صحّحه الألباني في إرواء الغليل [١/ ٤٤]، برقم (١٢).

(٣) يعني علياً رضي الله عنه، ويعني بالمبطلين: الذي خرجوا عليه، ولم تصح توبتهم.

(٤) إرشاد السائل إلى دلائل المسائل، ضمن الرسائل السلفية [٥٢ - ٥٣].

(٥) قال الإمام القاسم بن محمد: "جمهور أئمتنا عليهم السلام: والميزان المراد به الحق من إقامة العدل والإنصاف. المهدي وغيره: بل هو على حقيقته. قلنا: وزن الأعمال =

فأثبتوا أمور الآخرة على الحقيقة، وانظر إلى ما قاله الإمام الشوكاني وهو يُبيِّن عقيدته في ذلك من خلال تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ [الأعرَاف: ٨]، فبعد أن ذكر مذاهب الناس في الوزن والميزان، ورجَّح حمل الوزن على ظاهره، قال: ".. وأما المستبعدون لحمل هذه الظواهر على حقائقها فما يأتون في استبعادهم بشيء من الشَّرع يُرجَع إليه؛ بل غاية ما تشبثوا به مجرد استبعادات عقلية، وليس في ذلك حُجَّة على أحد، فهذا إذا لم تقبله عقولهم فقد قبلته عقول قوم هي أقوى من عقولهم من الصحابة والتابعين وتابعيهم، حتى جاءت البدع كالليل المظلم وقال كلٌّ ما شاء، وتركوا الشَّرع خلف ظهورهم .."[1].

**٢) المخالفة في معنى الصُّوْر:**

ذهبت طائفة من الزيدية إلى تأويل معنى الصُّور، وترك المعنى الظاهر، فقالوا: إنَّ الصُّوْر هو (الصُّوَر)، فحرَّفوا الكلمة، وغيروا المعنى، وخالف المنصفون في ذلك؛ فأثبتوا معناه الذي ذكرته السُّنَّة من غير تأويل.

يقول الشوكاني رحمه الله: "والصُّوْر: قَرنٌ يُنْفَخُ فيه النَّفخةُ الأولى للفناء، والثانية للإنشاء، والذي يَنْفُخُ فيه هو إسرافيل، كما وردت بذلك السنة[2]،

---

= مستحيل، إذ هي أعراض، ووزن غيرها إما جور، أو لا طائل تحته، وأي ما كان فلا يجوز على الله تعالى". كتاب الأساس لعقائد الأكياس [٢٠٣].

(١) فتح القدير [٤٦٥].

(٢) عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: (كيف أنعم وقد التقم صاحب القرنِ القرنَ وحنى جبهتَه وأصغى سمعه ينتظر أن يؤمر أن يَنْفُخَ فَيَنْفُخ؟!). رواه الترمذي في سننه؛ كتاب: تفسير القرآن - باب: ٤١ (ومن سورة الزُّمَر) [٥/ ٣٧٢-٣٧٣]، برقم (٣٢٤٣)، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة [٣/ ٦٦]، برقم (١٠٧٩).

وإطلاق هذا الاسم على القرن معروف في لغة العرب.."[١].

**٣) القول في تفضيل الملائكة:**

يرى كثير من علماء الزيدية أنَّ الملائكة أفضل من جميع الخلق، بما فيهم الأنبياء والرُّسُل[٢]، وهذه المسألة وإن كانت من المسائل التي لا فائدة من الخوض فيها، إلَّا أنَّ إكثار الزيدية فيها جعل منها مسألة مُهمَّة عندهم، ولذا فقد وضَّح الشَّوكاني رحمه الله أنَّ هذه المسألة مما لا ينبغي الاشتغال به لعدم الفائدة. يقول: "وقد اشتغل بهذه المفاضلة قوم من أهل العلم، ولا يترتَّب على ذلك فائدة دينيَّة ولا دنيويَّة؛ بل الكلام في مثل هذا من الاشتغال بما لا يعني، ومن حسن إسلام المرء تركُه ما لا يعنيه"[٣].

**٤) اعتقاد تأثير السحر:**

لا تؤمن الزيدية بتأثير السِّحر على الحقيقة، والسِّحر في رأيهم إنَّما هو تخيلات لا حقيقة لها، وأمَّا أهل السُّنَّة فإنَّهم يعتقدون بأنَّ للسِّحر حقيقة وتأثيراً يحصل بعد أن يأذن الله تعالى بحدوث أثره، وهذا هو الذي قرَّره الشوكاني رحمه الله، فقال: "في إسناد التفريق إلى السَّحرة وجعل السِّحر سبباً لذلك دليل على أنَّ للسِّحر تأثيراً في القلوب بالحبِّ والبُغض، والجَمع والفُرقة، والقُرب والبُعد، ولا تَنافي بين قوله: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البَقَرَة: ١٠٢]، وبين قوله: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ

---

(١) فتح القدير [١٢٢٧].

(٢) يقول ابن القيم: "الجمهور على تفضيل البشر، والذين فضلوا الملائكة هم المعتزلة والفلاسفة وطائفة ممن عداهم". بدائع الفوائد، تأليف: ابن القيم؛ محمد بن أبي بكر الزرعي، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا، وَ آخران، نشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة، ١٤١٦هـ [١/ ٧٠].

(٣) فتح القدير [٤٢٠].

بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: ١٠٢]، فإن المستفاد من جميع ذلك أنَّ للسِّحر تأثيراً في نفسه؛ ولكنَّه لا يؤثر ضرراً إلَّا فيمن أذن الله بتأثيره فيه، وقد أجمع أهل العلم على أنَّ له تأثيراً في نفسه وحقيقة ثابتة، ولم يخالف في ذلك إلَّا المعتزلة وأبو حنيفة.."(١).

وقد أثبت الصَّنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّ للجنِّ قدرة على الدُّخول في الإنس واحتلال أجسادهم، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: "والتَّحقيق: أنَّ لإبليس وجنوده من الجنِّ والإنس أعظم العناية في احتلال العباد.

وقد مكَّن الله إبليس من الدخول في الأبدان والوسوسة في الصدور والتقام القلب بخرطومه، فكذلك يدخل في أجواف الأصنام، ويلقي الكلام في أسماع الأقوام، ومثله يصنعه في عقائد القبوريين؛ فإنَّ الله تعالى قد أذن له أن يجلِب بخيله ورَجِلِه على بني آدم، وأن يشاركهم في الأموال والأولاد.."(٢).

وبعد استعراض هذه المخالفات من متحولي الزيدية لما اشتهر من عقائد المذهب الزيدي أُنوِّه إلى أنَّ ما تقدم ليس إلَّا أمثلة، الغرض منها الدَّلالة على حصول المخالفة لدى المتحولين من الزيدية، وليس الغرض منها الحصر لكل مخالفاتهم للمذهب، وإلَّا فإنَّ مخالفاتهم للمذهب كثيرة جداً، ولعلَّ ما ذكر يكفي في إيضاح المظهر المتقدم، والله أعلم.



---

(١) فتح القدير [٨٠].

(٢) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، تأليف: محمد بن إسماعيل الصنعاني، تحقيق: محمد صبحي حسن حلّاق، نشر: دار الهجرة - صنعاء، ١٤١١هـ [٥٣].

## المبحث الرابع
## تقرير مذهب السَّلف(أهل السنة والجماعة)

يُعد هذا المظهر والذي يليه[١] بمثابة الوجه الآخر للمظهرين السابقين، فإنَّها لا تتم المخالفة للمذهب الزيدي حتى تكون هناك موافقة لمذهب أهل السنة، وإلَّا لم تَكْفِ مُجرَّد المخالفة ليكونوا من أهل السُّنَّة!.

وقد اتخذ تقرير المتحوّلين لمذهب السَّلف صورتين اثنتين؛ أولاهما: التقرير الإجمالي، والثانية: التقرير التفصيلي، وإليك بيانهما فيما يأتي:

**أولاً: التقرير الإجمالي:**

فقد قرَّر المنصفون من الزيدية - كابن الوزير، والصَّنعاني، والشَّوكاني، والوادعي، والعَمراني[٢]، وغيرهم - عقيدة السلف - أهل السنة والجماعة - في مؤلفاتهم، تقريراً إجمالياً يدل دلالة إجمالية على سلفيتهم وتحوُّلهم عن المذهب الزيدي، دلَّ على ذلك ما سطرته أيديهم، وخَطَّته أقلامُهم في ثنايا مؤلفاتهم. ولعلَّنا نستشهد ببعض ذلك لتتبين هذه

---

(١) المبحث التالي: نقد مذهب المتكلمين عموماً والزيدي خصوصاً.

(٢) هناك عدد من الدراسات المتخصصة التي تناولت شخصيات المذكورين، منها على سبيل المثال: (ابن الوزير وآراؤه الاعتقادية - أصلها رسالة دكتوراه)، للدكتور علي ابن علي جابر، و(مسائل الاعتقاد عند الأمير الصنعاني - أصلها رسالة ماجستير)، لعبد الله بن محمد المطيري، و(منهج الإمام الشوكاني في العقيدة - أصلها رسالة دكتوراه)، للدكتور عبد الله نومسوك، و(القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني حياته العلمية والدعوية - أصلها رسالة ماجستير)، لعبد الرحمن الأغبري، و(الإبهاج بترجمة العلامة المحدث أبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي ودار الحديث بدماج) لحميد بن قائد العتمي، أحد تلاميذ الشيخ مقبل، وغيرها.

الصورة من التقرير لعقيدة السَّلف.

يقول الشَّوكاني رحمه الله: "إنَّه لا ينبغي لعالم أن يَدين بغير ما دانَ به السَّلف الصَّالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم، من الوقوف على ما تقتضيه أدلة الكتاب والسُّنَّة، وإبراز الصِّفات كما جاءت، وردِّ علم المتشابه إلى الله سبحانه، وعدم الاعتداد بشيء من تلك القواعد المدوَّنة في هذا العلم المبنية على شفا جرف هار من أدلة العقل التي لا تُعقَل، ولا تثبت إلَّا بمجرَّد الدعاوى والافتراء على العقل بما يطابق الهوى، ولا سِيَّما إذا كانت مخالفة لأدلة الشَّرع الثابتة في الكتاب والسُّنَّة؛ فإنَّها حينئذ حديث خرافة، ولُعبة لاعب، فلا سبيل للعباد يتوصَّلون به إلى معرفة ما يتعلَّق بالرَّب سبحانه، وبالوعد والوعيد، والجنَّة والنَّار، والمبدأ والمعاد، إلَّا ما جاءت به الأنبياء - صلوات الله عليهم وسلامه - عن الله سبحانه، وليس للعقول وصول إلى تلك الأمور، ومن زعم ذلك فقد كلَّف العقول ما أراحها الله منه ولم يتعبَّدها به؛ بل غاية ما تدركه، وجُلُّ ما تصل إليه هو ثبوت الخالق الباري، وأنَّ هذه المصنوعات لها صانع، وهذه الموجودات لها مُوجِد، وما عدا ذلك من التفاصيل التي جاءتنا في كتب الله عز وجل، وعلى أَلسُن رسله فلا يستفاد من العقل، بل من ذلك النَّقل الذي منه جاءت وإلينا به وصلت"(١).

**١) الدَّعوة إلى الإيمان بظواهر النُّصوص:**

ومن التَّقرير الإجمالي لعقيدة السَّلف: الدَّعوة إلى الإيمان بظواهر النُّصوص، وترك التَّأويل من غير قرينة مُلجئة، وهو مذهب السَّلف الصَّالح أهل السُّنَّة والجماعة، فإنَّ "الأصل في نصوص الكتاب والسُّنَّة: إجراؤها

---

(١) أدب الطلب ومنتهى الأرب [١٩٨].

على ظاهرها، دون تَعرُّض لها بتحريف أو تعطيل ونحوهما"[١]. وقد دعا المنصفون من الزيدية إلى هذا، فأوجبوا الإيمان بكل ما دلَّت عليه ظواهر النُّصوص الصَّحيحة من الكتاب والسُّنَّة.

يقول ابن الوزير رَحِمَهُ اللَّهُ: "فإنَّا نؤمن بأنَّ كلام الجمادات مع الله تعالى صحيح كما قال الله تعالى، وكذلك سجودها وإخبارها وسائر ما حكى الله عنها[٢]، ولا ندري بكيفية ذلك التي هي تأويله بهذا المعنى.."[٣].

وقال: "ولا يجوز العدول عن الظاهر إلَّا بدليل مانع منه بإجماع المسلمين، ولو جاز العدول إلى المجاز بمجرَّد الاستحسان مع جواز الحقيقة، لصحَّ مذهب الباطنية[٤] وأمثالهم، ولم يُوْثَقْ لله سبحانه وتعالى

---

(١) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد، لعثمان علي حسن [١/ ٣٩١]. وانظر: القاعدة الثانية من القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، تأليف: الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، تعليق: أبي محمد أشرف بن عبد المقصود، نشر: أضواء السلف - الرياض، ١٤١٦هـ [٧٥].

(٢) قارن كلام ابن الوزير بما ذكره ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦﴾ [الرَّحمٰن: ٦]: [٧/ ٤٨٩]، وتفسير قوله تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ۝٤﴾ [الزّلزَلة: ٤]: [٨/ ٤٦٠].

(٣) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان [١٨٣].

(٤) الباطنية: فرقة ضالة خارجة عن الإسلام، تلبَّست بالإسلام لإعادة مجد المجوس، تأسَّسَت هذه الفرقة على ميمون القدَّاح وآخرين، وقد كان ميمون مولى لجعفر بن محمد (الصادق). ومن أبرز الأصول التي تقوم عليها هذه الفرقة أن الدين له ظاهر وباطن، والباطن هو تأويله وحقيقته، فجعلوا لكل ركن من أركان الشريعة تأويلاً، فزعموا أن معنى الصلاة: موالاة إمامهم، والحج: زيارته وإدمان خدمته، والصوم: الإمساك عن إفشاء سر الإمام دون الإمساك عن الطعام، والزنى: إفشاء سرهم بغير عهد وميثاق، وغير ذلك من طوامهم، وعلى هذا أولوا آيات القرآن!. راجع بتفصيل أكثر: الفرق بين الفرق [٢١٣ - ٢٣٧].

بخبر البتة.."[١].

ويقول الصَّنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ".. والدِّين إنَّما يؤخذ من الأنبياء من غير زيادة على ما جاءوا به ولا نقصان، وقد اكتفى السَّلف الصَّالح بالمدلول اللُّغوي وأطلقوا أسماء الله عليه، ولم يخطر لهم ببال استحالته، لكن أبى المتكلِّمون إلَّا الخوض في ماهيات الصِّفات في حقِّه تعالى، وتكلَّفوا ما لا يعنيهم من مخالفة المدلول اللُّغوي العربي الذي يُحمَل عليه كلام الله .."[٢].

وقد أثنى الشَّوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ على مذهب الظاهر الذي يعتمد على فهم النُّصوص من خلال إعمال ظواهرها، إذ يرى أنَّه مذهب السَّلف الصَّالح، وإن اشتهر بتلك التَّسمية أهل الظاهر، إلَّا أنَّه لا يَبْطُل لمجرد انتساب مَن يُظَنُّ به الخطأ إليه، حيث يقول: "قال ابن حجر: كان أبو حيان[٣] يقول: محال أن يرجع عن مذهب الظاهر مَن عَلِقَ بذهنه[٤]. انتهى. ولقد صدق في مقاله؛ فمذهب الظاهر هو أول الفكر آخر العمل عند مَنْ مُنِحَ الإنصاف ولم

---

(١) ترجيح أساليب القرآن [١٧٥]. قارن كلام ابن الوزير بما ذكره عثمان علي حسن في منهج الاستدلال عند أهل السنة في ذكر أحوال صرف النصوص عن ظاهرها [١/ ٤٠٠، وما بعدها].

(٢) إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة [٩١].

(٣) أبو حيَّان: أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي، الغرناطي، عالم متفنن في كثير من العلوم. مولده بإحدى جهات غرناطة بالأندلس سنة ٦٥٤هـ، وتنقل في البلاد حتى استقر في القاهرة ومات فيها سنة ٧٤٥هـ. من مؤلفاته: (البحر المحيط) في تفسير القرآن، و(التذييل)، و(التكميل في شرح التسهيل). انظر: الدُّرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة [٤/ ٣٠٢ - ٣١٠]، شذرات الذهب [٨/ ٢٥١-٢٥٤]، البدر الطالع [٢/ ٨٤٣ - ٨٤٦].

(٤) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة [٤/ ٣٠٤].

يرد على فطرته ما يُغيِّرها عن أصلها، وليس هو مذهب داود الظاهري[(١)] وأتباعه فقط؛ بل هو مذهب أكابر العلماء المتقيِّدين بنصوص الشَّرع من عصر الصَّحابة إلى الآن، وداود واحد منهم، وإنَّما اشتهر عنه الجمود في مسائل وقف فيها على الظاهر حيث لا ينبغي الوقوف، وأهمل من أنواع القياس ما لا ينبغي بِمُنصف إهماله. وبالجملة؛ فمذهب الظاهر: وهو العمل بظاهر الكتاب والسُّنَّة بجميع الدَّلالات، وطرح التَّعويل على مَحض الرأي الذي لا يرجع إليهما بوجه من وجوه الدَّلالة. وأنت إذا أمعنت النَّظر في مقالات أكابر المجتهدين المشتغلين بالأدلة وجدتها من مذهب الظاهر بعينه، بل إذا رُزِقْتَ الإنصاف وعرفت العلوم الاجتهادية كما ينبغي، ونظرت في علوم الكتاب والسُّنَّة حقَّ النَّظر كنت ظاهرياً، أي عاملاً بظاهر الشَّرع منسوباً إليه لا إلى داود الظاهري؛ فإنَّ نسبتك ونسبته إلى الظاهر مُتَّفقة..»[(٢)].

### ٢) تقرير عقيدة السَّلف في الصِّفات:

ومن التَّقرير الإجمالي: تقرير مذهب السَّلف في صفات الله تبارك وتعالى، فقد قرَّر المنصفون من الزيدية عقيدة السَّلف الصَّالح في باب الصِّفات - على الإجمال - ودعوا إلى ذلك، فإنَّهم كأهل السُّنَّة يعتقدون بأنَّ الله تعالى له الأسماء الحسنى والصِّفات العلى، ليس كمثله شيء وهو السَّميع البصير، فيثبتون له - سبحانه - ما أثبته لنفسه، وينفون عنه ما نفاه عن نفسه، وأنَّ الكلام في الصِّفات فرع عن الكلام في الذَّات، فكما أنَّه قد خفي علينا حقيقة ذاته سبحانه، فكذلك خفيت علينا حقيقة صفاته، فلا

---

(١) تقدمت ترجمته ص [١٣٦].

(٢) البدر الطالع [٢/ ٨٤٤ - ٨٤٥].

يجوز الكلام فيها إلَّا بما دلَّت عليه النُّصوص.

قال ابن الوزير رحمه الله: "ولما اضطرب النَّاس في هذا ودقَّ الكلام فيه، وعَظُمَ الخطر اعتصم الجماهير من أهل السُّنَّة بالإقرار بما ورد في الآيات والأحاديث على الوجه الذي أراده الله تعالى مُذعنين للعلم بذلك الوجه، لا رادِّين لما ورد في ذلك من السَّمع، ولا مُشبِّهين لله تعالى بما لحقه من صفات النَّقص، معتقدين أنَّ الله تعالى كما وصف نفسه في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، مُنزهين لله تعالى من كل ما يقتضي النَّقص من شَبَهِ المخلوقين في أفعالهم وذواتهم وصفاتهم، وهذه عقيدة صالحة مُنجية لمن اعتقدها، ومَن ضلَّل أهلها لَزِمَه تضليل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وتضليل المسلمين إلَّا طائفة المتكلمين، وذلك يعود إلى الإدغال[١] في الدِّين، والقدح على سيد المرسلين. نعوذ بالله من تأويل الجاهلين وانتحال المبطلين.."[٢].

وقال الصَّنعاني - معلقاً على قول ابن عبد الهادي السِّندي[٣] في كتاب الإفاضة المدنية[٤]: "أقول: هذا الكلام إلى آخره كلام مفيد، وقول سديد، بحث صحيح ذهب إليه المحققون من الأئمة، ودرج عليه سلف الأُمَّة، وكيف يقاس صفات من ليس كمثله شيء على صفات المخلوقين؟!.

---

(١) الدَّغَل: الفساد، مثل الدَّخَل. والدَّغَل: دَخَلٌ في الأمر مفسد؛ وأَدْغَلَ في الأمر: أَدْخَل فيه ما يفسده ويُخَالِفه. انظر: لسان العرب [٢/ ١٣٩٠].

(٢) الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم [٢/ ٣١٢ - ٣١٣].

(٣) تقدمت ترجمته ص [٤٤١].

(٤) قال ابن عبد الهادي: "وكذلك قياس صفاته - تعالى - على صفات المخلوقات ضلالة محضة". الإفاضة المدنية في الإرادة الجزئية، لأبي الحسن محمد بن عبد الهادي السندي، ضمن كتاب: (الأنفاس الرحمانية اليمنية في أبحاث الإفاضة المدنية) [٤٣٢].

وكيف تقاس صفات رب العالمين على صفات القاصرين، ولا يحيط بالصفات إلَّا من أحاط علماً بالذَّات؟! والله تعالى يقول: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ۝١١٠﴾ [طه: ١١٠].. "(١).

كما أوضح الشَّوكاني رحمه الله هذه العقيدة في كتابه: (التُّحَف في مذاهب السلف) بما يدل على تقريره لمذهب السَّلف في هذا الباب، ومما قرَّره إجمالاً في ذلك.

يقول رحمه الله: ".. وعند هذا تعلم أنَّ:

خَيرُ الأُمور السَّالِفاتُ عَلَى الهُدَى    وَشَرُّ الأُمُورِ الـمُحدَثاتُ البَدَائعُ

وأَنَّ الحقَّ الذي لاشك فيه ولا شُبهة هو ما كان عليه خير القرون، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، وقد كانوا - رحمهم الله وأَرشدنا إلى الاقتداء بهم والاهتداء بهديهم - يُمِرُّون أدلَّة الصِّفات على ظاهرها، ولا يتكلَّفون عِلمَ ما لا يعلمون، ولا يتأوَّلون، وهذا المعلوم من أقوالهم وأفعالهم والمتقرِّر من مذاهبهم، لا يشك فيه شاك، ولا يُنكره مُنكِر، ولا يُجادِل فيه مُجادِل"(٢).

وقال أيضاً: "وبهذا الكلام القليل الذي ذكرنا تعرف أنَّ مذهب السَّلف من الصَّحابة رضي الله عنهم والتابعين وتابعيهم هو إيراد أدلَّة الصِّفات على ظاهرها من دون تحريف لها ولا تأويل مُتَعَسَّف لشيء منها، ولا جبر ولا تشبيه ولا تعطيل يفضي إليه كثير من التأويل، وكانوا إذا سأل سائل عن شيء من الصِّفات تَلَوا عليه الدليل، وأمسكوا عن القال والقيل.. فعلى هذا النَّمط كان الصَّحابة رضي الله عنهم والتابعون وتابعوهم، وبهدي رسول الله صلى الله عليه

---

(١) الأنفاس الرحمانية اليمنية في أبحاث الإفاضة المدنية [٤٣٢].

(٢) التحف في مذاهب السلف، ضمن الرسائل السلفية [١٣٤ - ١٣٥].

وعلى آله اهتدوا، وبأفعاله وأقواله اقتدوا؛ فمَن قال إنَّهم تلبَّسوا بشيء من هذه المذاهب الناشئة في الصِّفات، أو في غيرها فقد أعظم عليهم الفرية، وليس بمقبول في ذلك، فإنَّ أقوال الأئمة المطَّلعين على أحوالهم العارفين بها، الآخذين لها عن الثِّقات الأثبات يَرُدُّ عليه ويدفع في وجهه، يعلم ذلك كل من له علم، ويعرفه كل عارف"[1].

وهكذا المتأخِّرون من مُنصفي الزيدية فقد تابعوا متقدميهم في تقرير عقيدة السَّلف في الصِّفات، كالقاضي محمد بن إسماعيل العمراني، والعلَّامة مقبل بن هادي الوادعي، والدكتور عبد الوهاب بن لُطف الدَّيلمي وغيرهم.

يقول الدكتور عبد الوهاب الدَّيلمي: "ومما يجب على العبد أيضاً في توحيد خالقه أن يوحِّده في صفاته - سبحانه - التي وَصَفَ بها نفسَه في كتابه، ووصَفَه بها رسوله ﷺ على الحقيقة، فيُثبِت العبد لربِّه - سبحانه - ما أثبته هو سبحانه لنفسه في كتابه، أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء الحسنى والصِّفات العُلا، دون أن يتعرَّض للتأويل المؤدِّي إلى التَّعطيل، ودون أن يتعرَّض للكيفية المؤدِّية إلى التشبيه والتمثيل، فقال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].."[2].

والنُّصوص في هذا الباب - التقرير الإجمالي لعقيدة أهل السُّنَّة والجماعة - كثيرة جداً، ولعلَّ فيما تقدم كفاية بيان، والله أعلم.

---

(١) التحف في مذاهب السلف [١٣٦]، وانظر: كشف الشبهات، ضمن الرسائل السلفية، للشوكاني [٧٦].

(٢) منهج العقيدة في الكتاب والسنة [١٣ - ١٤].

**ثانياً: التقرير التفصيلي:**

التقرير التفصيلي هو تطبيق وشرح للإجمال وتوضيح له، وفيما سبق من التقرير الإجمالي يتضح بجلاء ما يعتقده أولئك المنصفون في تفصيلات المسائل التي ذُكِرَت مُجمَلة فيما سبق، ولمزيد من البيان والإيضاح تحسن الإشارة إلى شيء مما ذكره المنصفون من الزيدية في تفصيلات مسائل الصفات، وكيف قرَّروا فيها مذهب السَّلف.

**١) إثبات الحكمة لله عز وجل:**

صفة الحكمة من الصفات التي تنازعت فيها فرق المتكلمين إفراطاً وتفريطاً، وبين الطرفين تقع عقيدة السَّلف، حيث يثبت أهل السنة الحكمة صفة لله تعالى منزَّهة عن مماثلة حكمة المخلوقين؛ فكما أنَّ (الحكيم) اسم الله، فكذلك (الحكمة) صفة الله[١].

قال ابن الوزير ﷺ: "المسألة الأولى: في إثبات حكمة الله تعالى في جميع أفعاله، وأنَّ ذلك أحْوَط. ومعناها هاهنا: العلم بأفضل الأعمال، والعمل بمقتضى ذلك العلم؛ مثاله: العلم بأنَّ الصِّدق أولى من الكذب، والعدل أولى من الجور، والجود أولى من البخل، والإحسان أولى من الإساءة، ولا خلاف في تسمية هذا الذي ذكرته حكمة في حقِّ الحكماء والعلماء من الخلق، وإنَّما ادعى بعض الغلاة أنَّ مثل ذلك منها محال في حقِّ الرَّب - عزَّ وجلَّ - كما يأتي فساده، وتختلف العبارات عما ذكرنا، والمعنى واحد...

---

(١) يعتقد أهل السنة أن أسماء الله تعالى أعلام تتضمن أوصافاً كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه. انظر: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (القاعدة الأولى) [٢١].

وسبب وقوع الخلاف في ذلك أنَّ قوماً ممَّن أثبت الحكمة غَلَوا في ذلك فأوجبوا معرفة العقول للحكمة بعينها على جهة التفصيل، فجاؤا بأشياء ركيكة، فردَّ عليهم ذلك طائفة من الأشعرية وغَلَوا في الرَّد، وأرادوا حسم مواد الاعتراض بنفي التحسين العقلي، واستلزم ذلك نفي الحكمة، فتجاوزوا الحد في الرَّد فوقعوا في أبعد مما ردوه وأشد، وخير الأمور أوسطها.."(١).

وهذه الوسطية هي ما عليه السَّلف من أهل السُّنَّة والجماعة(٢).

**٢) إثبات صفة الرَّحمة لله:**

وكذلك أثبتوا الرَّحمة صفة لله عز وجل، باعتبارها مشتقَّة من اسم الله عز وجل: (الرَّحمن)، واسمه: (الرَّحيم).

قال ابن الوزير في أثناء دفاعه عن اسمي الله (الرَّحمن الرَّحيم)، وإثبات صفة الرَّحمة لله تعالى حقيقةً، قال: "وأيضاً فقد ثبت أنَّ الرَّحمن مُختص بالله تعالى وحده، ويحرم إطلاقه على غيره، ولو كانت الرَّحمة له مجازاً ولغيره حقيقة كان العكس أوجب وأولى!. وما المانع للمسلم من إثباتها صفةَ حَمْد ومدح وثناء كما علَّمنا ربُّنا، مع نفي صفات النَّقص المتعلِّقة برحمة المخلوقين عنه تعالى، كما أثبتنا له اسم الحي العليم الخبير المريد، مع نفي نقائص المخلوقين في حياتهم المستمرة لجواز التَّألُّم بأنواع

---

(١) إيثار الحق على الخلق [١٨١ - ١٨٢].

(٢) يرى جمهور أهل السنة: "أن الله سبحانه وتعالى يفعل ما يفعل لحكمة يعلمها هو، وهو يُعلم العباد، أو بعض العباد من حكمته ما يطلعهم عليه، وقد لا يعلمون ذلك، والأمور العامة التي يفعلها تكون لحكمة عامة ورحمة عامة، كإرساله محمداً ﷺ". القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة [٢٤٦].

الآلام، ثم للموت الذي لابد منه لجميع الأحياء من الأنام؟!.. وكذلك كل صفة يُوصف بها الرَّب سبحانه ويوصف بها العبد وإنَّ الرَّب يُوصف بها على أتمِّ الوصف مُجرَّدة عن جميع النَّقائص، والعبد يُوصف بها محفوفة بالنَّقص، وبهذا فسَّر أهل السُّنَّة نفي التشبيه، ولم يُفسِّروه بنفي الصِّفات وتعطيلها كما صنعت الباطنية الملاحدة !."[1].

**٣) إثبات صفة المحبَّة:**

ومن الصفات الإلهية التي قرَّرها المنصفون من الزيدية: صفةُ المحبَّة، حيث إنَّ المتكلِّمين قد نفوا حقيقة هذه الصِّفة ومثيلاتها[2] عن الله تعالى مُدَّعين في ذلك التَّنزيه لله تعالى عن مشابهة المخلوقين، وقد قرَّر المقبلي رحمه الله هذه الصِّفة، ووجوب الإيمان بها على ظاهرها، عند قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [التوبة: ١٠٨]، فقال: "والحقُّ أنَّ المحبَّة على حقيقتها، ولا نُكيِّفُها كسائر الصِّفات، ولم يدل دليل على منع الحقيقة، وكذلك محبتنا له سبحانه يُفسِّرونها بطاعته، ولا مانع من الحقيقة، وهي هنا وجدانية، فمنعها مُكابرة!"[3].

وقال الصَّنعاني - معلقاً على كلام المقبلي-: "والحقُّ ما قاله المؤلف رحمه الله مَن حمل ما ورد من صفاته تعالى على الحقيقة من دون تكييف، وهو رأي المحقِّقين من أئمة الحديث وغيرهم"[4].

---

(١) إيثار الحق على الخلق [١٢٧ - ١٢٨].

(٢) أقصد بمثيلاتها: صفة البغض، وصفة الكراهة، وغيرها من الصفات الفعلية الاختيارية.

(٣) الأبحاث المسددة للمقبلي مع ذيلها للصنعاني [١٦٣].

(٤) الأبحاث المسدَّدة للمقبلي مع ذيلها للصنعاني [١٦٣].

**٤) إثبات صفة الكلام لله تعالى:**

وقرّر المنصفون من الزَّيدية عقيدة أهل السُّنَّة في إثبات الكلام صفة لله تعالى، وذلك أنَّ صفة الكلام من الصِّفات التي وقع فيها الخلاف بين المتكلمين وأهل السُّنَّة، فأثبتها أهل السُّنَّة كما أثبتوا باقي الصِّفات من غير تشبيه، ومن غير تكييف؛ وهذا هو الذي ورد عن منصفي الزيدية، كالشَّوكاني، والصَّنعاني رحمهما الله.

يقول الدكتور عبد الله نومسوك: "أثبت الشَّوكاني ﷺ صفة الكلام لله تعالى بما تقرَّر بالأدلة من الكتاب والسُّنَّة أنَّه سبحانه مُتكلِّم حقيقة بكلام هو صفة من صفاته اللَّازمة لِذاته، والكلام من الصِّفات السَّمعية العقليَّة، لأنَّ العقل يُثبت أنَّ الله تعالى مُتَّصِفٌ بصفة الكلام، إذ لو لم يتَّصف بصفة الكلام لاتَّصف بضدها وهو الخَرَس، وهذا محال، لأنَّ الكلام صفة كمال، ومَن يتكلَّم أكمل ممَّن لا يتكلَّم.."[1].

وأمَّا الصَّنعاني ﷺ فقد أثبت صفة الكلام لله تعالى، وزاد على ذلك أن أجاز أن يُقال عن الله تعالى مُتكلِّم - على سبيل الإخبار[2] - لأنَّه قد ثبتت

---

(١) منهج الإمام الشوكاني في العقيدة [٤١٢].

(٢) يقول الصنعاني: " فصل الخطاب في المسألة ما فصله بعض المحققين من كون أسمائه تعالى في باب الدعاء توقيفية، أي: لا يدعى إلا بما ورد به الشرع، كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فلا يدعى إلا بما سمى به نفسه، فلا يقال: يا شيء، ويا موجود اغفر لي، وأما في باب الأخبار فيجوز أن يخبر عنه بما لم يرد به، مثل: موجود، ومذكور، ومنه: واجب الوجود، وصانع العالم.

وكل ما كان معناه حقاً في حقه تعالى، ومنه: متكلِّم، فيقال: إنه متكلم، ولا يقال: يا متكلم اغفر لي! فهذا تحقيق لم يَحُمْ حولَه الطائفتان..". إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة [٧٦]، ولعل الصنعاني ﷺ أراد أن يقرِّب بين الفريقين!. ومذهب =

له صفة الكلام[1].

**القول في القرآن:**

ومن كلام الله: القرآن، حيث قرَّر المنصفون من الزيدية أنَّ القرآن كلام الله، من غير تجاوز لما جاء في النُّصوص في صفته، والتَّقيُّد بنصِّ الشَّرع في ذلك.

يقول الصَّنعاني رحمه الله: "وقد وَسِعَ السَّلفَ الإيمانُ بأنَّ القرآن كلام الله، ولم يجاوزوا هذا القَدْر، فلْيَكْفِ المؤمنَ ما كَفاهم"[2].

كما قرَّر الشَّوكاني رحمه الله أنَّ القرآن كلام الله مُنزَّل على محمد ﷺ، وهو صفة من صفات الله تعالى، قديم النَّوع حادث الآحاد في التَّنزيل، وأنَّه المتلو والمسموع والمكتوب في المصاحف[3].

وزيادة في البيان فقد فصَّل ابن الوزير رحمه الله في هذه المسألة، ففرَّق بين التِّلاوة - التي هي فعل المخلوق - وبين المتلو - الذي هو كلام الله - وسلك في ذلك طريقاً وسطاً، فقال: "وما قالوه من أنَّ ذلك كلام الله في الجملة حق، ولكن لابد من الفرق بين التلاوة والمتلو، والحكاية والمحكي، وهو فرق ضروري، فإنَّ المتلو المحكي كلام الله بغير شك،

---

= السلف: أن أسماء الله توقيفية، والإخبار عن الله بصفة من صفاته، لا يصيِّرُه اسماً لله!. انظر: القواعد المثلى [٣٤].

(١) يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "القاعدة الثانية: باب الصفات أوسع من باب الأسماء، وذلك لأنَّ كل اسم متضمن لصفة.. ولأنَّ من الصفات ما يتعلق بأفعال الله تعالى، وأفعاله لا منتهى لها، كما أنَّ أقواله لا منتهى لها". القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى [٥٧].

(٢) إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة [١١٦].

(٣) انظر: منهج الإمام الشوكاني في العقيدة، لعبد الله نومسوك [٤١٦ - ٤١٧].

والتلاوة والحكاية فعل لنا مقدور اختياري بغير شك، ولاشكَّ أنَّ ما هو مقدور لنا واقع باختيارنا غير المعجز الذي لم يقدر عليه أحد.."[(١)].

**٥) إثبات الرؤية:**

ومن المسائل التي طال النِّزاع فيها بين أهل السُّنَّة والمتكلمين مسألة الرؤية، أي: رؤية المؤمنين ربَّهم في الآخرة؛ إذ نفاها المعتزلة وأتباعهم - ومنهم الزيدية - وأثبتها أهل السُّنَّة، على الوجه اللَّائق بالله تعالى، وحاول الأشاعرة التَّوسط في هذه المسألة، فأثبتوا الرؤية مع نفي صفة العلو لله تعالى، فكان إثباتهم متناقضاً، ولعل هذا مما بقي من أثر الاعتزال عند الأشاعرة[(٢)].

وقد قرَّر المنصفون من الزيدية رؤية الله عز وجل في الآخرة رؤية حقيقية بصرية كأهل السُّنَّة، فهذا الصنعاني يثبت رؤية المؤمنين ربَّهم - عز وجل - يوم القيامة ويقرِّرها على ظاهرها، حيث يقول رحمه الله: "مسألة الرؤية وقعت في عصره ﷺ، وسأله عنها أصحابه، وأجابهم بما شفى وكفى، وضرب لهم المثل برؤية القمر، وقد بسط أدلتها ابن القيم في آخر كتابه (حادي الأرواح)[(٣)]، وأجاد وأفاد، وجمع نحواً من ثلاثين حديثاً.."[(٤)].

---

(١) إيثار الحق على الخلق [١١٩].

(٢) راجع: أثر الفكر الاعتزالي في عقائد الأشاعرة عرض ونقد، الباحث: منيف بن عايش العتيبي، رسالة دكتوراه من جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين - مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ [٣/ ١٢١٠، وما بعدها].

(٣) يقول ابن القيم: "الباب الخامس والستون: في رؤيتهم ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم جهرة كما يرى القمر ليلة البدر وتجلِّيه لهم ضاحكاً إليهم"، ثم ذكر المخالفين في مسألة الرؤية، ثم ذكر أدلة الرؤية وفصل في شرحها، وذكر وعيد منكري الرؤية. انظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح [٣٥٥ - ٤٢٢].

(٤) الأنفاس الرحمانية [٢٢٨].

وقد دافع محدِّث اليمن في زمانه - محمد بن إبراهيم الوزير - عن الأحاديث المثبتة للرؤية، فقال في ردِّه على شيخه الزيدي - جمال الدين ابن أبي القاسم - الذي ضعَّف أحاديث الرؤية: "المسألة الأولى: مثَّل المردود من كتب المحدثين بحديث جرير بن عبد الله البجلي في الرؤية، وهذا من الإغراب الكثير والجهل العظيم؛ فإنَّ المحدثين رووا في الرؤية أحاديث كثيرة تزيد على ثمانين حديثاً عن خلقٍ كثير من الصحابة أكثر من ثلاثين صحابياً؛ منهم: أبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، وأبو موسى، وعدي بن حاتم، وأنس بن مالك، وجرير بن عبد الله، وكل هؤلاء أحاديثهم متَّفق عليها، مُخرَّجة في صحيحي البخاري ومسلم معاً، وفي غيرهما من كتب الحديث.. وروى حديث الرؤية أهل الحديث كلهم في جميع دواوين الإسلام من طرق كثيرة، حتى رَوَوه من طريق زيد بن علي رضي الله تعالى عنه.."(١).

كما قرَّر الشَّوكاني عقيدة أهل السُّنَّة في رؤية الله عز وجل يوم القيامة في مواضع كثيرة من تفسيره الموسوم بـ (فتح القدير)، من ذلك ما جاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القِيَامَة: ٢٣]، قال: "هذا من النَّظر، أي: إلى خالقها ومالك أمرها. (ناظرة)، أي: تنظر إليه، هكذا قال جمهور أهل العلم، والمراد به ما تواترت به الأحاديث الصحيحة من أنَّ العباد ينظرون ربَّهم يوم القيامة، كما ينظرون إلى القمر ليلة البدر"(٢).

---

(١) الروض الباسم [١/ ١٢٣].

(٢) فتح القدير [١٥٥٩]، وانظر تفسيره لقوله تعالى: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعرَاف: ١٤٣] ص [٤٩٨]، وتفسير ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يُونس: ٢٦] ص [٦٢٠]، وتفسير: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [قٓ: ٣٥] ص [١٤٠١-١٤٠٢]، وتفسير: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥] ص [١٥٩٧].

وبعد؛ فقد كانت هذه مقتطفات من أقوال أئمة المتحولين من الزيدية إلى السُّنَّة، لعلَّها تفي في بيان مظهر من مظاهر تحوّلهم إلى السُّنَّة، وهو مظهر تقرير عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة عقيدة السَّلف الصَّالح رحمهم الله، ولعلَّ في المظهر الآتي إتماماً لما تقدم، والله أعلم.

